المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

- إتمام المنة بشرح أصول السنة (لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل).
- فتح الرحيم الودود في التعليق على كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود.
- القول الحثيث على عقيدة أهل الحديث (من مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري).
- إبراز المعاني بشرح وصية الإمام أبي عثمان الصابوني.
- الفوائد الجياد على لمعة الاعتقاد.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله

المجلد الرابع

الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م



العِلْمُ مِيرَاثُ النَّبِيِّ كَذَا أَتَى ... فِي النَّصِّ وَالعُلَمَاءُ هُمْ وُرَّاثُهُ
مَا خَلَّفَ المُخْتَارُ غَيْرَ حَدِيثِهِ ... فِينَا فَذَاكَ مَتَاعُهُ وَأَثَاثُهُ



رقم الإيداع القانوني: سبتمبر-2023

ردمك: 3-235-48-9947-978

دَارُ المِيرَاثِ النَّبَوِيِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الجَزَائِرُ العَاصِمَةُ

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 550471594 (00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

@mirathennabawi

المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

- إتمام المنة بشرح أصول السنة (لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل).
- فتح الرحيم الودود في التعليق على كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود.
- القول الحثيث على عقيدة أهل الحديث (من مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري).
- إبراز المعاني بشرح وصية الإمام أبي عثمان الصابوني.
- الفوائد الجياد على لمعة الاعتقاد.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إتمام المنَّة
بشرح أصول السُّنَّة

(لإمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل)

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

فوَّاز بن علي المدخلي سالم بن حاج الخامري

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الَّذي جعَل في كلِّ زمان فترة مِن الرُّسل بقايا مِن أهل العلم؛ يدعون مَن ضَلَّ إلى الهُدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يُحيون بكتاب الله تعالىٰ الموتىٰ، ويُبصِّرون بنورِ الله أهل العمىٰ، فكم مِن قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم مِن ضالٍّ تائهٍ قد هدَوهُ، فما أَحْسنَ أثرَهم علىٰ النَّاس، وما أَقْبحَ أثَر النَّاس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالىٰ تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين، الَّذين عقدوا ألويةَ البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مُجمِعُون علىٰ مفارقة الكتاب، يقولون علىٰ الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، ويتكلَّمون بالمُتشابه من الكلام، ويخدعون جُهَّال النَّاس بما يُشبِّهون عليهم، فنعوذُ بالله مِن فتنة المُضلِّين[١].

وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه النَّاصحُ الأمينُ، وعلىٰ آله وصحبه الطَّيِّبين الطَّاهِرين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أوجب ما علىٰ المرء: معرفة اعتقاد الدِّين، وما كلَّف اللهُ به عبادَه مِن فهْم توحيدِه وصفاتِه وتصديقِ رُسلِه بالدَّلائل واليقين، والتَّوصُّل إلىٰ طرُقها والاستدلال عليها بالحُجج والبراهين.

(١) هذه الخطبة اقتباس من الخطبة التي افتتح بها الإمام أحمد رحمه الله كتابه: «الرَّدّ علىٰ الجهميَّة والزَّنادقة» (ص٥).

وكان مِن أعظم مقولٍ، وأوضح حُجَّة ومعقول: كتابُ الله الحقّ المُبين، ثُمَّ قول رسول الله ﷺ، وصحابته الأخيار المُتَّقين، ثُمَّ ما أجمع عليه السَّلفُ الصَّالحون، ثُمَّ التَّمسُّك بمجموعها والمقام عليها إلىٰ يوم الدِّين، ثُمَّ الاجتناب عن البِدع والاستماع إليها ممَّا أحدثها المضلُّون[1].

ولمَّا كانَ معرفةُ اعتقاد الدِّين أمرًا مُحتَّمًا، فقد اعتنىٰ سلفُنا الصَّالح بتدوين العقيدة وتعليمِها، وتحقيق مسائلِها، حتَّىٰ لا يتطرَّق إليها أهلُ الزَّيغ والفساد، وأهل التَّأويل والإلحادِ، وخاصةً بعد انتشار الإسلام، واتِّساع رقعته في أرض الله، وتمكّن أهلِه مِن التَّغلُّب علىٰ سائر الأديان الباطلة والمُنحرفة، وتسرُّب بعض العناصر الضَّالَّة إلىٰ دين الإسلام ليس حبًّا فيه، وإنَّما مِن أجلِ التَّشكيك فيه وتضليل أهلِه، ولكي يُدخلُوا في الإسلام ما ليس منه.

فهبَّ علماءُ الأمَّة الرَّبانيُّون والأئمَّة المُصلحون لبيان الاعتقاد الصَّحيح، ومقاومة العقائد والبدع الضَّالَّة الَّتي دخلتْ في الإسلام؛ إمَّا بالرَّدِّ عليها وبيان زيفها وضلالها، وإمَّا بعرْض العقيدة الإسلاميَّة الصَّحيحة الصَّافية النَّقيَّة كما جاءتْ، تنوَّعَتْ في ذلك أساليبهم، وتعدَّدتْ تآليفهم، سطروها بكلام رصين، وتدوين متين، قائم علىٰ الأدلَّة الجليَّة مِن كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، في نقول موثَّقة، وأقوال مُحقَّقة، فحفظ الله بهم الدِّين، وأقام بهم الحجَّة، وقمع بجهودهم أصناف الباطل والبدعة.

ومما سُطِّر وأُلِّف في ذلك، هذه الرِّسالة العظيمة: «أصول السُّنَّة» لإمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الَّتي هي مِن أهمِّ الرَّسائل السَّلفيَّة الَّتي عرَضتْ

(١) من مقدمة كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ٧).

أصولَ مسائل الاعتقاد مُدعَّمةً بالدَّليل مِن الكتاب والسُّنَّة.

وكان أغلب السَّلف - رحمهم الله تعالىٰ - يُقيِّدون ما يعتقدون - وخاصَّة أصحاب الحديث - وما ذلك إلَّا للسَّدِّ علىٰ المُغرضين، وبيان طريقةِ الصَّالحين ليُقتدَىٰ بهم، وحتَّىٰ يَنشُروا العلمَ، ويَنالُوا بذلك الأجر.

ومِن هنا؛ فقد تداولَ عُلماءُ الإسلام هذه الرِّسالةَ القيِّمة وضمَّنوها كُتبَهم، وممَّن ضمَّنها كتابَه:

- الإمام أبو القاسم هبةُ الله اللَّالكائيُّ في «شرح أصولِ اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصَّحابة والتَّابعين مِن بعدِهم» تحت عنوان كبير: (سياق ما رُوي من المأثور عن السَّلف في جُمَل اعتقادِ أهل السُّنَّة والتَّمسُّك بها والوصيَّة بحفظِها قرْنًا بعد قرْنٍ).

- وممَّن رواها: «عُبدوسُ بن مالك» في ترجمته، وهو أحد طلبة الإمام أحمد والمقرَّبين منه.

- وكذلك رواها: الخلَّالُ في كتابه «طبقات الحنابلة»، مع اختلافاتٍ يسيرةٍ في الضَّمائر؛ إذ تكون تارةً للغائب، وتارةً للمتكلِّم، ونحو ذلك.

وقد قام فضيلة شيخنا العلَّامة أحمد بن يحيىٰ النَّجميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشرح هذه الرِّسالة العلميَّة، في دورة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلميَّة الخامسة، شرحًا مُفصَّلًا؛ فحلَّ مُشكِلَها، وأبان عن غامضها، وقرَّب ألفاظَها، فجاء شرحُه سهلَ الأُسلوب، قريبَ المأخذ، مفصَّل المواضيع، وهذا ممَّا دفعَنا إلىٰ الاعتناء به بحسَب الوسع.

وحيث رأينا مُسارعة طُلَّاب العلم إلىٰ اقتناء هذه الدُّروس مِن الأشرطة قمْنا

بتفريغها، واستأذنَّا الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إخراجها ونشْرها بعد ترتيبها وتنسيقها، وترقيم آياتها، وعزوِ أحاديثها؛ ليسهل تناوُلها والاستفادة منها، وليعمَّ النَّفع بها، والفائدة منها، فوافق على ذلك مشكُورًا.

[فهلمَّ الآن، إلى تديُّن المُتَّبعين، وسيرة المُتَمسِّكين، وسبيل المُتقدِّمين بكتاب الله وسُنَّته، والمُنادين بشرايعه وحكمته، الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

وتنكَّبوا سبيلَ المُكذِّبين بصفات الله، وتوحيدِ ربِّ العالمين، فاتَّخذُوا كتاب الله إمامًا، وآياته فُرقانًا، ونصَبُوا الحقَّ بين أعينِهم عيانًا، وسُنن رسول الله جُنَّةً وسلاحًا، واتَّخذوا طرُقَها منهاجًا، وجعلوها برهانًا، فلقَوا الحكمةَ، ووُقُوا من شرِّ الهوىٰ والبدعة، لامتثالهم أمْر الله في اتِّباع الرَّسول، وتركهم الجدالَ بالباطل ليُدحضوا به الحقَّ](١).

نسألُ اللهَ أنْ يُرينا الحقَّ حقًّا ويَرزُقنا اتِّباعَه، ويُرينا الباطلَ باطلًا ويَرزُقَنا اجتنابَه، وألَّا يجعلَه مُلتبسًا علينا فنضلَّ.

المحقِّقان



(١) من مقدِّمة كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» للالكائي (١/ ٢٠).

ترجمة صاحب المتن الإمام
أحمد بن حنبل[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مَولدُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام أحمدُ بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولدتُ في شهر ربيع الأوَّل سنة أربعٍ وستِّين ومئة»[٢].

وقال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان محمَّد والد أبي عبد الله من أجناد مَرْو، مات شابًّا؛ له نحوٌ من ثلاثين سنة، ورُبِّيَ أحمد يتيمًا، وقيل: إنَّ أمَّه تحوَّلت من مرو وهي حاملٌ به»[٣]، رحمها الله.

نشأتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نشأ يتيمًا في حِجر أمِّه، ونقل صالحٌ عن أبيه أنَّه قال: ثَقَبت أُمِّي أُذني، فكانت تصيِّر فيهما لؤلؤتين، فلمَّا ترعرعتُ نزعتهما، فكانتا عندها، ثمَّ دفعتهما إليَّ، فبعتُهما بنحوٍ من ثلاثين درهمًا[٤].

شيوخُه وتلاميذُه:

قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمع مِن إبراهيم بن سعد قليلًا، ومِن هُشيم بن

---

(١) مختصرةٌ مِن «سيرةِ الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل» تأليف فضيلة الشَّيخ العلَّامة المحدِّث أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضِمن هذا المجموع المُبارك.

(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (١١/ ١٧٩ الرسالة) ط/ ٩، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

(٣) «السِّير» (١١/ ١٧٩).

(٤) انظر: «السِّير» (١١/ ١٧٩).

بشير، فأكثر وجوَّد، ومن عبَّاد بن عباد المهلَّبي، ومعتمر بن سُليمان التَّيمي، وسُفيان بن عُيينة الهلالي، وأيُّوب بن النَّجَّار، ويحيىٰ بن أبي زائدة، وعليّ بن هاشم بن البَريد، وقرَّان بن تمام، وعمَّار بن محمَّد الثَّوري، والقاضي أبي يوسف...»، وذكر عددًا من المشايخ الَّذين أخذ عنهم...

ثمَّ قال: فعدَّة شُيوخه الَّذين روىٰ عنهم في «المسند»: مئتان وثمانون ونيِّف...

حدَّث عنه البخاريُّ حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخَرَ في المغازي.

وحدَّث عنه مسلمٌ وأبو داود بجُملةٍ وافرةٍ.

وروىٰ أبو داود، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجه عن رجلٍ عنه.

وحدَّث عنه أيضًا ولداه؛ صالحٌ وعبدُ الله، وابنُ عمِّه حنبلُ بنُ إسحاق[(١)].

ومن شيوخه: «عبد الرَّزَّاق، والحسن بن موسىٰ الأشيب، وأبو عبد الله الشَّافعيّ؛ لكنَّ الشَّافعيَّ لم يُسمِّه؛ بل قال: حدَّثني الثِّقة.

وحدَّث عنه: عليُّ بن المديني، ودُحيم، وأحمد بن صالح، وأحمد بن أبي الحواريّ، ومحمَّد بن يحيىٰ الذُّهلي، وأحمدُ بنُ إبراهيمَ الدَّورقيُّ، وأحمدُ بنُ الفُرات...»[(٢)]، وذكَر جُملةً ممَّن حدَّثوا عنه، بعضُهم مِن شُيوخه.

«قال ابنُ أبي حاتم: أخبَرنا أبو زُرعةَ أنَّ أحمد أصلُه بصريٌّ، وخطَّته بمرو، وحدَّثنا صالحٌ سمعتُ أبي يقول: مات هُشيم، فخرجتُ إلىٰ الكوفة سنة ثلاثٍ وثمانين، وأوَّل رحلاتي إلىٰ البصرة سنة ستٍّ، وخرجتُ إلىٰ سُفيان سنةَ سبعٍ، فقدِمْنا وقد ماتَ الفُضيلُ بنُ عِياض، وحججتُ خمس حجج، منها ثلاثٌ

(١) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨٠-١٨١).

(٢) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨١-١٨٢).

راجلًا، أنفقتُ في إحداها ثلاثين درهمًا، وقدِمَ ابنُ المبارك في سنة تسعٍ وسبعين، وفيها أوَّل سماعي من هُشيم، فذهبتُ إلىٰ مجلس ابن المبارك، فقالوا: قد خرج إلىٰ طرَسوس، وكتبتُ عن هُشيم أكثرَ مِن ثلاثة آلاف، ولو كان عندي خمسون درهمًا لخرجت إلىٰ جرير إلىٰ الرّيّ»(١).

رحلته في طلب العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال المرُّوذي: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: مات هُشيمٌ ولي عشرون سنةً، فخرجتُ أنا والأعرابيُّ - رفيق كان لأبي عبد الله - قال: فخرجنا مشاةً، فوصلنا الكوفة، يعني: في سنة ثلاثٍ وثمانين، فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق، فأعطىٰ الأعرابي حجةً بستين درهمًا، فخرج وتركني في بيتٍ وحدي، فاستوحشتُ، وليس معي إلَّا جرابٌ فيه كُتبي، كنتُ أضعُه فوق لبنةٍ، وأضعُ رأسي عليه، وكنتُ أُذاكر وكيعًا بحديث الثَّوريِّ»(٢).

حِفظُه للعلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدَّثنا عبدُ الله بن أحمد، قال لي أبي: خُذْ أيَّ كتابٍ شئتَ مِن كتُب وكيع من المصنَّف، فإنْ شئتَ أنْ تسألني عن الكلام حتَّىٰ أخبرك بالإسناد، وإن شئتَ بالإسناد حتَّىٰ أخبرَك أنا بالكلام»(٣).

قلتُ: يريد بالكلام: المتن، أي: الحديث الَّذي يُتوصَّل إليه بالإسنادِ.

وقال إبراهيم الحربيُّ: «رأيتُ أبا عبد الله كأنَّ اللهَ جمَع له علم الأوَّلين

---

(١) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨٣).

(٢) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨٦).

(٣) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨٦).

والآخرين»[(١)].

وقال يحيىٰ القطَّان: «ما قَدِم عليَّ مِن بغداد أحب إليَّ من أحمد بن حنبل».

وقال عمْرو بن العبَّاس: «سمعتُ عبد الرَّحمن بن مهديٍّ ذكر أصحاب الحديث، فقال: أعلمهم بحديث الثَّوريِّ أحمدُ بن حنبل؛ قال: فأقبل أحمد بن حنبل، فقال: من أراد أن ينظر إلىٰ ما بين كتفي الثَّوري، فلينظر إلىٰ هذا»[(٢)].

وقال أبو الوليد الطَّيالسيّ: «ما بالمِصرَين[(٣)] رجلٌ أكرم عليَّ مِن أحمد بن حنبل»[(٤)].

ورعُه وثناءُ العُلماء عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال قُتيبةُ: «خيرُ أهل زمانِنا ابنُ المبارك، ثمَّ هذا الشَّابُّ، يعني: أحمد بن حنبل»[(٥)].

وقال حرملةُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: خرجتُ مِن بغدادَ، فما خلَّفتُ بها رجلًا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقىٰ مِن أحمدَ بن حنبل»[(٦)].

وقال قُتيبةُ: «لولا الثَّوريُّ لمَات الورعُ، ولولا أحمدُ لَأحدثوا في الدِّين؛ أحمدُ إمام الدُّنيا»[(٧)].

«ورُويَ عن إسحاق بن راهويه قال: أحمدُ حُجَّةٌ بين الله وبين خلْقه...

وعن ابن المديني قال: أعزَّ اللهُ الدِّينَ بالصِّدِّيق يوم الرِّدَّة، وبأحمد يوم المحنة»[(٨)].

---

(١) «السِّير» (١١/ ١٨٨).

(٢) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨٩-١٩٠).

(٣) أي: البصرة والكوفة.

(٤) انظر: «السير» (١١/ ١٩٠).

(٥) انظر: «السير» (١١/ ١٩٥).

(٦) انظر: «السير» (١١/ ١٩٥).

(٧) «السير» (١١/ ١٩٥).

(٨) انظر: «السير» (١١/ ١٩٦).

وقال أبو زُرعةَ: أحمدُ بن حنبل أكبرُ من إسحاقَ وأفقهُ، وما رأيتُ أحدًا أكملَ مِن أحمدَ...

وقال ابنُ وارة: كان أحمدُ صاحبَ فقهٍ، صاحبَ حفظٍ، صاحبَ معرفةٍ.

وقال النَّسائيُّ: جمَع أحمدُ بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزُّهد والصَّبر»[(١)].

ثباتُه في المحنة في عهد المعتصم:

ذكَر ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية» في (ص٣٦٥) ملخَّص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السُّنَّة، فقال: «قد ذكرنا فيما تقدَّم أنَّ المأمونَ كان قد استحوذَ عليه جماعةٌ مِن المعتزلة؛ فأزاغوه عن طريق الحقِّ إلىٰ الباطل، وزيَّنوا له القول بخلق القُرآن، ونفي الصِّفات عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال البيهقيُّ: ولم يكن في الخُلفاء قبله مِن بني أميَّة وبني العبَّاس خليفةٌ إلَّا علىٰ مذهب السَّلف ومنهاجهم، فلمَّا ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء، فحملُوه علىٰ ذلك، وزيَّنوه له، واتَّفق خروجه إلىٰ طرسوس لغزو الرُّوم، فكتَب إلىٰ نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب يأمرُه أنْ يدعُوَ النَّاس إلىٰ القول بخلْق القُرآن، واتَّفق له ذلك آخر عمُره قبل موته بشُهور من سنة ثماني عشرة ومئتين.

فلمَّا وصل الكتاب - كما ذكرنا - استدعىٰ جماعةً من أئمَّة الحديث، فدعاهم إلىٰ ذلك فامتنعوا، فتهدَّدهم بالضَّرب وقَطْع الأرزاق، فأجاب أكثرهم مُكرهين، واستمرَّ علىٰ الامتناع من ذلك الإمام أحمدُ بن حنبل، ومحمَّد بن نوح الجند يسابوري، فحُملا علىٰ بعيرٍ، وسُيِّرا إلىٰ الخليفة عن أمره بذلك،

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٩٧-١٩٩).

وهما مُقيَّدان متعادلان في مَحمل علىٰ بعيرٍ واحدٍ.

فلمَّا كانا ببلاد الرَّحبة جاءهم رجلٌ من الأعراب من عُبَّادهم يقال له: جابر بن عامر، فسلَّم علىٰ الإمام أحمد، وقال له: يا هذا، إنَّك وافد النَّاس، فلا تكن شُؤمًا عليهم، وإنَّك رأسُ النَّاس اليوم؛ فإيَّاك أن تُجيبهم إلىٰ ما يَدعونك إليه فيُجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنتُ تحبُّ الله فاصبر علىٰ ما أنت فيه؛ فإنَّه ما بينك وبين الجنَّة إلَّا أنْ تُقتلَ، وإنْ لم تُقتل تَمُتْ، وإن عِشتَ عِشتَ حميدًا.

قال أحمدُ: وكان كلامُه مما قوَّىٰ عزمي علىٰ ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الَّذي يدعونني إليه.

فلمَّا اقتربا مِن جيش الخليفةِ ونزلُوا دُونَه بمرحلةٍ، جاءَ خادمٌ وهو يَمسحُ دموعه بطرف ثوبه، ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أنَّ المأمون قد سلَّ سيفًا لم يسلَّه قبل ذلك، وأنَّه يُقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تُجبه إلىٰ القول بخلْق القُرآن ليقتلنَّك بذلك السَّيفِ.

قال: فجثا الإمامُ أحمدُ علىٰ رُكبتَيه، ورمَق بطرْفه إلىٰ السَّماء، وقال: سيدي، غَرَّ حلمُك هذا الفاجر؛ فتجرَّأ علىٰ أوليائك بالضَّرب والقتل؛ اللَّهمَّ فإنْ يكن القُرآنُ كلامُك غيرَ مخلوق، فاكفنا مُؤنَتَه.

قال: فجاءهم الصَّريخ بموت المأمون في الثُّلث الأخير من اللَّيل. قال أحمد: ففرِحْنَا.

ثمَّ جاء الخبرُ بأنَّ المعتصم قد وَليَ الخلافة، وقد انضمَّ إليه أحمد بن أبي دؤاد، وأنَّ الأمرَ شديدٌ، فردُّونا إلىٰ بغداد في سفينةٍ مع بعض الأسارىٰ، ونالني منهم أذىٰ كثيرٌ، وكان في رِجلَيه القُيودُ.

ومات صاحبُه محمّد بن نوح في الطَّريق، وصلَّىٰ عليه أحمد.

فلمَّا رجع أحمدُ إلىٰ بغداد دخلَها في رمضان، فأُودع في السِّجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل: نيفًا وثلاثين شهرًا، ثمَّ أُخرج إلىٰ الضَّرب بين يدي المُعتصم، وقد كان أحمدُ - وهو في السّجن - هو الَّذي يُصلِّي في أهل السِّجن والقيود في رجليه»[1].

ثمَّ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ذِكْرُ ضَرْبِه** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **بين يدي المعتصم**: لمَّا أحْضرَه المعتصمُ من السِّجن زاد في قُيوده.

قال أحمدُ: فلم أستطع أنْ أمشيَ بها، فربطتها في التِّكَّة[2]، وحملتُها بيدي، ثمَّ جاؤوني بدابَّة، فحُملتُ عليها، فكِدْتُ أنْ أسقُطَ علىٰ وَجْهي مِن ثِقَل القُيودِ، وليس معي أحدٌ يُمسكُني، فسلَّم اللهُ حتَّىٰ جئنا دار المعتصم، فأُدخلتُ في بيتٍ، وأُغلق عليَّ، وليس عندي سراجٌ، فأردتُ الوضوءَ، فمددتُ يدي، فإذا إناءٌ فيه ماء، فتوضَّأت منه، ثمَّ قمتُ، ولا أعرف القِبلة، فلمَّا أصبحتُ، فإذا أنا علىٰ القبلة - ولله الحمدُ -، ثمَّ دُعيتُ فأُدخلتُ علىٰ المعتصم، فلمَّا نظَر إليَّ، وعنده ابنُ أبي دؤاد؛ قال: أليسَ قد زعمتُم أنَّه حَدَثُ السِّنِّ؟ وهذا شيخٌ مُكْهِلٌ!

فلمَّا دنوتُ منه، وسلَّمتُ، قال لي: ادنُه، فلم يزل يُدنيني حتَّىٰ قرُبتُ منه، ثمَّ قال: اجلِسْ. فجلستُ، وقد أثقلَني الحديد، فمكثتُ ساعةً، ثمَّ قلت: يا أمير المؤمنين، إلىٰ ما دعا ابنُ عمِّك رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: إلىٰ شهادةِ أنْ لا إله إلَّا اللهُ. قلتُ: فإنِّي أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله. قال: ثمَّ ذكرْتُ له حديثَ ابن عبَّاس في

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) **التكَّة**: رباط السَّراويل.

وفد عبد القيس، ثمَّ قلتُ: فهذا الَّذي دعا إليه رسولُ الله ﷺ».

وحصلتْ مناظرةٌ طويلةٌ بينه وبين ابن أبي دُؤاد ومَن معه.

ثمَّ لمَّا لم يُجبهم إلىٰ القول بخلق القرآن عذَّبوه بالسِّيَّاط. يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأُخذتُ وسُحبتُ وخلعتُ، وجيء بالعقابين والسّياط، وأنا أنظر،... فجرَّدوني، وصرتُ بين العقابين، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، اللهَ، اللهَ! إنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِلَّا بإِحْدَىٰ ثَلاثٍ**»[(١)]، وتلوتُ الحديث، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهمْ**»[(٢)]، فَبِمَ تَستحلُّ دَمي، ولم آتِ شيئًا من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكُر وُقوفَكَ بين يَدَي الله كوقوفي بين يديك!». فأخذوا يضربونه حتَّىٰ أُغميَ عليه، وذهب عقله مرارًا، فإذا سكن الضَّرب يعود عليه عقله.

«ثمَّ أمر الخليفةُ بإطلاقه إلىٰ أهله، وكان جُملة ما ضرب نيّفًا وثلاثين سوطًا، وقيل: ثمانين سوطًا، لكن كان ضربًا مُبرّحًا شديدًا جدًّا، وقد كان الإمام أحمد رجلًا رقيقًا، أسمر اللَّون، كثير التّواضع رَحِمَهُ ٱللَّهُ». اهـ[(٣)].

انتهاءُ المحنة بولاية المتوكِّل على الله:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٢) (٣٦٢١ قرطبة): عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بإِحْدَىٰ ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بالنَّفْس، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجَمَاعَةِ**»، وهو عند البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١١) (٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو عند البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢١).

(٣) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٦-٣٦٨).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلمَّا ولِيَ المتوكِّل علىٰ الله الخلافة، استبشَر النَّاسُ بولايتِه؛ فإنَّه كان محبًّا للسُّنَّة وأهلها، ورفَع المحنة عن الناس، وكتَب إلىٰ الآفاق: لا يَتكلَّمُ أحدٌ في القَول بخَلْق القُرآن. ثمَّ كتَب إلىٰ نائبه ببغداد؛ - وهو إسحاقُ بنُ إبراهيم - أنْ يبعثَ بأحمدَ بن حنبل إليه، فاستدْعَىٰ إسحاق الإمام، فأكرمه وعظَّمه لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إيَّاه، وسأله فيما بينه وبينه عن القُرآن! فقال له أحمدُ: سؤالك هذا سُؤال تعنُّتٍ أو استرشاد؟ قال: بل سؤالُ استرشاد. فقال: هو كلام الله مُنَزَّلٌ، غيرُ مخلوقٍ. فسكَن إلىٰ قوله في ذلك، ثمَّ جهَّزه إلىٰ الخليفة إلىٰ (سرَّ مَن رأىٰ)»[١].

مؤلَّفاته:

قال الذَّهبيُّ: «قال ابنُ الجوزيِّ: كان الإمامُ - أحمدُ - لا يَرىٰ وضْعَ الكتُب، وينهىٰ عن كِتْبَة كلامِه ومسائِله، ولو رأىٰ ذلك لكانتْ له تصانيفُ كثيرةٌ، وصنَّف «المسند» وهو ثلاثون ألفَ حديثٍ»[٢].

قال: «وكان - الإمام أحمد - يقولُ لابنه عبد الله: احتفظْ بهذا (المسند)؛ فإنَّه سيكونُ للنَّاس إمامًا، و(التَّفسير) وهو (١٢٠٠٠٠) ألف حديث - ولكنَّه مفقودٌ -، و(النَّاسخ والمنسوخ)، و(التَّاريخ)، و(حديث شعبة)، و(المُقدَّم والمؤخَّر في القُرآن)، و(جوابات القرآن)، و(المناسك) الكبير والصَّغير، وأشياء أُخَر»[٣].

وقال الإمامُ الذَّهبيُّ: «ومِن مؤلَّفاتِه: كتاب (الإيمان)، وكتاب (الأشربة)،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٧١).

(٢) «السير» (١١/ ٣٢٧).

(٣) «السير» (١١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

ورأيتُ له ورقةً مِن كتاب (الفرائض)، فتفسيره المذكور شيءٌ لا وجودَ له، لو وُجِدَ لاجتهد الفُضلاءُ في تحصيله، ولاشْتهَر، ثمَّ لو ألَّف تفسيرًا لما كان يكون أزيد مِن عشرة آلافِ أثرٍ، ولاقْتضىٰ أنْ يكونَ في خمس مجلَّدات»(١).

وفاته:

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مرضُه**: قال: سمعتُ أبي يقول: استكملت سبعًا وسبعين سنةً، ودخلت في ثمان، فحُمَّ مِن ليلته، ومات اليومَ العاشر»(٢).

وقال صالح: «واجتمعتُ عليه أوجاع الحصر(٣) وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلمَّا كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النَّهار توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»(٤).

وكانت جنازته حافلةً لم يُرَ مثلُها. قيل: حُزِرَ(٥) الذين صلَّوا عليه من الرجال بثمان مئة ألف، ومن النساء بستين ألف امرأة.

رحمه اللهُ رحمةً واسعةً، وأجزلَ له المثوبةَ، وجزاهُ خيرَ الجزاءِ علىٰ ما قدَّم للإسلام والمُسلمين.



---

(١) انظر: «السِّير» (١١/ ٣٢٨).

(٢) «السير» (١١/ ٣٣٤).

(٣) **الحصر**: احتباس الحدَث في البطن.

(٤) «السِّير» (١١/ ٣٣٥).

(٥) **حُزِرَ**: أي قُدِّر، **والحَزْرُ**: هو التقدير بالظَّنِّ.

متن أصول السُّنَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو المُظَفَّرِ عَبدُ المَلِكِ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الهَمذَانِيُّ: حَدَّثَنَا الشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله يَحيَىٰ بنُ أَبِي الحَسَنِ بنِ البَنَّا، قَالَ: أَخبَرَنَا وَالِدِي أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الله بنِ البَنَّا، قَالَ: أَخبَرَنَا أَبُو الحُسَينِ عَلِيُّ ابنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ بِشرَانَ المُعَدَّلُ، قَالَ: أَنَا عُثمَانُ بنُ أَحمَدَ بنِ السَّمَّاكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ بنِ أَبِي العَنبَرِ -قِرَاءَةً عَلَيهِ مِن كِتَابِهِ- فِي شَهرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِن سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسعِينَ وَمِائَتَينِ (٢٩٣هـ) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيمَانَ المِنقَرِيُّ البَصرِيُّ بِـ: «تِنِّيسَ» [مَدِينَةٌ مِن مُدنِ مِصرَ]، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُوسُ بنُ مَالِكٍ العَطَّارُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبدِ الله أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

أُصُولُ السُّنَّةِ عِندَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، وَالاِقتِدَاءُ بِهِم، وَتَرْكُ البِدَعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ، وَتَركُ الخُصُومَاتِ وَالجُلُوسِ مَعَ أَصحَابِ الأَهوَاءِ، وَتَركُ المِرَاءِ وَالجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

وَالسُّنَّةُ عِندنَا: آثَارُ رَسُولِ الله ﷺ. وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ القُرآنِ. وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ، وَلَا تُدرَكُ بِالعُقُولِ وَلَا الأَهوَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ وَتَركُ الهَوَىٰ.

وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَن تَركَ مِنهَا خَصلَةً، لَم يَقبَلهَا وَيُؤمِن بِهَا، لَم يَكُن

مِن أَهلِهَا:

الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصدِيقُ بِالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ: «لِمَ» وَلَا: «كَيفَ» إِنَّمَا هُوَ التَّصدِيقُ وَالإِيمَانُ بِهَا.

وَمَن لَم يَعرِفْ تَفسِيرَ الحَدِيثِ وَيَبْلُغهُ عَقْلُهُ، فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحكِمَ لَهُ، فَعَلَيهِ الإِيمَانُ بِهِ؛ وَالتَّسلِيمُ لَهُ، مِثلُ: حَدِيثِ «الصَّادِقِ المَصدُوقِ»، وَمِثلُ مَا كَانَ مِثلَهُ فِي القَدَرِ، وَمِثلُ: أَحَادِيثِ الرُّؤيَةِ كُلِّهَا، وَإِن نَبَت عَنِ الأَسمَاعِ، وَاستَوحَشَ مِنهَا المُستَمِعُ، فَإِنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بِهَا، وَأَلَّا يَرُدَّ مِنهَا حَرفًا وَاحِدًا، وَغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَأثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ.

وَأَلَّا يُخَاصِمَ أَحَدًا، وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ، فَإِنَّ الكَلَامَ فِي القَدَرِ وَالرُّؤيَةِ وَالقُرْآنِ وَغَيرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكْرُوهٌ وَمَنهِيٌّ عَنهُ، لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ - وَإِنْ أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ - مِن أَهلِ السُّنَّةِ حَتَّىٰ يَدَعَ الْجِدَالَ وَيُسلِّمَ، وَيُؤمِنَ بِالآثَارِ.

وَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلَا يَضعُفُ أَن يَقُولَ: لَيسَ بِمَخلُوقٍ. قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيسَ بِبَائِنٍ مِنهُ، وَلَيسَ مِنهُ شَيءٌ مَخلُوقٌ.

وَإِيَاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَن أَحدَثَ فِيهِ، وَمَن قَالَ بِاللَّفظِ وَغَيرِهِ، وَمَن وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ: «لَا أَدرِي مَخلُوقٌ أَو لَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ» فَهَذَا صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثلُ مَن قَالَ: «هُوَ مَخلُوقٌ» وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ لَيسَ بِمَخْلُوقٍ.

وَالإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد رَأَىٰ رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأثُورٌ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ، عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ، عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بنُ زَيدِ بنِ جدعَان، عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عِندنَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالكَلَامُ فِيهِ بِدعَةٌ؛ وَلَكِن نُؤمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

وَالإِيمَانُ بِالمِيزَانِ يَومَ القِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: يُوزَنُ العَبدُ يَومَ القِيَامَةِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَ: تُوزَنُ أَعمَالُ العِبَادِ، كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

وَالإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ، وَالإِعرَاضُ عَمَّن رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُكَلِّمُ العِبَادَ يَومَ القِيَامَةِ لَيسَ بَينَهُم وَبَينَهُ تَرجُمَانٌ؛ وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ.

وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوضًا يَومَ القِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتُهُ، عَرضُهُ مِثلُ طُولِهِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا صَحَّت بِهِ الأَخبَارُ مِن غَيرِ وَجْهٍ.

وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسأَلُ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسلَامِ، وَمَن رَبُّهُ؟ وَمَن نَبِيُّهُ؟ وَيَأتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ كَيفَ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَكَيفَ أَرَادَ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

وَالإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَومٍ يَخرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعدَمَا احتَرَقُوا وَصَارُوا فَحمًا، فَيُؤمَرُ بِهِم إِلَىٰ نَهرٍ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ - كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ - كَيفَ شَاءَ اللهُ، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

وَالإِيمَانُ أَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكْتُوبٌ بَينَ عَينَيهِ «كَافِرٌ»، وَالأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ. وَأَنَّ عِيسَىٰ ابنَ مَريَمَ عَلَيهِ السَّلَامُ يَنزِلُ فَيَقتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

وَالإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ؛ كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ: «أَكمَلُ المُؤمِنِينَ

إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا».

وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ. وَلَيسَ مِنَ الأَعمَالِ شَيءٌ تَرْكُهُ كُفرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ؛ مَن تَركَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَحَلَّ الله قَتلَهُ.

وَخَيرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمَانُ بن عَفَّانَ، نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُم أَصحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، لَم يَختَلِفُوا فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: أَصحَابُ الشُّورَىٰ الخَمسَةُ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلحَةُ، وَالزُّبَيرُ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، وَسَعدٌ، كُلُّهُم يَصلُحُ لِلخِلَافَةِ، وَكُلُّهُم إِمَامٌ.

وَنَذهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ الله ﷺ حَيٌّ وَأَصحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ نَسكُتُ».

ثُمَّ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِ الشُّورَىٰ: أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، ثُمَّ أَهلُ بَدرٍ مِنَ الأَنصَارِ مِن أَصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ عَلَىٰ قَدْرِ الهِجرَةِ وَالسَّابِقَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا.

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ القَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِم، كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً، أَو شَهْرًا، أَو يَوْمًا، أَو سَاعَةً، أَو رَآهُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحبَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنهُ، وَنَظَرَ إِلَيهِ نَظرَةً.

فَأَدنَاهُم صُحْبَةً هُوَ أَفضَلُ مِنَ القَرنِ الَّذِينَ لَم يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الأَعمَالِ.

كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَوهُ وَسَمِعُوا مِنهُ، وَمَن رَآهُ بِعَينِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَو سَاعَةً أَفضَلُ لِصُحبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَو عَمِلُوا كُلَّ أَعمَالِ الخَيرِ.

وَالسَّمعُ وَالطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ المُؤمِنِينَ؛ البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ، وَاجتَمَعَ النَّاسُ عَلَيهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ عَلَيهِم بِالسَّيفِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ. وَالغَزوُ مَاضٍ مَعَ الأُمَرَاءِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ - البَرِّ وَالفَاجِرِ - لَا يُترَكُ.

وَقِسمَةُ الفَيءِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ إِلَىٰ الأَئِمَّةِ مَاضٍ، لَيسَ لأَحَدٍ أَن يَطعَنَ عَلَيهِم، وَلَا يُنَازِعَهُم. وَدَفعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيهِم جَائِزَةٌ وَنَافِذَةٌ، مَن دَفَعَهَا إِلَيهِم أَجزَأَت عَنهُ؛ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا.

وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلفَهُ، وَخَلْفَ مَن وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكعَتَينِ، مَن أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبتَدِعٌ، تَارِكٌ لِلآثَارِ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، لَيسَ لَهُ مِن فَضلِ الجُمُعَةِ شَيءٌ؛ إِذَا لَمْ يَرَ الصَّلَاةَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ - مَنْ كَانُوا - بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم، فَالسُّنَّةُ بِأَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُمْ رَكْعَتَينِ وَيَدِينَ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِن ذَلِكَ شَكٌّ.

وَمَن خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَقَد كَانَ النَّاسُ اجتَمَعُوا عَلَيهِ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجهٍ كَانَ؛ بِالرِّضَا أَو بِالغَلَبَةِ؛ فَقَد شَقَّ هَذَا الخَارِجُ عَصَا المُسلِمِينَ، وَخَالَفَ الآثَارَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِن مَاتَ الخَارِجُ عَلَيهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلَا الخُرُوجُ عَلَيهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبتَدِعٌ عَلَىٰ غَيرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدفَعَ عَنهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ، وَلَيسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ، أَو تَرَكُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُم، وَلَا يَتبَعَ آثَارَهُمْ، لَيْسَ لأَحَدٍ إِلَّا الإِمَامَ، أَو وُلَاةَ المُسْلِمِينَ؛ إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنْوِيَ بِجَهْدِهِ أَلَّا يَقْتُلَ أَحَدًا، فَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ يَدَيْهِ فِي دَفعِهِ عَنْ نَفسِهِ فِي المَعْرَكَةِ فَأَبْعَدَ اللهُ المَقْتُولَ، وَإِنْ قُتِلَ هَذَا فِي تِلكَ الحَالِ وَهُوَ يَدفَعُ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ رَجَوتُ لَهُ الشَّهَادَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ.

وَجَمِيعُ الآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَم يُؤمَر بِقَتلِهِ وَلَا اتِّبَاعِهِ، وَلَا يُجْهِزُ عَلَيهِ إِنْ صُرِعَ أَو كَانَ جَرِيحًا، وَإِنْ أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيسَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَلَا يُقِيمَ عَلَيهِ

الحَدَّ، وَلكِنْ يَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَىٰ مَنْ وَلَّاهُ اللهُ فَيَحْكُمُ فِيهِ.

وَلا نَشْهَدُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهلِ القِبْلَةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلا نَارٍ، نَرْجُو لِلصَّالِحِ، وَنَخافُ عَلَيهِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ المُذنِبِ، وَنَرجُو لَهُ رَحمَةَ الله.

وَمَن لَقِيَ اللهَ بِذَنبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ - تَائِبًا غَيرَ مُصِرٍّ عَلَيهِ - فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَتُوبُ عَلَيهِ، وَيَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ. وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنبِ فِي الدُّنيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ اسْتَوجَبَ بِهَا العُقُوبَةَ؛ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَقِيَهُ - مِن كَافِرٍ - عَذَّبَهُ وَلَم يَغفرْ لَهُ.

وَالرَّجمُ حَقٌّ عَلَىٰ مَنْ زَنَىٰ وَقَد أُحصِنَ؛ إِذَا اعْتَرَفَ أَو قَامَت عَلَيهِ بَيِّنَةٌ، وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَدْ رَجَمَتِ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِن أَصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَو أَبغَضَهُ بِحَدَثٍ كَانَ مِنهُ؛ أَو ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبتَدِعًا حَتَّىٰ يَتَرَحَّمَ عَلَيهِم جَمِيعًا، وَيَكُونَ قَلبُهُ لَهُم سَلِيمًا.

وَالنِّفَاقُ هُوَ الكُفرُ: أَنْ يَكْفُرَ بِالله وَيَعْبُدَ غَيرَهُ، وَيُظهِرَ الإِسلَامَ فِي العَلَانِيَةِ، مِثلُ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهدِ رَسُولِ الله ﷺ.

وَقَولُهُ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ» هَذَا عَلَىٰ التَّغلِيظِ؛ نَروِيهَا كَمَا جَاءَت، وَلَا نُفَسِّرُهَا، وَقَولُهُ: «لَا تَرجِعُوا بَعدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضرِبُ بَعْضُكُم رِقَابَ بَعضٍ»، وَمِثلُ: «إِذَا التَقَىٰ المُسلِمَانِ بِسَيفَيهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقتُولُ فِي النَّارِ»، وَمِثلُ: «سِبَابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفرٌ»، وَمِثلُ: «مَن قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ؛ فَقَد بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»، وَمِثلُ: «كُفرٌ بِالله تَبَرُّؤٌ مِن نَسَبٍ وَإِن دَقَّ».

وَنَحوُ هَذِهِ الأَحَادِيثِ مِمَّا قَد صَحَّ وَحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِن لَم نَعلَم

تَفسِيرَهَا، وَلَا نَتكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الأَحَادِيثَ إِلَّا مِثلَمَا جَاءَت؛ لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنهَا.

وَالجنَّةُ وَالنَّارُ مَخلُوقَتَانِ قَدْ خُلِقَتَا كَمَا جَاءَ عَن رَسُولِ الله ﷺ: «دَخَلتُ الجَنَّةَ فَرَأَيتُ قَصرًا»، وَ: «رَأَيتُ الكَوثَرَ»، وَ: «اطَّلَعَتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيتُ أَكثَرَ أَهلِهَا... كَذَا» وَ: «اطَّلَعت فِي النَّارِ فَرَأَيتُ... كَذَا وَكَذَا». فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقَا فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالقُرآنِ، وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحسَبُهُ يُؤمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَمَن مَاتَ مِن أَهلِ القِبلَةِ مُوَحِّدًا يُصَلَّىٰ عَلَيهِ، وَيُستَغفَرُ لَهُ، وَلَا يُحجَبُ عَنهُ الاستِغفَارُ، وَلَا تُترَكُ الصَّلَاةُ عَلَيهِ لِذَنبٍ أَذنَبَهُ - صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا - أَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ. آخِرُ الرِّسَالَةِ...

وَالْحَمْدُ لله وَحدَهُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا.



مقدمة الشارح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرفِ الأنبياء والمُرسلين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ العقيدةَ هي الأساس في الدِّين، وما لم تكُن عقيدة فلا دين، يعني أنَّ الدِّين لا يَكون مُعتبرًا إلَّا بالعقيدة الصَّحيحةِ، فإذا كانت العقيدةُ غيرَ صحيحةٍ فالدِّين غيرُ مُستقيمٍ، ولا يكون مستقيمًا إلَّا بصحَّة العقيدة، ولهذا أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبادَه أنْ يتَّبعُوا الصِّراط المُستقيمَ، وهو شريعةُ الله الَّتي تضمَّنها كتابُه، وتضمَّنتها سنَّة رسولِه ﷺ، وتضمَّنها عملُ الأصحاب مِن بعد رسولِ الله ﷺ، أشار الله إلىٰ ذلك بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ **مادحًا أصحاب الاستقامة ومبيِّنًا ما لهم:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: ما تدعون به ﴿نُزُلًا﴾ أي: تكرمة وضيافة ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

ويقول مُحذِّرًا عبدَه ورسولَه ﷺ - وهو تحذيرٌ لأمَّته مِن بعدِه -: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ

ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩]. تضمَّنتْ هذه الآيةُ أمرًا باتِّباع الشَّريعة، ونهيًا عن اتِّباع غيرِها، ممَّن يدعون إلىٰ غيرِ سبيلِ الله؛ وأخبرَ الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ المُتمسِّكين بدِينه، والمُتبَّعين لشريعتِه، المُستقيمين عليها؛ أنَّهم أولياءُ الله، واللهُ وليُّهم، أمَّا أصحابُ السُّبل الخارجة عن سبيله والتَّاركة له فإنَّهم بعضُهم أولياءُ بعضٍ، وليس لهم مِن ولاية الله شيءٌ، وهذا يتضمَّن أنْ يُؤخذ بكتاب الله لأنَّه هو الأصلُ، ويؤخذ بسنَّة رسول الله لأنَّها المفسِّرة لكتاب الله، ويُؤخذ بما كان عليه رسولُ الله ﷺ وما كان عليه أصحابُه مِن بعدِه. قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

والنَّبيُّ ﷺ يقولُ في حديثِ الافتراقِ: «**افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَينِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

إذن: فالنَّجاةُ مَضمونةٌ لمَن سار علىٰ كتاب الله وعلىٰ سُنَّة رسولِ الله ﷺ وعلىٰ نهج الصَّحابة الَّذي كانُوا عليه بعد نبيِّهم - صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعليهم -، وعلىٰ طريقة أهلِ الأثر، وإذا أُطلِقَ أهلُ الأثرِ فالمُرادُ بهم: أصحابُ الحديثِ؛ لأنَّه لا يُعرَفُ الحقُّ مِن الباطل، والصَّوابُ مِن الخطأ، إلَّا بالحديثِ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**». وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

ولا يُعرفُ عملُ الصَّحابةِ إلَّا بالحديثِ.

فأهلُ الحديثِ هم القائمون علىٰ الحقِّ إذا ضلَّ النَّاسُ، وهم المُستمسكون به إذا تركه النَّاسُ، ولهذا يقول الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنْ لَمْ تَكُنْ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ»[1]، فإذا فُقدُوا مِن الأرض اتَّخذ النَّاسُ رؤساءَ جهَّالًا، فأفتوا بغيرِ عِلْم فضلُّوا وأضلُّوا[2].

فعليكم - يا طلَّاب العلم - بطريقة أهل الحديثِ لِتتفقَّهُوا في الدِّين، ولِتتعلَّمُوا العقيدةَ الصَّحيحةَ الَّتي يرضىٰ اللهُ علىٰ عِبادِه باتِّباعِها، ولا تَحيدُوا عنها يَمنةً ولا يَسرةً؛ فإنَّ الحيادَ عنها ضلالٌ وهلكةٌ، واسألُوا اللهَ دائمًا أنْ يُلْهمكُم رُشدَكُم، وأنْ يُريَكُم الحقَّ حقًّا ويرزُقكم اتِّباعَه، ويُريَكم الباطل باطلًا ويَرزقَكُم اجتنابَه، وألَّا يَجعلَه مُلتبسًا عليكُم فتضلُّوا، وهذا هو الصِّراطُ المُستقيمُ الَّذي أمَر اللهُ عبادَه أنْ يسألُوه الهدايةَ إليه في كلِّ ركعةٍ مِن صلاتِهم؛ إذْ إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أوجبَ علىٰ لسانِ رسولِه قراءة سورة (الفاتحة) في كلِّ ركعةٍ وجعلَها شرطًا في صحَّة الصَّلاةِ.

---

(١) أخرج الحاكمُ في «معرفةِ عُلوم الحديث» (ص١٠٧ السّلوم) عن مُوسىٰ بن هارُون قال: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يقولُ: وسُئل عن معنىٰ هذا الحديثِ - «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ» - فقال: «إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ». وانظر: «شرَف أصحاب الحديث» للخطيب البغداديّ (ص٢٥ - ٢٧)، و«الصَّحيحة» للألبانيِّ (١/ ٥٤٢) تحت حديث رقم (٢٧٠).

(٢) يشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». أخرجه البخاريُّ في كتاب العلم، باب: كيف يقبضُ العلم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العِلْم، باب رفع العلم وقبضه (٢٦٧٣).

وهذه السُّورةُ قدْ تضمَّنتْ ما يأتي:

الثَّناء علىٰ الله باستحقاقِ الحمْد له. ثُمَّ وصفَه بصفةِ الرَّحمة العامَّة والخاصَّة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ وصَفَه بالملكِ الَّذي لا شراكةَ فيه لأحدٍ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وأسندَه إلىٰ يوم الدِّين؛ لأنَّه لا ملكةَ فيه ظاهرةٌ لأحدٍ، أمَّا الدُّنيا فقد جعَل اللهُ فيها شيئًا من الملكة الصُّوريَّة للعبادِ؛ ابتلاءً وامتحانًا لهم، ويوم القيامة لا يملك أحدٌ شيئًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ [لقمان: ٣٣].

ثمَّ تضمَّنَتْ بعد ذلك[1] الإقرارَ بأنَّ العبادةَ مُستحقةٌ لله عَزَّوَجَلَّ دُون سواهُ، وأنَّ الاستعانةَ واجبةٌ له دون غيرِه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

ثمَّ أمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ بعدَ هذه المُقدِّمات الَّتي تكونُ أسبابًا لإجابة الدُّعاء أمَر بعدَ ذلك بأنْ يُدعَىٰ بالهدايةِ، وأنْ يُطلَبَ منه سُبحانه ذلك؛ لأنَّه يملكُ الهدايةَ والإضلالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، ثُمَّ وصفَه بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فهذه السُّورة قد جمعَتْ الخيرَ كلَّه؛ لذلك أمَر الله بقراءتها علىٰ لسانِ رسولِ الله ﷺ في كلِّ ركعةٍ، وأخبَر الرَّسولُ ﷺ أنَّه لا صلاة لمَن لم يقرأْ بها[2].

ثُمَّ هناك أمْرٌ ينبغي التَّنبُّه له: وهو أنَّ الصِّراط المستقيم إذا أردنا معرفتَه فلابدَّ

---

(١) أي: سورة (الفاتحة).

(٢) أخرج البخاريُّ (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن عبادة بن الصَّامت: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**لا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**».

لنا أنْ نعودَ إلىٰ كتابِ الله وإلىٰ تفسيرِه بالأثر؛ بالسُّنَّة وبعملِ الرَّسولِ ﷺ وعملِ الصَّحابة مِن بعدِه، وأنْ نتعلَّم السُّنَّة، أي: الحديث الَّذي به نعرفُ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوبة: ١٢٢].

فلابدَّ لمعرفةِ الصِّراط المُستقيم مِن الرُّجوع إلىٰ كتاب الله والسُّنَّة كما قُلْنا، وإلىٰ ما ثبتَ مِن سيرةِ النَّبيِّ ﷺ وعمل الخُلفاءِ الرَّاشدين والأئمَّة المهديِّين مِن بعدِهم، وهذا لا يُعرفُ إلَّا مِن الحديث، فيعرفُ به الفقهُ في الدِّين ومعرفة الأحكام الشَّرعيَّة، ويعرف به عمل الصَّحابة وعقيدتهم، وعمل الأسلاف مِن أئمَّة الهُدىٰ حمَلة الحديثِ أصحاب العقيدةِ الصَّحيحة، فعليكُم بذلك واجتهدُوا فيهِ، وابذلُوا كلَّ ما في وُسعكم في التَّعرّف عليهِ[١].

فقد قالَ النَّبيُّ ﷺ كما في الحديثِ الصَّحيح في الصَّحيحين وغيرِهما عن مُعاويةَ[٢] وغيره: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»[٣]. فمَن فقَّهه الله في الدِّين، فيرجىٰ أنَّ الله قدْ أرادَ به خيرًا.

كذلك يَنالون الدَّعوةَ الَّتي دعا بها المصطفىٰ - صلوات الله وسلامُه عليه - في قوله: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَىٰ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا**»[٤]

---

(١) أي الحديث النَّبويّ علىٰ صاحبه أفضلُ الصَّلاة والسَّلام.

(٢) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، أبو عبد الرحمن الخليفة، صحابي، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، ومات في سنة ستين، وقد قارب الثمانين، روىٰ له الجماعة. «التقريب» (٢/ ١٩٥) (٦٧٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٨٠) (١٦٧٨٤)، والدَّارميُّ (٢٣٤). من حديث جُبير بن مُطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه

فهذِه دعوةٌ بنضارةِ الوجهِ.

ومِن ذلكَ قوله: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَهُ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

هذه المُقدِّمةُ وصيَّةٌ لكم - يا طُلَّاب العلم -، وحثٌّ لكم علىٰ اتِّباع طريقةِ الحقِّ، أرجو أنْ تحتذُوها، وألَّا تُخالفوها. وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تمهيد

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ اللهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

وبعدُ:

فقدْ عرَفْنَا منزلةَ العقيدةِ في حقِّ المُسلم، وأنَّ دِينَه لا يستقيمُ إلَّا بها، وهذا كتابٌ صغيرُ الحجم، ولكنَّه كبيرٌ في معناه، قال ابنُ أبي يعلىٰ الحنبليّ[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب (أصول السُّنَّة) للإمام أحمد بن حنبل: «لَوْ رَحَلَ الرَّجُلُ إِلَىٰ الصِّينِ فِي طَلَبِهَا لَكَانَ قَلِيلًا»[(٢)]، هذه العقيدةُ كتبَها إمامُ أهلِ السُّنَّة بإجماع الأمَّة، والَّذي ثبَت أيَّام فتنةِ القولِ بخلْقِ القُرآن، حتَّىٰ إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوضحَ الحقَّ به وبثباته؛ هو الإمام أحمدُ بنُ حنبل إمامُ أهلِ السُّنَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وُلد سنةَ أربع وستِّين ومائة، وتُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وأربعين ومائتين.



---

(١) الإمام العلَّامة، الفقيهُ القاضي، أبو الحسين محمَّد ابنُ القاضي الكبير أبي يعلىٰ الحنبلي البغدادي، وُلد سنة إحدىٰ وخمسين، تفقَّه بعد موتِ أبيه، وبرع وناظَر، ودرَّس وصنَّف، وكان يُبالِغُ في السُّنَّة، ويلهج بالصِّفة، وجمع طبقات الفقهاء الحنابلة، مات مذبوحًا ليلًا، سنة ستٍّ وعشرينِ وخمسمائةٍ. «السِّير» (١٩/ ٦٠١).

(٢) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤١).

مِن أصول السُّنَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ المَلِكِ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الهَمَذَانِيُّ(١): حَدَّثَنَا الشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله يَحيَىٰ بنُ أَبِي الحَسَنِ بنِ البَنَّا(٢)، قَالَ: أَخبَرَنَا وَالِدِي

(١) هو عبدُ الملك بن عليّ بن مُحمَّد بن حَمد بن إبراهيم، أبو المظفَّر البزَّاز، سمع الكثير بهمذان مِن أبي بكر أحمد بن عُمر بن محمَّد بن البيِّع، وأبي الحسن فيد بن عبد الرَّحمن بن شادي الشَّعراني، وأبي محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن الحسن الدّوني، وأبي الفضل أحمد بن عبد الرَّحمن المهلبي، ومِن جماعة غيرِهم، وسمع مِن البصرةِ من القاضي أبي طاهر محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عُمر النَّهاوندي وغيره، وقدمَ بغدادَ بعد العشر وخمسمائة وسمع بها من أبي سعد أحمد بن عبد الجبَّار الصَّيرفي، وأبي طالب عبد القادر بن محمَّد بن يُوسف، وأبي غالب أحمد بن الحسن بن البنَّا. سمع بهمذان وبغداد وصنَّف كتُبًا كثيرةً، وكان يُصحِّفُ فيها لقلَّة معرفتِه بالأسانيدِ، ولم يزَلْ يَسمع ويكتُب بخطِّه، ويحصِّل بحرصٍ شديدٍ وهمَّة عاليةٍ وجدٍّ واجتهادٍ إلىٰ حينِ وفاتِه، وقد خرَّج لنفسِه عدَّةَ أجزاءٍ في فُنونٍ مِن فضائلِ الأعمال وغيرِها، وحدَّث بها وبغيره مِن مسموعاتِه، وكان ينزِلُ بالظَّفريَّة، وكان شيخًا صدوقًا حسَن الطَّريقة مُتديِّنًا، إلَّا أنَّه كانَ قليل البِضاعةِ مِن العِلْم، وفي خطِّه سقمٌ كثيرٌ.

قال ابنُ النَّجَّار البغداديّ: قرأتُ بخطِّ عليِّ بن عبدِ الملك الهمذانيِّ قال: مولدِي في ذي الحجَّة مِن سنة سبعين وأربعمائة. وقرأتُ في كتاب الشَّريف أبي الحسَن عليِّ بن أحمد الزَّيدي بخطِّه قال: تُوفِّيَ المهذَّب أبو المُظفَّر عبدُ الملكِ بنُ عليّ الهمذانيّ في ليلة الثُّلاثاء، ودُفِنَ ليلةَ الثُّلاثاء خامس عشرة من سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، ودُفِنَ بباب برز عند نخلة باقي، وكان جمعُه قليلًا جدًّا. **انظر**: «ذيل تاريخ بغداد» (١/ ٦١-٦٢).

(٢) هو يحيىٰ بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنَّاء، جمع وحدَّث، روىٰ عنه ابن عساكر وابن الجوزي، وروىٰ عنه ابن السَّمعاني إجازةً، وكان شيخًا صالحًا، حسَنَ السِّيرة، واسعَ الرِّوايةِ، حسَن الأخلاقِ، مُتودِّدًا، مُتواضِعًا، برًّا، لطيفًا بالطَّلبة، مُشفقًا عليهم، توفِّيَ ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الأول سنة إحدىٰ وثلاثين وخمسمائة. «المقصد الأرشد» (٣/ ٨٩) (١٢١٢).

أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الله بنِ البَنَّا[(١)]، قَالَ: أَخبَرَنَا أَبُو الحُسَينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ بِشرَانَ المُعَدِّلُ[(٢)]، قَالَ: أَنَا عُثمَانُ بنُ أَحمَدَ بنِ السَّمَّاكِ[(٣)]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ بنِ أَبِي العَنبَرِ[(٤)] - قِرَاءَةً عَلَيهِ مِن كِتَابِهِ - فِي شَهرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِن سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسعِينَ وَمِائَتَينِ (٢٩٣هـ) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيمَانَ المِنقَرِيُّ البَصرِيُّ[(٥)]

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنَّاء البغداديّ الإمام، أبو عليّ المقرئ، المحدِّث، الفقيه، الواعظ، درّس وأفتىٰ زمانًا طويلًا، وصنَّف كتبًا عديدةً في عُلومٍ شتَّىٰ، وكان نقيَّ الذِّهنِ، جيِّد القريحةِ، تدلّ مجموعاته علىٰ تحصيله لفنُونٍ من العلم، وقد صنَّف في زمن شيخِه القاضي أبي يعلىٰ في المُعتقدات وغيرِها، وهو مِن قُدماءِ أصحابِه، وكان أديبًا، شديدًا علىٰ أهل الأهواء، قال ابنُ الجوزيِّ: ذُكر عنه أنَّه قال: صنَّفتُ خمسمائة مصنَّف، ولد سنة (٣٩٦هـ)، وتُوفِّيَ ليلةَ السَّبت خامس رجب سنة إحدىٰ وسبعين وأربعمائة. «المقصد الأرشد» (١/ ٣٠٩)، «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤٣)، «السِّير» (١٨/ ٣٨٠).

(٢) الشَّيخُ العالمُ المُعدَّل، المُسنِدُ، أبو الحُسين، عليُّ بن محمَّد بن عبد الله بن بِشرَان بن مُحمَّد بن بشر الأمويُّ البغداديُّ، وُلدَ سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلثمائةٍ، روىٰ شيئًا كثيرًا علىٰ سدادٍ وصدقٍ وصحَّةِ روايةٍ، كان عدْلًا وَقُورًا، قال الخطيبُ: كَانَ تامَّ المرُوءةِ، ظَاهرَ الدِّيانةِ، صدُوقًا ثَبْتًا، تُوفِّيَ في شعبان سنة خمس عشرةَ. «السِّير» (١٧/ ٣١١).

(٣) الشَّيخُ الإمامُ المُحدِّثُ المُكثرُ الصَّادق، مُسندُ العراقِ، أبو عمْرو عُثمانُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الله بنِ يزيدَ البغداديُّ الدَّقَّاقُ بنُ السَّمَّاك، جمَع فأوعَىٰ، وكتَب العالي والنَّازل والسَّمين والهزيلَ، قال الدَّارقطنيُّ: شيخُنا أبو عمرو، كتَب عن العُطارديّ ومَن بَعْدَه، وكتَب المُصنَّفات الطِّوال بخطِّه، وكان مِن الثِّقات، توفِّي في ربيع الأوَّل سنةَ أربعٍ وأربعين وثلثمائةٍ، وشيَّعهُ نحو خمسينَ ألفًا، وصلَّىٰ عليه ابنُه محمَّد. «السير» (١٥/ ٤٤٤).

(٤) الحسَنُ بنُ عبد الوهَّاب بن أبي العنبر، أبو محمَّد، حدَّثَ عَنْ حفص بن عُمر السياري، ومحمَّد بن حمَّاد المُقرئ، ومحمد بن سليمان المنقري البصري، ومقدام بن داود، وخير بن عرفة المصريِّين، ومحمَّد بن حبيب البزَّاز. وروىٰ عنه أبو عمرو بن السَّمَّاك وغيرُه. وكان ثقةً ديِّنًا مشهورًا بالخيرِ والسُّنَّة، توفِّي في جمادىٰ الآخرة من سنة ست وتسعين ومائتين. **انظر**: «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٥٠ العلميَّة).

(٥) محمَّد بن سليمان بن داود أبو جعفر المنقري، قدم دمشق وحدَّث بها عن أبي عمر الحوضي وسليمان بن حرب وأبي الربيع الزهراني وابن المديني وأبي خيثمة زهير بن حرب وعمرو الناقد وغيرهم.

=

بـ: «تِنِّيس»(١) [مَدِينَة مِن مُدن مِصرَ].

قَالَ: حَدَّثَنِي عَبدُوسُ بنُ مَالِكٍ العَطَّارُ(٢) قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ الله أَحمَد بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

التَّمسُّك بما كان عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ

(١) أُصُولُ السُّنَّةِ عِندنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيهِ أَصحَابُ رَسُولِ الله ﷺ.

الشرح:

قولُه: «أُصولُ السُّنَّة عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ»: الاستمساكُ بما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ يكونُ بالاستمساك بكتاب الله وسنَّة رسولِ الله ﷺ، وبسيرةِ الرَّسولِ ﷺ وخُلفائه الرَّاشدِين وأصحابه المهديِّين، وقد قال النَّبيُّ ﷺ في وصفِ الفِرقةِ النَّاجيةِ كما في حديث الافتراقِ: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٣).

=

روىٰ عنه أبو الطاهر ابن ذكوان وأبو عليّ الحسن بن أحمد بن غطفان وأبو علي محمد بن محمد بن أبي حذيفة وأبو محمد ابن زبر القاضي وغيرهم. انظر: «تاريخ دمشق» (٥٣/ ١١٩العمروي).

(١) تِنِّيس: بكسرتَين وتشديدِ النُّون وياءٍ ساكنةٍ والسِّين مُهملة، جزيرةٌ في بحر مصرَ قريبة من البرِّ، ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقِها. «معجم البلدان» (١/ ٤٥٩).

(٢) عبدوس بن مَالك أبو محمَّد العطَّار، ذكَره أبو بكر الخلَّال، فقال: كانتْ له عند أبي عبد الله منزلةٌ في هدايا وغير ذلك، وله به أُنس شديدٌ، وكان يُقدِّمه، وله أخبارٌ يطولُ شرحُها، وقد روىٰ عن أبي عبد الله مسائلَ لم يروِها غيرُه، ولم تقع إلينا كلّها، ماتَ ولم تتخرَّج عنه، ووقع إلينا منها شيء أخرجه أبو عبد الله في جماع أبوابِ السُّنَّة، ما لو رحَل رجلٌ إلىٰ الصِّينِ في طلبِها لكان قَليلًا، أخرجه أبو عبد الله، ودفعَه إليهِ. «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤١ الفقي).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٧).

إذا علِمْنَا هذَا؛ فإنَّه يتعيَّنُ علىٰ طالب العلم أنْ يقرأ سيرة النَّبيِّ ﷺ، وأنْ يقرأ سيرَ أصحابِه، وكيف كانُوا؟ لقد طرأتْ البدَع مِن بعدِهم؛ ومِن أوائلِ البدَع الَّتي طرأتْ بدعةُ الخوارج(١)، وبدعة الرَّفض(٢)، ثُمَّ بدعةُ الاعتزالِ(٣)، والقدَر(٤)، وهكذا.

ولقد كانَ أصحابُ رسول الله ﷺ يقفون من هذه البدَع وأصحابها موقف

(١) **الخوارج**: سمُّوا بهذا الاسم لخروجهم علىٰ عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم الحكمين؛ حيثُ كرهوا الحُكمَ والتَّحكيم، وقالُوا: (لا حُكم إلَّا لله)، وخرجُوا عن قبضتِه وحوزتِه، وقالُوا: شككْتَ في أمْرِك، وحكَّمتَ عدوَّك في نفسِك، فسمُّوا أيضًا الشَّكَّاكيَّة، ومضَوا عنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فنزلُوا بأرضٍ يقالُ لها: حَروراء؛ فسمُّوا أيضًا حروريَّة، وقالُوا: إنَّا اشترَينا أنفسَنا مِن اللهِ تعالىٰ؛ فسمُّوا أيضًا شراة، ولهم ألقابٌ أخرىٰ منها المُحكّمة؛ لإنكارهم التَّحكيم وقولهم: (لَا حُكم إلَّا لله)، ومنها المارقة؛ لِمرُوقهم مِن الدِّين كما يمرُق السَّهمُ مِن الرَّميَّة، كما جاء في الحديث، ومنها النَّواصب، جمع ناصب، ويقالُ: ناصبيٌّ؛ وهو الغالي في بُغض عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. **انظر**: «الثَّلاث وسبعين فرقةً» (١/ ١١ - ١٣) بتصرُّف يسير.

(٢) **الرَّفضُ**: بمعنىٰ التَّرك، وهم الَّذين يرفضون إمامةَ الشَّيخَينِ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ويتبرَّؤون منهما، ويَسبُّون أصحابَ النَّبيِّ ﷺ وينتقصونهم. «بذلُ المجهود في إثبات مُشابهة الرافضة لليهود» (١/ ٨٥٠). **وانظر**: «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» (٣/ ٤٧٠ رشاد).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمَّا لفظ (الرافضة)؛ فهذا اللَّفظ أوَّل ما ظهر في الإسلام لمَّا خرَج زيد بن علي بن الحُسين، في أوائل المائة الثَّانية، في خِلافة هشام بن عبد الملِك واتَّبعه الشِّيعة، فسُئل عن أبي بكر وعُمر فتولَّاهما وترحَّم عليهما، فرفضه قوم؛ فقالَ: رفضتمُوني رفضتمُوني. فسُمُّوا الرَّافضة». «الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٥).

(٣) **المعتزلةُ**: أصحابُ واصلِ بن عطاء الغزَّال، الَّذي اعتزلَ مجلسَ الحسن البصريِّ، يُقرِّر أنَّ مُرتكِب الكبيرة ليس بمؤمنٍ ولا كافرٍ، ويُثبتُ المنزلةَ بين المنزلتَينِ فطردَه، فاعتزله جماعة سمُّوا المعتزلةَ. «الملل والنحل» (١/ ٣٨).

(٤) **القَدريَّة**: اسمٌ أطلقه أهلُ السُّنَّة علىٰ الَّذين يزعمون أنَّهم الفاعلون لأعمالهم دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وأبطلُوا شفاعةَ النَّبيِّ ﷺ بإخراجِ أهلِ الكبائر مِن أمَّتِه مِن النَّار، وأنكرُوا رؤيةَ اللهِ تعالىٰ لأوليائِه، وأنكرُوا عذابَ القبر، وسُؤال الملكَينِ مُنكرٍ ونكيرٍ، ونصب المِيزانِ، وقالُوا بخلْق القُرآن وغيرِ ذلك، وقدْ وردَتْ بعضُ الآثارِ تصفُ القدريَّة بأنَّهم مجوسُ هذه الأمَّة. **انظر**: «الإبانة» للأشعري (ص١٤ فما بعدها) ط/ دار الأنصار، و«الفرْق بين الفِرَق» (ص٩٣ فما بعدها) ط/ الآفاق الجديدة، و«الأنساب» للسَّمعاني (١٠/ ٣٥١ - ٣٥٢)، و«التّسعينيَّة» (٣/ ١٠٠٨ فما بعدها) ط/ المعارف.

المُنكر وموقفَ المُغيِّر؛ فقد ثبتَ في صحيح مسلم[١] أنَّ عبدَ الله بن عُمر لمَّا أُخبر ببدعةِ القدريَّة قال لمَن بلَّغه: «إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي» ثم أنشأ يحدِّثهم بحديث أبيه في مجيءِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ[٢].

وكذلك عليُّ بن أبي طالب، وقَف مِن بدعةِ الخوارج موقفَ المُنكر، وأرسلَ إليهم ابنَ عمِّه حبرَ الأمَّة، فناظرهم فرَجع منهُم أربعةُ آلافٍ، وبقيَ الباقُون علىٰ ما هم عليه، ثُمَّ إنَّه قاتلهم يوم النَّهروان[٣].

وهكذا نرىٰ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ قد وقفُوا مِن البدَع الَّتي ظهرَتْ في حياتِهم موقفَ المُنكرِ لها والمُعادي لِتلكَ البدَع، وممَّا يتبيَّن به بغضُهم لأصحاب البدَع حديثُ أبي أُمامةَ[٤] في سُنن ابن ماجه[٥] باب في ذِكْرِ الخوارج حيث رأىٰ رؤوس رجالٍ مِن الخوارج قد صُلبتْ؛ فأَخبرَ أنَّهم كلابُ النَّار، وشرُّ قتلَىٰ تحتَ أَديم السَّماءِ[٦].

---

(١) مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القُشيريُّ النَّيسابوريُّ، ثقةٌ حافظٌ إمامٌ مصنِّفٌ، عالمٌ بالفقه، مات سنة إحدىٰ وستين ومائتين، وله سبع وخمسون سنةً. «التَّقريب» (٢/ ١٧٨) (٦٦٤٤).

(٢) أخرجه مُسلمٌ (٨)، مِن حديثِ عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حديث جبريل الطَّويل -، وفيه سُؤاله الرَّسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والسَّاعة وأشراطها.

(٣) **انظُر قصَّةَ مُناظرة ابن عبَّاس للخوارجِ في**: «مُسند أحمد» (٦٥٦)، و«مُستدرك الحاكم» (٢٦٥٧)، وهي صحيحةٌ كما في «الإرواء» للألبانيِّ (٢٤٥٩).

(٤) هو صُدَي: بالتصغير، ابن عجلان، أبو أُمامةَ الباهليُّ، صحابيٌّ مشهورٌ، سكَن الشَّامَ وماتَ بها سنةَ ستٍّ وثمانين. «التَّقريب» (١/ ٤٣٧) (٢٩٣٤).

(٥) محمَّد بن يزيد الرَّبَعيّ - بفتح الرَّاء والموحَّدة -، القزوينيّ أبو عبد الله ابنُ ماجه - بتخفيف الجيم -، صاحب السُّنن، أحد الأئمَّة، حافظٌ، صنَّف السُّنن والتَّفسير والتَّاريخ، ومات سنةَ ثلاثٍ وسبعين، وله أربع وستُّون. «التَّقريب» (ص ٥١٤) (٦٤٠٠ عوَّامة).

(٦) أخرج ابن ماجه في «المقدِّمة» (١٧٦)، عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شَرُّ قَتْلَىٰ قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، =

مِن أصولِ أهلِ السُّنَّة: الاقتداءُ بالصَّحابة

وَالاقتِدَاءُ بِهِم.

الشرح:

معنى ذلك: أنْ نقتديَ بأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأنْ نعتقدَ أنَّهم أفضلُ الأمَّة وأحبُّها إلى الله، وأقربُهم إليه وسيلةً، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١١٥].

قوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الصَّحابةُ هم أعلى الأمَّة إيمانًا، وأفضلُهم عند الله مَقامًا، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

إذنْ؛ فهذه الآيةُ يُقصدُ فيها بـ(المُؤمنين) أصحاب رسولِ الله ﷺ، أمَّا الَّذي يتبع غيرَ سبيلِهم، ويقتدِي بغيرِهم، فقدْ ضلَّ ضلالًا بعيدًا، وخسرَ خُسرانًا مُبينًا، ويكفيهِ أنَّ اللهَ توعَّده بأنْ يتخلَّى عنه، ويُولِّيَه ما تولَّى، ويُصليَه جهنَّم، وساءَتْ مَصيرًا، والعياذُ بالله.

وقدْ ظهَرَ مِن هذا أنَّ الواجبَ على كلِّ طالبِ علمٍ أنْ يتَّبعَ سبيلَ المُؤمنين،

= وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا»، قِيلَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وحسَّنه الألبانيُّ في تعليقِه على «المشكاةِ» (٣٥٥٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، وأخرجه مسلم (٢٥٤١). عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الَّذين هُم أصحابُ رسولِ الله ﷺ، وأنَّه ينبغِي له أنْ يستحضرَ هذا الوعيدَ، ويجعلَه نصبَ عينيه، ولِنتذكَّر قولَ القائل مِن الإخوانِ:

إنَّ للإِخْـــوَانِ صَـــرْحًا ... كُـــلُّ مَـــا فِيــهِ حَسَـــنْ
لا تَسَـــلْنِي مَـــنْ بَنَـــاهُ ... إِنَّـــه البَنَّـــا حَسَـــنْ

لِننظُرْ هل كان ما قرَّره حسَن البنَّا(١) في حزبه مُوافقًا لما عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ أو مُخالفًا له؟!

لنكرِّر النَّظر مِن القاعدة إلىٰ القمَّة ما هو الَّذي قرَّره حسن البنَّا في دعوتِه ومنهجِه؟ هل أنكرَ الشِّركَ الأكبرَ الَّذي يُعملُ في بلدِه؟ الجوابُ: لا. هل أنكرَ البدع، ومِن أعظمِها بدعةُ الصُّوفيَّة(٢) الَّتي تقولُ بوحدةِ الوُجودِ؟ هل أنكرها علىٰ أصحابها؟! الجواب أيضًا: لا؛ فقد أثنىٰ علىٰ الميرغني(٣) الصُّوفي السُّودانيّ الَّذي يقولُ بوحدة الوُجودِ، وهكذا لننظر أيضًا في هذا المنهج وما فيه من بدَع

(١) حسن بن أحمد بن عبد الرَّحمن البنَّا، وُلدَ عام (١٣٢٤هـ)، وتوفِّي (١٣٦٨هـ)، مؤسِّس جماعةِ الإخوان المسلمين بمصر، وُلدَ في المحموديَّة مِن أعمال الإسكندريَّة، وتخرَّج بمدرسةِ دارِ العُلوم بالقاهرةِ، واشتغلَ بالتَّعليم، وقُتل بالقاهرةِ، تعتمدُ دعوتُه علىٰ خلايا سرِّيَّة تعملُ في الخفاءِ. «الأعلام» (٢/ ١٨٣)، «مُعجم المُؤلِّفين» (١/ ٥٣٥).

(٢) سمُّوا بذلك نسبةً إلىٰ لبْس الصُّوف، ومصادر التَّلقِّي الرَّئيسيَّة عند فِرَق الصُّوفيَّة عُمومًا ثلاثةُ مصادرَ، وهي: الكَشْفُ والذَّوْقُ والوَجدُ، وتحتَ كلِّ قسمٍ منها أقسامٌ ودرجاتٌ، وهذا لا ينفي وجود مصادر أخرىٰ غيرِ هذه الثَّلاثة. «المصادر العامَّة للتَّلقي عند الصوفية» (ص٣١ وص١٨٣).

(٣) في الخطاب الَّذي ألقاهُ البنَّا في دار الإخوان في القاهرة في (٩/ ٦/ ١٩٤٨م)، بمناسبة زيارة شيخ الطريقة في عصره المدعو/ محمَّد بن عثمان الميرغني وارث أبيه، انظر: «الأجوبة السَّديدة» (٣، ٤/ ٢٦٤) لشيخنا زيدِ المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «قافلة الإخوان المسلمين» للسِّيسي (١/ ٢٥٩)؛ بواسطة «المورد العذب الزلال» للشَّارح رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٢٠٥ الميراث النَّبويّ).

وشركيَّات وأمورٍ يندىٰ لها الجبينُ.

وهكذا أيضًا لننظُر إلىٰ منهج جماعة التَّبليغ(١) فهل نراهم دعَوا إلىٰ التَّوحيد وعملُوا به؟ **الجواب**: لا، بل يُنكرون علىٰ مَن يدعُو إلىٰ التَّوحيدِ.

وهكذا يقال عن جماعة السُّروريَّة(٢) الَّذين يرَون الخُروجَ علىٰ الأئمَّة المُسلمين أو الولاة المُسلمين، إذا فكَّرنا في هذه المناهج فهل نراها مِن سبيل المؤمنين أو من غير سبيل المؤمنين؟!

إذن؛ علمنا أنَّ المقصودَ بالمؤمنين هم أصحابُ رسولِ الله ﷺ ومَن سارَ علىٰ نهجهم، واقتفىٰ أثرَهم مِن أصحابِ الحديثِ أئمَّةِ الهُدىٰ الَّذين حفِظَ اللهُ بهم دينَه، وحفِظَ بهم سنَّة نبيِّه ﷺ.

---

(١) جماعة قام بتأسيسها محمَّد بن إلياس بن محمَّد بن إسماعيل الكاندهلويّ، وُلد عام (١٣٠٢هـ)، وتوفي عام (١٣٦٣هـ)، الدّيوبنديّ منهجًا، الحنفيّ مذهبًا، الأشعري الماتريدي عقيدةً، الصُّوفي طريقةً، ولهم أصول ستّة أو صفات ستّ، وهي:

١ - تحقيق الكلمة الطَّيِّبة: لا إله إلّا الله محمَّد رسولُ الله.

٢ - الصَّلاةُ ذاتُ الخُشوع والخُضوع.

٣ - العلمُ بالفضائل لا بالمسائل مع الذّكر.

٤ - إكرام المسلم.

٥ - تصحيح النيَّة.

٦ - الدَّعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والخروج في سبيل الله، ولكلٍّ من هذه الأصول أو الصِّفات (مقصد) و(فضيلة) و(طريقة حصول محدَّدة) علىٰ غير منهج السَّلف. «حقيقة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ» لسعد الحصين (ص٧٥ و٨٠) بتصرُّف.

(٢) هي جماعة من ولائد الإخوان المسلمين، تنتسبُ إلىٰ محمَّد بن سُرور بن نايف زين العابدين صاحب مجلَّة (السُّنَّة) و(البيان) وغيرهما من النَّشرات، درس في معهد عنيزة في المملكة العربية السعودية فترة من الزمن، ثمَّ طُرد من المملكة، فسافر إلىٰ ديار الكفر، وأقام بين أظهر الكفَّار في بريطانيا، وتعتبر دعوته سياسيَّة، وتقوم علىٰ مُحاربة عُلماء وحكَّام المنهج السَّلفيِّ.

من أصول السنة: ترك البدع

وَتَركُ البِدَعِ.

الشرح:

إذَا علِمْنا أنَّ ترْكَ البِدَعِ واجبٌ علىٰ كلِّ مُسلم، وهو علىٰ طلَّاب العلم والدُّعاةِ إلىٰ الله أوجبُ، فلنعلَمْ أنَّ ترْك البدع مِن الأُمور المُهمَّة في حقِّ المُسلمِ، والبدَعُ كثيرةٌ قديمًا وحديثًا، ومِن أعظمِها خطرًا في هذا الزَّمان ما طرأ علىٰ ساحة الدَّعوة من بدَع الحزبيَّات والتَّحزُّب الَّذي ذمَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ في غير ما آيةٍ، وأمَر بأنْ تكونَ الأُمَّةُ أمَّةً واحدةً؛ لأنَّها علىٰ دينٍ واحدٍ، وتَعبُد ربًّا واحدًا، وتتبعُ رسولًا واحدًا؛ فيجبُ عليهم جميعًا أنْ يتركُوا هذه البدَع الَّتي تُفرِّقُ الأُمَّة وتُشتِّتُها أوصالًا وشيعًا، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]. وقد قرَّرتْ هذه الآيةُ أنَّ أصلَ الدِّين وما شرَعه اللهُ لِخيرةِ المُرسلين وأفضلِهم؛ وهم أولو العزم، يُبنىٰ علىٰ أمرَين:

الأمر الأوَّل: توحيدُ الله عَزَّوَجَلَّ.

والأمر الثَّاني: أنْ تكون الأمَّة أمَّةً واحدةً ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ وأخبر أنَّ هذَا هو ما أوحاه إلىٰ الرُّسل جميعًا، وعلىٰ رأسهم أولو العزم الخمسة، ونبيُّنا محمَّد ﷺ هو المُتمِّمُ عدَّتهم؛ وهم نوحٌ وإبراهيمُ وموسَىٰ وعيسَىٰ.

فإذا كانت هذه الرِّسالات كلّها قد أجمعَتْ علىٰ هذين الأصلين؛ فإنَّهما مِن أوجبِ الواجباتِ وأهمِّ المُهمَّات؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وفي سورة (المؤمنون): ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقد ذمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أقوامًا بقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، ففي هذا ذمُّ الأحزاب والحزبيَّات، والأمر بجمْع الكلمةِ، وعدم التَّفرُّق في الدِّين.

وفي آخر سورة (الأنعام): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ففي هذا وعْدٌ عظيمٌ لدُعاةِ التَّفرُّق، وهم أصحابُ الحزبيَّات، لاسيَّما وقد برَّأ اللهُ رسولَه منهم في قوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾، وعلىٰ هذا فلنعلمْ أنَّ هذه الحزبيَّات كلّها داءٌ وضلالٌ، وأنَّ النَّجاةَ باتِّباع كتابِ الله وسنَّة رسولِ الله ﷺ وسنَّة خُلفائِه الرَّاشدين وعمل الصَّحابة مِن بعدِهم.



كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ

وَكُلُّ بِدعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ.

الشرح:

يجبُ أنْ نعلمَ أنَّ المطلوبَ مِن كلِّ عبدٍ أنْ يتَّبع رسولَ الله ﷺ وأنْ يُطيعَه؛ لأمْر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك في قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النُّور: ٥٤]، وفي قولِه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وفي قولِه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فأنت تُسألُ في قبركَ، ويومَ حشْرك ونشرك؛ عن اتِّباعك للرَّسول ﷺ وتصديقه والإيمان به، قال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦ - ٧].

وفي حديثِ البراءِ بن عازبٍ(١): «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ؛ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا نَكِيرٌ وَلِلْآخَرِ مُنْكَرٌ، فَيُجْلِسَانِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَالْمُؤْمِنُ يُثَبِّتُهُ اللهُ فَيُجِيبُ بِالإِجَابَةِ الصَّحِيحَةِ: اللهُ رَبِّي، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي. أَمَّا الكَافِرُ أَوْ المُنَافِقُ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ**

---

(١) البراءُ بن عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاريّ، الأوسي، صحابيٌّ ابنُ صحابيٍّ، نزل الكوفة، استُصغر يوم بدرٍ، وكان هو وابن عمر لدة، مات سنة اثنين وسبعين. «التقريب» (١/ ١٢٣) (٦٤٩).

لِدَة: الّذي وُلد معه أو قريبًا من ميلاده. «الدّلائل في غريب الحديث» (٢/ ٧٨٥).

شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ مَنْ خَلَقَهُ اللهُ إِلَّا الجِنَّ وَالإِنْسَ»(١). ولو سمعها الجنِّيُّ أو الإنسيُّ لَماتَ.

وفي خُطبتِه ﷺ يومَ عرفة في حجَّة الوداع: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ»(٢).

وعلىٰ هذا؛ فينبغي للعاقل أنْ يُفكِّرَ هل يتَّبعُ مَن أمرَه اللهُ باتِّباعِه، أو يتبعُ أصحابَ الأهواءِ الَّذين يُريدُون إضلالَه؟!

والَّذي أُوصيكُم به ونفسِي: اتِّباع السُّنَّة وترك البدعة؛ لأنَّها ضلالٌ وهلكةٌ.

وقدْ حذَّر النَّبيُّ ﷺ مِن البدَع، وحذَّر منها الأئمَّة المهديُّون؛ فمِن تحذيرِ النَّبيِّ ﷺ قولُه: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣)، وقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٤).

والله تعالىٰ يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣].

وقولُه: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ»، هذا جزء مِن الحديث كما تقدَّم.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٦/ ٤١٣) (١٨٥٥٧)، وأبو داود (٤٧٥٣). وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٣١).

(٢) أخرجه مُسلمٌ (١٢١٨)، مِن حديثِ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّويل.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذيّ (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه (٤٢). وصحَّحه الألبانيُّ في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨). من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولنعلمْ أنَّ البدَعَ كلّها ضلالٌ، خلافًا لمن قال: إنَّ البدع منها ما هو حسَنٌ، وقال بعضُهم(١): إنَّها تنقسمُ علىٰ الأحكام الخمسةِ، والصَّحيحُ خلافُ ما قالُوا؛ لأنَّ البدعةَ إنَّما يقالُ عنها بدعةٌ إذا كانتْ في الدِّين، أمَّا إذا كانتْ في أُمورِ الدُّنيا فلا يُقالُ لها: بدعةٌ.

وقد قال النَّبيُّ ﷺ في تأبيرِ النَّخل: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»(٢)، فما استُخدم مِن أُمورِ الدُّنيا لا يقالُ له: بدعةٌ، ولكنْ مِن المصالح المُرسلة، وإنَّما يقال بدعة لما ابتُدع في العبادةِ، وابتُدعَ في الدِّين.



(١) قال العزُّ بن عبد السَّلام - كما في «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (٢/ ٢٠٤ عبد الرَّؤوف سعد) -: «هي مُنقسمةٌ إلىٰ: بدعة واجبة، وبدعة مُحرَّمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مُباحة». وانظر: «الاعتصام» للشَّاطبيِّ (١/ ٣٢١ فما بعدها/ ابن الجوزي).

(٢) أخرجه مسلمٌ (٢٣٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

مِن أُصول السُّنَّة: تركُ الخُصومات والجُلوس مع أصحاب الأهواءِ

وَتَرْكُ الخُصُومَاتِ وَالجُلُوسِ مَعَ أَصحَابِ الأَهوَاءِ.

الشرح:

الدَّليلُ علىٰ ذلكَ: قولُه تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وفي الحديثِ الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فإنَّ الرَّجل يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّىٰ يَتْبَعَهُ مِمَّا يَرَىٰ مِنَ الشُّبُهَاتِ»[(١)].

قال الشيخ ابنُ بطَّة[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعلِّقًا عليه: «هذا قول الرَّسولِ ﷺ وهو الصَّادق المصدوق، فاللهَ اللهَ معشرَ المُسلمين، لا يَحملنَّ أحدًا منكم حُسنُ ظنِّه بنفسِه، وما عَهِدَه مِن معرفتِه بصحَّة مذهبِه علىٰ المُخاطرة بدينه في مُجالسةِ بعضِ أهل هذه الأهواء، فيقول أُداخلُه لأُناظرَه أو لأستخرجَ منه مذهبَه؛ فإنَّهم

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وابنُ أبي شيبةَ (٣٧٤٥٩) واللَّفظُ له، عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٤٨٨).

(٢) هو الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدِّث، شيخ العراق، أبو عبد الله، عبيد الله بن محمَّد بن محمَّد بن حمدان العُكبريّ الحنبليّ، ابن بطَّة مُصنِّف كتاب «الإبانة الكبرىٰ» في ثلاثة مُجلَّدات، قال: ولدتُ سنةَ أربع وثلثمائة، وقال العتيقيّ: تُوفِّي ابنُ بطَّة وكان مُستجابَ الدَّعوة في المُحرَّم سنة سبع وثمانين وثلثمائة. «السِّير» (١٦/ ٥٢٩).

أشدُّ فتنةً من الدَّجَّال، وكلامُهم ألصقُ مِن الجرَب، وأحرقُ للقلوب مِن اللَّهب، ولقدْ رأيتُ جماعةً مِن الناس كانُوا يلعنونَهم ويسبُّونهم، فجالسوهم علىٰ سبيل الإنكار والرَّدِّ عليهم، فما زالتْ بهم المُباسطة وخفيُّ المكر ودقيق الكُفر حتَّىٰ صبَوا إليهم»[(١)].

وعن أنس[(٢)] **وقدْ جاءَه رجلٌ فقالَ لهُ:** «يَا أَبَا حَمْزَةَ لَقِيتُ قَوْمًا يُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ وَبِعَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: أُولَئِكَ الكَذَّابُونَ فَلَا تُجَالِسْهُمْ»[(٣)].

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنَّه قال:** «لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ؛ فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ»[(٤)].

قال أبو الجَوزاءِ[(٥)] **- وكان مِن كِبار التَّابعين -:** «لَأَنْ يُجَاوِرَنِي قِرَدَةٌ وَخَنَازِيرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ - يَعْنِي: أَصْحَابَ الأَهْوَاءِ -»[(٦)].

---

(١) «الإبانة الكُبرىٰ» (٢/ ٤٧٠) (٤٧٥).

(٢) أنس بن مالك بن النَّضر الأنصاري، الخزرجيّ، خادم رسول الله ﷺ؛ خدَمه عشرَ سنين، صحابيٌّ مشهورٌ، مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة. «التقريب» (١/ ١١١) (٥٦٦).

(٣) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٤٤٨) (٤٠٨).

(٤) أخرجه الآجرِّيُّ في «الشَّريعة»، (١/ ١٩٦) (١٣٩) أثر (٥٥)، وابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ»، (٢/ ٤٣٨) (٣٧١).

(٥) هو أوس بن عبد الله الرَّبعي، بفتح الموحدة، أبو الجوزاء - بالجيم والزاي -، بصريّ يُرسل كثيرًا، ثقةٌ، من الثَّالثة، مات سنة ثلاثٍ وثمانين. «التقريب» (١/ ١١٢) (٥٧٨).

(٦) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٤٦٧) (٤٦٦)، واللَّالكائيُّ في «شرح أُصول الاعتقاد» (١/ ١٤٨) (٢٣١).

وقال **الفُضيل بن عِياض**[١]: «لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ»[٢].

وقد دخل على محمَّد بن سِيرين[٣] رجلانِ مِن أهل الأهواء، فقالا: «يَا أَبَا بَكْرٍ؛ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ، قَالَ: لَا، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: لَا، لَتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ، فَخَرَجَا، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي»[٤].

وعن عبد الرَّزَّاق[٥] **أنه قال**: قال لي إبراهيم بن محمَّد بن أبي يحيىٰ[٦]: أَرَىٰ الْمُعْتَزِلَةَ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا! قُلْتُ: نَعَمْ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ مِنْهُمْ! قَالَ: أَفَلَا تَدْخُلُ

---

(١) هو فضيل بن عِياض بن مسعود التيمي، أبو علي، الزَّاهد المشهور، أصلُه مِن خُراسان، وسكَن مكَّةَ، ثقةٌ عابدٌ إمامٌ، مِن الثَّامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها. «التقريب» (٢/ ١٥) (٥٤٤٨).

(٢) أخرجه ابن بطَّة (٢/ ٤٦٠) (٤٤١)، واللالكائيُّ في «شرْح أصولِ الاعتقاد» (١/ ١٥٥) (٢٦٢).

(٣) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري ثقةٌ، ثبتٌ، عابدٌ، كبيرُ القدرِ، كان لا يرىٰ الرِّوايةَ بالمعنىٰ، مِن الثَّالثة، مات سنة عشر ومائة. «التقريب» (٢/ ٨٥) (٥٩٦٦).

(٤) أخرجه الدَّارميُّ (١/ ٣٨٩) (٤١١)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٤٠ - ٤٤١) (١٢١)، وابن بطّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦) (٣٩٨ - ٣٩٩)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١/ ١٥٠) (٢٤٢).

(٥) عبد الرَّزَّاق بن همام بن نافع الصنعاني، الحميري، اليمني (أبو بكر) محدِّث حافظ، فقيه، أخذ عنه البخاري، وُلد سنةَ (١٢٦هـ)، وتوفِّي سنة (٢١١هـ) في نصف شوال، وله مِن العُمر (٨٥ سنة)، له مِن الكتُب: السُّنن في الفقه، المغازي، تفسير القُرآن، الجامع الكبير في الحديث، وتزكية الأرواح عن مواقع الأفلاح، الأمالي، والمصنَّف في الحديث. «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٠٩)، و«معجم المؤلِّفين» (٢/ ١٤٢).

(٦) إبراهيم بن محمَّد بن أبي يحيىٰ الأسلمي، أبو إسحاق المدني، متروك مِن السَّابعة، مات سنة أربع وثمانين، وقيل: إحدىٰ وتسعين. «التقريب» (١/ ٦٥) (٢٤١).

مَعِي هَذَا الحَانُوتَ حَتَّىٰ أُكَلِّمَكَ، قُلْتُ: لَا، قَالَ: لِمَ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ القَلْبَ ضَعِيفٌ، وَالدِّينُ لَيْسَ لِمَنْ غَلَبَ(١).

وعن مُبشِّر بن إسماعيل الحلَبيّ(٢) قالَ: «قِيلَ للأَوْزَاعِي(٣): إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأُجَالِسُ أَهْلَ البِدْعَةِ! فَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالبَاطِلِ»(٤).

ولأهل البدع والأهواء علاماتٌ يُعرَفون بها، منها:

١- الوقيعة في أهل الأثر، قال أبو حاتم الرَّازي(٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَلَامَةُ أَهْلِ البِدَعِ الوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ»(٦).

٢- شدَّة معاداتهم لأهل الحديث، وسُكوتهم عن أهل الغيِّ والباطلِ، قال ﷺ في وصْفِ الخوارج: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ»(٧).

---

(١) أخرجه ابن بطّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٤٤٦) (٤٠١)، واللالكائي (١-٢/ ١٥٢) (٢٤٩).

(٢) مُبشِّر: بكسْرِ المُعجمةِ الثَّقيلةِ، ابنُ إسماعيل الحلبيّ، أبو إسماعيل، الكلبيّ مَولاهم، صدوقٌ، مِن التَّاسعة، مات سنة مائتين. «التقريب» (٢/ ١٥٧) (٦٤٨٥).

(٣) عبد الرَّحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي أبو عمرو، الفقيه، ثقةٌ جليلٌ، مِن السَّابعة، مات سنة سبع وخمسين. «التَّقريب» (١/ ٥٨٤) (٣٩٨١).

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٤٥٦) (٤٣٠)، وقال مُعلِّقًا عليه: «صدَق الأوزاعيُّ؛ أقولُ: إنَّ هذا رجلٌ لا يعرفُ الحقَّ مِن الباطل، ولا الكُفر مِن الإيمانِ، وفي مثل هذا نزَل القُرآنُ، ووردت السُّنَّة عن المُصطفىٰ ﷺ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]».

(٥) محمَّد بن إدريس بن المُنذر الحنظليّ، أبو حاتم الرَّازيُّ، أحدُ الحفَّاظ مِن الحادية عشرة، مات سنة سبع وسبعين. «التقريب» (٢/ ٥٣) (٥٧٣٦).

(٦) أخرجه اللَّالكائيُّ في «أصول الاعتقاد» (١/ ٢٠٤) في عقيدة أبي حاتم الرَّازي.

(٧) قطعةٌ من حديث أخرجه البخاريُّ (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤). من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو عُثمان الصَّابوني(١): «وعلامةُ البدَع على أهلِها باديةٌ ظاهرةٌ، وأظهرُ آياتِهم وعلاماتِهم شدَّةُ معاداتِهم لحملةِ أخبارِ النَّبيِّ ﷺ، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إيَّاهم حشويَّة وجهلة وظاهريَّة ومُشبِّهة، اعتقادًا منهم في أخبارِ رَسولِ الله ﷺ أنَّها بمعزِل عنْ العلمِ، وأنَّ العلمَ ما يُلقيه الشَّيطانُ إليهم مِن نَتائجِ عُقولِهم الفاسدةِ، ووساوِس صدورِهم المُظلمة، وهواجِس قلوبِهم الخالية مِن الخيرِ، وحُججهم العاطلة، أُولئكَ الَّذين لعنَهم الله»(٢). اهـ

٣- استعانتهم بالوُلاة والسَّلاطِين بسبب ضعفِ حُجَّة أهل البدَع، وهو مذهبهم، وقلَّة حيلتهم؛ فإنَّهم يستعينون في نُصرةِ دَعوتِهم بالوُلاةِ والسَّلاطينِ؛ لأنَّ فيها نوعًا مِن الإكراهِ والإخافةِ.

٤- الاجتهادُ والغُلوُّ في العِبادة: فالمبتدعُ يزيدُ في الاجتهادِ لينالَ في الدُّنيا التَّعظيم والجاه والمال وغير ذلك مِن أصناف الشَّهواتِ؛ لأنَّ التَّعظيم علىٰ ترك شهوات الدُّنيا أعظمُ، ألَا ترىٰ إلىٰ انقطاع الرُّهبان في الصَّوامع عن جميع الملذُوذات، ومقاساتهم لأصناف العباداتِ، والكفّ عن الشَّهوات، وهم مع ذلك خالدون في جهنَّم، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢ - ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

---

(١) الإمام العلَّامة القُدوة، المفسِّر، المُذكِّر، المُحدِّث، شيخُ الإسلام أبو عُثمان إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني، ولد سنة (٣٧٣هـ)، وأوَّل مجلس عقده للوعظ إثر قتل أبيه في سنة اثنتين وثمانين وهو ابن تسع سنين، وتوفي سنة (٤٤٩هـ). «السِّير» (١٨/ ٤٠).

(٢) «عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث» (ص١٠٦).

وما ذاك إلَّا لخفَّةٍ يجدونَها في ذلك الالتزام، ونشاط يُداخلُهم يستسهلون به الصَّعب، بسببِ ما داخَل النَّفس مِن الهوىٰ، فإذا بدَا للمُبتدعِ ما هو عليه، رآه محبوبًا عنده، فما الَّذي يصدُّه عن الاستمساك به والازدياد منه، وهو يرىٰ أنَّ أعمالَه أفضلُ مِن أعمالِ غيرِه، واعتقاداته أوفقُ وأعلىٰ ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [المدَّثر: ٣١](١).

وقد يَفتتنُ البعضُ بالمُبتدعة لِمَا يرَون عندهم من التَّزهُّد والتَّخشُّع والبُكاء أو غير ذلك مِن كثرةِ العبادةِ، وليس هذا مقياسًا صحيحًا في معرفةِ الحقِّ، فقدْ قال النَّبيُّ ﷺ لأصحابه في وصف أهل البدَع: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ**»(٢).

أمَّا أظهرُ علاماتِ أهلِ السُّنَّة:

فأوَّلًا: دعوتُهم إلىٰ كتاب الله تعالىٰ؛ أي: إلىٰ مُتابعتِه والعملِ به.

ثانيًا: تفسيرُهم له بالأثر؛ أي: بالسُّنَّة وتفسيرِ الصَّحابة والتَّابعين.

ثالثًا: دعوتُهم إلىٰ السُّنَّة الصَّحيحة المأثورةِ عن النَّبيِّ ﷺ.

رابعًا: اعتقادُهم أنَّها هي المبيِّنة لكتاب الله والمُفسِّرة له.

خامسًا: محبَّةُ السُّنَّة ومحبَّةُ أهلِها وحمَلتِها، واعتقادُ أنَّهم هم الَّذين يَحفظُ الله بهم الدِّين، وقد زيَّن الله سبحانه قُلوب أهل السُّنَّة ونوَّرها بحُبِّ عُلماءِ السُّنَّة فضْلًا منه جَلَّ جَلَالُهُ(٣)، قِيل لأبي بكر بن عيَّاش(٤): مَنِ السُّنِّيُّ؟ قال: «الَّذي إذَا ذُكِرَتْ

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٢١٩ - ٢٢٠ ابن الجوزي). باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤). من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث» (ص١٠٧).

(٤) أبو بكر بن عيَّاش - بتحتانية ومُعجمة - ابن سالم الأسدي، الكوفيُّ المُقرئُ الحنَّاطُ، بمهملة ونون، =

الأَهْوَاءُ لَمْ يَغْضَبْ لِشَيْءٍ مِنْهَا»(١). اهـ

سادسًا: اعتدالُهم ما بين الجفاء والغلوِّ، والإفراط والتَّفريط.

سابعًا: أنَّهم لا يغلُون في أحدٍ مِن أئمَّتهم حتَّىٰ يعتقدوا فيه العصمة؛ لا مِن الصَّحابة ولا مِن غيرِهم.

ثامنًا: أنَّهم يُبغضون أهل البدع، ويتعبَّدون لله بمُجاهدتِهم وبيانِ حالِهم وبدَعِهم حتَّىٰ يحذرَها النَّاسُ ويحذرُوهم.

تاسعًا: عنايتُهم بالعقائدِ وتقديمُهم لها علىٰ الفضائلِ عكس المُبتدعةِ.



=

مشهور بكُنيته، والأصحُّ أنَّها اسمُه، وقيل: اسمُه محمَّد، وقيل غيرُ ذلك، عشرةُ أقوالٍ، ثقةٌ عابدٌ، إلَّا أنَّه لمَّا كبرَ ساءَ حفظُه، وكتابُه صحيحٌ، مِن السَّابعة، ماتَ سنةَ أربع وتسعين، وقيل قبل ذلك بسنةٍ أو سنتينِ، وقد قارب المائة، وروايتُه في مقدِّمة مسلم. «التَّقريب» (٢/ ٣٦٦) (٨٠١٤).

(١) أخرجه اللَّالكائيُّ في «أصولِ الاعتقاد» (١/ ٧٢) (٥٣).

مِن أُصول السُّنَّة: تركُ المراءِ في الدِّين

وَتَركُ المِرَاءِ وَالجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

الشرح:

الدَّليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، وقال سبحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وفي الحديثِ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ»(١)، وفي الحديثِ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ»(٢).

قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز(٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا للخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ»(٤).

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتتمَّتُه: «ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرف: ٥٨]». وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨). من حديث عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

والألدُّ الخصِم: الألدُّ شديد الخصومة، والخصم الحاذقُ بالخصومة. شرح النووي (١٦/ ٢١٩).

(٣) **عمرُ بن عبد العزيز**: الخليفةُ الأمويُّ الصَّالح، عدَّه بعضُهم خامس الخُلفاء، ولِيَ الخِلافةَ عامَ (٩٩هـ)، وتُوفِّيَ عام (١٠١هـ)، وله أخبارٌ في العدل والزُّهد كثيرةٌ. «التذكرة» (١/ ١١٨).

(٤) أخرجه الدَّارميُّ (٣١٢)، وأحمد في «الزهد» (ص٢٤٥ الكتب العلمية)، والفريابي في «القدر» رقم (٣٨٤ - ٣٨٥)، وابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٥٠٢ - ٥٠٣ و٥٠٦ - ٥٠٧)، والآجري في «الشريعة» (١/ ١٨٩) (١٢٢)، واللَّالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢١٦)، وابنُ عبد البرِّ في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٣١) (١٧٧٠).

قال الحسنُ[(١)] لرجُلٍ أرادَ أنْ يُجادِلَهُ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ»[(٢)].



(١) الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري، نشأ بالمدينة وحفظ كتاب الله في خِلافة عُثمان، وسمعَه يخطبُ مرَّاتٍ، حافظٌ، علَّامةٌ، مِن بحور العلم، فقيهُ النَّفس، كبير الشَّأن، وكان يرسل كثيرًا ويدلِّس، مات سنة عشر ومائة. «التَّذكرة» (١/ ٧١)، و«التَّقريب» (١/ ٢٠٢) (١٢٣١).

(٢) أخرجه الآجريُّ في الشريعة (١/ ١٩٧ قرطبة) رقم (١٤٠) أثر (٥٧)، وابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٥٠٩) (٥٨٦).

السُّنَّة: آثار رسول الله ﷺ وهي تفسر القرآن

وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا: آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ القُرآنِ.

الشرح:

إذا قيل آثار رسول الله ﷺ فإنَّ المراد بها: ما نُقل عنه - صلوات الله وسلامه عليه - مِن أقوالٍ وأفعالٍ وإقراراتٍ.

وقوله: «وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ القُرآنِ»، الدَّليل علىٰ ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] فالكتابُ: القُرآن، والحكمة: هي سنَّة الرَّسول ﷺ.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمَر رسولَه ﷺ أنْ يُبيِّن للنَّاس ما نُزِّلَ إليهم في الكتاب؛ فمثلًا: الصَّلاةُ نزلَتْ مُجملةً، وبيَّنتِ السُّنَّة أعدادَها، ومواقيتَها، وفرضَها، ونفلَها، وما يلزم لها مِن الطَّهارة، وما إلىٰ ذلك، وهكذا الزَّكاةُ.



(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠) (١٧٢١٣)، وأبو داود (٤٦٠٤)، عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٣).

فضلُ الاتِّباع

وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ، وَلَا تُدرَكُ بِالعُقُولِ وَلَا الأَهوَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ وَتَركُ الهَوَىٰ.

الشرح:

قولُه: «وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ»، المراد ليس في العقيدة ونصوص العقيدة قياسٌ؛ فالعقيدةُ لا يدخلُها القياسُ، وإنَّما يدخلُ القياسُ الأحكامَ الفرعيَّة.

وقولُه: «وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ، وَلَا تُدرَكُ بِالعُقُولِ وَلَا الأَهوَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ وَتَركُ الهَوَىٰ»، في الحديثِ عن أبي هريرة(١) أنَّه روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ حديثًا في الوضوءِ ممَّا مسَّت النَّار، فقال له أحدُ الصَّحابة: «أَنَتَوَضَّأُ مِنَ الدُّهْنِ؟ أَنَتَوَضَّأُ مِنَ الحَمِيمِ - أَيْ: المَاء الحَارِّ -؟! فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا»(٢).

المهمُّ أنَّ هذه الفقرة معناها أنَّه لا ينبغي ضربُ الأمثال للسُّنَّة إذا كانت في أصولِ الاعتقادِ.

وقد أنكر النَّبيُّ ﷺ علىٰ حَمَل بن النَّابغة(٣) حين قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ

---

(١) أبو هريرة الدّوسيّ: الصَّحابيُّ الجليلُ، حافظُ الصَّحابةِ، اختُلف في اسمِه واسمِ أبيه؛ قيل: عبد الرَّحمن بن صخر، وقيل غير ذلك، والأكثرون رجَّحوا الأوَّل، مات سنة سبع، وقيل سنة ثمانٍ، وقيل تسعٍ وخمسين، وهو ابنُ ثمانٍ وسبعين سنةً، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريبُ» (٢/ ٤٨٣) (٨٤٦٧).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٧٩)، وابن ماجه (٤٨٥)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف ابن ماجه».

(٣) حمَلُ بن مالك بن النَّابغة الهذلي، من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضر، يكنىٰ أبا نضلة، له صُحبة، وهو =

مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ[١]؟! فقال النَّبيُّ ﷺ: إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»، مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ[٢].

وعلىٰ هذا فإنَّه لا يجوزُ ضربُ الأمثالِ للسُّنَّة مِن أجْلِ التَّخلُّص منها وعدم العمل بها، فإذا سمع العبدُ حديثًا جاء بسندٍ صحيحٍ، فعليه أنْ يُؤمِنَ به، ولا يضربَ له الأمثالَ مِن أجلِ أنْ يتخلَّص مِن تلك السُّنَّة، أو يُريد مُعارضتَها لِغيرِها مِن الآراءِ، بل يجبُ عليهِ الإيمانُ بها وإنْ خالفَتْ عقلَه.

فَمثلًا؛ الحديثُ الَّذي رواه البخاريُّ[٣] ومسلم مِن حديثِ أبي هريرة قال: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْموتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَكَ لا يُرِيدُ الْموتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارجِعْ إِلَىٰ عَبْدِي، فَقُلْ لَهُ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ مَتْنِ ثَورٍ[٤]، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ[٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ =

مدنيٌّ، نزَل البصرة، وله بها دارٌ، روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ في ديَة الجنين. «تهذيب الكمال» (٧/ ٣٤٩) (١٥٢٢).

(١) استهلَّ: أي صاحَ عند الوِلادةِ، ويُطَلّ: أي يُهدرُ، ولا يُطالبُ بديَته.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١). من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) هو محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، جبلُ الحفظِ، وإمامُ الدُّنيا في فقه الحديثِ، مِن الحادية عشرة، مات سنة ستٍّ وخمسين في شوَّال، وله اثنتانِ وستُّون سنةً. «التَّقريب» (٢/ ٥٥) (٥٧٤٥).

(٤) أي: ظهْره.

(٥) أي: بحيث لو رمىٰ رامٍ حجرًا مِن الموضع لَوَصَلَ إلىٰ بيت المقدس.

جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ[1]»[2].

وربَّما أنَّ بعضَ النَّاسِ يدفعُهم الاستبعادُ لمثلِ هذا إلىٰ عدم تصديق عقولهم، فيُظهرون تكذيبَه مع أنَّه حديثٌ صحيح رواه البخاريُّ ومسلم في صحيحهما، ولا يجوز للمسلم أنْ يُكذِّبه.



---

(١) الكثيب: الرَّمل المجتمع.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

من أصولِ السُّنَّة : الإيمانُ بـالقدَر

وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَن تَرَكَ مِنهَا خَصلَةً، لَم يَقبَلهَا وَيُؤمِن بِهَا، لَم يَكُن مِن أَهلِهَا: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصدِيقُ بِالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ: «لِمَ» وَلَا: «كَيفَ» إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ وَالإِيمَانُ بِهَا.

وَمَن لَم يَعرِفْ تَفسِيرَ الحَدِيثِ وَيبلُغهُ عَقلُهُ، فَقَد كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحكِمَ لَهُ، فَعَلَيهِ الإِيمَانُ بِهِ، والتَّسْلِيمُ لَهُ.

الشرح:

قوله «ومن السُّنَّة»: بمعنىٰ الطَّريقة والمنهاج.

واعلمُوا أنَّ السُّنَّة تنقسمُ إلىٰ قسمَين، أو يُرادُ بها شيئان:

القسمُ الأوَّل: السّنة الطَّريقةُ والمنهجُ الَّذي كان يسيرُ عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، وهذا القسمُ يتناولُ الواجبَ والمندوبَ؛ فيقالُ: مِن سُنَّة رسولِ الله ﷺ كذا، فإذا قيل ذلك تناول الواجب كإعفاء اللِّحية، ورفْع الثَّوب عن الكعبين وتناول المندوب أي المستحبَّ؛ كالإعطاء باليمين، والأخذ بها.

القسم الثَّاني: السُّنَّة عند الفقهاء ما كان دون الواجب مِن الفضائل وغيرِها، كحديث: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ**»[(١)].

ومعنىٰ ذلك الاستحبابُ، فيقالُ مثلًا: البدء باليمينِ مُستحبٌّ.

أمَّا الواجباتُ فهي تدخلُ في القسمِ الأوَّل، وذلك مثلُ الأكلِ باليمينِ،

(١) أخرجه البخاريُّ (١٦٨)، ومسلمٌ (٢٦٨). من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وإعفاء اللِّحية، وقصّ الشَّارب، وما إلىٰ ذلك.

وقوله: «وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ... الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصدِيقُ بِالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهَا...» اعلمُوا أنَّ القدَر هو ما قدَّره اللهُ للعبادِ وعليهم؛ مِن خيرٍ وشرٍّ، وإيمانٍ وكُفرٍ، وسعادةٍ وشقاوةٍ، وغنًىٰ وفقرٍ، ومرضٍ وصحَّةٍ، وما إلىٰ ذلك مِن الأمورِ الَّتي قدَّرها اللهُ علىٰ عبادِه، وقدْ دلَّ علىٰ ذلكَ الحديثُ الصَّحيحُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ؛ فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يومِ الْقِيَامَةِ»[(١)]، وجاء في الحديثِ أيضًا: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ»[(٢)].

وكذلكَ ورَد في الحديثِ أيضًا: «أنَّ الصَّحابةَ - رضوانُ اللهِ عليهم - قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ أَمْرٌ مُسْتَأْنَفٌ أَوْ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: أَفَلَا نَتْرُكُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَىٰ كُتُبِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٧) واللَّفظ له، وبنحوه أبو داود (٤٧٠٠)، والتِّرمذي (٢١٥٥)، من حديث عُبادةَ بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (١/ ٤٨)، وفي صحيح الجامع (٢٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٤) (١٤٢٩٧) عن سُراقة بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والتِّرمذي (٣١١١) عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وأخرج البخاريُّ (٤٩٤٩)، ومسلمٌ (٢٦٤٧) عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٥ - ٦] الآيةَ».

فيجب الإيمانُ بالقدَر والتَّسليمُ له، ومَن ترَك الإيمانَ بالقدرِ فلَا حظَّ له في الإسلام؛ ولهذا جاء عن يحيىٰ بن يعمُر قال: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ[(١)]، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ[(٢)]. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ... ثُمَّ ذكَر حديث عمر بن الخطاب ومجيء جبريل إلىٰ النبي ﷺ... إلخ الحديث[(٣)]، والشَّاهد مِن الحديثِ أنَّ عبدَ الله بن عمر تبرَّأ مِن القائلين بالقدَر.

فهذه الأحاديثُ ثابتةٌ يجبُ علينا أنْ نُؤمنَ بها، وأنْ نعتقدَ ما فيها تصديقًا جازمًا لا شكَّ فيه.

ثُمَّ اعلمُوا أنَّ الَّذين ضلُّوا في القدَر ينقسمون إلىٰ قسمين:

القسمُ الأوَّل: النُّفاة، وهم الَّذين يقولون: لا قدَر، ويَزعمون أنَّ العبد يخلقُ أفعاله[(٤)].

---

(١) أي: يطلبونه ويتَّبعونه.

(٢) أي: مُستأنفٌ لم يسبِق به قدرٌ ولا علمٌ من الله تعالىٰ، وإنَّما يعلمُه بعد وُقوعِه، تعالىٰ اللهُ عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

(٣) أخرجه مسلم (٨).

(٤) وهم القدريَّة مجوسُ هذه الأمَّة، كما ورَد بذلك الأثرُ.

القسمُ الثَّاني: المُثبتون للقدَر المُبالغون في إثباته الَّذين يزعمون أنَّ ال مجبورٌ على أفعالِه[1]، وكِلا الأمرَين بدعةٌ وتطرُّف.

والحقُّ الوسط هو اعتقادُ الفِرقةِ النَّاجية الَّذين يقولون: نُؤمنُ بالقدَر، ونؤ بأنَّ للعبد كسبًا واختيارًا؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أثبت له ذلك وقال: ﴿لِمَن شَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، ولك هذا الاختيار لا يخرج عن قدَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وممَّا يدلُّ على ذلك أيضًا: قولُ اللهِ -جلَّ وعلا-: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَ فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨ - ٩] وما أشبه ذلك، إذا علِمْنا هذا فلنعلَمْ أنَّ الفرقتي المُتطرِّفتين ضالَّتان؛ وهما القدريَّة النُّفاة والقدريَّة الجبريَّة.



(١) وهم الجبريَّة.

التَّسليمُ لِما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة

مِثلُ: حَدِيثِ «الصَّادِقِ المَصدُوقِ»، وَمِثْلُ: مَا كَانَ مِثلَهُ فِي القَدَرِ، وَمِثلُ: أَحَادِيثِ الرُّؤيَةِ كُلِّهَا، وَإِنْ نبتْ عَنِ الأَسْمَاعِ[(١)]، وَاسْتَوْحَشَ مِنهَا المُستَمِعُ.

الشرح:

قوله: مِثلُ: حَدِيثِ «الصَّادِقِ المَصدُوقِ»، أي: حديث ابن مسعودٍ[(٢)]، حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصَّادق المَصدوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِه وَأَجَلِه وَعَمَلِه وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»[(٣)].

ثُمَّ إنَّ القدَرَ قد كُتِب في اللَّوح المحفوظِ، كما في الحديث السَّابق: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٤)]، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فقدْ كتَبَ اللهُ في اللَّوحِ المَحفوظِ مقاديرَ كلِّ شيءٍ قبْلَ أنْ يخلقَ السَّموات والأرضَ، حتَّىٰ

(١) أي: أعرضتْ عنها، ونَفرتْ منها، انظُر: «المعجم الوسيط» مادَّة (نبا).

(٢) هو أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن مسعود الهُذلي، من السَّابقين الأوَّلين، هاجر الهجرةَ الأُولىٰ إلىٰ الحبشةِ، مناقبُه جمَّة، أمَّره عُمر علىٰ الكُوفةِ، توفِّي سنةَ (٣٢ هـ)، وكان مِنْ أقرإ الصَّحابة وكبار عُلمائهم. «التقريب» (١/ ٥٣٣) (٣٦٢٤).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).

العجزَ والكَيْس[(١)] وما إلىٰ ذلك[(٢)]، فيجبُ علينا أنْ نُؤمن بذلك.

وقد ورد أنَّ الملائكةَ الكرامَ الكاتِبين يكونون مع العبادِ يكتبُون كلَّ ش
منهم، ثُمَّ يعرجون إلىٰ السَّماء، وينظرون في اللَّوح المحفوظ، فيجدُون ما ك
مُطابقًا لمَا كُتِبَ عليهم أو لهم في اللَّوح المحفوظِ، وتُعرض تلك الكتُب ع
الله عَزَّوَجَلَّ يوم الإثنين ويوم الخميس[(٣)]، فيمحو الله عَزَّوَجَلَّ منها ما لا ثواب
ولا عقاب، كـ: أنزلِ الرَّحل، وهات القدح، واسقني ماءً، وما إلىٰ ذلك، قال
تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرَّعد: ٣٩]، وهذا يُسـ
التَّقديرَ الأزليّ، ثُمَّ التَّقدير العُمريّ، وهو الَّذي في حديث ابنِ مسعودٍ المُتقدِّ
وبعد ذلك التَّقدير الحَوليّ، وهو الَّذي يكون في ليلةِ القدرِ بأنْ تكتب الملائكة
يجري في هذا الحول علىٰ العباد أو منهم، وهو يُعدُّ تَنفيذًا لمَا في التَّقدير الأزليّ
ثمَّ التَّقدير اليوميّ، وهو الَّذي يحصلُ مِن العباد في يومهم ذلك، فتكتـ
الملائكةُ، وهو أيضًا يُعدُّ تنفيذًا للتَّقدير الأزليّ[(٤)].

---

(١) العجز: هو ترك ما يجب فعله بالتَّسويف، وهو عامٌّ في أُمور الدُّنيا والدِّين. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٨٦ المكتبة العلميّة).

والكَيْس: - بفتح ثم سكون - وهو الخفة والتَّوقُّد. «اللسان» (٦/ ٢٠٠).

(٢) أخرج مُسلمٌ (٢٦٥٥)، عن طاوس أنَّه قال: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُونَ: كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ العَجْزِ وَالْكَيْسِ». ومعناه: أنَّ العاجزَ قدْ قُدِّر عَجزُه، والكيس قد قُدِّر كَيسُه.

(٣) أخرج مسلم (٧٤٧)، عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا، أو ارْكُوا، هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَفِيئَا».

(٤) قال ابن بطَّة في «الإبانة» (٣/ ١٥٤): «وفي كتابةِ المقادير الأزليَّة جاء قوله تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ

علىٰ هذا فنقولُ: التَّقديرُ ينقسمُ إلىٰ أربعةِ أقسامٍ:

القسم الأوَّل: التَّقدير الأزليّ، وهو ما ذكر في حديث القلم.

القسم الثَّاني: التَّقدير العمريّ، وهو ما ذكر في حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

القسم الثَّالث: التَّقدير الحوليّ، وهو ما يكون في ليلة القدر مِن كتابة ما سيكون في الحول.

القسم الرَّابع: التَّقدير اليوميّ، وهو ما تُثبته الملائكة علىٰ العباد في كتُبهم.

والثَّلاثةُ الأخيرةُ كلُّها مأخوذةٌ مِن الأوَّل، ولا يتمُّ إيمانُ عبدٍ حتَّىٰ يُؤمنَ بذلك كلِّه إيمانًا لا شكَّ فيه، وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ في حديث عُمر بن الخطَّاب في قصَّة مجيءِ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه ﷺ: «**وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].



=
يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم: ١]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩]، فدلَّتْ الآية الأولىٰ علىٰ أنَّ الله تعالىٰ أَقسم بالقلم الَّذي سطَّر المقادير في الأزل، ودلَّتْ الآية الثَّانية علىٰ أنَّ الملائكة الموكَّلين بحفْظ أَعمالِ العبادِ اليوميَّة، وكتابتها كانوا يستنسخون مِن الكتاب السَّابق الَّذي كتَبه القلم في أمّ الكتاب أزلًا، فيكون عمل الرَّجل اليوميّ مُطابقًا لمَا يستنسخُ من اللَّوح المحفوظِ كما فسَّره بذلك حبر الأمَّة عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ومع ثُبوت أزليَّة القدر بالكتاب والسُّنَّة زعمَت القدريَّة أنَّ الله تعالىٰ لم يُقدِّر مقادير الأشياء أزلًا، والأمر أُنفٌ لم يَعلم به اللهُ إلَّا بعد وُجودِه، تعالىٰ اللهُ عمَّا يقول الظَّالمون علوًّا كبيرًا».

(١) أخرجه مسلم (٨). وقد تقدَّم.

الكلامُ في القدرِ والرُّؤيةِ والقُرآنِ مَكروهٌ ومَنهيٌّ عنه

فَإِنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بِهَا، وَأَلَّا يَرُدَّ مِنهَا حَرفًا وَاحِدًا، وَغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَأثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ.

وَأَلَّا يُخَاصِمَ أَحَدًا، وَلا يُنَاظِرَهُ، وَلا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ، فَإِنَّ الكَلَامَ فِي القَدَرِ وَالرُّؤيَةِ وَالقُرآنِ وَغَيرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكرُوهٌ وَمَنهِيٌّ عَنهُ، لا يَكُونُ صَاحِبُهُ - وَإِن أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ - مِن أَهلِ السُّنَّةِ حَتَّىٰ يَدَعَ الجِدَالَ وَيُسلِّمَ، وَيُؤمِنَ بِالآثَارِ.

الشرح:

قوله: «**فَإِنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بِهَا، وَأَلَّا يَرُدَّ مِنهَا حَرفًا وَاحِدًا**»، أي: من الأحاديث التي ذكرت فيما يتعلق بالقدر وغيرها.

وقد نُهِيَ عن الجِدال في القدَر؛ ذلك لأنَّ القدَر سِرٌّ مِن الأسرارِ الَّتي اختصَّ اللهُ بها، لا يَعلمُ ما فيه إلَّا اللهُ، فلا يجوزُ لنا الانتقادُ، ولا الاعتراض، ولا الجدال في هذه الأمور، لأنَّ الجِدالَ فيها لا يُؤدِّي إلىٰ نتيجةٍ، بل ربَّما تكونُ نتيجتُه حصول الشُّكوك للعبدِ، فيجبُ أنْ تعلمَ أنَّ الواجبَ عليك - أيُّها العبدُ - تركُ المُناظرة في القدَر والمُجادلة فيه، ذلك لمصلحتِك؛ فإنَّك إنْ سمعتَ الشُّبهَ الَّتي يُلقيها المُبتدع ربَّما دخل بعضُها في قلبك واستقرَّ فيه، فتصبحُ شاكًّا بعد أنْ كنتَ مُتيقِّنًا، وبعد أنْ كنتَ مُؤمنًا، فاللهَ اللهَ في نفسِك، حاوِل تجنُّب هذه الأمورِ؛ لأنَّ هذه مزالقُ مهلكةٌ لِمَن وقَع فيها.

وفي الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرَج علىٰ أصحابِه، وهُم يتجادلُون في القُرآن

فغضِبَ غضَبًا شديدًا حتَّىٰ كأنَّما فُقِئَ في وجهِهِ حبُّ الرُّمَّان، فقال: «أَبِهَٰذَا أُمِرْتُمْ...»(١) الحديث.



(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥) (٦٨٤٥)، وابن ماجه (٨٥)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسَّنه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٤٠٦). وقوله: «كأنَّما فُقِئَ في وجهِهِ حبُّ الرُّمَّان» أي: فغضبَ واحمرَّ وجهُه مِن أجلِ الغضبِ احمِرارًا يُشْبهُ فَقْءَ حَبِّ الرُّمَّان في وَجهِهِ.

وأخرجه مسلم (٢٦٦٦)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: هَجَّرْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ».

القرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوقٍ

وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلَا يَضْعُفُ أن يَقُولَ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفظِ وَغَيْرِهِ، وَمَن وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ: «لا أَدرِي مَخلُوقٌ أَو لَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ» فَهَذَا صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثلُ مَن قَالَ: «هُوَ مَخلُوقٌ» وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ لَيسَ بِمَخلُوقٍ.

الشرح:

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمَّىٰ القُرآن كلامَه فقالَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. قال ابنُ عُيينةَ[(١)] وغيرُه: «الْخَلْقُ خَلْقُ اللهِ، وَالأَمْرُ القُرْآنُ»[(٢)]. وقال عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ؛ فَلَا تَصرِفُوهُ عَلَىٰ آرَائِكُمْ»[(٣)]. وكان مالكٌ[(٤)] يقولُ:

---

(١) سفيانُ بن عُيينةَ بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمَّد، الكوفيّ ثُمَّ المكِّي، ثقةٌ حافظٌ فقيهٌ إمامٌ حجَّةٌ، إلَّا أنَّه تغيَّر حفظُه بأخرةٍ، وكان ربَّما دلَّس، لكنْ عن الثِّقاتِ، مِن رؤوس الطَّبقة الثَّامنة، وكان أثبتَ النَّاس في عمْرو بن دِينار، ماتَ في رجب سنة ثمان وتسعين، وله إحدىٰ وتسعون سنةً. «التَّقريب» (١/ ٣٧١) (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه الآجرِّيُّ في «الشَّريعة» (١/ ٥٠٤ - ٥٠٥) (١٧١)، واللَّالكائيُّ في «أصولِ الاعتقاد» (٢/ ٢٤٤) (٣٥٨).

(٣) أخرجه الآجرِّيُّ في «الشَّريعة» (١/ ٤٩٢) (١٥٦).

(٤) مالكُ بنُ أنس بن عامر بن عَمْرو الأصبحيّ، أبو عبد الله المدنيّ، الفقيه، إمامُ دار الهجرة، رأسُ المُتقنين وكبيرُ المُتثبِّتين، حتَّىٰ قال البخاريُّ: أصحُّ الأسانيدِ كلِّها: مالكٌ عن نافعٍ عن ابن عُمَر، مِن =

«الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَسْتَفْظِعُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، قَالَ مَالِكٌ: يُوجَعُ ضَرْبًا، وَيُحْبَسُ حَتَّىٰ يَمُوتَ»[(١)]. وقال الشَّافعيُّ[(٢)]: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ»[(٣)].

كذلك أيضًا الإمامُ أحمدُ حُبسَ وضُربَ حتَّىٰ أُغميَ عليه، وكان يُقالُ له: قُلْ القُرْآنُ مخلوقٌ، فيأبىٰ، ويقولُ: كيف أقولُ شيئًا خلافَ ما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وقال رسول الله ﷺ!![(٤)]، وبذلك أيَّد اللهُ به السُّنَّة ونصر به الْحقَّ واستبانتْ به المحجَّةُ[(٥)] بعد أنْ كادتْ تندثرُ، فهو إمامُ أهل السُّنَّة بحقٍّ. قال بعضُ السَّلفِ: نصرَ اللهُ الإسلامَ بأبي بكر زمنَ الرِّدَّةِ، وبأحمدَ بن حنبل زمَنَ المِحنَةِ[(٦)].

= السَّابعةِ، مات سنةَ تسعٍ وسبعين، وكان مولدُه سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ، وقال الواقديُّ: بلَغ تسعين سنةً، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريب» (٢/ ١٥١) (٦٤٤٤).

(١) أخرجه الآجرّيُّ في «الشَّريعة» (١/ ٥٠١) (١٦٦).

(٢) محمَّد بنُ إدريسَ بن العبَّاس بن عُثمان بن شافع بن السَّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلب المُطَّلبيّ، أبو عبد الله الشَّافعيّ، المكِّيّ، نزيل مصرَ، رأس الطَّبقةِ التَّاسعةِ، وهو المجدِّدُ لأمْر الدِّين علىٰ رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين، وله أربعٌ وخمسون سنةً، روىٰ له البخاريُّ مُعلَّقًا ومسلمٌ والأربعةُ. «التَّقريب» (٢/ ٥٣) (٥٧٣٥).

(٣) أخرجه الآجريُّ في «الشَّريعة» (١/ ٥٠٨) (١٧٦).

(٤) انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٤٣٦ - ٤٣٨ و٤٤٣هجر)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٤٦ - ٢٥١).

(٥) المَحجَّةُ: جادَّة الصِّراط المُستقيم؛ صراطِ مَن أنعمَ اللهُ عليهم مِن النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين.

(٦) أخرج ابنُ الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص١٤٨)، عن ابن المدينيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَعَزَّ هَذَا الدِّينَ بِرَجُلَينِ لَيسَ لَهُمَا ثَالِثٌ؛ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحْنَةِ»، وانظر: «سير أعلام النبلاء» للذَّهبي (١١/ ١٩٦).

وأخرج ابنُ الجوزيِّ في «المناقب» أيضًا (ص١٦٥)، والذَّهبيُّ في «السِّير» (١١/ ٢٠١)، عن المزنيِّ أنه =

فللَّه درُّهُ من إمام، ورحمه الله رحمة الأبرار، ورحم كلَّ السَّلفِ القائمين علىٰ الحقِّ المُجاهدين في إظهاره، وألْحقنَا بهم، وأدْخلَنا في عِدادِهم، علىٰ ما عندنا مِن قُصُور.

والمُبتدعةُ في هذه المسألة ينقسمون إلىٰ ثلاثة أقسام:

١- قومٌ قالُوا: القُرآنُ مخلوقٌ؛ كالمُعتزلةِ ومَن دخَل في عدادهم وتابعهم في هذه البدعة الشنيعة.

٢- وقوم قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق[1]، وهؤلاء حكَم عليهم السَّلفُ بأنَّهم مُبتدعةٌ؛ كما حكمُوا علىٰ مَن قالَ: القُرآن مخلوق؛ بالكفر.

٣- وقوم قالُوا: لا نقولُ: مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوقٍ، وهؤلاء هم الواقفةُ، وهُمْ شرٌّ مِن الَّذين قالُوا: القُرآنُ مَخلوقٌ[2].

مسألةٌ: لماذا قال السَّلفُ: إنَّ مَنْ قالَ: لفظِي بالقُرآن مَخلوقٌ؛ فهو مُبتدعٌ، وبعضُهم أطلَق عليه الكُفرَ؟

الجوابُ: لأنَّ هذا اللَّفظَ مُحتملٌ أنْ يقع علىٰ اللَّفظ نفسِه، أو أنْ يقع علىٰ الملفوظ به وهو القُرآن، ومِن أجْل هذا الاحتمال قالُوا: مَن قال: لفظُهُ بالقُرآنِ مَخلُوقٌ، فهو مُبتدعٌ.

وَفَصَّلَ أقوامٌ، فقالُوا: إنَّ الصَّوتَ الَّذي يُقرأ به القُرآن، واللِّسان الَّذي يقرأه،

=

قال: «أحْمَدُ بنُ حَنبَلٍ يَومَ المِحْنَةِ، أَبُو بَكرٍ يَومَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يومَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَومَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ». وانظر مزيدًا من تفصيلات هذه المحنة في «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣٣٠-٣٣٥).

(١) وهم: اللّفظيَّة، الَّذين يقولون: ألفاظُهم بالقُرآن مخلوقةٌ، وكلام الله تعالىٰ عندهم ليس مسموعًا. انظر: «عقائد الثلاث والسبعين فرقة» (١/ ٢٩٤)، و«الشريعة» للآجري (١/ ٢٣٥).

(٢) لأنَّهم شكُّوا في دينِهم. ولمزيد من آثار السَّلف فيهم انظُر: «الشَّريعة» للآجري (١/ ٢٣٢ - ٢٣٤).

والحُنجرة الَّتي يخرج منها الصَّوتُ، والمِدَاد الَّذي يُكتَب به القُرآنُ، والقلم الَّذي يُكتبُ به، واليد الَّتي تكتبُه، والورق الَّذي يُكتَب عليه، كلّها مَخلوقةٌ، والقُرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، فالمُؤدَّىٰ بهذه الأشياءِ المخلوقة هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الأشياء الَّتي تؤدِّيه مخلوقة(١) ولهذا يقول الشَّيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢):

فَالصَّوْتُ وَالأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي ... لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَوْلُ الْبَارِي(٣)

وممَّن ذكَر هذه المسألةَ وألَّف فيها، بل هو أوَّل مَن ألَّف فيها كتابًا: البخاريُّ، حيثُ ألَّف كتابَه «خلق أفعال العباد»، فاعلمُوا هذا جيدًا، ولا يلتبس عليكم الأمر.

وممَّا يُستدلُّ به علىٰ ذلك حديثُ أبي مُوسىٰ(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ به وهو يصلِّي ويقرأُ القُرآنَ، فقالَ: «لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»(٥)، وفي

---

(١) انظُر: «معارج القَبول» (١/ ٢٨٩).

(٢) وهو الشَّيخُ العلَّامة حافظ بن أحمد بن عليّ الحكميّ، أحد عُلماء المملكة العربيَّة السّعوديَّة السَّلفيِّين، ولد سنة (١٣٤٢ هـ) في منطقة جازان، درس وبرع وألَّف وهو صغيرٌ، وقرأ ولازم شيخَه عبد الله بن محمَّد القرعاوي، وتزوَّج ابنته، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عميقَ الفهم، سريع الحفظ لما قرأ، له مؤلَّفاتٌ عديدةٌ؛ منها المطبوع، ومنها المخطوط، تُوفِّي سنة (١٣٧٧ هـ) وعُمره خمس وثلاثون سنة، ونحو ثلاثة أشهر، ودُفن بمكَّة رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً. لمزيد من ترجمته انظر كتاب: «الشَّيخ حافظ الحكمي حياتُه وجُهودُه العلميَّة والعمليَّة» لشيخنا زيد المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «الشَّيخ حافظ أحمد الحكمي حياتُه ومنهجُه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب» للشيخ أحمد بن علي علّوش المدخلي.

(٣) مِن منظومة «سُلَّم الوصول إلىٰ علم الأصول في توحيد الله واتِّباع الرَّسول ﷺ». انظر: مقدّمة «معارج القبول» (١/ ٣٠).

(٤) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار، بفتح المهملة وتشديد الضَّاد المُعجمة، أبو موسىٰ الأشعريّ، صحابيٌّ مشهورٌ، أمَّره عُمر، ثم عثمان، وهو أحدُ الحكمَين بصفِّين، مات سنة خمسين، وقيل بعدها، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ٥٢٣) (٣٥٥٣).

(٥) أخرجه أحمدُ (٢٣٠٨٣) عَنْ بُرَيدَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ =

رواية: «لَوْ كُنْتَ أَعْلَمْتَنِي لَحَبَّرْتُ ذَلِكَ تَحْبِيرًا»(١).

إذنْ: فكونُ الصَّوتِ يختلفُ مِن شخصٍ إلىٰ شخصٍ، والكتابة مِن شخصٍ إلىٰ شخصٍ، وما إلىٰ ذلك، هذا كلُّه يُؤيِّدُ قولَ مَن قال فيما سبَق أنَّ الصَّوتَ الَّذي يُقرأُ به القُرآن مخلوقٌ، والقُرآنُ غيرُ مخلوقٍ.

وقد أنكرَ الإمامُ أحمدُ بن حنبل علىٰ الحسين بن علي الكرابيسي(٢) عندما قال: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ(٣).

وما كان إنكارُه إلَّا مِن أجلِ أنَّ الإطلاقَ يحتملُ هذا وهذا، فلو تُرِك الأمر ولم ينكر مثل هذا لجعله المبتدعةُ حيلةً وخِداعًا، وبذلك حسَم الإمامُ أحمدُ الأمرَ ومنَع التفوُّه بهذا، ونحن حينما نذكرُ هذا إنَّما هو للعلم به، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يُطلق هذا اللَّفظَ؛ فيقول: لفظي بالقُرآن مخلوقٌ، ومَن فعلَه فهو مُبتدعٌ، وعليه أنْ يتوبَ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

=

يَقْرَأُ وَيُصَلِّي قَالَ: «لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». وَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ».
وأخرجه البخاريُّ (٥٠٤٨)، ومسلمٌ (٧٩٣)، بلفظ: «يَا أَبَا مُوسَىٰ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

(١) أخرجه النَّسائيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (٨٠٠٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» تحت حديث (٣٥٣٢): «إسنادُه صحيحٌ». والتَّحبيرُ: هو تحسين القراءة وتزيينها.

(٢) الحسين بن عليٍّ الكرابيسيُّ البغداديُّ، الفقيهُ صاحب الشَّافعي، صدوقٌ فاضلٌ، تكلَّم فيه أحمد لمسألة اللَّفظ، مِن الحادية عشرة، مات سنةَ خمس أو ثمان وأربعين. «التَّقريب» (١/ ٢١٧) (١٣٤٢).

(٣) أخرَج إبراهيم الحربيُّ في «رسالة في أنَّ القُرآنَ غيرُ مخلوقٍ» (ص٣٦) (٣)، وابنُ بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (٥/ ٣٢٩) (١٢٩) عن محمَّد بن الحسن بن بدينا قال: سألتُ أبا عبدِ الله أحمدَ بن مُحمَّد بن حنبل فقلتُ: يا أبَا عبدِ اللهِ، أنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَوْصِلِ، الغَالِبُ عَلَىٰ أَهْلِ بَلَدِنَا الْجَهْمِيَّةُ، وَفِيهِمْ أَهْلُ سُنَّةٍ نَفَرٌ يَسِيرٌ مَحْبُوكٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ مَسْأَلَةُ الكَرَابِيسِيِّ فَأَفْتَنَتْهُمْ، قَوْلُ الكَرَابِيسِيِّ: لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. فَقَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ: «إِيَّاكَ إِيَّاكَ إِيَّاكَ، وَهَذَا الكَرَابِيسِيَّ، لَا تُكَلِّمْهُ، وَلَا تُكَلِّمْ مَنْ يُكَلِّمُهُ، أَرْبَعَ مِرَارٍ أَوْ خَمْسًا»، إِنَّ فِي كِتَابِي أَرْبَعًا، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فَهَذَا القَوْلُ عِنْدَكَ مَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ يَرْجِعُ إِلَىٰ قَوْلِ جَهْمٍ؟ قَالَ: «هَذَا كُلُّهُ قَوْلُ جَهْمٍ». وانظر: «السُّنَّة» لعبدِ الله بن أحمدَ بن حنبل الشَّيباني (١/ ١٦٥) (١٨٦).

الإيمانُ برؤيةِ اللهِ في الآخرة

وَالإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ يومَ القِيَامَةِ(١) كَمَا رُوِيَ(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ.

الشرح:

الأدلَّة علىٰ رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرةِ منها: قول الله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد فُسِّرَت الزِّيادةُ بأنَّها رؤيةُ المُؤمنين لربِّهم يومَ القيامةِ؛ كما في حديثِ صُهَيب(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤).

ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

---

(١) النَّاسُ في موضوعِ الرُّؤيةِ ينقسمون إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

١ - المُعتزلة أنكروا الرُّؤية في الدُّنيا والآخرة.

٢ - الصُّوفيَّة أثبتُوا الرُّؤية في الدُّنيا والآخرة.

٣ - أهل السُّنَّة والجماعة - وهم الوسطُ - نفَوا الرُّؤية في الدُّنيا، وأثبتُوها في الآخرة للمُؤمنين.

(٢) قال شيخنا أحمد بن يحيىٰ النجميّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ينبغي ألَّا تُذكَر أحاديثُ الرُّؤيةِ بهذه الصِّيغةِ (رُوي) الَّتي هي صيغةُ التَّمريض عند المُحدِّثين؛ لأنَّ أحاديثَ رُؤيةِ المُؤمنين لربِّهم في الآخرةِ أحاديثُ ثابتةٌ لا شكَّ فيها، فليُعلمْ ذلك، وبالله التَّوفيقُ».

(٣) صُهيب بن سنان، أبو يحيىٰ الرُّوميُّ، أصلُه مِن النَّمر، ويقال: كان اسمُه عبد الملِك، وصهيبٌ لقبٌ، صحابيٌّ شهيرٌ، مات بالمدينة سنة ثمانٍ وثلاثين في خِلافةِ عليٍّ، وقيل قبل ذلك، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ٤٤١) (٢٩٦٥).

(٤) يُشيرُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما رواه مُسلمٌ (١٨١)، عن صُهيب عن النَّبي ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ» وزاد: ثُمَّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله ﷺ في الحديثِ الصَّحيح: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١).

وأحاديثُ أخرىٰ قد وردت في الموضوع يمكن أنْ تكون مِن المُتواتر معنًىٰ، وهي تفيدُ كلّها رؤية المؤمنين لربِّهم يوم القيامة كما يرَون القمرَ ليلةَ البدرِ صحْوًا بدون سحابٍ(٢)، وكما يرَون الشَّمسَ في الظَّهيرةِ صحوًا بدون سحابٍ(٣)، وهذا تشبيهٌ للرُّؤية بالرُّؤية، لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، فالشَّمسُ والقمرُ مخلوقاتٌ مِن خلْقِ اللهِ، وإنَّما ذلك تمثيلٌ للرُّؤية بالرُّؤية لكي تكون معقولةً، فكما أنَّ رؤية القمر ورؤية الشَّمس بدون سحاب رؤية مِن غير إحاطة، فكذلك رؤية الله في الآخرة رؤية من غير إحاطة.



---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٥٤)، ومسلمٌ (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله البجليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقولُه: «**لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» أي: لا ينالُكم ضيمٌ، أي: تعبٌ أو ظلمٌ، ومعناه: لا يَشتبهُ عليكم، وترتابون فيه، فيعارض بعضكم بعضًا في رؤيته.

(٢) يُشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٣) يشيرُ الشَّيخُ إلىٰ حديث أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاريّ (٧٤٣٩)، ومسلمٌ (١٨٣).

رُؤيةُ النَّبيِّ ﷺ ربَّه

وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد رَأَىٰ رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ(١) عَن عِكرِمَةَ(٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ(٣)، وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ(٤) عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَواهُ عَلِيُّ بنُ زَيدِ بنُ جَدعَان(٥) عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ(٦) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالْحَدِيثُ عِنْدَنَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

---

(١) قتادةُ بن دعامةَ بن قتادة السَّدوسيّ، أبو الخطَّاب البصري، ثقةٌ ثبتٌ، يقال: وُلد أكمه، وهو رأس الطَّبقة الرَّابعة، مات سنة بضع عشرة، روىٰ له الجماعةُ. «التقريب» (٢/ ٢٦) (٥٥٣٥).

(٢) عكرمةُ بن عبد الله، مولىٰ ابن عبَّاس، أصلُه بربريٌّ، ثقةٌ ثبتٌ، عالمٌ بالتَّفسير، لم يثبت تحديثُه عن ابن عُمر ولا يثبت عنه بدعةٌ، مِن الثَّالثة، مات سنةَ سبع ومائة، وقيل بعد ذلك، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريب» (١/ ٦٨٥) (٤٦٨٩).

(٣) عبد الله بن عباس، ابن عمِّ رسولِ الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسولُ الله بالفهم في القُرآن، فكان يسمىٰ البحر والحبر لسعةِ عِلمه، ماتَ سنةَ ثمانٍ وستِّين بالطَّائف، وهو أحدُ المُكثرين مِن الصَّحابة وأحد العبادلةِ. «التَّقريب» (١/ ٣٠٩) (٣٤٠٩).

(٤) الحكَم بنُ أبان العدني أبو عيسىٰ، صدوقٌ عابدٌ، وله أوهامٌ، من السَّادسة، مات سنة أربع وخمسين، وكان مولدُه سنة ثمانين. «التَّقريب» (١/ ٢٣٠) (١٤٤٤).

(٥) عليُّ بن زيد بن عبد الله بن زُهير بن عبد الله بن جدعان التيميّ البصريّ، أصلُه حجازيٌّ، وهو المعروف بعليّ بن زيد بن جدعان، يُنسب أبوه إلىٰ جدِّ جدِّه، ضعيفٌ من الرَّابعة، مات سنة إحدىٰ وثلاثين، وقيل قبلَها. «التَّقريب» (١/ ٦٩٤) (٤٧٥٠).

(٦) يوسف بن مهران البصريّ، وليس هو يوسف بن ماهك، ذاك ثقةٌ، وهذا لم يروِ عنه إلَّا ابنُ جدعان، هو ليِّن الحديث، مِن الرَّابعة. «التَّقريب» (٢/ ٣٤٦) (٧٩١٥).

الشرح:

قلتُ: رؤيةُ النَّبيِّ ﷺ لربِّه في الدُّنيا فيها أحاديثُ مُختلفةٌ؛ منها ما رواه مسروق[(١)] عن عائشة[(٢)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قال: «**كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ**[(٣)]، **قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ. فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي**[(٤)]، **وَلَا تُعْجِلِينِي أَلَمْ يَقُلِ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟ **فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، **أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]؟

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

---

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، الكوفيُّ، ثقةٌ فقيهٌ عابدٌ، مخضرمٌ مِن الثَّانية، مات سنة اثنين، ويقال سنة ثلاث وستِّين، روى له الجماعة. «التَّقريب» (٢/ ١٧٥) (٦٦٢٢).

(٢) عائشة بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق، أمُّ المؤمنين، أفقهُ النَّاس مُطلقًا، وأفضلُ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ إلَّا خديجة، ففيها خلافٌ شهيرٌ، ماتت سنة سبع وخمسين على الصَّحيح، روى لها الجماعة. «التَّقريب» (٢/ ٦٥١) (٨٦٧٩).

(٣) **الفرية**: الافتراءُ بالكذِب والكلام المُختلَق.

(٤) **أنظريني**: مِن الإنظار، وهو التَّأخيرُ والإمهال.

رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]؟

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، واللهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]»[١].

وفي حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢]: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ!!**»، وفي روايةٍ: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[٣]، وفي هذين الحديثين دليلٌ لمَن قال بعدم الرُّؤية مِن النَّبيِّ ﷺ لربِّه ليلةَ الإسراءِ.

أمَّا ما أخرجَه التِّرمذيُّ مِن طريقِ مُجالدٍ[٤] عن الشَّعبيِّ[٥] قال: «لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا[٦] بِعَرَفَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَكَبَّرَ حَتَّىٰ جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَىٰ؛ فَكَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم - واللفظ له - (١٧٧).

(٢) جندب بن جُنادة علىٰ الصَّحيح، أحد السَّابقين الأوَّلين، أسلمَ في أوَّل المبعثِ، خامس خمسة، ثُمَّ رجع إلىٰ بلاد قومه، ثُمَّ بعد ذلك هاجر إلىٰ المدينة، وكان رأسًا في العلم والزُّهد والجهاد وصِدْقِ اللَّهجةِ والإخلاص، توفي سنة اثنين وثلاثين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. «التّذكرة» (١/ ١٨).

(٣) أخرجهما مسلم (١٧٨).

(٤) مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، ليس بالقويِّ، وقد تغيَّر في آخرِ عمره، مِن السَّادسة مات سنة (١٤٤هـ). «التَّقريب» (٦٤٧٨).

(٥) عامر بن شراحيل الشَّعبي -بفتح المعجمة-، أبو عمرو، ثقةٌ مشهورٌ فقيهٌ فاضلٌ، مِن الثَّالثة، قال مكحولٌ: ما رأيتُ أفقهَ منه، مات بعد المائة، وله نحوٌ مِن ثمانين، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (٣٠٩٢).

(٦) كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار ثقة من الثَّانية مخضرمٌ كان من أهل اليمن فسكن الشَّام، مات في خلافة عثمان، وقد زاد علىٰ المائة، وليس له في البخاري روايةٌ، وفي مُسلم رواية لأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من طريق الأعمش عن أبي صالح. «التَّقريب» (٥٦٤٨).

مُوسَىٰ مَرَّتَينِ، وَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَينِ»[(١)]، فهو موقوفٌ علىٰ ابن عبَّاس، وقد ورَد في بعض رواياته أنَّه رآه بفؤادِه[(٢)].

وفي «فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» قوله: «وأمَّا الرُّؤيةُ فالَّذي ثبت في الصحيح عن ابنِ عبَّاس أنَّه قال: «**رَأَىٰ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَينِ**»، وعائشةُ أنكرتْ الرُّؤيةَ.

فمِنَ النَّاس مَن جمَع بينهما؛ فقالَ: عائشةُ أنكرَتْ رؤيةَ العينِ، وابن عبَّاس أثبت رؤيةَ الفُؤاد» فلا تعارض.

قال: «والألفاظُ الثَّابتةُ عن ابنِ عبَّاس هي مُطلقةٌ أو مُقيَّدةٌ بالفُؤادِ؛ تارةً يقولُ: رأَىٰ مُحمَّدٌ ربَّه، وتارةً يقولُ: رآهُ محمَّدٌ، ولمْ يَثبُتْ عن ابن عبَّاس لفظٌ صريحٌ بأنَّه رآه بعينِه.

وكذلك الإمامُ أحمدُ تارةً يُطلِقُ الرُّؤيةَ، وتارةً يقولُ: رآهُ بفُؤادِه، ولم يقُل أحدٌ: إنَّه سمع الإمامَ أحمدَ يقولُ: رآه بعينه؛ لكنَّ طائفةً مِن أصحابِه سمعُوا بعض كلامه المُطلق، ففهمُوا منه رُؤية العَينِ؛ كما سمعَ بعضُ النَّاس مُطلقَ كلامِ ابن عبَّاس ففَهِمَ رُؤيةَ العينِ، وليس في الأدلَّة ما يقتضِي أنَّه رآه بعينه، ولا ثبتَ ذلك عن أحدٍ مِن الصَّحابةِ، ولا في الكتابِ والسُّنَّة ما يدلُّ علىٰ ذلك، بل النُّصوصُ الصَّحيحةُ علىٰ نفيه أدلُّ؛ كما في «صحيح مسلم» عن أبي ذرٍّ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فقال: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**».» انتهىٰ[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨)، وضعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف الترمذي» (ص٤١٨).

(٢) يشير الشَّيخُ إلىٰ ما أخرجه مُسلم في كتاب الإيمان، باب: معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٧٦)، عن أبي العالية عن ابن عبَّاس قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قال: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَينِ»، وسيأتي الكلام عن هذا الحديثِ في نصِّ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي ذِكرُه.

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/٥٠٩-٥١٠).

قلتُ: معنىٰ «أَنَّىٰ أَرَاهُ» أي: كيف أراه؟! وهي كلمةُ استبعادٍ؛ يعني: أنَّ النُّورَ حالَ دون رُؤيتِه.

ومِن أجْلِ ذلكَ حصَل الخِلافُ في رؤية النَّبيِّ ﷺ لربِّه ليلةَ الإسراءِ، وبالله التوفيق.



الإيمانُ بالميزانِ يوم القيامةِ

وَالإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: يُوزَنُ الْعَبدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَ: تُوزَنُ أَعمَالُ العِبَادِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

وَالإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ، وَالإِعرَاضُ عَمَّن رَدَّ ذَلِكَ، وَتَرْكُ مُجَادَلَتِهِ.

الشرح:

اختلفَ أهلُ العلم في وزنِ الأجسام، بعْد اتِّفاقهم علىٰ وزن الأعمالِ.

قلتُ: والصَّحيحُ أنَّ الأجسامَ تُوزنُ كما تُوزنُ الأعمالُ، ومِن الأدلَّة علىٰ ذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**، وَقَالَ: اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»[1].

وكذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ حين كان عبدُ الله بنُ مسعود يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[2].

أمَّا وزنُ الأعمالِ فقدْ دلَّت عليه أحاديثُ كثيرةٌ؛ منها حديثُ البطاقةِ[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥). من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وابن حبَّان (٧٠٦٩). وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٧٥٠) و(٣١٩٢).

(٣) **البطاقة:** هي رقعةٌ صغيرةٌ يثبتُ فيها مقدار ما يجعلُ فيه؛ إنْ كان عينًا فوزنُه أو عددُه، وإنْ كان متاعًا فثمنُه، قيل: سُمِّيَتْ بذلك لأنها تُشدُّ بِطَاقةٍ من الثّوب، فتكونُ الباءُ حينئذٍ زائدةً، وهي كلمةٌ كثيرةُ الاستعمالِ بمصرَ. «النِّهاية في غريب الحديث» (١/ ١٣٥).

وغيره[(١)].

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وحديث: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[(٢)].

وحديث: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[(٣)] وهذه أحاديث صحيحة؛ وقد كذَّبت بالمِيزانِ وعذابِ القبرِ المُعتزلةُ، أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فإنَّهم يُؤمنون بذلك.



(١) حديث البطاقة أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٣٩)، وابنُ ماجه (٤٣٠٠). ولفظه: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ». وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٣٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذيُّ (٢٠٠٣)، عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، وتمامه: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ». وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٧٢٦).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٦٤٠٦)، ومُسلمٌ (٢٦٩٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تكليمُ الله لِعباده يوم القِيامةِ، والإيمانُ بالحَوض

وَأَنَّ الله تَعَالَىٰ يُكَلِّمُ العِبَادَ يومَ القِيَامَةِ لَيس بينَهُم وَبينَهُ ترجُمَانٌ؛ وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ الله ﷺ حوضًا يومَ القِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتُهُ، عَرضُهُ مِثلُ طُولِهِ مَسِيرَة شَهرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا صَحَّت بِهِ الأَخبَارُ مِن غَيرِ وَجهٍ.

الشرح:

قوله: «وَأَنَّ الله تَعَالَىٰ يُكَلِّمُ العِبَادَ يومَ القِيَامَةِ لَيس بينَهُم وَبينَهُ ترجُمَانٌ؛ وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ»، وممَّا يدلُّ علىٰ ذلك ما جاء في الحديث الصَّحيح: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»[١].

وقولُه: «وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ...»، من الأخبار في حوض النَّبيِّ ﷺ ما رواه البخاريُّ[٢] عن جماعةٍ من الصَّحابةِ؛ منهم أبو هريرة وأسماءُ بنت أبي بكر[٣] وغيرهما، وكلّها تفيدُ أنَّ للنَّبيِّ ﷺ حوضًا يَردُ عليه فيه المؤمنون، ويُذادُ عنه

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٥٣٩)، ومسلمٌ (١٠١٦). من حديث عديّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظُر: «صحيح البخاريّ»، باب: في الحوض، أحاديث (٦٥٧٥) إلىٰ (٦٥٩٣).

(٣) أسماء بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق زوجة الزُّبير بن العوَّام، مِن كبار الصحابة، عاشت مائة سنة، وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين، روىٰ لها الجماعة. «التَّقريب» (٢/ ٦٢٨) (٨٥٧١).

أهلُ الفُجورِ مِن أُمَّته.

ومِن ذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ حَتَّىٰ إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَأَقُولُ إِلَىٰ أَيْنَ؟ فَيَقُولُ: إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[1]، والأحاديثُ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.



(١) أخرجه البخاريُّ (٦٥٧٦)، ومسلمٌ (٢٢٩٧)، مِن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ولفظه عند البخاري: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

الإيمان بعذاب القبر

وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبْرِ.

الشرح:

عذابُ القبر أو نعيمه هو شيءٌ لا يعلمُه إلَّا اللهُ، يتألَّم منه الميِّت أو يتنعَّم، فعذابُ القبر ونعيمُه قد ثبَت بنصوصٍ مُتعدِّدةٍ، تبلغُ حدَّ التَّواتر، وإن لم تصل إلىٰ حدّ التواتر فهي من المستفيض.

فقدْ جاءَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لَولا أَلَّا تَدَافَنُوا؛ لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»(١).

وفي الصَّحيحين أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بقبرَينِ فقالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»، ثُمَّ دعا بغُصنِ شجرةٍ أخضر، وغرَس علىٰ كلِّ قبرٍ واحدةً، ثُمَّ قال: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(٢). وفي حديثِ البراء بن عازب ما يدلُّ علىٰ ذلك(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧). من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢١٦)، ومسلمٌ -واللفظ له- (٢٩٢). مِن حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) وطرَفه قال: «**خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْقَبْرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَىٰ رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثَلاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا**» الحديث، أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٥) (١٨٦٣٧)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، بابٌ في المسألةِ في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «أحكام الجنائز» انظر: (ص١٥٦ - ١٥٩).

وكذلك في نعيم القبرِ ما ورَد عن أهلِ البرزخ: «أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَكُونُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مَعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ»(١) إلى غير ذلك مِن الأدلَّة علىٰ نعيم القبرِ وعذابِه.

وقد زعَم قومٌ بأنَّ عذابَ القبرِ لا يُتصوَّرُ؛ حيثُ لا تتصوَّرُه عقولُهم، فهُم يقولون: لو بحثْنا عن أحدٍ مِن المقبورين لوجدْنا عظامَه باليةً، ولم نَجِدْ شيئًا مِن علاماتِ النَّعيم أو العذاب، وهذا رأيُ المعتزلةِ ومَن قال بقولهم في عصرنا الحاضر كجماعة التَّحرير(٢).

---

(١) أخرج مسلم (١٨٨٧)، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً» الحديث.

(٢) حزب التَّحرير: حزبٌ سياسيٌّ أسَّسه تقيُّ الدِّين النَّبهانيِّ، فلسطينيٌّ، تقومُ دعوتُه علىٰ وُجوبِ إعادةِ الخِلافة الإسلاميَّة، مُعتمدًا الفكر أداةً رئيسيَّةً في التَّغيير، وقدْ صدرَتْ عنه انحرافات كانتْ محلَّ انتقادِ جمهرةِ عُلماءِ المُسلمين؛ منها تركيزُهم علىٰ النَّواحي الفِكريَّة السِّياسيَّة، وإعطاء العقل أهمِّيَّةً زائدةً في بناءِ الشَّخصيَّة وفي الجوانب العقائديَّة، وتخلِّيهم عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر حاليًا، ومُعاداتهم لجميع الأنظمة الَّتي يتحرَّكون فوق أرضِها، ممَّا ورَّطهم بحملات اعتقالاتٍ دائمةٍ ومُستمرَّةٍ، ولعلَّ السِّرِّيَّةَ الشَّديدة، وطموحهم للوصول إلىٰ الحكم؛ هو السَّبب في تخوُّف الأنظمةِ منهم، وملاحقتهم دون هوادةٍ.

وهنالك قضايا فقهيَّة غريبةٍ أصدرها وألزم أتباعَه بتبنِّي هذه الأحكام والعمل علىٰ نشرها؛ ومِن ذلك: إباحتُه النَّظرَ إلىٰ الصُّور العاريةِ، وجواز أنْ يكون القائدُ في الدَّولةِ المُسلمةِ كافرًا، وجواز دفع الجزية مِن قبَل الدَّولة المُسلمة للدَّولة الكافرة، وقوله بسُقوط الصَّلاة عن رجُلِ الفضاءِ المُسلم، وسقوط الصَّلاة والصَّوم عن سُكان القُطبَين، وإباحته تقبيلَ المرأة الأجنبيَّة بشهوةٍ وبغير شهوةٍ، وكذلك مُصافحتها، وغير ذلك من الدَّواهي والمُنكرات الَّتي خالف فيها أهلَ السُّنَّة والجماعة السَّلف الصَّالح - رضوان الله عليهم - «الموسوعة الميسَّرة» (ص١٣٥-١٤٠) باختصارٍ وتصرُّف.

وقد اختلفَ أهلُ العلمِ هل العذابُ علىٰ الرُّوح فقط؟ أو علىٰ الجسم فقط؟ أو عليهما معًا؟ والأقرب إلىٰ الصَّوابِ أنَّ العذابَ والنَّعيم يكونان علىٰ الرُّوح، وأنَّ الجسدَ ينالُه مِن ذلك العذاب أو النَّعيم ما ينالُه[1].



(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهبُ سلفِ الأمَّة وأئمَّتِها: أنَّ العذابَ أو النَّعيمَ يحصلُ لرُوح الميِّت وبَدنِه، وأنَّ الرُّوحَ تبقىٰ بعد مُفارقةِ البدنِ منعَّمةً أو مُعذَّبةً، وأنَّها تتَّصلُ بالبدن أحيانًا فيحصلُ له معها النَّعيمُ أو العَذابُ». «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٣٦٤).

الإيمانُ بالبرزخِ وما يكونُ فيه

وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسأَلُ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسلَامِ، وَمَن رَبُّهُ؟ وَمَن نَبِيُّهُ؟ وَيَأْتِيهِ مُنكَرٌ وَنكِيرٌ كَيفَ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَكَيفَ أَرَادَ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

الشرح:

سُؤالُ مُنكرٍ ونكيرٍ ثبتَ في حديث البراء بن عازب(١) وغيره(٢)، وأنَّ العبدَ إذا ماتَ ودُفنَ في قبره يأتيه ملكان؛ أحدُهما يقالُ له: مُنكرٌ، والآخر نكيرٌ، وأنَّهما يسألانِه، فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعث فيكم؟ فيقولُ المُؤمن: اللهُ ربِّي، والإسلامُ ديني، ومحمَّدٌ ﷺ نبيِّي، فيقولان له: نَمْ قدْ علمْنَا إنْ كنتَ لمُؤمنًا، ويُفتحُ له بابٌ إلىٰ النَّار، ويقالُ له: هذا منزلُك لو كنتَ كفرْتَ، ثُمَّ يُفتحُ له بابٌ إلىٰ الجنَّة، ويُقالُ له: هذا منزلُك غدًا إنْ شاءَ اللهُ، فيقولُ: ربِّ أقمِ السَّاعةَ، ربِّ أقمِ السَّاعةَ، أمَّا الكافرُ أو المُنافق فيقولُ: هاه هاه لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقلتُه، ثُمَّ يُضربُ بمطرقةٍ لو ضُربَ بها جبلٌ لصار ترابًا، فيصيحُ صيحةً يسمعُها كلُّ مَن خلَقَ اللهُ إلَّا الجنَّ والإنسَ، ولو سمعها الجني أو الإنسي لمات. وهو جزءٌ مِن عذابِ القبرِ.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) كحديث أبي هريرة عند التِّرمذيِّ في أبواب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٠٧١)، ولفظه: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ** -أو قال: **أَحَدُكُم**- **أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» الحديث. وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٣٩١).

الإيمانُ بخروج الموحّدين من النار

وَبِقَومٍ يَخرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعدَمَا احتَرَقُوا، وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤمَرُ بِهِم إِلَىٰ نَهرٍ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ - كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ - كَيفَ شَاءَ الله، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

الشرح:

هذا يدلُّ علىٰ أنَّ المُعَذَّبين مِن المُسلمين يموتون في النَّار، أمَّا غيرُهم فإنَّهم لا يموتون فيها ولا يَحيَون، ونهر الحياة (أو: الحيا) داخل باب الجنَّة، يُوضعون عليه، فينبتون كما تنبتُ الحبَّة في حميل السَّيل[1].

وقد أنكر الشَّفاعةَ الخَوارجُ والمُعتزلةُ القائلون بتخليد أصحاب الكبائر مِن المُسلمين في النَّار.

---

(١) قال ابن الأثير: «وهو ما يجيء به السَّيل؛ مِن طينٍ أو غُثاءٍ وغيره، (فَعِيل) بمعنىٰ (مَفعُول)، فإذا اتَّفقَتْ فيه حبَّة، واستقرَّتْ علىٰ شطِّ مجرىٰ السَّيل فإنَّها تَنبُتُ في يومٍ وليلةٍ، فشبّه بها سُرعة عَودِ أبدانِهم وأجسامِهم إليهم بعد إحراقِ النَّار لها». «النِّهاية» (١/ ٤٤٢).

والحديث أخرجه البخاريُّ (٦٥٦٠) عن أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ - أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ -، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً». و«الحِبَّة»: بِزرُ البقولِ والعُشب تَنبتُ في البراري وجوانبِ السُّيولِ. «شرح النَّووي علىٰ مسلم» (٣/ ٢٣). و«حميَّة السَّيل»: مُعظمُ جريه واشتِداده. «عمدة القاري» للعيني (٢٣/ ١٢٤).

خروج المسيح الدَّجَّال

وَالإِيمَانُ أَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكتُوبٌ بَينَ عَينَيهِ «كَافِرٌ»، وَالأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ.

الشرح:

المسيحُ الدَّجَّالُ يشتركُ مع المسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في اسم: المسيح، والفارق بينهما ما يأتي بعد الإضافة، فيقال في الدَّجَّال: المسيح الدَّجَّال، ويُقالُ في عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: المسيحُ عيسىٰ ابنُ مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أُخذَ اسمُ المسيح له[1] كما يقول أهل العلم؛ إمَّا مِن كونه يمسحُ الأرضَ جميعًا في الأيَّام الَّتي حدِّدت له، وإمَّا لكون عينه اليُمنىٰ ممسوحةً[2].

وقد جاءتْ في صفتِه أحاديثُ، وفي خُروجه، وما معه مِن الفتنة، وأنَّ معه جنَّةً ونارًا، وأنَّه يأمرُ السَّماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، إلىٰ آخر ما ذُكر فيه، وأنَّه يكونُ فتنةً للنَّاس، فيدعوهم إلىٰ الإيمان به، ويقولُ لهم هو ربُّهم[3].

---

(١) أي المسيح الدَّجال.

(٢) **انظر**: «شرح المشكاة» للطِّيبيِّ (٣/ ١٠٤٩)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٧٢).

(٣) مِن الأحاديثِ الواردةِ فيه ما أخرجه مُسلمٌ (٢٩٣٧)، عن النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ**

وقد جاء في الحديثِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الدَّجَّالَ، وَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ فِيهِ نَبِيٌّ قَبْلِي: إِنَّهُ أَعْوَرُ، عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).



=
الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ...».

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. ولفظه: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

نزولُ عيسى ابنِ مريم

وَأَنَّ عِيسَىٰ ابنَ مَريَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنزِلُ فَيَقتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

الشرح:

قد جاءَ في صفة نُزولِ عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ المُسلمين بينما يكونون منتظرين صلاة الفجر ينزل عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في مَهْرُودَتَينِ[1]، واضعًا كفَّيه علىٰ أجنحةِ ملكَينِ، فيأتي وقد أُقيمَتْ الصَّلاةُ، فيقولُ له المهديُّ: تقدَّم يا روح الله. فيقولُ: أئمَّتكُم منكم، ثُمَّ يخرجُ يتبعُ الدَّجَّال، وفي يده حربةٌ، فيُدركه بباب لُدٍّ[2] فيطعنه بها، ثم يأتي إلىٰ المؤمنين فيهنِّئهم ويُخبرُهم بمنازلهم في الجنَّة[3]، وقد ورد أنَّه يتزوَّج بنت المهدي الَّذي يوطِّئ له[4].

---

(١) **المَهْرُودتانِ**: قال النَّوويُّ في «شرح مسلم»: «وأمَّا المهرودتان؛ فرُويَ بالدَّال المهملة، والذَّال المعجمة، والمُهملةُ أكثرُ، والوجهان مشهوران للمُتقدِّمين والمتأخِّرين مِن أهل اللُّغة والغريب وغيرهم، وأكثرُ ما يقع في النُّسَخ بالمُهملة، كما هو المشهورُ، ومعناه: لابسٌ مهرودتَين؛ أي: ثوبين مصبوغين بوَرْس، ثُمَّ بزعفرانٍ، وقيل: هما شُقَّتانِ، والشُّقَّةُ نصفُ الملاءة». (١٧/ ٢٧١).

(٢) **بابُ لُدٍّ**: هو بضمِّ اللَّام وتشديد الدَّال، مصروفٌ، وهو بلدةٌ قريبةٌ مِن بيتِ المقدس. «شرح مسلم» للنَّوويّ (١٧/ ٢٧١).

(٣) **انظُر**: «صحيح مسلم» (٢٩٣٧)، من حديث النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. و«مسند أحمد» (٣/ ٣٦٧ قرطبة) (١٤٩٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرج ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٩١٥ الكتب العلميَّة) (١٥٢٩) عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**ينزلُ عيسَىٰ ابنُ مريمَ إلىٰ الأرضِ، فيتزوَّجُ، ويُولدُ لهُ**». وقال: «هذا حديثٌ لا يصحُّ، والإفريقيُّ ضعيفٌ بمرَّة». وقال الألباني في «الضَّعيفة» (٦٥٦٢): «منكرٌ».

الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقص

وَالإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا»(١).

الشرح:

الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، خِلافًا للمُرجئة(٢) القائلين بأنه لا يزيد ولا ينقص، والَّذين يزعمون بأنَّ إيمانَ الفُسَّاق مِن المُسلمين وإيمان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سواء، هذا باطل، وقد دلَّ علىٰ زيادة الإيمان آياتٌ مِن القُرآن. قال تعالىٰ في سورة (المدَّثر): ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المدَّثر: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات. وقد قرَّر السَّلفُ بأنَّ ما يقبل الزِّيادة يقبل النَّقص.

وممَّا يدلُّ علىٰ تفاضُل الإيمانِ قولُه ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةَ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَونَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والتِّرمذيُّ (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧ قرطبة) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» رقم (٢٨٤).

(٢) المرجئة سمُّوا بذلك لقولهم بالإرجاء، وهم الَّذين يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا ينفع مع الكفر طاعةٌ، وقدْ افترقتْ علىٰ ثمان عشرةَ فرقة، انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٣٤)، و«عقائد الثَّلاث والسَّبعين فرقة» (١/ ٢٧١)، وانظر: «مقالات الإسلاميِّين» (١/ ١١٤ فما بعدها)، و«الفرق بين الفرق» (ص١٩٠ فما بعدها)، و«الملل والنِّحل» (١/ ١٣٩).

غَيْرُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»[١].

وممَّا يدلُّ على ذلك أيضًا أحاديثُ الشَّفاعة؛ وأنَّ الله تعالىٰ يقولُ لملائكتِه: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ خَيرٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ - وفي روايةٍ: مِنْ إِيمَانٍ -، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ..... إِلَىٰ أَنْ قَالَ: أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»[٢]، فهذا يدلُّ على التَّفاضل في الإيمان، وكذلك المنازل المختلفة في الجنَّة.



(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٧٤٣٩) و(٧٥١٠)، وصحيح مسلم في (١٨٣) و(١٩٣).

تَرْكُ الصَّلاةِ كُفر

وَمَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ، وَلَيسَ مِنَ الأَعمَالِ شَيءٌ تَركُهُ كُفرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ؛ مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَد أَحَلَّ اللهُ قَتْلَهُ.

الشرح:

هذا نصُّ حديثٍ ورَد عن النَّبيِّ ﷺ من طريق بُريدةَ بن الحُصيب[(١)] عند أصحاب السُّنن بسندٍ صحيحٍ، ومن طريق جابرٍ عند مُسلم؛ ولفظُ حديث بُريدة: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[(٢)]، ولفظُ حديث جابرٍ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[(٣)].

وعن عبدِ الله بن شَقيقٍ العُقَيليِّ[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «مَا كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةُ»[(٥)].

وقد أوردَه هنا بقوله: و«ليس مِن الأعمال شيءٌ تَركُه كُفرٌ إلَّا الصَّلاة، مَن تركَها فهو كافرٌ، وقد أحلَّ اللهُ قَتْله».

---

(١) بُريدة بن الحُصيب - بمُهملتَين مصغَّرًا - أبو سهل الأسلمي، صحابيٌّ أسلم قبل بدر، مات سنةَ ثلاث وستِّين، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ١٢٤) (٦٦١).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٢١)، والنَّسائيّ (٤٦٣)، وابنُ ماجه (١٠٧٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في «مشكاة المصابيح» (٥٧٤)، و«صحيح الترغيب» (٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم(٨٢).

(٤) عبد الله بن شقيق العُقيليُّ - بالضَّمِّ -، بصريٌّ ثقةٌ، فيه نصبٌ من الثَّالثة، مات سنة ثمان ومائة، روىٰ له البخاري ومسلم والأربعة. «التَّقريب».

(٥) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٢٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب» (٥٦٥).

أفاضلُ الصَّحابة

وَخيرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبيِّهَا؛ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ[(١)]، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ[(٢)]، ثُمَّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ[(٣)]، نُقَدِّمُ هَؤلاءِ الثَّلاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُم أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَم يَختَلِفُوا فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: أَصحَابُ الشُّورَىٰ الخَمسَةُ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ[(٤)]، وَطَلحَةُ[(٥)]،

---

(١) هو عبدُ الله بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرَّة التَّيمي، أبو بكر بن أبي قُحافة، الصِّدِّيق الأكبر، خليفةُ رسولِ الله ﷺ، ماتَ في جمادىٰ الأولىٰ سنةَ ثلاثَ عشرةَ، وله ثلاثٌ وستُّون سنةً، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ٥١٣) (٣٤٧٨).

(٢) هو أميرُ المُؤمنين أبو حفص عُمر بن الخطَّاب بن نُفيل العدويّ، يلتقي نسبُه مع النَّبيِّ ﷺ في عديِّ بن كعبٍ، أسلمَ في السَّنة الخامسة، ولازمَ النَّبيَّ ﷺ، وشهد المشاهد كلَّها، وله فضائلُ جمَّة، ولِيَ الخِلافةَ بعد أبي بكر، ومات في عام (٢٣هـ)، طعنَه أبو لُؤلُؤةَ المجوسيُّ طعنةً وهو يصلِّي صلاة الفجر، توفِّي علىٰ أثرها. «التقريب» (١/ ٧١٥) (٤٩٠٤).

(٣) هو عُثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس الأموي، أميرُ المؤمنين، ذو النُّورَين، أحد السَّابقين الأوَّلين، والخُلفاء الأربعة، والعشرة المبشَّرة، استشهدَ في ذي الحِجَّة بعد عيد الأضحىٰ سنةَ خمسٍ وثلاثين، وكانتْ خلافتُه اثنتَي عشرةَ سنةً، وعُمره ثمانون، وقِيل أكثر، وقِيل أقلّ، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريب» (١/ ٦٦٣) (٤٥١٩).

(٤) عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطلَّب بن هاشم الهاشمي، ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وزوجُ ابنتِه، مِن السَّابقين الأوَّلين، المرجَّح أنَّه أوَّل مَن أسلم، وهو أحدُ العشرة، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذٍ أفضلُ الأحياءِ من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السُّنَّة، وله ثلاثٌ وستُّون سنةً علىٰ الأرجح، روىٰ له الجماعةُ. «التقريب» (١/ ٦٩٦) (٤٧٦٩).

(٥) طلحةُ بن عُبيد الله بن عُثمان بن عمْرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة التَّيميّ، أبو محمَّد المدنيّ، أحدُ العشرةِ، مشهورٌ، استشهدَ يوم الجمَل سنة ستٍّ وثلاثين وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين، روىٰ له الجماعةُ. =

وَالزُّبَيْرُ[١]، وَعَبْدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ[٢]، وَسَعدٌ[٣]، كُلُّهُم يَصلُحُ لِلخِلَافَةِ، وَكُلُّهُم إِمَامٌ. وَنَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ[٤]: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ وَأَصحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ نَسكُتُ»[٥].

ثُمَّ مِن بَعدِ أَصحَابِ الشُّورَىٰ: أَهلُ بَدرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، ثُمَّ أَهلُ بَدرٍ مِنَ الأَنصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَدرِ الهِجرَةِ وَالسَّابِقَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا.

الشرح:

يجبُ علىٰ المُسلمين أنْ يقتفُوا أثر أصحاب رسولِ الله ﷺ في ذلك[٦].

=

«التَّقريب» (١/ ٤٥١) (٣٠٣٨).

(١) الزُّبيرُ بن العوَّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العزَّىٰ بن قصيّ بن كِلاب، أبو عبد الله القُرشيُّ الأسديُّ، أحدُ العشرةِ المشهودِ لهم بالجنَّة، قُتل سنةَ ستٍّ وثلاثين بعد منصرفِه مِن وقعة الجمل، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ٣١٠) (٢٠٠٨).

(٢) عبد الرَّحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة القُرشيّ الزّهريّ، أحد العشرة، أسلَم قديمًا، ومَناقبُه شهيرةٌ، وماتَ سنةَ اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريب» (١/ ٥٨٥) (٣٩٨٧).

(٣) سعدُ بن أبي وقَّاص مالك بن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلَّاب الزُّهري، أبو إسحاق، أحد العشرة، وأوَّل مَن رمىٰ بسهمٍ في سبيلِ الله، ومناقبُه كثيرةٌ، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين علىٰ المشهور، وهو آخر العشرة وفاةً، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ٣٤٦) (٢٢٦٦).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطَّاب العدويّ، أبو عبد الرَّحمن، وُلد بعد المبعث بيسير، واستُصغر يوم أُحدٍ، وهو ابنُ أربع عشرة سنة، وهو أحدُ المُكثرين من الصَّحابة، والعبادلة، وكان مِن أشدِّ النَّاس اتِّباعًا للأثرِ، مات سنةَ ثلاثٍ وسبعين في آخرِها أو أوَّل الَّتي تليها. «التقريب» (١/ ٥١٦) (٣٥٠).

(٥) أخرجه البخاريُّ (٣٦٥٥)، بلفظِ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، وأخرجه أحمدُ (٢/ ١٤) بلفظِ: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ الله ﷺ.. »، وصحَّح إسنادَه الألبانيُّ في «السُّنَّة» لابنِ أبي عاصم (١١٩٥).

(٦) أي: في ترتيب الصَّحابة في الفضل والمنزلةِ، رِضوانُ الله عليهم جميعًا.

فأصحاب الشُّورىٰ المعروف أنَّهم ستَّة، هؤلاءِ الخمسةُ، وسعيد بن زيد[1]، فسعيدُ بن زيدٍ هو أحدُ أهل الشُّورىٰ ولم يُذكر هنا، ولا أدري هل سقط اسمُه مِن بعضِ النُّسَّاخ أو كان الأصل هكذا؟!

ثُمَّ بعْدَ أصحاب الشُّورىٰ أصحابُ العقبة، ثُمَّ أصحابُ بدرٍ؛ مِن المُهاجرين والأنصار، ثُمَّ أصحابُ بيعةِ الرّضوان، ثُمَّ مَن أسلَم مِن قبْل الفتح وهاجر وقاتل، ومَن أسلَم مِن بعد الفتح وهاجر وقاتل، ثُمَّ صغار الصَّحابة، هكذا ترتيبهم في الفضل.



(١) سعيدُ بن زيد بن عمْرو بن نُفيل العدويّ، أبو الأعور، أحد العشرة مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو سنتين، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريبُ» (١/ ٣٥٣) (٢٣٢١).

خيرُ النَّاس القرنُ الَّذي بُعثَ فيه رسولُ الله ﷺ

ثُمَّ أَفضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤلاءِ؛ أَصحَابُ رَسُولِ الله ﷺ القَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِم، كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً، أَو شَهْرًا، أَو يَوْمًا، أَو سَاعَةً، أَو رَآهُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحْبَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَت سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَنَظَرَ إِلَيهِ نَظْرَةً، فَأَدنَاهُم صُحبَةً هُوَ أَفضَلُ مِنَ القَرنِ الَّذِينَ لَم يَرَوهُ، وَلَو لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الأَعمَالِ.

كَانَ هَؤلاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَوهُ وَسَمِعُوا مِنهُ، وَمَن رَآهُ بِعَينِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَو سَاعَةً أَفضَلُ لِصُحبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَو عَمِلُوا كُلَّ أَعمَالِ الخَيرِ.

الشرح:

قلتُ: الدَّليلُ علىٰ تفضيلِ الصَّحابة علىٰ غيرِهم: قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»(١).

فإذا كان إنفاقُ مثل أحدٍ مِن الذَّهب لا يبلغُ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَ المدِّ، فهذا يدلُّ علىٰ فضلٍ كبيرٍ لهم عند الله، فشاهتْ وُجوهٌ تكلَّمتْ في الصَّحابة أو كفَّرتهُم، أو انتقصتْ أحدًا منهم، فنحن نُؤمنُ أنَّ مَن فعَل ذلك فهو مُبتدعٌ ضالٌّ مُضلٌّ، وسيلقىٰ جزاءه بين يدَي ربِّه.

والَّذين انتقصُوا الصَّحابةَ فِرقتان:

الأُولىٰ: فرقةُ الخوارج؛ وهؤلاء لا يُخرجون إلَّا أبا بكر وعُمر، وما عدا الشَّيخَين فهم يُكفِّرونهم بما فيهم عليُّ بنُ أبي طالب ومَن معه الَّذين تستثنيهم

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣)، ومسلمٌ (٢٥٤١). من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه.

الرَّافضة، وهم عددٌ قليلٌ مِن الصَّحابة.

والثَّانية: فرقةُ الرَّافضة، فهؤلاء لا يستثنون إلَّا عليَّ بنَ أبي طالب وعددًا قليلًا معه، منهم: سلمان الفارسيّ[(١)] وعمَّار بن ياسر[(٢)] وأبو ذرّ، وكلُّهم لا يتجاوزون العشرة، وكلُّ مَن عدا هؤلاء فهم عندهم كفَّارٌ؛ بدءًا بأبي بكر وعُمر، وانتهاءً بأدنىٰ رجُل مِن الصحابة، حتىٰ زوجتَي النَّبيِّ ﷺ أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وأم المؤمنين حفصة[(٣)] بنت عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنهما وعن أبويهما -.



(١) سلمان الفارسيُّ؛ أبو عبد الله ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، مِن أوَّل مَشاهدِه الخندقُ، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ ثلثمائة سنة، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ٣٧٥) (٢٤٨٤).

(٢) عمَّار بنُ ياسر بن عامر العَنسيّ -بنون ساكنةٍ بين مُهملتَين-، أبو اليقظان مولىٰ بني مخزوم، صحابيٌّ جليلٌ مشهورٌ من السَّابقين الأوَّلين، بدريٌّ، قُتل مع عليٍّ بصفِّين سنةَ سبع وثلاثين، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريب» (١/ ٧٠٨) (٨١٢١).

(٣) حفصةُ بنتُ عُمر بن الخطَّاب، أمُّ المؤمنين، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد خنيس بن حذافة سنة ثلاث، وماتت سنة خمس وأربعين، روىٰ لها الجماعة. «التَّقريب» (٢/ ٦٣٦) (٨٦٠٩).

طاعة ولاة الأمر

وَالسَّمعُ وَالطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ؛ البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ، وَاجتَمَعَ النَّاسُ عَلَيهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ عَلَيهُم (١) بِالسَّيفِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

الشرح:

قلتُ: بيَّن الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه يجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أنْ يسمعَ ويُطيعَ لمَن ولَّاه الله أمرَ المُسلمين؛ سواء كان هذا الوالي برًّا أو فاجرًا، لقول النَّبيِّ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعُ الأَطْرَافِ(٢)»(٣)، وفي روايةٍ «كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»(٤) والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ ينبغي الرُّجوع إليها في مَظانِّها(٥).



(١) وفي نُسخةٍ: غَلَبَهُمْ.

(٢) أي: مقطوعُها، والمُرادُ: أخسُّ العبيدِ، أي: اسمَعْ وأطِعْ للأميرِ، وإنْ كان دنيءَ النِّسبة، حتَّىٰ لو كان عبدًا أسودَ مقطوعَ الأطرافِ فطاعتُه واجبةٌ.

(٣) أخرج مسلم (٦٤٨ و١٨٣٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ».

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٣ و٧١٤٢). من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) ككتب الحديث والمؤلَّفات في العقيدة الإسلاميَّة.

الجهادُ ماضٍ مع الأمراءِ إلى يوم القيامة

وَالغَزوُ مَاضٍ مَعَ الأُمَرَاءِ إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ - البَرِّ وَالفَاجِرِ - لَا يُترَكُ.

الشرح:

إنَّ الغزوَ مع الإمام، أي مع وليِّ الأمرِ، والصَّلاة خلفَه في الجُمعة والعيدَين، هذه واجبةٌ علىٰ كلِّ مَن تحت يديه أن يقاتلُوا معه الكفَّار، ويقاتلوا معه البُغاة، كما أمَرَ الله عَزَّوَجَلَّ في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ومَن خرج علىٰ الإمام المُتَّبع الَّذي قد خضَع له ولإمارته المسلمون، سواء كانت إمارتُه بمشورةٍ، أو كانت حاصلةً بالتَّغلُّب، ففي هذه الحالة يجبُ طاعتُه، والقتال تحت رايتِه.

ومَن قصَّر في ذلك فهو مسؤولٌ أمامَ اللهِ؛ لأنَّه ترَك واجبًا.



حُقوقُ وُلاةِ الأمرِ

وَقِسمَةُ الفَيءِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ إِلَىٰ الأَئِمَّةِ مَاضٍ، لَيسَ لأَحَدٍ أَن يَطعَنَ عَلَيهِم، وَلَا يُنَازِعَهُم.

الشرح:

قلتُ: في هذه الفقرة بيَّن الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقوقَ وُلاةِ الأمرِ، وأنَّ قسمةَ الفيءِ إليهم، وإقامة الحدود إليهم، ليس لأحدٍ أنْ يستقلَّ بشيءٍ مِن هذه الأمور، فهي مِن حُقوقِهم، وكذلك نصرُ المظلومِ، وقطْعُ الخُصوماتِ، وما أشبهَ ذلك.



مِن حقوقِ الأئمَّة: جبايةُ الصَّدقاتِ

وَدفعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيهِم جائِزَةٌ وَنَافِذَةٌ، مَن دَفَعَهَا إِلَيهِم أجزَأَت عنهُ؛ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا.

الشرح:

ومِن حُقوقِ الأئمَّة: جبايةُ الصَّدقاتِ؛ فجبايةُ الصدقات إلىٰ ولاة الأمورِ، لا يجوزُ أنْ تُدفعَ لأحدٍ سوىٰ وليِّ الأمرِ، أو مَن ولَّاه، ومَن دفعَها إلىٰ غيرِ وليِّ الأمرِ أو مَنْ ولَّاه؛ فعليه أنْ يَقضيَها.



صلاةُ الجُمعة والجماعة والعيدين خلفَ وُلاةِ الأمْر

وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلْفَهُ وَخَلْفَ مَن وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكْعَتَينِ، مَن أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبتَدِعٌ، تَارِكٌ لِلآثَارِ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، لَيسَ لَهُ مِنْ فَضْلِ الْجُمُعَةِ شَيءٌ؛ إِذَا لَم يَرَ الصَّلَاةَ خَلفَ الأَئِمَّةِ - مَنْ كَانُوا - بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم، فَالسُّنَّةُ بِأَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُمْ رَكْعَتَينِ وَيَدِين بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لا يَكُن فِي صَدرِكَ مِن ذَلِكَ شَكٌّ.

الشرح:

وصلاةُ الجُمعةِ والجماعة والعيدَين خلفَ وُلاةِ الأمرِ، كُلُّ ذلك يجبُ أنْ يُفعلَ مع الإمام، ومَن زعَم أنَّ الجُمعةَ لا تصحُّ وراء الإمام الموجود، وإنَّما تصحُّ وراء معصوم مِن آل محمَّد كما هو معلومٌ عند الشِّيعة ومَن تابعَهم في ذلك؛ فإنَّه يُعتبرُ ضالًّا(١).

ولا يجوزُ الاقتداء به في ذلك، ولا يجوز الشَّكُّ في صحَّة صلاةِ الجُمعة ركعتين خلف الإمام؛ برًّا كان أو فاجرًا، هذا ما يراه أهلُ السُّنَّة والجماعة.



---

(١) قال ابن أبي العزِّ الحنفيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه للطَّحاويَّة» (ص٥٥٦): «ولم يقل: إنَّ الإمام يجبُ أنْ يكون معصومًا، والرَّافضة أخسرُ النَّاس صفقةً في هذه المسألة؛ لأنَّهم جعلُوا الإمامَ المعصومَ هو الإمام المعدوم، الَّذي لم ينفعهم في دينٍ ولا دنيا...».

حُكم الخُروج على الإمام المسلم

وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجتَمَعُوا عَلَيه، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ؛ بِالرِّضَا أَو بِالغَلَبَةِ؛ فَقَد شَقَّ هَذَا الخَارِجُ عَصَا المُسلِمِينَ، وَخَالَفَ الآثَارَ عَن رَسُولِ الله ﷺ، فَإِن مَاتَ الخَارِجُ عَلَيهِ؛ مَات مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

الشرح:

لا يجوزُ الخُروجُ علىٰ الإمام المُسلم حتَّىٰ ولو كان عاصيًا لله، ولو كان فاجرًا.

والخُروج ينقسم إلىٰ قسمَين:

١- خروج بالفعل والقتال.

٢- وخروج بالقول والتَّأليب والإثارة علىٰ ذلك الإمام.

وقد جاء في حديث عبادة بن الصَّامت(١) قَالَ: **دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**(٢).

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ ومشهورةٌ؛ منها قولُ النَّبيِّ ﷺ: **«مَنْ خَرَجَ**

---

(١) عُبادة بن الصَّامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدنيّ، أحد النُّقباء، بدريٌّ مشهورٌ، مات بالرَّملة سنةَ أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلىٰ خلافة معاوية، قال سعيد بن عُفير: كان طولُه عشرةَ أشبارٍ، روىٰ له الجماعةُ. «التَّقريب» (١/ ٤٧٠) (٣١٦٨).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

عَلَىٰ السُّلْطَانِ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»[١].

وإنَّ ممَّا يُعدُّ مِن الخُروج: ذكرُ مثالبِ الوُلاة، والطَّعنُ فيهم، والإنكارُ عليهم بين الجموع الحاشدة، والاستهانة بهم؛ لأنَّ هذا ممَّا يُسبِّبُ أخطارًا عظيمةً، وأضرارًا كبيرةً، ومنها عصيان ولاة الأمر، ويُؤدِّي إلىٰ الخُروج الفعليِّ، وإذا حصَل الخروجُ الفعليُّ أُريقَت الدِّماء، وانتُهكت الأعراضُ، وقُطِّعت السُّبل، وأُخيف الآمنون.

فاللهَ اللهَ في أمَّة محمَّد ﷺ يا طلَّاب العلم، لا يخدعنَّكم أصحابُ التَّوجُّهات السِّياسيَّة، فإنَّ دولتَنا[٢] مُسلمةٌ، تهتمُّ بالتَّوحيد وتُحكِّم شرع الله وتنشرُ عدلَه، نسألُ الله أنْ يُوفِّق القائمين عليها إلىٰ كلِّ خيرٍ، ونحنُ لا ندَّعي لها العصمةَ، فالأخطاءُ لابدَّ أنْ تُوجدَ، ولكن يجبُ معالجة الأخطاء بالطُّرق الَّتي يكون فيها نفعٌ بلا ضررٍ؛ كالنَّصائح السِّريَّة، وما إلىٰ ذلك.

ولستُ أُريدُ التَّوسُّع في هذا الباب، وإنَّما هي إشاراتٌ نقولها ونُنبِّه بها علىٰ أخطاء المُبتدعين لعلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ ينفع بها مَن ينفعُ، وأنْ يَقِينا بهذه الأسباب شرَّ البِدَع والمُبتدِعين؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ.



(١) أخرج البخاريُّ (٧٠٥٣)، ومسلمٌ (١٨٤٩)، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(٢) المقصود بها دولة المملكة العربية السعوديَّة - حرسها الله -.

حرمة قتال السلطان والخروج عليه

وَلا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلطَانِ، وَلا الخُرُوجُ عَلَيهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبتَدِعٌ عَلَىٰ غَيرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

الشرح:

لقدْ أمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ بطاعةِ السُّلطان ما دام مَحكومًا له بالإسلام، ولا يجوزُ الخروجُ عليه حتَّىٰ ولو ظلَم، ولو ضرَب الظَّهر وأخَذ المالَ؛ لِقول النَّبيِّ ﷺ في حديثِ حذيفة[(١)]: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»[(٢)]، ولا يجوزُ الخروجُ عند أهل السُّنَّة والجماعة إلَّا أنْ يرىٰ الخارجُ كُفرًا بواحًا معه مِن الله فيه بُرهانٌ[(٣)].

---

(١) حذيفة بن اليمان، واسم اليمان: حُسَيل - بمهملتين مصغرًا -، ويقال: حِسْل - بكسر ثُمَّ سكون -، العبسي - بالموحدة -، حليف الأنصار، صحابيٌّ جليلٌ مِن السَّابقين، صحَّ في مُسلمٍ عنه أنَّ رسول الله ﷺ أعلمه بما كانَ وما يكون إلىٰ أنْ تقوم السَّاعةُ، وأبوه صحابيٌّ أيضًا، استشهد بأُحدٍ، ومات حُذيفةُ في أوَّل خلافة عليٍّ، سنة ستٍّ وثلاثين، روىٰ له الجماعة. «التَّقريب» (١/ ١٩٢) (١١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٣) أخرج البخاري -كما سبق قريبًا- (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: «**دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**».

ويجبُ في هذه الحالة علىٰ أهل الحلِّ والعقد عزلُه وتنصيبُ الأصلح، ولكنْ بشرطِ الاستطاعةِ، وعدم إحداث مفسدةٍ أعظمَ أو فتنةٍ أكبرَ.

وإنَّما أجاز الخروج علىٰ السَّلاطين الخوارجُ والمعتزلةُ، وهم مِن أهلِ الابتداعِ؛ فعليك بأهل الاتِّباع، ودعْ عنكَ أهلَ الابتداع؛ فإنَّ الطَّريق هو الطَّريق الَّذي لزمُوه، وهو مُتابعة الآثار.



قِتالُ اللُّصوص والخوارج جائزٌ

وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدفَعَ عَنهَا بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ، وَلَيسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ، أَو تَرَكُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُم، وَلَا يَتْبَعَ آثَارَهُمْ، لَيسَ لأَحَدٍ إِلَّا الإِمَام، أَو وُلَاة المُسلِمِينَ؛ إِنَّمَا لَهُ أَنْ يَدفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنْوِي بِجَهْدِهِ أَلَّا يَقْتُلَ أَحَدًا، فَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ يَدَيهِ فِي دَفْعِهِ عَنْ نَفسِهِ فِي المَعْرَكَةِ فَأَبعَدَ اللهُ المَقتُولَ.

الشرح:

قتالُ البُغاة واللُّصوص والخوارج جائزٌ إذا عرَضُوا للرَّجُل في نفسِه ومالِه، وواجبٌ إن أرادوا هتْك حُرَمِه (أهله)، فله أنْ يُقاتل عن نفسِه ومالِه، أمَّا حُرَمه فيجب عليه وجوبًا الدَّفع عنهم بكلِّ ما يقدرُ.

وقرَّر الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المقطع أنَّه لا يُتبع آثارهم إنْ أدبروا وفرُّوا؛ لأنَّ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمَّا قاتل الخوارج أَمر ألَّا يُتبع مُدبِرهم[1]، وعليُّ بن أبي طالب من الخُلفاء الرَّاشدين الَّذين تُتَّبع سنَّتهم.

---

(١) لم نجدْ في حدودِ بحثِنا أنَّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمَّا قاتَل الخوارجَ أمَر ألَّا يُتبَع مُدبرُهم، وإنَّما ورد عنه ذلك في قتالِه لأهلِ الجمَل؛ فقد أخرج عبد الرَّزَّاق (١٨٥٩٠)، وابنُ أبي شيبةَ (٣٧٧٩٠)، والبيهقيُّ في «الكُبرىٰ» (٨/ ٣١٤ -٣١٥ عطا): «أنَّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُقَاتِلْ أهلَ الجمَلِ حتَّىٰ دعَا النَّاسَ ثلاثًا، حتَّىٰ إذا كانَ اليومُ الثَّالثُ دخَلَ عليهِ الحسَنُ والحُسَينُ وعبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقالُوا: قدْ أكثرُوا فينَا الجِراحَ، فقالَ: يا ابنَ أخِي! واللهِ ما جهِلْتُ شيئًا مِن أمْرِهِم إلَّا ما كانُوا فيهِ، وقالَ: صُبَّ لي ماءً، فصَبَّ له ماءً فتوَضَّأَ به، ثمَّ صلَّىٰ ركعتَينِ حتَّىٰ إذا فرَغَ رفَعَ يديهِ ودعَا ربَّهُ، وقالَ لهُم: إنْ ظهَرْتُم علىٰ القومِ فلَا تَطلُبوا مُدبِرًا، ولا تُجهِزُوا

حُكم مَن قُتل دون نفسه وماله

وَإِن قُتِلَ هَذَا فِي تِلكَ الحَالِ وَهُوَ يَدفَعُ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ رَجَوتُ لَهُ الشَّهَادَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ.

وَجَمِيعُ الآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَم يُؤْمَرْ بِقَتلِهِ وَلا اتِّبَاعِهِ، وَلا يُجهِزُ عَلَيهِ إِن صُرِعَ أَو كَانَ جَرِيحًا، وَإِن أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيسَ لَهُ أَن يَقتُلَهُ، وَلا يُقِيمَ عَلَيهِ الحَدَّ، وَلَكِن يَرفَعُ أَمرَهُ إِلَىٰ مَن وَلَّاهُ اللهُ فَيَحكُمُ فِيهِ.

الشرح:

وذلك أنَّه وردَ في الحديث عن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ»،

=

علىٰ جريحٍ، وَانظُرُوا ما حَضرَتْ بِهِ الحَرْبُ مِن آنيةٍ فاقبضُوهُ، وما كان سوَىٰ ذلكَ فهُو لِورثَتِهِ».

وهذا لفظُ إحدىٰ روايات البيهقيِّ، وقال بعْدها: «الصَّحيحُ أنَّه لم يأْخُذ شيئًا، ولَم يَسلُبْ قتيلًا». اهـ. هذا الَّذي جرىٰ عليه العمل في قتال البغاة. وذهب إليه جماعة من أهل العلم في قتال الخوارج وحكىٰ بعضُ العُلماء فيه الإجماع، قال ابنُ بطَّال في «شرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٨٤): «قال المهلّب وغيرُه: أجمعَ العُلماءُ أنَّ الخوارجَ إذا خرجُوا علىٰ الإمام العدلِ، وشقُّوا عصا المُسلمين، ونصبُوا رايةَ الخِلاف؛ أنَّ قِتالَهم واجبٌ، وأنَّ دماءَهم هدرٌ، وأنَّه لا يتبع مُنهزِمُهم، ولا يُجهزُ علىٰ جريحهم».

لكن الَّذي يُفهم مِن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٠٤ -٤٠٥)، أنَّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يُعامل الخوارج معاملة البغاة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان عليُّ بنُ أبي طالب قد أباح لعسكره أنْ ينهبوا ما في عسكر الخوارج مع أنَّه قتلَهم جميعَهم كان هؤلاء أحقَّ بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنزلةِ المُتأوِّلين الَّذين نادىٰ فيهم عليُّ بنُ أبي طالب يوم الجمل: أنَّه لا يقتُلُ مُدبرُهم، ولا يُجهزُ علىٰ جَريحهم، ولا يغنمُ لهم مالًا، ولا يسبي لهم ذرِّيَّة؛ لأنَّ مِثل أولئك لهم تأويلٌ سائغٌ، وهؤلاء ليس لهم تأويلٌ سائغٌ».

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»[(١)]. وفي الحديثِ أيضًا: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[(٢)].

ولا يجهزُ علىٰ جريحِهم، ولا يُتبع مُدبرُهم، ولا تُغنم أموالُهم، ولا تُسبىٰ نساؤُهم؛ لأنَّ لهم في الأصل حُكمَ الإسلامِ.



---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠).

(٢) أخرجه بنحوه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٤)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه. وصحَّحه الألبانيُّ في «إرواء الغليل» (٧٠٨).

حكم الشَّهادةِ لأهل القِبلةِ بالجنَّة والنَّار

وَلَا نَشهَدُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ بِعَمَلٍ يَعمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، نَرجُو لِلصَّالِحِ، وَنَخَافُ عَلَيهِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ المُذنِبِ، وَنَرجُو لَهُ رَحمَةَ الله.

الشرح:

لا يجوزُ أنْ نشهدَ لأحدٍ مِن أهل القبلةِ بجنَّة ولا نار؛ لأنَّا لا ندري ما اللهُ صانعٌ بعبادِه، ولكنَّا نحكمُ بالكُفر علىٰ مَن استوجبه وعمل عمله حتَّىٰ أصبحَ مُرتدًّا، أمَّا مَن كان علىٰ الإسلام وتعاطىٰ شيئًا مِن الكبائر الَّتي لا تُخرجُه عن الإسلام فأمرُه موكولٌ إلىٰ اللهِ، إنْ شاء عفا عنه، وإنْ شاءَ عذَّبه، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَا أَدْرِي - وَاللهِ - وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي!!**»[1] فنحن أولىٰ بألَّا نشهدَ لأحدٍ بجنَّةٍ إلَّا مَن شهد له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة، فنحن نشهدُ له بشهادةِ رسولِ الله ﷺ كالعشرة المشهود لهم بالجنَّة[2]، وثابت بن قيس بن شمَّاس[3]، والمرأة الَّتي

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٩٢٩). من حديث أمِّ العلاءِ الأنصاريَّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرج أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذيُّ - واللَّفظ له - (٣٧٤٨)، وابنُ ماجه (١٣٣) و(١٣٤). عن سعيد بن زيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ**»، فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ، **أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ**». أبو الأعورِ هو: سعيدُ بنُ زيد. وصحَّحه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحسان» (٦٩٩٣).

(٣) ثابت بن قيس بن شمَّاس - بمُعجمة وميم مُشدَّدة وآخره مهملة - أنصاريٌّ خزرجيٌّ، خطيبُ الأنصار، مِن كبار الصَّحابة، بشَّره النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة، واستشهدَ باليمامة فنُفِّذت وصيَّته بمنامٍ رآه خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. =

تُصرعُ(١)، ومَن عدا هؤلاءِ فنحنُ نرجو لأهل الصَّلاح الخير والجنَّة، ونخاف علىٰ أهل الفجور فُجورَهم، ونكِلُ أمرَهم إلىٰ بارئهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



=

«التَّقريب» (١/ ١٤٧) (٨٢٧).

ويشيرُ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ. كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَىٰ الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَىٰ - الرَّاوي عن أنس -: فَرَجَعَ إِلَيْهِ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». أخرجه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩).

(١) يشير الشَّيخ إلىٰ حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابنُ عبَّاس: «أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا». أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

حكم مُرتكب الكبيرةِ في الآخرةِ

وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ - تَائِبًا غَيرَ مُصِرٍّ عَلَيهِ - فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَتُوبُ عَلَيهِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ عَن رَسُولِ الله ﷺ، وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ اسْتَوجَبَ بِهَا العُقُوبَةَ؛ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ إِن شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِن شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَقِيَهُ - مِنْ كَافِرٍ - عَذَّبَهُ وَلَم يَغْفِرْ لَهُ.

الشرح:

قوله: «وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بِذَنْبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ - تَائِبًا غَيرَ مُصِرٍّ عَلَيهِ - فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَتُوبُ عَلَيهِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ»، مَن لَقِيَ الله بكبيرةٍ أو كبائر وقد تاب منها، فنرجو له قَبول التَّوبة، وإنْ لقيَه مُصرًّا عليها فأمرُه إلىٰ الله، إنْ شاء عفا عنه، وإنْ شاء عذَّبه، إلَّا أنَّا نعتقدُ أنَّ نهايةَ كلِّ موحِّدٍ إلىٰ الجنَّة، وإنْ عُذِّب في النَّار، والله تعالىٰ أعلمُ.

وقوله: «وَمَنْ لَقِيَهُ وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ عَن رَسُولِ الله ﷺ»، الخبر في ذلك هو ما قاله النَّبيُّ ﷺ لِمَن بايعهم: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ»(١).

وقوله: «وَمَنْ لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ اسْتَوجَبَ بِهَا العُقُوبَةَ؛

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٢)، ومسلم (١٧٠٩). من حديث عُبادة بن الصَّامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**؛ إِن شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِن شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»، أهلُ الكبائر أمرُهم موكولٌ إلىٰ بارئهم؛ إنْ شاءَ عفَا عنهم، وإنْ شاء عذَّبهم بذنوبِهم، أي: مَن شاء أنْ يعفوَ عنهُ ويُدخلَه الجنَّة بدون عذابٍ فعَل، ومَن شاءَ أنْ يأخذَه بذنبِه لا مُعقِّب لحُكمه، ولا رادَّ لقضائِه، يفعلُ ما يشاءُ، ويَحكمُ ما يريدُ.

وقوله: «**وَمَنْ لَقِيَهُ - مِنْ كَافِرٍ - عَذَّبَهُ وَلَم يَغْفِرْ لَهُ**» **قلتُ:** النُّصوص تدلُّ علىٰ أنَّ كلَّ كافرٍ ماتَ علىٰ الكفر فإنَّه مُخلَّدٌ في النَّار، لا يَخرُج منها أبدًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٦].



الرَّجمُ حقٌّ

وَالرَّجمُ حَقٌّ عَلَىٰ مَن زَنَىٰ وَقَد أُحصِنَ إِذَا اعتَرَفَ أَو قَامَت عَلَيهِ بيِّنَةٌ، وَقَد رَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ.

الشرح:

قولُه: «وَالرَّجمُ حَقٌّ عَلَىٰ مَن زَنَىٰ وَقَدْ أُحصِنَ، إِذَا اعْتَرَفَ أَو قَامَتْ عَلَيهِ بيِّنَةٌ». **قُلتُ:** نزلتْ في الرَّجم آيةٌ، ثُمَّ نسخت تلاوةً، وبقيَتْ حُكمًا[(١)]، وقد رجم النَّبيُّ ﷺ والخُلفاء من بعده، فيجبُ الأخذُ بهذا الحُكم، وألَّا نقع فيما خافه علينا أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

قولُه: «وَقَد رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ» **قلتُ:** رجم النَّبيُّ ﷺ ماعزًا والغامديَّة[(٣)]، والجهنيَّة[(٤)]، واليهوديَّين[(٥)].

---

(١) أخرج عبدُ الله في «زوائده» علىٰ أحمد (٢١٢٤٥)، وابنُ حبَّان (٤٤٢٩)، والحاكم (٤/ ٤٠٠)، عن زرٍّ، قال: قال لي أُبيُّ بنُ كعبٍ: «كَأَيِّنْ تَقرأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً، فَقَالَ: قَطُّ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: **الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: هو كما قالا. **انظر:** «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦/ ٩٧٦) تحت حديث رقم (٢٩١٣).

(٢) أخرج البخاريُّ (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١)، عن عمر بن الخطَّابِ أنه قال وَهُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ، قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا، فَرَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَىٰ إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ، وَإِنَّ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ حَقٌّ عَلَىٰ مَنْ زَنَىٰ إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبَلُ، أَوِ الِاعْتِرَافُ**».

(٣) **انظر:** «صحيح مسلم» (١٦٩٥). (٤) **انظر:** «صحيح مسلم» (١٦٩٦).

(٥) **انظر:** «صحيح البخاري» (٦٨٤١)، و«صحيح مسلم» (١٦٩٩).

الرَّجم لم يُنسخ

وَقَدْ رَجَمَتِ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

الشرح:

قلتُ: هم أبو بكرٍ وعمرُ وعُثمانُ وعليُّ بن أبي طالب[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يفعلوا ذلك إلَّا لأنَّهم يعلمون استقرارَ الحُكم وثُبوته عن النَّبيِّ ﷺ، فلم ينسخ، ولم يُبدَّل، بل هو باقٍ إلىٰ يوم القيامة.



---

(١) يُشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما رواه ابن عبَّاس عن عُمر بن الخطَّاب، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ، قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا، فَرَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ...»**، أخرجه البخاري (٧٣٢٣)، ومسلم (١٦٩١).

وأخرج ابن جرير في «تفسيره» (٢٠/ ٦٥٧ هجر) وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٨٠ طيبة) عَنْ بَعْجَةَ بْنِ زَيْدٍ الْجُهَنِيِّ **«أَنَّ امْرَأَةً مِنْهُمْ دَخَلَتْ عَلَىٰ زَوْجِهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَيْضًا، فَوَلَدَتْ لَهُ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُرْجَمَ...»**.

وأخرج البخاري (٦٨١٢) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ رَجَمَ الْمَرْأَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَالَ: **«قَدْ رَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»**.

مُنتقصُ الصحابة مبتدع

وَمَنِ انتَقَصَ أَحَدًا مِن أَصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَو أَبغَضَهُ بِحَدَثٍ كَانَ مِنهُ؛ أَو ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبتَدِعًا حَتَّىٰ يَترَحَّمَ عَلَيهِم جَمِيعًا، وَيَكُونَ قَلبُهُ لَهُم سَلِيمًا.

الشرح:

هذه المسألةُ ذكَر فيها الإمام أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ كلَّ مَن أبغَضَ أحدًا مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ فإنَّه يُعتبرُ مبتدعًا، وكذلك مَن ذكَر مساوئهم؛ فإنَّه يكونُ مُبتدعًا، ولا يخرجُ عن هذا الوصف حتَّىٰ يَترحَّم عليهم جميعًا، ويكون قلبُه لهم سليمًا، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أثنىٰ عليهم جميعًا ومدَحهم في كتابه، فمَن انتقصهم فإنَّه قد خالف ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسيبوءُ بإثم بدعتِه حينَ يلقىٰ ربَّه جَلَّ وَعَلَا.

وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ**»(١).

والله تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].



(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣)، ومسلمٌ (٢٥٤١). من حديث أبي سعيد الخُدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

النِّفاقُ وأقسامُه

وَالنِّفَاقُ هُوَ الكُفرُ: أَن يَكفُرَ بِالله وَيَعْبُدَ غَيرَهُ، وَيُظهِرَ الإِسلَامَ فِي العَلَانِيَةِ، مِثلُ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهدِ رَسُولِ الله ﷺ.

الشرح:

النِّفاق مأخوذ من النَّفَق؛ وهو الحفر في الأرض، سُمِّي بذلكَ لأنَّ صاحبَه أبطنَ الكُفر وأَظْهر الإسلام، وقد أَنزل الله في المنافقين آيات كثيرة في سورة (براءة) و(الأحزاب) و(المُنافقون).

ثُمَّ اعلمْ أنَّ النِّفاقَ ينقسمُ إلىٰ قسمَين:

١- **نفاقٌ عمليٌّ**: وهو لا يُخرج مِن الإسلام، شأنُه شأنُ الكبائر، وهو ما جاء في الحديث: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١)، وفي رواية: «**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٢).

٢- **النِّفاق الاعتقاديُّ**: وهو إظهارُ الإسلام وإبطانُ الكفر؛ كالمُنافقين الَّذين كانُوا علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ، فإنَّهم كانوا علىٰ كُفرهم، فلمَّا انتصر النَّبيُّ ﷺ علىٰ قريشٍ يوم بدر قالوا: نرىٰ هذا الأمر قد توَجَّه، فتعالَوا بنا نُظهر لمحمَّد وأصحابه بأنَّنا معهم، ثُمَّ نُخفي دِيننا، فهذا هو النِّفاق الاعتقاديُّ.



---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلمٌ (٥٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

من علامات النِّفاق

وَقَوْلُهُ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ»(١) هَذَا عَلَىٰ التَّغلِيظِ؛ نَروِيهَا كَمَا جَاءَت، وَلَا نُفَسِّرُهَا.

الشرح:

قلتُ: هذه الثَّلاثُ هي الَّتي ذكرتُها آنفًا: إذا حدَّث كذبَ، وإذا عاهدَ غدرَ، وإذا خاصم فجرَ، ولِمَ سمَّىٰ ذلك نِفاقًا؟

لأنَّ الَّذي يُحدِّث أخاه ويزعم له بأنَّه صادق في حديثه، فهو قد أظهر شيئًا وأبطن شيئًا آخر علىٰ الجملة، وأظهر الحسن وأبطن القبيح، والَّذي يُعاهد وهو ينوي الغدر فهو كذلك؛ لأنَّه أظهر الحسن وأبطن القبيح، والَّذي يخاصمُ ثُمَّ يفجرُ في خُصومتِه فكذلك أيضًا؛ لأنَّه أظهر البرَّ وأبطن الفُجور، فتجدُه يحلف كاذبًا ويشهد زورًا، ويستبيح ما حرم الله مِن أجل أنْ يتغلَّب، فمِن أجلِ ذلك سُمِّيَت هذه الخصالُ نفاقًا؛ لأنَّ صاحبَها يُظهرُ الحسن ويُبطن القبيحَ.



---

(١) وتمامُه: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» أخرجه أحمد (٢/٥٣٦) (١٠٩٣٨)، وحسَّنه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحسَان» (٢٥٧)، وأصلُه في صحيح البخاري (٣٣)، وصحيح مسلم (٥٩).

بعضُ الأمثلة على الكُفرِ الأصْغر

وَقَولُهُ: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضرِبُ بَعْضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ»(١)، وَمِثلُ: «إِذَا الْتَقَىٰ المُسلِمَانِ بِسَيفَيهِمَا فَالقَاتِلُ وَالْمَقتُولُ فِي النَّارِ»(٢)، وَمِثلُ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٣)، وَمِثلُ: «مَنْ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»(٤)، وَمِثْلُ: «كُفْرٌ بِاللهِ تَبَرُّؤٌ مِن نَسَبٍ وَإِن دَقَّ»(٥).

وَنَحوُ هَذِهِ الأَحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وَحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِن لَم نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلَا نَتكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الأَحَادِيثَ إِلَّا مِثْلَمَا جَاءَت؛ لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنهَا.

الشرح:

قلتُ: هذه الأمثلةُ الَّتي ضربَها المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ضربَها للكُفر الأصغر الَّذي لا يُخرج مِن الملَّة، فهذه الأحاديثُ ذكر فيها الكفرَ ولم يقصدْ به الكُفر المُخرجَ مِن الإسلام، وإنَّما سُمِّيَت هذه الذُّنوبُ كُفرًا؛ لأَنَّها تعتبرُ جُحودًا لشيءٍ خاصٍّ.

فقولُه: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا»، المقصودُ به جَحدُ الرَّابطة الأخويَّة الَّتي

(١) أخرجه البخاريُّ (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩). من حديث أبي بكرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلمٌ (٢٨٨٨). من حديث أبي بكرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤). من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠). من حديث ابن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٥) (٧٠١٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب» (١٩٨٧): حسن صحيح.

تكون بين المسلمين، وهي الَّتي أخبر عنها اللهُ عَزَّوَجَلَّ بقولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فمَنْ قاتَل أخاه فقدْ جحَد أُخوَّة الإيمان، وكذلك: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» ليس ذلك علىٰ التَّخليد، وهكذا يقال في سائر الأمثلة.

وقوله: «وَنَحوُ هَذِهِ الأَحَادِيثِ مِمَّا قَدْ صَحَّ وَحُفِظَ، فَإِنَّا نُسلِّمُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ تَفْسِيرَهَا، وَلَا نَتكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الأَحَادِيثَ إِلَّا مِثْلَمَا جَاءَت؛ لا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنهَا»، ذكر الإمامُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ أمثالَ هذه الأحاديث الَّتي سبقت في الفقرة السَّابقة ممَّا قد صحَّ وحُفظ، فإنَّا نُسلِّم له، وإنْ لم نعلم تفسيرَها ولا نتكلم فيها.

قلتُ: الكلام الذي يبين معناها الصحيح الحق ليس منه مانع، مع بيان أنَّ الَّذين يُعذَّبون في النَّار، ثُمَّ يخرجون منها إلىٰ الجنَّة، يبقون فيها زمنًا طويلًا، اللهُ أعلمُ به.

وقد علِمْنا أنَّ هذا مِن كفر دون كفر، وربَّما وقَع بعضُ النَّاس في تفسير هذا الكفر بالكفر المُخرج مِن الملَّة، كما حصل للخوارج، وهذا جهلٌ، وينبغي للمسلمين أنْ يعودُوا إلىٰ أهل العلم في هذه الأمور، وأقصدُ بأهلِ العلم هنا أهلَ العلم بالحديث ممَّن هم علىٰ منهج أهل السُّنَّة والجماعة، والله تعالىٰ يقولُ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولنعلمْ أنَّ الخوارج وغيرَهم إنَّما ضلُّوا في تفسير القرآن والسُّنَّة لأنَّهم فسَّروها بأهوائهم، ولم يرجعُوا إلىٰ ما حرَّره أهل العلم بالحديث، وهم أصحاب الأثر، فكان ذلك سببَ ضلالهم بأن فسَّر بعضُهم لبعض، وقاد بعضُهم بعضًا في هذا الجهل والضَّلال؛ فهلكُوا وأهلكُوا.

الجنّة والنّار مخلوقتان الآن

وَالجنَّةُ وَالنَّارُ مَخلُوقتَانِ قَد خُلِقَتَا كَمَا جَاءَ عَن رَسُولِ الله ﷺ: «دَخَلتُ الجَنَّةَ فَرَأَيتُ قَصرًا».

الشرح:

الجنّة والنّار مخلوقتان، قد خُلقتا قبْل خلْق الخليقة؛ كما جاء عن رسولِ الله ﷺ؛ ففي صحيح البخاري في فضائل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «بيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَىٰ جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا». فَبَكَىٰ عُمَرُ، وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ[(١)].

وكذلك ما جاءَ في صلاة الكُسوف أنَّه قالَ: «إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّىٰ لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ[(٢)]، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ[(٣)] يَجُرُّ قُصْبَهُ[(٤)] فِي النَّارِ»[(٥)].

والأدلّةُ علىٰ ذلك كثيرةٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٩ - ٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٢) خشاش الأرض: هي هوامها وحشراتها.

(٣) هو عمرو بن لحي هو أوّل من غيَّر دين إسماعيل؛ فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمىٰ الحامي.

(٤) القصب: هي الأمعاء. (٥) أخرجه مسلم (٩٠٤)، من حديث جابر رضي الله عنه.

الكوثرُ حوضٌ للنَّبيِّ ﷺ

وَ: «رَأَيتُ الكَوثَرَ»(١).

الشرح:

هذا جاء فيه عن النَّبي ﷺ أنَّه رأىٰ الكوثر ليلةَ أُسرِيَ به، فأدخَل يدَه فإذا تُربته مسكٌ أذفر(٢).



(١) أخرج أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده (٥/ ٤٦٢) (٣١٨٦) عن أنس في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «رَأَيْتُ الْكَوْثَرَ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكُمُ اللهُ». وبنحوه البخاريُّ (٤٩٦٤)، ومسلمٌ (٤٠٠).

(٢) أذفر: جيِّد شديد ذكاء الرِّيح أي: طيِّب الرَّائحة، والحديث أخرجه البخاري (٦٥٨١) و(٧٥١٧) من حديث أنس بن مالك.

أكثرُ أهلِ الجنّة الفقراءُ، وأكثرُ أهل النّار النّساءُ

وَ: «اطَّلَعَتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيتُ أَكثَرَ أَهلِهَا... كَذَا»، وَ: «اطَّلعت فِي النَّارِ فَرَأَيتُ... كَذَا وَكَذَا».

الشرح:

كما جاء في الحديث: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، واطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»[(١)].



(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٩)، عن عِمران بن حصين وابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومسلم (٢٧٣٧)، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

حكم إنكار وجود الجنَّة والنَّارِ

فَمَن زَعَمَ أَنَّهُمَا لَم تُخلَقَا فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالقُرآنِ، وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا أَحسَبُهُ يُؤمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الشرح:

لأنَّه كذَّب الله في خبَرِه، وكذَّب الرَّسول ﷺ في خبَرِه، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].



صلاة الجنازة على من مات من أهل القبلة

وَمَن مَاتَ مِن أَهلِ القِبلَةِ مُوَحِّدًا يُصَلَّىٰ عَلَيهِ، وَيُستَغفَرُ لَهُ، وَلَا يُحجَبُ عَنهُ الاستِغفَارُ، وَلَا تُترَكُ الصَّلَاةُ عَلَيهِ لِذَنبٍ أَذنَبَهُ - صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا - أَمرُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

الشرح:

لأنَّ كلَّ موحِّدٍ يُرجىٰ له دخولُ الجنَّة، وإنْ عُذِّبَ في النَّار ما عُذِّبَ، فلا يجوزُ أنْ نحكمَ بالكُفر علىٰ أهل الكبائر، بل يجبُ أنْ نعتقدَ بأنَّ كلَّ مَن مات موحِّدًا مُصلِّيًا للصَّلوات الخمس لم يقع في شيءٍ مِن نواقض الإسلام، فإنَّ حُكمَه حُكم سائر المُسلمين يصلَّىٰ عليه إذا مات، وتتبع جنازتُه ويُستغفرُ له، ويُرجىٰ له الجنَّة ويُخاف عليه مِن ذُنوبِه، فإنَّه مهما عمل مِن الذُّنوب غير مستحلٍّ لها فهو باقٍ علىٰ إسلامِه، مُدان بكبيرتِه، وأَمرُه في ذلك إلىٰ الله؛ إنْ شاء عفا عنه، وإنْ شاء عذَّبه، ثُمَّ يُدخلُه الجنَّة بعد أنْ يُطهِّرَه مِن المعاصي الَّتي ارتكبها.

ثُمَّ إنَّه لا بدَّ أنْ نُفرِّق بين ما يُوجب الكُفرَ وهو الشِّركُ الأكبرُ، أو جحودُ ركنٍ مِن أركانِ الإسلام أو الإيمان، أو استحلال محرَّم مُجمع عليه، وتحريم حلالٍ مُجمع عليه، فهذه كلُّها مِن مُوجبات الكُفر، وكذلك الاستهانةُ بكتاب الله وبشرع الله، أو السُّخرية بشيءٍ مِن أحكام الشَّرع أو ترك الصَّلاة بالكلِّيَّة، كلُّ هذا يعدُّ مِن النَّواقض المُوجبة لكُفر فاعلِها ومُعتقدِها.

فليحذرْ طالبُ العلم مِن أنْ يلتبس عليه الأمرُ؛ فلا يُميِّز بين الكفر الأكبر

والأصغر، ولا بين الشِّرك الأكبر والأصغر، فإنَّه إنْ حصل له ذلك وقع في التَّكفير مِن حيثُ لا يشعرُ، فلا بدَّ لطالب العلم مِن أنْ يُميِّز بين هذا وهذا، حتَّىٰ تتجلَّىٰ الحقائقُ أمامَه، ويكون عارفًا بما يدخلُ في الكفر الأكبر والأصغر وكذلك النِّفاق الأكبر والأصغر، والشِّرك الأكبر والأصغر، وبالله التَّوفيقُ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه.



فتحُ الرَّحيم الودود

في التَّعليــق على

كتاب (السُّنَّة) مِن سُنن الإمام أبي داود

تأليف

فضيلة الشيخ العلّامة

أحمد بن يحيى النّجمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التعريف بكتاب «سنن أبي داود»

هذا الكتاب من أهمِّ كتُب الإسلام، وهو أحدُ الكتُب السِّتَّة الَّتي تقبَّلتها الأُمَّة بقَبولٍ حسنٍ.

اسم الكتاب:

الاسم المعروف به هو: «السُّنَن»، ويبدو أنَّ المؤلِّفَ نفسَه سمَّاه بهذا الاسم، نستدلُّ علىٰ ذلك من قوله في رسالته إلىٰ أهل مكَّة: «فإنَّكم سألتم أنْ أذكُر لكم الأحاديثَ الَّتي في كتاب «السُّنن»؛ أهي أصحُّ ما عرفت في الباب؟».

وقوله في الرِّسالة المذكورة أيضًا: «وإنَّ من الأحاديث في كتابي «السُّنن» ما ليس بمتَّصل، وهو مرسل...».

وكذلك فإنَّ العلماءَ علىٰ مرِّ العصور كانوا يدعون كتابه بـ«السُّنَن».

وأمَّا كلمة «السُّنَن»: فهي جمع سُنَّة. **والسُّنَّة لغةً:** الطَّريقةُ المسلوكةُ المتَّبَعَةُ.

وعند جمهور العلماء: تُرادف الحديث؛ وهو قولُ النَّبيِّ ﷺ وفعلُه وتقريرُه وصفتُه.

وهناك استعمال خاصٌّ للسُّنن ذكره الكتَّانيُّ في كتابه القيِّم: «الرِّسالة المستطرفة» قال: «وهي في اصطلاحِهم الكتُب المرتَّبة علىٰ الأبواب الفقهيَّة مِن الإيمان الطَّهارة والصَّلاة والزَّكاة، وليس فيها شيء مِن الموقوف؛ لأنَّ الموقوفَ لا سَمَّىٰ في اصطلاحهم سُنَّةً، ويُسمَّىٰ حديثًا».

وهكذا؛ فإنَّ كتبَ السُّنن ينبغي أنْ تتوافر فيها الأمور الآتية:

١- أنْ تكتفيَ بذكر الأحاديث، وألَّا يُذكَر فيها شيء مِن الآثار.

٢- أنْ تكون هذه الأحاديثُ متعلِّقة بالأحكام.

٣- أنْ تُرتَّب الأحاديث علىٰ أبواب الفقه.

ومِن هنا يتَّضِحُ لنا لماذا سمَّىٰ كتابَه «السُّنن»؛ وذلكَ لأنَّه جمع أحاديثه مِن وجهة فقهيَّة، فلم يضمنه غير أحاديث الفقه والتَّشريع، ممَّا ورد في الأخلاق والأخبار والزُّهد ونحو ذلك، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلىٰ أهل مكَّة: «وإنَّما لم أصنِّف في كتاب «السُّنن» إلَّا الأحكام، ولم أُصنِّف كتُب الزُّهد وفضائل الأعمال وغيرها».

وقد يُطلقون علىٰ كتاب أبي داود ونحوه لفظ: الصِّحاح. قال حاجِّي خليفة ينقل عن ابن السُّبكي قوله في «سنن أبي داود»: «وهي من دواوين الإسلام، والفقهاء لا يتحاشون من إطلاق لفظ «الصِّحاح» عليها وعلىٰ «سُنن التِّرمذيِّ»، ولا سيما سُنن أبي داود».

هذا؛ وقد ذهب بعضُ العلماء إلىٰ أنَّ أبا داود هو أوَّل مَن صنَّف في السُّنن. قال الكتَّاني: «وهو أوَّلُ مَن صنَّفَ في السُّنن»، وفيه نظر يتبيَّن مما يأتي.

ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ من المؤكَّد أنَّ أبا داود كان من السَّابقين إلىٰ التَّأليف في هذا المجال؛ ذلك لأنَّ مجرَّد اختلاف العلماء في كونه أوَّل مَنْ صنَّف في السُّنن يدلُّ بوضوح علىٰ سبقه في ذلك الصَّدد.

ويذهبُ الخطَّابيُّ إلىٰ أنَّ أبا داود لم يُسبَق إلىٰ الإجادة في جمع السُّنن، فقال: «فأمَّا السُّنن المحضة فلم يقصد واحدٌ منهم جمعَها واستيفاءَها، ولم يقدر علىٰ تخليصها واختصار مواضعها مِن أثناء تلك الأحاديث الطَّويلة، ومِن أدلَّة

سياقها علىٰ حسَب ما اتَّفقَ لأبي داود».

وقال الخطَّابيُّ أيضًا: «وقد جمع أبو داود في كتابه هذا مِن الحديث في أصول العلم وأمَّهات السُّنن وأحكام الفقه ما لا نعلم مُتقدِّمًا ما، سبقه إليه، ولا مُتأخِّرًا لحقه فيه».

ثناء العُلماء على «السُّنن»:

• **قال أبو زكريا السَّاجي:** «كتابُ الله أصلُ الإسلام، وكتاب «السُّنن» لأبي داود عهد الإسلام».

• **وقال محمَّد بن مخلد:** «لمَّا صنَّف أبو داود «السُّنن» وقرأه علىٰ النَّاس، صار كتابه لأهل الحديث كالمصحف يتَّبعونه، وأقرَّ له أهلُ زمانه بالحفظ فيه».

• **وقال ابن الأعرابي وأشار إلىٰ النُّسخة وهي بين يديه:** «لو أنَّ رجلًا لم يكن عنده من العلم إلَّا المصحف الَّذي فيه كتاب الله، ثُمَّ هذا الكتاب؛ لم يحتَجْ معهما إلىٰ شيء من العلم بتَّة».

وعلَّق الخطَّابيُّ علىٰ كلمة ابن الأعرابي هذه، فقال: «وهذا - كما قال - لا شكَّ فيه؛ لأنَّ الله تعالىٰ أنزلَ كتابه تبيانًا لكلِّ شيءٍ، وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فأخبر سبحانه أنَّه لم يُغادر شيئًا مِن أمر الدِّين لم يتضمَّن بيانَه الكتابُ، إلَّا أنَّ البيان علىٰ ضربين:

بيانٌ جليٌّ تناوله الذِّكر نصًّا.

وبيانٌ خفيٌّ اشتملَ عليه معنىٰ التِّلاوة ضمنًا.

فما كان من هذا الضَّرب كان تفصيل بيانه موكولًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وهو معنىٰ قوله سبحانه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، مَن

جمَع بين الكتاب والسُّنَّة فقد استوفىٰ وجهي البيان، وقد جمع أبو داود في كتابه هذا مِن الحديث في أصول العلم وأمَّهات السُّنن وأحكام الفقه ما لا نعلم مُتقدِّمًا سبقه إليه، ولا متأخِّرًا لحقه فيه».

• **وقال الخطَّابيُّ أيضًا:** «كتاب «السُّنن» لأبي داود كتابٌ شريف لم يصنَّف في علم الدِّين كتابٌ مثلُه، وقد رزق القَبول من النَّاس كافَّة، فصار حكمًا بين فِرَق العلماء وطبقات الفقهاء علىٰ اختلاف مذاهبهم، فلكلّ فيه وِرْدٌ ومنه شِرْبٌ، وعليه معوّل أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من مُدن أقطار الأرض، فأمَّا أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتابي محمَّد بن إسماعيل ومسلم بن الحجَّاج، ومَنْ نحا نحوهما في جمع الصَّحيح علىٰ شرطهما في السَّبْكِ والانتقاد، إلَّا أنَّ كتاب أبي داود أحسن رصفًا وأكثر فقهًا».

وقال الخطَّابيُّ أيضًا: «اعلمُوا أنَّ الحديثَ عند أهله علىٰ ثلاثة أقسام: حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث سقيم؛ فالصَّحيحُ عندهم ما اتَّصلَ سندُه وعُدلَتْ نَقَلَته، والحسنُ منه ما عُرفَ مخرجُه، واشتهرَ رجالُه، وعليه مدارُ أكثر الحديث، وهو الَّذي يقبلُه أكثرُ العلماءِ، ويستعملُه عامَّةُ الفُقهاءِ، وكتاب أبي داود جامع لهذين النَّوعَينِ مِن الحديث، فأمَّا السَّقيمُ منه فعلىٰ طبقاتٍ؛ شرُّها الموضوعُ ثُمَّ المقلوبُ - أعني: ما قُلب إسنادُه - ثُمَّ المجهولُ، وكتاب أبي داود خَلِيٌّ منها بريء مِن جملة وجوهها، فإن وقع فيه شيءٌ مِن بعض أقسامها لضرب من الحاجة تدعوه إلىٰ ذِكْره فإنَّه لا يألو أن يُبيِّن أمرَه، ويذكر علَّته، ويخرج مِن عُهْدَتِه.

وحكي لنا عن أبي داود أنَّه قال: «ما ذكرتُ في كتابي حديثًا اجتمعَ النَّاسُ

علىٰ تركه»، وكان تصنيف علماء الحديث - قبل زمان أبي داود - الجوامع والمسانيد ونحوهما، فتجمع تلك الكتب إلىٰ ما فيها من السنن والأحكام أخبارًا وقصصًا ومواعظَ وآدابًا، فأمَّا السُّنَنُ المحضة فلم يقصد واحدٌ منهم جمعها واستيفاءها، ولم يقدر علىٰ تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة، ومِن أدلَّة سياقها علىٰ حسَب ما اتَّفق لأبي داود، ولذلك حلَّ هذا الكتاب عند أئمَّة الحديث وعلماء الأثر محلَّ العَجَب، فضربت فيه أكباد الإبل، ودامت إليه الرّحل».

• **وقال ابن القيِّم:** «لمَّا كان كتاب «السُّنن» لأبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإسلام بالموضع الَّذي خصَّه اللهُ به، بحيثُ صار حَكَمًا بين أهل الإسلام، وفَصْلًا في موارد النِّزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضىٰ المُحقِّقون، فإنَّه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتَّبها أحسن ترتيب، ونظَّمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطِّراحه منها أحاديث المجروحين والضُّعفاء».

تأليف أبي داود لكتاب السُّنة:

ألَّف أبو داود كتابه «السُّنن» في وقت مبكر، وعني بتأليفه وترتيبه عنايةً بالغةً، وأعاد النَّظر فيه مرَّات متعدِّدة، وهذا أمرٌ لا شكَّ فيه.

أقسام الكتاب وتبويبه:

خلا الكتاب من المقدِّمة، وهذا موضع تعجب؛ ذلك لأنَّ مؤلِّفه كتب رسالة في وصف «سُننه» وهي أحسن ما تكون توضيحًا لعمله، وعرضًا لخطّته، ووضعًا للأمور في نصابها، ولو أنَّ قائلًا ذهب إلىٰ أنَّها تصلح أن تسدَّ مسدَّ المقدّمة لما كان مخطئًا.

وليس أبو داود وحده الَّذي خلا كتابه من المقدّمة، بل شاركه في ذلك غيره؛ فالبخاريُّ أيضًا لم يكتب لجامعه الصَّحيح مقدّمة، لكنَّ الفرق بينهما أنَّ البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يتح له النظر في كتابه بعد تأليفه، أمَّا أبو داود فقد بقي يقرأ «السُّنن» ويذيعها بين الناس أربعين سنةً.

ولعلَّ الأمر يتعلَّق بأطوار التأليف؛ إذ ليس البخاري وأبو داود وحدهما لم يكتبا مقدّمات لكتبهما، بل نجد كذلك الإمام أحمد لم يكتب مقدّمة لـ«مسنده»، وابنُ المبارك لم يكتب مقدمة لكتابيه: «الزُّهد»، و«الجهاد».

- **ينقسم كتاب «السُّنن» إلىٰ كتُب كبيرة بلغتْ (٣٦ كتابًا) هي:**

١) الطَّهارة. ٢) الصَّلاة. ٣) الزَّكاة.
٤) اللُّقطة. ٥) المناسك. ٦) النِّكاح.
٧) الطَّلاق. ٨) الصَّوم. ٩) الجهاد.
١٠) الضَّحايا. ١١) الصَّيد. ١٢) الوصايا.
١٣) الفرائض. ١٤) الخراج والإمارة والفيء. ١٥) الجنائز.
١٦) الأيمان والنُّذور. ١٧) البيوع. ١٨) الإجارة.
١٩) الأقضية. ٢٠) العلم. ٢١) الأشربة.
٢٢) الأطعمة. ٢٣) الطِّبُّ. ٢٤) العتق.
٢٥) الحروف والقراءات. ٢٦) الحمام. ٢٧) اللِّباس.
٢٨) التَّرجُّل. ٢٩) الخاتم. ٣٠) الفتن.
٣١) المهدي. ٣٢) الملاحم. ٣٣) الحدود.
٣٤) الدِّيات. ٣٥) السُّنَّة. ٣٦) الأدب.

- وكلُّ كتاب من هذه الكتب ينقسم إلىٰ أبواب، باستثناء ثلاثة كتب لم نجد فيها أبوابًا، هي: كتاب اللُّقطة، وكتاب الحروف والقراءات، وكتاب المهديّ.

- ومجموع عدد أبواب كتاب «السُّنن» حسب إحصاء الأستاذ محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد هو (١٨٨٩ بابًا).

- **درجات أحاديث الكتاب وأنواعها:**

يذكر العلماء كتاب «السُّنن» لأبي داود علىٰ أنَّه مِن مَظانِّ الحديث الحسن.

قال ابن الصَّلاح: «رُوِّينا عنه (أي: عن أبي داود) أنَّه قال: ذكرتُ الصَّحيح وما يشبهُه ويقاربُه، وما كان فيه وهنٌ شديدٌ، وما لم أذكر فيه شيئًا فهو صالحٌ، وبعضُها أصحُّ من بعض».

وعقَّب ابنُ الصَّلاح علىٰ ذلك بقوله: «فعلىٰ هذا ما وجدناه في كتابه مذكورًا مطلقًا وليس في واحد من «الصَّحيحين»، ولا نصَّ علىٰ صحَّته أحدٌ عرفنا أنَّه الحسن عند أبي داود».

والحقُّ أنَّ أحاديثَ أبي داود متفاوتة المراتب.

هذا؛ وقد شهد العلماء بأنَّ أبا داود قَدْ وفَّىٰ بوعده بتبيين ما فيه وهنٌ شديدٌ.

نقل السّبكي عن الذَّهبيِّ قوله الآتي: «وقد وفَّىٰ بذلك، فإنَّه بيَّن الضَّعيف الظَّاهر، وسكت عن الضَّعيف المحتمل، فما سكت عنه لا يكون حسنًا عنده لابدَّ، بل قد يكون ممَّا فيه ضعفٌ».

موازنة بين «سنن أبي داود» والصَّحيحين:

هذا الموضوع كبيرٌ وجليلٌ ومهمٌّ، ويحتاج لدراسةٍ مستفيضةٍ، لكنَّني أودُّ أنْ أشير فقط إلىٰ أنَّ كتاب السُّنن جليل الشَّأن عند كثير مِن العُلماء المتقدِّمين فهو

يأتي بعد «الصَّحيحين» مباشرةً، بل إنَّ الخطَّابيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قدَّم «السُّنن» عليهما.

وقد قال الخطَّابيُّ: «فأمَّا أهل خُراسان فقد أولع أكثرهم بكتابَيْ محمَّد بن إسماعيل ومسلم بن الحجَّاج، ومَنْ نحا نحوهما في جمع الصَّحيح على شرطهما في السَّبك والانتقاد، إلَّا أنَّ كتابَ أبي داود أحسن رصفًا، وأكثر فقهًا».

وقَدْ أقام عدد من العلماء موازنةً بين «سُنن أبي داود» و«صحيح مسلم» وذكرُوا أوجه الاتِّفاق وأوجه الاختلاف، ومنهم مَنْ رجَّح عمل هذا، ومنهم من رجَّح عمل ذاك.

والَّذي يعنينا هنا أنَّ طائفةً من العلماء ترىٰ أنَّ «سنن أبي داود» في درجةٍ تقارب درجة «الصَّحيحين».



ترجمة أبي داود صاحب «السُّنن»

اسمُه ونسبُه ومولدُه:

هو الإمام، الثَّبْت، شيخُ السُّنَّة، مُقَدَّم الحُفَّاظ، أبو داود سُليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد بن عمرو بن عمران الأزديّ السِّجستانيّ، محدِّثُ البصرة.

وُلد أبو داود سنة (٢٠٢ هـ) في ظلِّ الخليفة العباسيِّ العالم المأمون.

وعمران هذا ذكر ابن عساكر وابن حجر أنَّه قُتِل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين.

وأبو داود عربيٌّ صمِيمٌ مِن الأزد، والأزدُ: قبيلةٌ معروفةٌ في اليمن.

والسِّجستانيُّ نسبةٌ إلىٰ بلد سِجستان[1].

نشأته:

وُلِدَ أبو داود سنة (٢٠٢ هـ)، وتلقَّىٰ العلمَ علىٰ عُلماء بلدِه، ثُمَّ ارتحلَ
طوَّف بالبلاد في طلب العلم وتحصيل الرِّواية، فزار العراقَ والجزيرةَ والشَّامَ
صرَ، وكتب عن علماء هذه البلاد جميعًا.

قال الخطيب: «وكتب عن العراقيِّين والخراسانيِّين والشَّاميِّين والمصريِّين
جزريِّين».

سجستان: هي اليوم المنطقة التي تشمل القسم الغربي من أفغانستان وبعض إيران، وكانت ولاية هامَّة؛ من مدنها: (بست) و(كركوية) و(زرنج)، يُنسب إليها كثير من العلماء، منهم الإمام أبو داود ستاني صاحب التَّرجمة، وكانت عاصمتها في العصور الوسطىٰ مدينة (زرنج)، وقد خرَّبها تيمور لنك، ت أطلالُها باقيةً.

علمُه:

كان أبو داود أحدَ حفَّاظ الإسلام، وكان مِن أوسع العلماء معرفة بحديث رسول الله ﷺ وفقهه وعلله ومتونه ورجاله.

ويبدو أنَّ علماء عصره كانوا يَعرفون مكانته العلميَّة الكُبرىٰ، ويُقدِّرونه حقَّ قَدْره؛ يدلُّ علىٰ ذلك عددٌ من الأخبار:

منها: ما ذكروا من أنَّ أحمد بن حنبل روىٰ عنه حديثًا، وكان أبو داود شديد الاعتزاز به.

ومنها: ما ذكروا من أنَّ سهل بن عبد الله التّستري جاء إلىٰ أبي داود، فقيل: يا أبا داود هذا سهل جاءك زائرًا، فرحَّب به وأجلَّه. فقال له سهل: يا أبا داود، لي إليك حاجةٌ. قال: وما هي؟ قال: حتَّىٰ تقول قد قضيتُها مع الإمكان. قال: قد قضيتُها مع الإمكانِ. قال: أخرج إليَّ لسانك الَّذي حدَّثتَ به أحاديث رسول الله ﷺ حتَّىٰ أقبِّلَه، فأخرج إليه لسانَه فقبَّله.

وكان علمه متعدِّد الجوانب، فهو - مع تخصّصه في الحديث - فقيه عظيم، وقد عدَّه الشَّيخ أبو الحسن الشِّيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب أحمد بن حنبل، وكذا أبو يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» والعليمي في «المنهج الأحمد».

وأبو داود ناقد كبير، وليس هذا غريبًا علىٰ إمام من أئمَّة الحديث؛ لأنَّ هذا العلم يُربِّي في أتباعه حاسَّة النَّقد، وقد استطاع أن يبلغ مستوًىٰ راقيًا من رهافة الحسِّ ودقَّة النَّقد.

ثناءُ العلماء عليه:

قال أبو بكر الخلَّال: «أبو داود الإمام المقدَّم في زمانه، رجلٌ لم يسبقه إلىٰ معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعه أحدٌ في زمانه، رجلٌ ورِعٌ مقدَّمٌ، سمع

منه أحمدُ بنُ حنبل حديثًا واحدًا، كان أبو داود يذكره».

وقال **أحمد بن محمَّد بن ياسين**: «كان أبو داود أحد حفَّاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده، في أعلىٰ درجة النُّسك والعفاف، والصَّلاح والورع، مِن فُرسان الحديث».

وقال **الحافظُ موسىٰ بن هارون**: «خُلِقَ أبو داود في الدُّنيا للحديث، وفي الآخرة للجنَّة».

وقال **علان بن عبد الصمد**: «سمعتُ أبا داود، وكان مِن فُرسان الحديث...».

قال **أبو حاتم بن حبَّان**: «أبو داود أحدُ أئمَّة الدُّنيا فقهًا وعلمًا وحفظًا، ونُسُكًا وورعًا وإتقانًا، جمع وصنَّف وذبَّ عن السُّنن».

قال **الحافظ أبو عبد الله بن منده**: «الَّذين خرجوا وميَّزوا الثَّابت مِن المعلول، والخطأ مِن الصَّواب أربعة: البخاريُّ، ومسلمٌ، ثمَّ أبو داود، والنَّسائيُّ».

وقال **أبو عبد الله الحاكم**: «أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، سمع بمصر، والحجاز، والشَّام، والعراقين(١)، وخراسان».

قلتُ (أي: الذَّهبي): «كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه مِن كبار الفقهاء، فكتابه يدلُّ علىٰ ذلك، وهو مِن نُجباءِ أصحاب الإمام أحمدَ، لازم مجلسَه مدَّةً، وسأله عن دِقاق المسائل في الفروع والأصول.

وكان علىٰ مذهب السَّلف في اتِّباع السُّنَّة والتَّسليم لها، وترْك الخوض في مضائق الكلام.

رویٰ الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: كان عبد الله بن مسعود يُشبَّه

---

(١) أي: البصرة والكوفة.

بالنَّبيِّ ﷺ في هديه ودَلِّه، وكان علقمة يُشبَّه بعبد الله في ذلك.

قال جريرُ بن عبد الحميد: وكان إبراهيم النخعي يُشَبَّه بعلقمة في ذلك، وكان منصور يُشَبَّه بإبراهيم.

وقيل: كان سفيان الثَّوريُّ يُشَبَّه بمنصور، وكان وكيعٌ يُشَبَّه بسفيان، وكان أحمد يُشَبَّه بوكيع، وكان أبو داود يُشَبَّه بأحمد».

طلبُه للعلم وشيوخُه:

ذكر ابن حجر أنَّ شُيُوخه في «السُّنن»، وغيرها من كتبه نحوٌ من (٣٠٠ نفس).

فقد حرص الإمامُ أبو داود علىٰ طلب العلم والرّحلة في سبيل تحصيله في سنٍّ مبكِّر مِن حياتِه، فقد رحل إلىٰ بغداد سنة (٢٢٠ هـ)، وكان عمرُه آنذاك ثمانية عشر عامًا، ورحل إلىٰ الشَّام سنة (٢٢٢ هـ)؛ لذا فإنَّه حَظيَ بعلوِّ الإسناد؛ فهو يفوق الإمام مسلمًا في علوِّ الإسناد، بل إنَّه يُشاركُ البخاريَّ في جماعةٍ مِن شيوخِه لم يشاركه في الرِّواية عنهم غيرُه.

وسمع مِن عليِّ بن المديني، ويحيىٰ بن معين، ومحمَّد بن بشَّار، وسمع بمكَّة مِن القعنبيِّ، وسليمان بن حرب، وسمع من مسلم بن إبراهيم، وعبد الله بن رجاء، وأبي الوليد الطَّيالسيّ، وموسىٰ بن إسماعيل، وطبقتهم بالبصرة.

وسكن البصرة، فنَشر بها العلم، وكان يتردَّد إلىٰ بغداد.

قال الحاكمُ: «سليمانُ بن الأشعث السّجستانيّ؛ مولده بسجستان، وله ولسلفِه إلىٰ الآن بها عقد وأملاك وأوقاف، خرج منها في طلب الحديث إلىٰ البصرة، فسكنها، وأكثر بها السَّماع عن سُليمان بن حرب، وأبي النُّعمان وأبي الوليد، ثُمَّ دخل إلىٰ الشَّام ومصر، وانصرف إلىٰ العراق، ثُمَّ رحل بابنه أبي بكر

إلىٰ بقية المشايخ، وجاء إلىٰ نيسابور، فسمع ابنه من إسحاق بن منصور، ثُمَّ خرَجَ إلىٰ سجستان، وطالع بها أسبابه، وانصرف إلىٰ البصرة واستوطنها».

وأستاذُه الإمام أحمد بن حنبل قد تكرَّر ذكره كثيرًا في أخبار أبي داود، وقد اتَّصل به ورافقه، وعَرَض عليه «سُننه» فاستجادها، وكان يسأله أبو داود كثيرًا عن أمور الدِّين وشؤون الحديث، وقد بلغ من اهتمام أبي داود بأجوبة شيخه أحمد أنْ ألَّف كتابًا جمع فيه الأسئلة الَّتي أُلقيت علىٰ الإمام أحمد وأجوبته عليها. وقد طبع هذا الكتاب بعنوان «مسائل أحمد».

تلامذته والرُّواة عنه:

حدَّث عنه:

أبو عيسىٰ التِّرمذيُّ في «جامعه»، والنَّسائيُّ، فيما قيل، وإبراهيمُ بن حمدان العاقولي، وأبو الطَّيِّب أحمد بن إبراهيم بن الأشناني البغدادي، نزيل الرَّحبة، راوي «السُّنن» عنه، وابنه أبو بكر بن أبي داود، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وعبد الرَّحمن بن خلَّاد الرَّامهرمزيُّ، وأبو بشر الدُّولابيُّ الحافظ، وأبو عليّ محمَّد بن أحمد اللُّؤلؤيُّ راوي «السُّنن»، وابن داسة... وغيرُهم كثيرٌ.

وضعه الاجتماعيُّ:

كان أبو داود يتمتَّع بمنزلة اجتماعيَّة مرموقة، وقد اكتسب شُهرةً قليلة النَّظير، وشاع كتابه في حياته، وكان الطَّلبةُ يَؤمّون منزلَه مِن كلِّ مكانٍ.

وكانت له مخالطةٌ طيِّبةٌ للعُلماء في كلِّ الأمصار، كما كانتْ له صلةٌ قائمةٌ علىٰ الاحترام مع الحكَّام.

وكان الرَّجلُ مُتزوِّجًا، وله أولاد، من أشهرهم ابنُه: عبدُ الله.

ويبدو أنَّه كان حريصًا علىٰ أنْ يطلبَ أولادُه العلم في وقتٍ مبكِّرٍ، ولذلك فقد كان يأخذهم معه ليحضروا مجالس العلم وليسمعوا.

أخلاقه وصفاته:

كان أبو داود رجلًا كبيرًا ذا خُلق كريم، كان صالحًا عابدًا ورعًا، وكان ذكيًّا مُجدًّا دؤوبًا كثير الاحتمال لمشاق الارتحال وطلب العلم، وكان يقظًا شديد الانتباه، يعرف النَّاس علىٰ حقيقتهم، ولا تنطلي عليه وسائل الخداع، وكان أبيًّا كريمَ النَّفْس، وكان جريئًا في الحقِّ، أمينًا علىٰ رسالة العلم، قائمًا بحقِّ الدِّين.

كُتبه:

١- كتاب السُّنن.

٢- كتاب المراسيل.

٣- مسائل الإمام أحمد في الفقه.

٤- سؤالات الإمام أبي داود الإمام أحمد في علم الرِّجال.

٥- النَّاسخ والمنسوخ.

٦- إجاباته عن سؤالات أبي عبيد محمَّد بن علي بن عُثمان الآجرِّي.

٧- رسالة أبي داود إلىٰ أهل مكَّة في وصف سُننه - ينبغي قراءتها لأهمِّيتها.

٨- كتاب الزُّهد.

٩ - كتاب القدر.

١٠ - كتاب البعث والنُّشور.

١١- المسائل الَّتي حلَف عليها الإمامُ أحمد.

١٢ - دلائل النُّبوَّة.

١٣ - التَّفرد في السُّنن. ١٤ - فضائل الأنصار.

١٥ - مسند مالك. ١٦ - الدُّعاء.

١٧ - أخبار الخوارج، وغيرها من الكتب المخطوطة والمطبوعة.

وله مؤلَّفاتٌ في حُكم المفقود ذكرَها المِزِّيُّ في «تهذيب الكمال» في ترجمته.

وفاته:

توفي أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الجمعة ١٥ شوال من سنة (٢٧٥هـ) بالبصرة، ودُفن إلىٰ جانب قبر سفيان الثَّوري، بعد أن قدَّم خدمات جليلة لدينه وأمَّته.

مصادر ترجمته:

- الجرح والتَّعديل.
- تاريخ بغداد.
- طبقات الحنابلة.
- تاريخ ابن عساكر.
- المنتظم.
- وَفيَات الأعيان.
- تذكرة الحفَّاظ.
- طبقات السُّبكي.
- البداية والنِّهاية.
- تهذيب التَّهذيب.
- طبقات الحفَّاظ.
- طبقات المفسِّرين.
- شذرات الذَّهب.

كتاب السُّنَّة

باب شرح السُّنَّة

قال الإمامُ الحافظُ أبو داود سُليمانُ بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ السِّجستانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٩٦- حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(١).

٤٥٩٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، (ح) وحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَفْوَانُ نَحْوَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَرَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوْزَنِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ». زَادَ ابْنُ يَحْيَى، وَعَمْرٌو فِي حَدِيثَيْهِمَا: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ». وَقَالَ عَمْرٌو: «الْكَلْبُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، وقال العلّامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «سنن أبي داود» بأحكام الألباني: «حسن صحيح».

بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»[١].

الشرح:

الحمد لله ربِّ العَالَمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أَشْرف الأنبياء والمرسلين نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين:

أول كتاب السُّنَّة: (باب شرح السُّنَّة): المراد بالسُّنَّة هنا: ما يتعلَّق بالعقيدة من اجتماعٍ وافتراقٍ، واختلافٍ واتِّفاقٍ، فقَدْ أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ اليهود والنَّصارىٰ افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين فرقةً، وفي رواياتٍ أخرىٰ أنَّ: «**الْيَهُودَ افْتَرَقَتْ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ، وَالنَّصَارَىٰ افْتَرَقَتْ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[٢].

وفي هذا الحديث معجزةٌ من معجزات النَّبيِّ ﷺ، فقد افترقت هذه الأُمَّة، وكان أوَّل افتراقها: مجموعة الخوارج الَّذين خَرَجوا علىٰ عثمان وقتلوه، ثمَّ بعد ذلك أيضًا خلاف ابن السَّوداء[٣] الَّذي ظهر في زمن عليٍّ، والخوارج الَّذين ظهروا في زمنه أيضًا، ثمَّ بعد ذلك القَدريَّة، ثمَّ بعد ذلك الجهميَّة.

والمهمُّ: أنَّ الافتراق الَّذي أخبر عنه النَّبيُّ ﷺ حصل، والَّذي أخبر عنه ممَّا سبق قَدْ حصل، فالحرص كلَّ الحرص أن نكون من الفرقة النَّاجية، والحرص كلَّ الحرص أن يكون العبد من الفرقة النَّاجية، وهو أن يجتهد في أن يكون عملُهُ موافقًا لما كان عليه أصحاب النَّبيِّ ﷺ من أعمالٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤٠) من حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٠٣).

(٣) هو عبد الله بن سبأ: رأس الطَّائفة السَّبئيَّة، الَّتي كانت تقول بألوهيَّة عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأصلُه مِن اليمن، قيل: كان يهوديًّا وأظهر الاسلام، وكان يقال له: «ابن السَّوداء»؛ لسوادِ أمِّه.

قوله: «وإنَّه سَيَخْرُجُ في أُمَّتِي أَقْوَامٌ - أو: مِنْ أُمَّتِي - تَجَارَىٰ بِهِم تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ».

وهذا واقعٌ، فإنَّك ترىٰ أنَّ أصحابَ تلك الأهواء الكثير منهم لا يُذْعِنُ للحقِّ، ولا يرجع إليه بعد أنْ عرَفَه كالكَلْبِ المسعور الَّذي أُصِيب بدَاءِ الكَلَب.

وداءُ الكَلَب: هو داءٌ يصيب الكَلْبَ، فإذا أُصيبَ به يظلُّ لا يهدأ، بل هو مجنونٌ، أو كالمجنون، لا يشرب الماء، بل يريد أن يعضَّ كلَّ مَنْ وجده، نسأل الله العفوَ والعافيةَ مِن ذلك.

قوله: «ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ في النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ في الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ»:

سُمِّيَتْ الجماعة؛ لأنَّها علىٰ الحقِّ، وكلُّ مَنْ كان علىٰ الحقِّ فهو جماعةٌ، وهو أُمَّةٌ وإن كان واحدًا، بهذا وصف الله عَزَّوَجَلَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أنَّه واحدٌ، وَصفه بأنَّه أُمَّةٌ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النَّحل: ١٢٠].

فالحقُّ أصحابُهُ هم الجماعة، وإن كانُوا قليلِينَ، وباللهِ التَّوفيقُ.



باب: النَّهي عن الجدال واتِّباع المتشابه من القُرآن

قال الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٩٨ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّسْتُرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»[1].

الشرح:

المتشابهُ له معنيانِ:

١- المتشابه الَّذي لا يَعْلَمُ معناه أو تفسيره إلَّا الله.

٢- المتشَابه في إعجازه وبلاغته وقُوَّته، وهو المرادُ هنا، وأنَّ القُرآنَ مُتشابهٌ في كلِّ ذلك؛ بلاغتُه وإعجازُه وقُوَّتُه وردُّه علىٰ مَنْ يُلْقون الشُّبَه علىٰ النَّبيِّ ﷺ كما قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. ومن هذا الباب يُسمَّىٰ القرآن كلُّه مُتشابهًا.

ومِن ناحيةٍ أُخرىٰ ينقسم القُرآنُ إلىٰ قِسمَين: مُحْكمٍ ومُتَشابهٍ:

فالمُحْكَمُ: هو الواضحُ، والَّذي تكون قراءته تفسيرَه، وهو الَّذي يعلمُه عامَّة

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

النَّاس، والنَّوع الثَّاني من المُحْكم هو ما يعلم تفسيره علماءُ الأُمَّة وأَحْبَارُها.

أمَّا المتشابهُ الَّذي يقابل المُحكم: فهو ما لا يَعْلَم تأويلَه إلَّا الله، والمقصود به هنا هو هذا المعنىٰ.

فالَّذين يتَّبعون المتشابه يريدون أنْ يتأوَّلوه بتأويلٍ يستعينون به علىٰ إلقاء الشُّبَه علىٰ الأُمَّة حتَّىٰ يصرفوا الأُمَّة عن الحقِّ، ويُلْقوا فيهم تلك الشُّبَه الَّتي يُحوِّلون بها الحقَّ إلىٰ الباطل، فهذا هو المقصود في قول المؤلِّف: «واتِّباع المتشابه من القُرآن».

والقرآنُ كما وصف الله عَزَّوَجَلَّ منه ما لا يَعْلم تأويله إلَّا الله، أو لا يعلم كَيفيَّته إلَّا الله، فمثلًا: أسماءُ الله وصفاتُهُ معلومةُ المعنىٰ في اللُّغة العربيَّة.

وإذا قال الله عَزَّوَجَلَّ وأخبر عن نفسه بأنَّه استوىٰ علىٰ العرش، وجب علينا أنْ نُؤمنَ بهذا علىٰ الوجه اللَّائق بجلال الله، لكنَّ الكيفيَّة مَخْفيَّةٌ عنَّا.

فالاستواءُ معلومٌ، والكَيْفُ في حقِّ الله مجهولٌ، كما قال مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَنْ سأله: «الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ، وأنت رجلُ سوءٍ»، ثمَّ أمر بإخراجه[1].

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين).

ورواه أيضًا في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥ برقم ٨٦٦) عن أبي الرَّبيع الرشديني عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك فدخل رجلٌ فقال، فذكر نحوه. وصحَّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابت عن مالك». وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد». وصحَّحه الألبانيّ في «مختصر العلوّ»: ص (١٤١-١٤٢). وانظر للتَّوسُّع كتاب: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الاستواء» للشيخ عبد الرَّزَّاق بن عبد المحسن العبَّاد حفظهما الله تعالىٰ.

فالَّذين يقولون: إذا وصفْنَا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بأنَّ له عينين، وأنَّ له بصرًا، وأنَّ له سمعًا، أو ما أشبه ذلك، فإنَّا قَدْ شَبَّهناه بخَلْقه؛ لذلك فنحن نُؤوِّل هذه الآيات، وهذا أصلُهُ مستقىً من قول الجهميَّة الَّذين لا يؤمنون بصفات الله عَزَّوَجَلَّ، هذا قولٌ باطلٌ.

وإنَّ الواجبَ علينا أن نؤمن بصفات الله علىٰ الوجه اللَّائق بجلال الله؛ وتوضيح ذلك أنَّا - مثلًا - إذا وصفنا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بأنَّه سميعٌ، فعلينا أن نؤمن بأنَّ له سَمْعًا لا يُشبه أسماع المخلوقين، وإذا وصفنا الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ له بصرًا، فعلينا أن نؤمن بأنَّ له بصرًا لا يشبه أبصار المخلوقين، وهكذا.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع جميع المسموعات، بل وغير المسموعات لنا، كذلك يبصر جميع المبصَرات، يرىٰ دبيبَ النَّمْلة السَّوْداء علىٰ الصَّخْرة الصَّمَّاء في اللَّيلة الظَّلْماء، والشَّاهد من هذا أنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ ليست مِن المتشابه؛ لأنَّها واضحةُ المعنىٰ، وإنَّما هي تُعَدُّ مِن المتشابه في الكيفيَّة فقط، وبالله التَّوفيق.



باب: مجانبة أهل الأهواء وبغضهم

قال الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٥٩٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ: الحُبُّ فِي اللهِ، وَالبُغْضُ فِي اللهِ»[(١)].

٤٦٠٠ - حدَّثنا ابْنُ السَّرْحِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، - وَذَكَرَ ابْنُ السَّرْحِ قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - قَالَ: «وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةَ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، ثُمَّ سَاقَ خَبَرَ تَنْزِيلِ تَوْبَتِهِ»[(٢)].

الشرح:

مجانبة أهل الأهواء وبغضهم في الله عَزَّوَجَلَّ من الأمور المُحتَّمة في الدِّين، فمِنْ أُسُس الدِّين: الحبُّ في الله، والبغضُ في الله، والمُوالاة فيه، والمُعاداة فيه، لن يبلغ العبد كمال الإيمان إلَّا بذلك، فإذا أحبَّ العبدُ لله وأبغضَ لله، ووالىٰ لله وعادىٰ

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٩)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لله، وبذل مِن أجل الله ومنَع مِن أجلِ الله، فذلك هو الَّذي بلَغ كمالَ الإيمان.

تحبُّ الرَّجل الَّذي لا يَقْربك في النَّسَب، ولا هو مِن جيرانك الَّذين تتعاون معهم ويتعاونون معك علىٰ جَلْب المصالح المشتركة بينكم، ولكنَّه رجلٌ بعيدٌ عنك في الدَّار، بعيدٌ عنك في النَّسَب، يبلغك عنه بأنَّه صاحب سُنَّةٍ، فتحبُّه لله، إذا بلغت إلىٰ هذا الحدِّ؛ فأنت مؤمنٌ.

كذلك أيضًا يبلغك عن المبتدع يكون قريبًا لك، تَتحقَّق بدعته، وترىٰ انحرافه، فتبغضه لله وإن كان أقربَ النَّاس إليك، وإن كان شقيقَك في النَّسَب، أو ابن عَمِّك، هذا الَّذي يجب.

وهذا ما كان عليه أصحابُ النَّبيِّ ﷺ، كان الرَّجلُ منهم يُسْلِمُ، فيجانب مَنْ كان علىٰ خلاف عقيدتِه ويبتعد منه، وفي حديث الطُّفَيل بن عمرو شاهدٌ علىٰ ذلك، وغيره من الأدلَّة، فحينما جاء الطُّفَيل إلىٰ مكَّة، وكان الطُّفَيل بن عمرٍو الدَّوسي رجلًا شريفًا في قومه، شاعرًا بليغًا، قدِم مكَّة، فجاءت إليه قريش وحَذَّروه من سماع النَّبيِّ ﷺ، وسماع كلامه، فلم يلبث أَنْ حشَا أذنيه بالقطن كي لا يسمع كلام النَّبيِّ ﷺ، فجاء إلىٰ الحَرَم إلىٰ المسجد في الضُّحَىٰ، ووجد النَّبيَّ ﷺ قائمًا يُصلِّي ويقرأ، فوقف إلىٰ جنبه ليسمع كلامه.

وأخيرًا قال لنفسه: إنَّ هذا لهو العجز، ألست أنا من صفتي أنِّي أعرف حَسَنَ الكلام وقَبِيحَه، وشعرَه ونثرَه، إذًا، فمن العجز أن أبقىٰ علىٰ كلام قريش، ولكن سألقي القطن الَّذي في أذنيَّ وأسمع كلامه؛ فإنْ كان حقًّا اتَّبعتُهُ، وإنْ كان باطلًا تركتُهُ، فألقىٰ القطن، فسمع النَّبيَّ ﷺ وسمع منه بعض قراءته، فعرف أنَّه حقٌّ، وأنَّ ما يقوله حقٌّ، فَتبِعَهُ إلىٰ بيته وسمع منه، وقرأ عليه القرآن، فأسلم وعاد إلىٰ بلده.

فلمَّا قدم، جاء أبوه ليسلِّم عليه، فقال له: إليك عنِّي، فلستُ منك، ولستَ منِّي!

قال له أبوه: لماذا يا بُنَيَّ؟

قال: إنِّي تابعتُ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ، وتركتُ دين الجاهليَّة، وعبادة الأوثان.

فقال: دِيني دينُك، فعلَّمه كيف يُسْلم فأسلمَ، وجاءت أُمُّه وزوجتُهُ كذلك يقول لكلٍّ واحدةٍ منهما كما قال لأبيه، وأسلموا[(١)].

وهكذا كان الرَّجل يُسْلِم، فيفارق أهله ويبتعد عنهم ويبتعدون عنه؛ لأنَّ الولاءَ والبراءَ من أُسُس الدِّين، وأنْ يكون الرَّجل مُتَّبعًا للحقِّ، مبتعدًا عن أهل البدع.

ومِنْ أجل ذلك فلقد كانت قريشٌ تصف رسول الله ﷺ بأنَّه ساحرٌ، يقولون: ألا ترون أنَّه يُفرِّق بين الرَّجل وأبيه وابنه وعشيرته.

ومن الأدلَّة علىٰ ذلك: حديثُ كعب بن مالكٍ في قصَّة تَخلُّفه، وهذا حديثٌ طويلٌ كما هو في «الصَّحيحين» وكما ذكره النَّوويُّ في كتابه «رياض الصَّالحين».

والشَّاهدُ منه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمَرَ بتركِ كلامهم (الثَّلاثة الَّذين خُلِّفوا)، وبعد أنْ مضىٰ عليهم أربعون يومًا لا ينزل فيهم شيءٌ، أَمَر كلَّ واحدٍ منهم أنْ يُفَارقَ زوجتَه حتَّىٰ يقضيَ اللهُ فيهم ما يقضي.

وبعد ذلك نزلَتْ توبةُ الله عليهم[(٢)].

فالشَّاهدُ منه: أمْر النَّبيِّ ﷺ بعدم كلامِهم، وفي ضمن ذلك عدمُ التَّسليم عليهم.

وهذا دليلٌ علىٰ أنَّ أهل البدع ينبغي أن يشعروا بأنَّ ما هُمْ عليه باطلٌ، فيُترَك السَّلام عليهم من أجل ذلك، وبالله التَّوفيق.

---

(١) انظر: «السِّيرة الحلبيَّة في سيرة الأمين المأمون»، لعلي بن برهان الدين الحلبي (٢/ ٦٩، ٧٠).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

باب: ترك السَّلام على أهل الأهواء

قال الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٠١ - حدَّثنا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ، فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ، فَغَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: «اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ»[(١)].

٤٦٠٢ - وحدَّثنا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ سُمَيَّةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْنَبَ: «أَعْطِيهَا بَعِيرًا»، فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ؟! «فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ»[(٢)].

الشرح:

(باب ترْك السَّلام علىٰ أهل الأهواء): وهذا كفرعٍ للباب قبله، فالباب قبله فيه مجانبة أهل الأهواء، ومجانبة أهل الأهواء تشمل ترك السَّلام وغيره، وأراد المؤلف في هذا الباب أن يُبيِّن أنَّ تَرْكَ السَّلام علىٰ أهل الأهواء من الأمور المشروعة في الإسلام، أورد فيه حديث يحيىٰ بن يعمر، عن عمَّار بن ياسرٍ، قال: «**قَدِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ، فَخَلَّقُونِي**»: **الخَلُوقُ**: نوعٌ من الطِّيب «**بِزَعْفَرَانٍ**»، الزَّعفران: فيه رائحةٌ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠١)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٢)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفيه صُفرةٌ، لذلك نُهي عن التّزعْفر للرِّجال، ونهي أيضًا عن لُبْس الثِّياب المزعفرة.

فلمَّا قدم عمَّار بن ياسر، ولعلَّه قدم مِن الغزو وقَدْ تَشقَّقتْ يداهُ فعند ذلك خلَّقه أهلُهُ، فجاء إلى النَّبيِّ ﷺ ليُسلِّم عليه، فلم يَردَّ عليه النَّبيُّ ﷺ.

وكما جاء في ذلك الرَّجل الَّذي جاء إلى النَّبيِّ ﷺ وعليه خاتم الذَّهب، فألقى على النَّبيِّ ﷺ السَّلام، فلم يردَّ عليه، وكذلك أيضًا بعد أنْ ذهب وأخذ خاتمًا من حديدٍ، وجاء إلى النَّبيِّ ﷺ فلم يردَّ عليه، ثمَّ ذهب فأخذ خاتمًا من فِضَّةٍ، وجاء فألقى السَّلام على النَّبيِّ ﷺ فردَّ عليه(١).

وكذلك الوفد الَّذين جاؤوا إلى النَّبيِّ ﷺ، وقَدْ لبسوا الحرير وتَختَّموا بالذَّهَب، فجاؤوا فألقوا على النَّبيِّ ﷺ السَّلام، فلم يردَّ عليهم، فذهبوا يسألون أصحاب النَّبيِّ ﷺ عن ذلك، فقيل لهم: اذهبُوا، فاستبدلُوا ثيابًا غير هذه الثِّياب، وألْقُوا خواتم الذَّهب ثمَّ ائتوا، فسوف يردُّ عليكم، فذهبوا، فألْقوا تلك الثِّياب وأخذوا غيرها، وألْقوا تلك الخواتم وأخذوا غيرها، فجاؤوا، فَسلَّموا على النَّبيِّ ﷺ، فردَّ عليهم(٢).

---

(١) أخرج النَّسائيُّ (٥٢٠٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَجُبَّةُ حَرِيرٍ، فَأَلْقَاهُمَا ثُمَّ سَلَّمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَيْتُكَ آنِفًا فَأَعْرَضْتَ عَنِّي، فَقَالَ: «إِنَّهُ كَانَ فِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ» قَالَ: لَقَدْ جِئْتُ إِذًا بِجَمْرٍ كَثِيرٍ، قَالَ: «إِنَّ مَا جِئْتَ بِهِ لَيْسَ بِأَجْزَأَ عَنَّا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَّةِ، وَلَكِنَّهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» قَالَ: فَمَاذَا أَتَخَتَّمُ؟ قَالَ: «حَلْقَةً مِنْ حَدِيدٍ أَوْ وَرِقٍ أَوْ صُفْرٍ»، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الأدب المفرد» (١٦٠). وأخرج النَّسائيُّ أيضًا (٥١٨٨) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وَعَلَيهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ»، وصحَّحه لغيره الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٢٠٦١).

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «دلائل النُّبوة» (٢١٢٦)، وذكره ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية» (٥/ ٦٤)، وابنُ القيِّم في «زاد المعاد» (٢/ ٥٤٩).

(ترك السَّلام علىٰ أهل الأهواء): والمراد بالأهواء هنا: البدع.

ولمَّا كان في حَجَّة الوداع - قبل أن يسيروا إلىٰ مكَّة - كان لصَفيَّة جملٌ مُعْتلٌّ، فاضطرت إلىٰ أَخْذ جملٍ غيره، وكان عند زينب فَضْلُ ظَهْرٍ، فأمرها النَّبيُّ ﷺ أن تعطي صفيَّة جملًا من الَّتي هي مستغنيةٌ عنها، فقالت: «أنا أُعْطِي تِلْكَ اليَهُودِيَّةَ؟!».

فهجرها النَّبيُّ ﷺ بقيَّة شهر ذي القعدة، وذي الحِجَّة، والمُحرَّم، وشيئًا من صفر، ثمَّ إنَّه عاد إليها قبل أن يأخذه المرضُ، فأعتقت جاريةً لها شكرًا لله حينما عاد إليها النَّبيُّ ﷺ؛ لأنَّها كانت تخشىٰ أن يغضب اللهُ لغضبِ رسولِهِ ﷺ(1).

فهذه أدلَّةٌ واضحةٌ علىٰ تَرْك السَّلام علىٰ أهل البدع، وبالله التَّوفيقُ.



---

(1) «مسند أحمد» (٦/ ٣٣٧) رقم (٢٦٩٠٨)، و«السِّلسلة الصَّحيحة» للألباني تحت حديث رقم (٣٢٠٥).

باب: النهي عن الجدال في القرآن

قال الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٠٣- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»(١).

الشرح:

المراد بالمراء هنا: الجدال، فلا ينبغي الجدال في القرآن؛ لأنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلامُ اللهِ يجب أن نُذْعِنَ له، ونؤمنَ به كلَّ الإيمان، ونحترمَه كلَّ الاحترام، وقَدْ أنكر النَّبيُّ ﷺ علىٰ جماعةٍ من أصحابه حين كانوا يتجادلون في القرآن، فخرج عليهم وكأنَّما فُقِئَ حبُّ الرُّمَّان في وَجْهه، فقال: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟!»(٢)، وأَنْكَرَ عليهم إنكارًا شديدًا.

فقول النَّبيِّ ﷺ في هذا الحديث: «المِرَاءُ في القُرْآن كُفْرٌ»؛ يعني أنَّه قَدْ يُؤدِّي إلىٰ الكفر؛ لأنَّ التَّماري ربَّما يكون أحد المتماريين يردُّ علىٰ صاحبه، ولا يسمع كلامه، ولا يؤمن بما جاءه به، وربَّما أدَّىٰ إلىٰ ذلك العناد والعياذ بالله؛ فمن أجل

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسنٌ صحيحٌ».

(٢) يُشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ الحديث الَّذي أخرجه التِّرمذي (٢١٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ، فَغَضِبَ حَتَّىٰ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَحَتَّىٰ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟! أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟! إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ»، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٩٨).

ذلك حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ المراء في القرآن، وحرَّم الجدال فيه، ونهىٰ عن ذلك أشدَّ النهي.

أمَّا قوله: «كُفْرٌ» فلأنَّ الجدال يُؤدِّي إلىٰ الكفر.

فالكفر هنا ليس المراد به الكفر المُخْرِج من المِلَّة، ولكن لكونه يُسبِّب الكفر؛ سُمِّي كفرًا، والأَوْلَىٰ أن نترك ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ علىٰ ما هو عليه حتَّىٰ لا يستخفَّ به الجُهَّال. وحتَّىٰ لا يفهم بعض طَلَبة العلم أنَّ كلَّ جدالٍ في القرآن يكون كفرًا مخرجًا من المِلَّة، فلا بدَّ من تبيين هذا لطُلَّاب العلم.

قول النَّبيِّ ﷺ: «المِراءُ فِي القُرْآنِ كُفْرٌ».

قال المُناويُّ: «أي: الشَّكُّ في كونه كلام الله، أو المراد الخوض فيه بأنَّه محدثٌ أو قديمٌ، أو المجادلة في الآي المتشابهة، المؤدِّي ذلك إلىٰ الجحود والفتن وإراقة الدماء، فَسَمَّاه كفرًا باسم ما يُخاف عاقبته». اهـ[1].

وقال الإمام ابن الأثير في «النِّهاية»: «المراء: الجدال والتَّماري، والمماراة: المجادلة»[2].

والمهمُّ: أنَّه لا يكون كلُّ جدالٍ أو مراءٍ في القرآن كفرًا مخرجًا من المِلَّة. بالله التوفيق.

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٢٦٥ المكتبة التجارية الكبرىٰ).

(٢) «النِّهاية في غريب الحديث» (٤/ ٦٨٤).

باب في لزوم السُّنة

قال الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٠٤- حدَّثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، حَدَّثنا أَبُو عَمْرِو بْنُ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَام فَحَرِّمُوهُ، أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»(١).

٤٦٠٥- حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، قَالا: حَدَّثنا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»(٢).

٤٦٠٦- حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، حَدَّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، (ح) وحَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ، حَدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَخْرَمِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» قَالَ ابْنُ عِيسَىٰ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ أَمْرًا عَلَىٰ غَيْرِ أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١).

٤٦٠٧ - حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢].

فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟

فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢).

٤٦٠٨ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ عَتِيقٍ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرح:

(باب في لزوم السُّنَّة): أورد فيه حديثَ المقدام بن معديكرب عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

المراد بقوله: «وَمِثْلَهُ مَعَهُ»: السُّنَّة، فالسُّنَّة وحيٌ كما أنَّ القُرآنَ وحيٌ، وكما يجبُ علينا أن نأخذَ بالقرآن، فإنَّه يجب علينا أن نأخذ بالسُّنَّة، لذلك قال النَّبيُّ ﷺ هذا القولَ مُنكِرًا علىٰ أقوامٍ سيأتون فيما بعد، فيقولون: نأخذ بالقرآن ونترك السُّنَّة؛ لأنَّها مشكوكٌ فيها، هكذا زعموا.

وأوَّل مَنْ فعَل ذلك: الخوارج الَّذين قرؤوا القرآن، وتركوا السُّنَّة، فعوقبوا علىٰ تركهم السُّنَّة بأَنْ أخرجوا العُصاة من أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ من الإسلام إلىٰ الكفر، فكفَّروهم وحكموا عليهم بالكفر بمُجرَّد المعاصي، وحكموا عليهم بالخلود في النَّار، وأنكروا لذلك الشَّفاعة نتيجةً لإنكارهم السُّنَّة، فهذا أمرٌ خطيرٌ، وقَدْ رأينا من النَّاس مَنْ تراه قارئًا تلَّاءً للقرآن، لكنَّك بعد ذلك تكتشف بأنَّه خارجيٌّ، وبأنَّه - والعياذ بالله - يعتقد عقيدة الخوارج، ويكفِّر المسلمين بالذَّنب.

فهذا تحذيرٌ من الشَّارع عن ترك السُّنَّة «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، فالخوارج تركوا السُّنَّة كلَّها، أمَّا المعتزلة فقالوا: نؤمن بالمتواتر من السُّنَّة دون غيره، ومن هؤلاء أقوامٌ مِمَّنْ يُزعم لهم بأنَّهم دعاةٌ إلىٰ الحقِّ كالغزاليِّ المُتأخِّر، وأشباهه فمَنْ ترك السُّنَّة حصل له الخذلان - والعياذ بالله - بل تسوء عقيدته، نسأل الله العفو والعافية، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ».

الأريكة: هو السَّرير الَّذي عليه الحَجَلة، أو الفِراش والبساط الَّذي يكون عليه.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الحِمَارُ الأَهْلِيُّ»؛ تحريم الحمار الأهلي واردٌ في السُّنَّة، ولم يَرِدْ في الكتاب «وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَلَا كُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ»(١)، كلُّ ذلك لا يجوزُ للإنسان أن يترك العمل به؛ لأنَّه لم يَرِدْ في القُرآن.

وكذلك أيضًا: «لُقَطَةُ المعاهد» لا يجوز لك أنْ تأخذها «إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا»، «وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»؛ يعني: أن يأخذ من أموالهم بمثل قِراه.

فهذا كلُّه مِمَّا لم يرد في القرآن، وإنَّما ورد في السُّنَّة.

ثمَّ في الحديث الآخر من حديث أبي رافعٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ».

حُجَّة المُعطِّلين للسُّنَّة أنَّهم يقولون: إنَّ ما نُقل عن النَّبيِّ ﷺ من السُّنَّة قَدْ يكون صحيحًا، وقَدْ يكون غير صحيحٍ، والقُرآنُ حماه اللهُ وحفظه، فلا يستطيع أحدٌ التَّحريف فيه، فلذلك نحن نقول: إنَّ الواجب هو الأخذ بالقرآن فقط! هكذا يقولون! ولكن نقول: إنَّ السُّنَّة هي المصدر الثَّاني للتَّشريع، ومَنْ تَرَكَها فقَدْ تَرَكَ التَّشريع، أو ترَك بعض التَّشريع الَّذي جاء عن النَّبيِّ ﷺ علمًا بأنَّ القرآن فيه مُجْمَلاتٌ لم تُبيَّن إلَّا بالسُّنَّة.

وقَدْ أنكر عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ مَنْ قال له: إنَّكُمْ تأتوننا بأحاديث

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٠٣) عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (٢٤٨٨).

ما نجدها في كتاب الله؟! فغضب عليه عمران بن حصين وقال له: «أتجدُ في كتاب الله أنَّ الظُّهْرَ أربعُ ركعاتٍ، وأنَّ العَصْرَ أَرْبَعٌ، وأنَّ المغْرِبَ ثَلَاثٌ، وأنَّ العشاءَ أربعٌ، وأنَّ الصُّبحَ ركعتانِ؟ أتجد في كتاب الله مقاديرَ الزَّكاة؟»(١).

الجواب: أنَّ مقادير الزَّكاة والصَّلَوات لم تُعرف إلَّا من سُنَّة رسول الله ﷺ، فنحن مُخَاطَبون بالأَخْذ بالسُّنَّة كَمَا نحن مُخاطَبون بالأَخْذ بالقرآن.

أمَّا قولهم: لا ندري، هل صحَّ هذا أم لم يصحَّ؟

فنقول لهم: إنَّ اللهَ تَعهَّد بحِفْظ شرعه، فسهَّل ويَسَّر للحديث أقوامًا يَتتبَّعون السُّنَّة، ويأخذونها عن شُيُوخهم ويُمحِّصُونها، فما وجدوا فيه ضَعْفًا، ضَعَّفوه، يُضعِّفون الرَّجلَ؛ فتُضعَّف كلُّ مَرْويَّاته، ويُعدِّلون الرَّجل ويَحْكمون له بالعدالة والثِّقة والضَّبْط؛ فتصحُّ كلُّ مَرْويَّاته، ويُؤخَذ بها.

فمِنْ حِفْظِ اللهِ للسُّنَّة أَنْ يسَّر لها رجالًا مَحَّصوها وعرفوها وذَبُّوا عنها من بعد الصَّحابة إلىٰ زمن أحمد بن حنبل، ومَنْ كان معه علىٰ هذا المنهج، وكذلك إلىٰ أَزْمِنةٍ بعده، لكن أكثر ما يكون ذلك في القرن الثَّاني والثَّالث، مَحَّصَ أهلُ الحديثِ الحديثَ، وبَيَّنوا صحيحَه من ضعيفِه، ولذلك فإنَّ هذه الكتب دُوِّنت معظمها في أوَّل القرن الثَّالث أو وسطه، فـ «صحيح البخاري» كَتَبه صاحبُه في

---

(١) أخرج عبد الله بن المبارك في «مسنده» (ص١٤٣المعارف) (٢٣٣)، وفي «الزُّهد» (ص٢٣) (٩٢)، والآجريُّ في «الشَّريعة» (١/٤١٦ الدميجي)، وابن بطَّة في «الإبانة» (١/ ٢٣٦) (٦٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١١٩٢الزهيري) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَسَأَلَه عَنْ شَيءٍ فحدَّثه، فقالَ الرَّجُلُ: حَدِّثُوا عَنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا تُحَدِّثُوا عَنْ غَيْرِهِ! فَقَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ أَحْمَقُ، أَتجدُ في كتاب الله أَنَّ صَلَاةَ الظُّهر أَرْبَعٌ لَا يُجْهَرُ فيها، وَعَدَدَ الصَّلَوَات، وَعَدَدَ الزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا؟ ثُمَّ قَالَ: أَتجدُ هَذَا مُفسَّرًا في كتاب الله؟ إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْكَمَ ذَلِكَ، وَالسُّنَّة تُفَسِّرُ ذَلِكَ».

أوَّل القرن الثَّالث، وكذلك مسلمٌ.

البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٥٦هـ)، ومسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُوفِّي في (٢٦١هـ)، وابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٧٣هـ)، وأبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٧٥هـ)، والتِّرمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُوفِّي في سنة (٢٧٩هـ)، إلَّا أنَّ النَّسائيَّ - كان آخرهم - تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة (٣٠٣هـ) بعد عُمُرٍ طويلٍ.

المهمُّ: أنَّ الله هَيَّأَ للسُّنَّة رجالًا مَحَّصوها وذَبُّوا عنها، وبَيَّنوا الصَّحيح من الضَّعيف فيها - والحمد لله -، فمَنْ قال خلاف ذلك فهو مفتونٌ، سواء قال: إنَّا لا نؤمن إلَّا بالمتواتر؛ كالمعتزلة، أو قال: إنَّا لا نؤمن بالسُّنَّة كلِّها كما تقول الخوارج، فهَذَان المَذْهبان مَذْهبَا ضلالةٍ وابتداعٍ، ونسأل الله العفوَ والعافيةَ.

ثمَّ أورد حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**.

وكذلك يقول: قال ابن عيسىٰ: قال النَّبيُّ ﷺ: **«مَنْ صَنَعَ أَمْرًا عَلَىٰ غير أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ»**.

ثمَّ حديث العرباض بن سارية، وهو أنَّه أتاه قومٌ من التَّابعين وطلبوا منه أنْ يُحدِّثهم، فقالوا: «أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ»، فَحَدَّثهم العرباض بن سارية أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج عليهم ذات يومٍ، فصلَّىٰ بهم صلاة الفجر، ثمَّ أقبل عليهم فوعظهم موعظةً بليغةً، ذَرَفت منها العيون، وَوَجِلَتْ منها القلوبُ.

فقال قائلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ»؛ يعني: كأنَّ أَجلك قريبٌ فودَّعتنا بهذه الموعظة، «كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟».

قال: «**أُوصِيكُمْ بتقْوَىٰ اللهِ**»؛ أي: اتَّقوا الله، وتقوىٰ الله مُتضمِّنةٌ للأَخْذِ بما

جاء في كتابه، والأخذ بما جاء في سُنَّة رسوله ﷺ.

ثمَّ قال: «والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا»؛ أي: السَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر، وإنْ كان وليُّ الأمر عبدًا حبشيًّا؛ «فإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي».

لو لم يكن في وجوب العمل بالسُّنَّة إلَّا هذا الحديث لكفىٰ «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

وفي روايةٍ: «المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تمسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيهَا بالنَّوَاجِذِ»، هذا إغراءٌ من النَّبيِّ ﷺ يَتَضَمَّن الأمر بالتَّمسُّك بالسُّنَّة وحفظها ومتابعتها، والمشي في العقيدة والدِّين علىٰ ضوئها.

فقوله: «عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ» هذا إغراءٌ مِن أَشَدِّ الإغراء، وحثٌّ من أشدِّ الحثِّ علىٰ لزوم السُّنَّة والإيمان بها ومتابعتها وترك المُحْدَثات من الأمور.

ثمَّ بَيَّن أنَّ كلَّ مُحدثةٍ في الدِّين بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، والضَّلالة هي الطَّريق أو المتاهة الَّتي يضلُّ فيها الإنسان، فلا يعرف أين اتِّجاهه، وأين مصيره، وذلك أنَّ مَنْ ترك السُّنَّة؛ فإنَّه قَدْ ترك الاتِّجاه الصَّحيح، وصار مثل مَنْ دخل في متاهةٍ لا يدري أين يَتَّجه، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

هذا حديثٌ عظيمٌ يجب علينا أنْ نأخذ به، وأَنْ نَتمسَّك به.

وهل المراد بالبدعة هنا كلُّ ما ابتدع بعد زمنِ النَّبيِّ ﷺ سواءٌ كان في الدِّين أو الدُّنيا؟ لربَّما قال قائلٌ هذا، ولكنَّ المراد بذلك هو الابتداع في الدِّين؛ لأنَّ الدِّين قَدْ كَمُل، وأخبر اللهُ بكماله حيث يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإذا كان الدِّينُ قَدْ كَمُل، إذًا، فَمَنِ ابْتَدَع بدعةً في الدِّين بعد كماله، فإنَّه قَدِ اتَّهم مُحمَّدًا ﷺ بأنَّه كتَم شيئًا مِن الدِّين، وكَذَّب الله في إخباره بكمال الدِّين.

وهناك كُتُبٌ ذكرَتْ البدع، منها كتاب «الاعتصام» للشَّاطبيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الَّذي شرح فيه البدع، وردَّ عليها، وغير ذلك من الكتب، ككتاب «الشَّريعة» للآجرِّي، وكتاب «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطَّة، وكتاب «شرح السُّنَّة» للَّالكائي، وأمثال هذه الكتب، وكتب الرُّدود ك: توحيد ابن خزيمة، والرَّد علىٰ بشر المرِّيسي لعثمان بن سعيد الدَّارمي، والرَّد علىٰ الجهميَّة له، والرَّد علىٰ الجهميَّة لأحمد بن حنبل، وأمثالها.

والحديث الأخير - حديث عبد الله بن مسعودٍ - من رواية الأحنف بن قيس أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

والتَّنطُّع: هو التَّعمُّق في الشَّيء، والتَّكلُّف في البحث عنه، وما أشبه ذلك، فينبغي لطالب العلم أَنْ يكون وَسَطًا بين الغُلوِّ والجَفَاء، وبين التَّنطُّع والتَّكلُّف والتَّساهل.

نسأَلُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُوفِّق الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، وأن يُفقِّهنا في السُّنن، وأَنْ يُجنِّبنا البدع، إنَّه جوادٌ كريمٌ.



جاء في كتابه، والأخذ بما جاء في سُنَّة رسوله ﷺ.

ثمَّ قال: «والسَّمْع والطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا»؛ أي: السَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر، وإنْ كانَ وليُّ الأمر عبدًا حبشيًّا؛ «فإنَّه مَنْ يَعِش مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي».

لو لم يكن في وجوب العمل بالسُّنَّة إلَّا هذا الحديث لكفىٰ «فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بها، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ».

وفي روايةٍ: «المَهْدِيِّين الرَّاشِدِينَ، تَمسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَليهَا بالنَّوَاجِذِ»، هذا إغراءٌ من النَّبيِّ ﷺ يَتضمَّن الأمر بالتَّمسُّك بالسُّنَّة وحفظها ومتابعتها، والمشي في العقيدة والدِّين علىٰ ضوئها.

فقوله: «عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ» هذا إغراءٌ مِن أَشَدِّ الإغراء، وحثٌّ من أشدِّ الحثِّ علىٰ لزوم السُّنَّة والإيمان بها ومتابعتها وترك المُحْدَثات من الأمور.

ثمَّ بَيَّن أنَّ كلَّ مُحْدثةٍ في الدِّين بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، والضَّلالة هي الطَّريق أو المتاهة الَّتي يضلُّ فيها الإنسان، فلا يعرف أين اتِّجاهه، وأين مصيره، وذلك أنَّ مَنْ ترك السُّنَّة؛ فإنَّه قَدْ ترك الاتِّجاه الصَّحيح، وصار مثل مَنْ دخل في متاهةٍ لا يدري أين يَتَّجه، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

هذا حديثٌ عظيمٌ يجب علينا أَنْ نأخذ به، وأَنْ نَتمسَّك به.

وهل المراد بالبدعة هنا كلُّ ما ابتدع بعد زمنِ النَّبيِّ ﷺ سواءٌ كان في الدِّين أو الدُّنيا؟ لربَّما قال قائلٌ هذا، ولكنَّ المراد بذلك هو الابتداع في الدِّين؛ لأنَّ الدِّين قَدْ كَمُل، وأخبر اللهُ بكماله حيث يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإذا كان الدِّينُ قَدْ كَمُل، إذًا، فَمَنِ ابْتدَع بدعةً في الدِّين بعد كماله، فإنَّه قَدِ اتَّهم مُحمَّدًا ﷺ بأنَّه كتَم شيئًا مِن الدِّين، وكَذَّب الله في إخباره بكمال الدِّين.

وهناك كُتُبٌ ذكرَتْ البدع، منها كتاب «الاعتصام» للشَّاطبيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الَّذي شرح فيه البدع، وردَّ عليها، وغير ذلك من الكتب، ككتاب «الشَّريعة» للآجرِّي، وكتاب «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطَّة، وكتاب «شرح السُّنَّة» للَّالكائي، وأمثال هذه الكتب، وكتب الرُّدود كـ: توحيد ابن خزيمة، والرَّد علىٰ بشر المرِّيسي لعثمان بن سعيد الدَّارمي، والرَّد علىٰ الجهميَّة له، والرَّد علىٰ الجهميَّة لأحمد بن حنبل، وأمثالها.

والحديث الأخير - حديث عبد الله بن مسعودٍ - من رواية الأحنف بن قيس أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

والتَّنطُّع: هو التَّعمُّق في الشَّيء، والتَّكلُّف في البحث عنه، وما أشبه ذلك، فينبغي لطالب العلم أَنْ يكون وَسَطًا بين الغُلوِّ والجفَاء، وبين التَّنطُّع والتَّكلُّف والتَّساهل.

نسأَلُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُوفِّق الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، وأن يُفقِّهنا في السُّنن، وأَنْ يُجنِّبنا البدع، إنَّه جوادٌ كريمٌ.



باب لزوم السُّنَّة

قال الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٠٩ - حدَّثنا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ - يَعْنِي: ابْنَ جَعْفَرٍ -، قَالَ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ - يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١).

٤٦١٠ - حدَّثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ عَلَىٰ النَّاسِ، مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»(٢).

٤٦١١ - حدَّثنا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بنِ يَزِيدَ بنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ الهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيَّ عَائِذَ اللهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصحاب مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ -، أَخْبَرَهُ قَالَ: كَانَ لا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: «اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ».

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَالْعَبْدُ، وَالحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّىٰ أَبْتَدِعَ لَهمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحَكِيمِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَىٰ لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ المُنَافِقُ كَلِمَةَ الحَقِّ»، قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ المُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: «بَلَىٰ، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ المُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَا هَذِهِ، وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وَتَلَقَّ الحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَىٰ الحَقِّ نُورًا»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الحَدِيثِ، «وَلَا يُنْئِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ»، مَكَانَ «يُثْنِيَنَّكَ»، وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي هَذَا: «المُشَبِّهَاتِ»، مَكَانَ «المُشْتَهِرَاتِ»، وَقَالَ: لا يُثْنِيَنَّكَ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: بَلَىٰ مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الحَكِيمِ حَتَّىٰ تَقُولَ مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؟[1].

وقال:

٤٦١٢ - حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ كَثير، قَالَ: حدَّثنا سُفيانُ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ ابن عَبْدِ العَزيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ القَدَرِ، (ح) وَحَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بنُ سُلَيمانَ المؤَذِّنُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بنُ مُوسَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ دُلَيل، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ يُحَدِّثُنَا عَن النَّضْر، (ح) وَحَدَّثَنَا هَنَّادُ بنُ السَّرِيّ، عَنْ قَبيصَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ أَبي الصَّلْت، وَهَذَا لَفْظُ حَدِيث ابْن كَثِير وَمَعْنَاهُمْ، قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلىٰ عُمَر بْن عَبْدِ العَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَن القَدرِ فَكَتَبَ:

أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالاقْتِصَادِ في أَمْرِهِ، وَاتِّبَاع سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١١)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح الإسناد موقوف».

مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللهِ - عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَىٰ قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا؛ فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا - وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ: «مَنْ قَدْ عَلِمَ» - مِنَ الْخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كفوا، وَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَىٰ، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَىٰ، فَإِنْ كَانَ الْهُدَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ.

وَلَئِنْ قُلْتُمْ: إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ، مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مقصرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ محسرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا. وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مُسْتَقِيمٍ.

كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ فَعَلَى الْخَبِيرِ - بِإِذْنِ الله - وَقَعْتَ، مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ، وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ، لَقَدْ كَانَ ذكرهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجهلَاء، يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي شِعْرِهِمْ، يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ، فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ، وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ، أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ، وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ، وَإِنَّهُ مَعَ ذَٰلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ، وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟ لِمَ قَالَ كَذَا؟ لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا

بَعْدَ ذَلِكَ: كُلُّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ، وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ، وَمَا يُقدرْ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا(١).

الشرح:

(باب لزوم السُّنَّة) أورد فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**».

«الهُدىٰ»: هو ما جاء مِن عند الله؛ ما جاء به كتابُ الله وسُنَّة رسولِه ﷺ.

«الضَّلالة»: هو ما جاء من طريق أصحاب الإحداث الَّذين أحدثُوا في الدِّين ما لم يأذن به اللهُ.

ولمَّا كان المُتسبِّبُ في الشَّيء عليه مِنْ تَبِعَته وإثمه أو مِن ثوابه وفضله ما يكون جزاءً علىٰ فاعل ذلك السَّبَب، إنْ كان خيرًا فللمُتسبِّب فيه خيرٌ، وإنْ كان شرًّا فللمُتسبِّب فيه شرٌّ، فقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**»(٢).

لذلك، فإنَّ مَنْ دعا إلىٰ هُدًىٰ، وأحيا سُنَّةً وأمر بها، أَمَر بمعروفٍ، ونَهىٰ عن مُنكرٍ، فإنَّ له من الأجر مثلَ أجور مَنْ تابعوه في دعوته تلك، ومَنْ دعا إلىٰ ضلالةٍ، فإنَّ عليه من الإثم مثل ما علىٰ مَنْ عمل بدعوته، والعياذ بالله.

وهذا مِمَّا ينبغي للمسلم أن ينظر فيه، وأنْ يتبيَّن ذلك الشَّيءَ الَّذي دعا إليه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح مقطوع».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٣٣٥)، ومسلمٌ (١٦٧٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

هل هو من الحقِّ فيُؤجَر ويُثاب، ويتضاعف ثوابُهُ كلَّما كثر التَّابعون له في أمْر دعوته تلك، أم يكون بالعكس مِن ذلك فيكُفَّ نفسَه ويقف، فنحن الآن في زَمَنٍ كثُرَتْ فيه الفتَنُ، وكثُر فيه دعاةُ الضَّلال.

فيا عبد الله، إيَّاكَ وإيَّاهم، فإنَّك إنْ تابعْتَهم علىٰ ما هم عليه من الضَّلال، أهلكتَ نفسَك وأوبقتَها، وحمَّلتها ما لا طاقة لها به.

انظروا كيف تنفذ هذه الدَّعَوات إلىٰ القلوب فتُؤثِّر فيها، فيُعْمِي الله بصر وسَمْعَ ذلك المدعو الَّذي قَبِلَ هذه الدَّعوة الضَّالَّة، فمثلًا: دعوة التَّكْفير؛ الَّذين يُكفِّرون المسلمين، كيف لم يَرَ مَن تقبَّل هذه الدَّعوة ما عليه المسلم من الإسلام والعبادة؛ مِن الصَّلاة والزَّكاة والصِّيام وقراءة القرآن، ومن الأمور الأخرىٰ الَّتي يفعلها ممتثلًا بها أمْرَ الله، ومُؤدِّيًا بها عبادةً يرجو ثوابها من الله؟ ثُمَّ بعد ذلك يأتي هذا الأعمىٰ فيستبيح دمه! ما أعظمها من موبقةٍ ومهلكةٍ!

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. ويستبيح تبعًا لذلك عِرْضه وماله، والعياذ بالله.

ثمَّ أورد المؤلِّف حديثَ عامر بن سعدٍ عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَعْظَمَ المسْلِمِينَ في المسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

هذا السَّائل الَّذي سأل وتَسبَّب في شيءٍ كان مسكوتًا عنه، ثمَّ إنَّه حُرِّم من أجل مسألته، يكون من أعظم النَّاس جرمًا، وهذا إنَّما كان عند تنزُّل الوحي، أمَّا بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ وانقطاع الوحي؛ فإنَّ الأحكام الشَّرعيَّة قَدِ اسْتقرَّت علىٰ ما هي عليه.

ثمَّ أورد حديث أبي إدريسٍ الخولاني عائذِ الله أخبره أنَّ يزيد بن عُميرة، وكان من أصحاب معاذ بن جبل، أخبره قال: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا للذِّكْر حِينَ يَجْلِسُ إلَّا قَالَ: «اللهُ حَكَمٌ قِسطٌ، هَلَكَ المرْتَابُونَ».

«اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ»؛ أي: عدلٌ.

«هَلَكَ المرْتَابُونَ»؛ أي: الشَّكَّاكون في أوامر الله ونواهيه، في كتابه وسُنَّته.

ثمَّ قال: قال مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ يَوْمًا: «إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا المالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا القُرْآنُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ المؤْمِنُ وَالمنَافِقُ، وَالرَّجُلُ وَالمرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ والكَبِيرُ، وَالعَبْدُ وَالحُرُّ»، كأنَّما وصَف زَمَانَنَا هذَا.

«إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا المالُ»: والمالُ اليوم كثيرٌ.

«وَيُفْتَحُ فِيهَا القُرْآن حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ المؤْمِنُ والمنَافِقُ»: أي: يقرؤه المؤمن؛ لَيتبصَّر به في دينه، ويقرؤه المنافقُ ليجادلَ به المؤمنين، والعياذ بالله.

وقَدْ جاء في «مسند الدَّارميِّ»[1]، عن أبي الزاهرية - يرفع الْحديث - أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: «أَبُثُّ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ، أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ». هذا حديثٌ عظيمٌ، وفيه إنذارٌ ووعيدٌ: «فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ، أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ»: وإنَّك لتعجبُ أنْ ترىٰ الفجور عند بعض مَنْ يقال بأنَّهم طُلَّاب علمٍ من الذُّكور والإناث، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ونسأل الله السَّلامة، ونحن بحاجةٍ إلىٰ أن ندعوَ الله كثيرًا، ونلجأ إليه لُجأً عظيمًا أنْ يُبصِّرنا ويُبصِّر شبابَ المسلمين الحقَّ،

---

(١) أخرجه الدَّارميّ (٢٥٩). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٠)، وابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٢١٠ الزهيري)، عن أبي الزَّاهريَّة قال: بلغني أنَّ في بعضِ الكتبِ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقولُ، فذكره.

ويُجنِّبهم الشِّرك والبدع والفواحش والفتن، ما ظهر منها وما بطن.

قوله: «فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لا يَتَّبِعُونِي»: هذا يدلُّ علىٰ أنَّ النَّزعةَ إلىٰ حبِّ الرِّئاسة مُتأصِّلةٌ في الإنسان، والعياذ بالله.

وقوله: «مَا لِلنَّاسِ لا يَتَّبِعُونِي، وَقَدْ قَرَأْتُ القُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّىٰ أَبْتَدِعَ لَهمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ؛ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلالَةٌ»: أي نحن الآن ينبغي أن ننظر في هذه الدَّعوات الَّتي انتشرَتْ فيمن حولنا هنا وهناك، يجبُ أن ننظر فيها، فما وافق منها الحقَّ أخذناه، لا اتِّباعًا لها، ولكن اتِّباعًا للحقِّ، وما خالف منها الحقَّ رددناه، هذا هو موقف المؤمن.

هذا هو موقفُ الدَّاعية وموقفُ المدعوِّ إنْ كان طالبَ علمٍ يُريد الحقَّ، وإذا كان معاذ بن جبلٍ يقول هذا القول في زمنه، فكيف بعد ذلك؟

ونقول بأنَّه ينبغي أن نُحْسِنَ الظَّنَّ بكلِّ مَنْ دعا -فيما يزعمُ- إلىٰ الدِّين، فما دعا إلىٰ الدِّين إلَّا وهو يُريدُ الدِّين مخلصًا، وينبغي لنا - كما قلتُ سابقًا - أن ننظرَ في هذه الدَّعوات، وألَّا نأخذ بما جاء مِن عند فُلانٍ علىٰ أنَّه حقٌّ كلُّه.

فهذا لا يجوز، واللهُ ما كلَّفنا إلَّا باتِّباع رسوله ﷺ، وأنَّه لا تُقبَل صلاتُنا وأذانُنا إلَّا بالشَّهادة لرسول الله ﷺ بالرِّسالةِ، ونحن حين نشهدُ له بالرِّسالة، كأنَّما نُعاهِد الله علىٰ اتِّباعِهِ.

فيا إخوةَ الإسلام ينبغي أنْ نعلمَ أنَّه لا يُنجينا عند الله إلَّا مُتابعة رسوله ﷺ، والأخذ عنه دون غيره، مَنْ قال لك قولًا، أو عرض لك رأيًا، فقل له: ما الدَّليل علىٰ هذا القول وهذا الرَّأي؟

فإنْ أبدىٰ لك دليلًا، فَخُذْه مِن أجل الدَّليل، والدَّليلُ إمَّا مِن كتاب الله، وإمَّا

مِن سُنَّة رسول الله ﷺ.

وأيضًا: الدَّليل ينبغي أن يُمحِّصه المُمحِّصون مِمَّنْ درسوا العلم، ودرسُوا علوم الآلة من أصولٍ ومصطلحٍ، وغير ذلك، ينبغي أن يُمحَّص هذا الدَّليل أوَّلًا من حيثُ صِحَّتُه، وثانيًا: من حيث دلالتُه، وثالثًا: هل خالفَه شيءٌ مِن الأحكام الشَّرعيَّة المقطوع بها أم لا؟

فإذا وجدتَ أنَّه صحيحُ السَّنَد، صريحُ الدَّلالة، لم يخالفه شيءٌ مِن الأحكام الشَّرعيَّة المقطوع بها فخُذه واحرصْ عليه، واغتبطْ به، أمَّا إن كان ذلك الدَّليلُ ضعيفًا أو غيرَ صريح الدَّلالة، أو خالفه مِن الأحكام الشَّرعيَّة المقطوع بها ما خالفه، فهذا ينظرُ فيه أهلُ العلم.

قوله: «**فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ**»؛ أي: اتركُوا بدعتَه، فمثلًا شخصٌ دعا دعوةً سِرِّيَّةً، وطلب من المَدْعوِّين البيعة (بيعة سرِّيَّة) مع أنَّ في أعناقهم بيعةً لولي أمرهم، هل يصحُّ هذا الكلام؟

الجواب: لا يصحُّ، فإذا كنتَ أيُّها الشَّخص في عُنقك بيعةٌ لإمامٍ، فكيف تبايع بيعةً أخرىٰ؟ هل هذا من الحقِّ أو من الباطل؟ لا شكَّ أنَّه من الباطل، وهكذا نقول: إنَّ الإمارة في الحضر من هذا القَبيل.

ومن البدَع أيضًا: البيعةُ الصُّوفيَّة؛ بمعنىٰ أنَّه يجب عليك تنفيذُ ما يقول رئيسُك من غير نظرٍ ولا تفكيرٍ، علمًا بأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُبايعُ أصحابَه علىٰ السَّمع والطَّاعة فيما استطاعُوا، ويُلقِّنهم أحيانًا، فيقول: «**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**».

ولقَدْ جاء في حديث عن إحدىٰ الصَّحابيَّات اللَّاتي بايعْنَ رسول الله ﷺ أنَّهنَّ بايعنَ رسول الله ﷺ، فقال لَهنَّ: «**عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ**»،

فكانت تلك المرأة تُحدِّث بهذا الحديث، وتقول: اللهُ ورسولُهُ أرحم بنا من أنفسنا(١).

ومن البدع أيضًا بدعةُ حسن البنَّا مؤسِّس جماعة الإخوان المسلمين عندما يقول: «نجتمع فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وهو بذلك يعطل الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والعياذ بالله.

قوله: «فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ؛ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ»؛ أي: ما وجدتم من البدع في مقالته ودعوته فاتركوه؛ فإنَّه ضلالةٌ، واتَّبعوا كتاب الله وسُنَّة رسوله.

قوله: «وأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحَكِيمِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَىٰ لِسَانِ الحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ المنافِقُ كَلِمَةَ الحَقِّ.

قَالَ: قُلْتُ لمعاذ: مَا يُدْرِينِي - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ المنافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الحَقِّ؟

قَالَ: بَلَىٰ، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَام الحَكِيم المشْتَهِرَاتِ»؛ يعني: الكلمات الَّتي تكون مشتهرةً، ويقول السَّامع لها: ما الَّذي أراده قائلُها؟

«الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ»؛ يعني: عن الحكيم.

«وَتَلَقَّ الحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ؛ فَإِنَّ عَلَىٰ الحَقِّ نُورًا»: الحقُّ واضحٌ ونيِّرٌ، عليه علاماته كعلامات الطَّريق الواضحة، ولكن يَخفىٰ ذلك علىٰ العُميان، أو يجحدون الحقَّ وهم يرونه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤].

وقَدْ يقول المشترك في حزبٍ من الأحزاب حينما يدعوه داعي الله إلىٰ الحقِّ، يقول في نفسه: أنا مع جماعتي ولا أتخلَّىٰ عنهم، أو ما أشبه ذلك من

(١) أخرجه الترمذي (١٥٩٧)، من حديث أميمة بنت رقيقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٥٢٩).

الأعذار، أو أنَّه قَدْ وُعد برُتْبةٍ سيخسرها إنْ هو اتَّبَع الحقَّ، فيثنيه الشَّيطان عن إجابة داعي الحقِّ، فيا مَن ترجو ثواب الله أعرض عن الباطل حتَّىٰ لا تخسر درجةً في الجنَّة؛ والَّتي هي خيرٌ لك من الدُّنْيا وما عليها.

ثمَّ أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأثر عن عُمر بن عبد العزيز، قال: «كَتَبَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنْ القَدَرِ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالاِقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ».

قوله: «أُوصِيكَ بتَقْوَىٰ اللهِ» تَقْوىٰ الله مَعْناها معروفٌ.

قوله: «الاقْتِصَادِ في أَمْرِهِ»: بأن تعملَ بأمْر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ طريقة الاقتصاد، والاقتصاد هو ألا تُحمِّل نفسك فوق طاقتها، ولا تدخل في شيءٍ من العبادات قَدْ يعجزك ويُكرِثك، ولكن اعمل بما قدرت عليه، وارْجُ ربَّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «واتِّباع سُنَّة نبيِّه ﷺ»: اتِّباع السُّنَّة؛ يعني: بأنْ تعملَ عملًا ترىٰ أنَّ ذلك المبتدع عمل أكثر منك، وأجهد نفسه في العبادة أكثر منك، فأنت لا تغبطُه، إذا كنت أنت علىٰ سُنَّةٍ وهو علىٰ بدعةٍ، لا تغبطُه.

فالَّذي يعيش علىٰ السُّنَّة، ويموت علىٰ السُّنَّة؛ خيرٌ مِمَّنْ أجْهَد نفسَه في الدَّعَوات الضَّالَّة الَّتي خلطتْ بين الحقِّ والباطل، تجدُ فيها حقًّا لكنَّها ملتبسةٌ بباطلٍ، قَدْ يَغرُّك مِن أولئك المبتدعة سَمْتُهُم أو سَمْتُ بعضِهم؛ بأَنْ يكون مُعْفِيًا للحيته، رافعًا لثيابه عن المحظور، وعاملًا بالسُّنَّة في بعض الأمور مِن الفضائل، ولكنَّه قَدْ ترَكَ مِن العقائِدِ ما ترَك ممَّا هو أفضل بكثيرٍ مِن الأمور الَّتي عملها، فحينئذٍ لا تغبطُ المبتدع.

قوله: «وترْك مَا أحدثَ المحدثُون»: اترك ما أَحْدَثه المحدثون.

«بعْد مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّته»: يعني: سُنَّة النَّبيِّ ﷺ، يأتون إلىٰ سُنَّةٍ، ويُحْدِثون

فيها، فيزيدون فيها ما يُحوِّلها إلىٰ بدعةٍ، فمثلًا: صوم ثلاثة أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، يأتي هؤلاء، ويقول أميرُهم: نصوم غدًا صومًا جماعيًّا، ونُفطر فطرًا جماعيًّا عند فلان. فهل الصوم الجماعي والفطر الجماعي وردتْ به سنَّة؟

ابحثوا في الكتب؛ هل تجدون أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأصحابه: نصوم صومًا جماعيًّا، ونفطر فطرًا جماعيًّا؟ الجواب: لا.

وهل تجدون أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ ذهب في الخلوات في اللَّيل؟ ردًّا علىٰ من يزعمون أنَّهم يذهبون للعبادة ولقراءةِ القُرآن، وقَدْ كذَبُوا؛ فإنَّهم يُريدُون أنْ يَتخفَّوْا بأمورٍ تُنكَر عليهم لو ظَهرتْ، فإذا كانوا يُريدون قراءةَ القُرآن فليجلسُوا في المسجد وليقرؤوا فيه، أمَّا أنَّهم يذهبون إلىٰ الخلوات، إلىٰ المكان البعيد... ويأتون بأناشيد وتماثيل وغيرها من البدع؛ فهذه لا شكَّ أنَّها بدعٌ، فلْتُحذَر.

وقوله: «وترك مَا أحْدثَه المحدِثُون بعد ما جَرَتْ به سُنَّته، وكفُوا مؤنتَه»: المُشرِّع قَدْ شرَّع، شرع اللهُ الدين الإسلاميَّ علىٰ لسان رسوله بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعمل به أصحابُه ونقلوه إلينا من غير زيادةٍ ولا نقصٍ، أفيأتي هؤلاء المبتدعون فيزيدون في السُّنَّة حتَّىٰ يُحوِّلوها إلىٰ بدعةٍ؟! هذا لا يجوز، وهذا مِمَّا يجب أن يُحذَر منه.

قوله: «فعَلَيكَ بلزوم السُّنَّة»: أي عليك بلزوم السُّنَّة وترك البدْعة.

«فَإِنَّها لَكَ - بإِذْنِ الله - عِصْمَةٌ»: إذا لزمتَ سُنَّة رسول الله ﷺ جعَلها الله لك عصمةً من الزَّلَل، وَوَقاك بها مِن الوقوع في الخطل[1] فيما يجلب لك الإثم، والعياذ بالله.

---

(١) الخَطَلُ: المنطق الفاسد المضطرب، وقد خَطِلَ في كلامه من باب طرِب. وأخْطَلَ أي: أفحش. «مختار الصحاح» (١/٧٦). والخَطَل: خفَّة وسرعة. والخاطل: الأحمق العَجِل، وهو أيضًا السَّريع الطَّعنِ العَجِلُهُ. «لسان العرب» (١١/٢٠٩).

قوله: «ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّه لم يَبْتَدِع النَّاسُ بِدْعَةً إلَّا وقَدْ مَضَىٰ قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيهَا أو عِبرَة فيها؛ فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سَنَّها مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا في خِلَافِهَا...»، يعني: الرَّسول ﷺ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سنَّ علىٰ لسانه ﷺ هذه السُّنَن.

«مَنْ قَدْ عَلمَ مَا في خِلافِهَا مِنَ الخَطَأِ وَالزَّلَل وَالحُمْق والتَّعَمُّق»: التَّعمُّق: الزِّيادة.

قوله: «فارضَ لنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ القَومُ لأنفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُم عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفُوا، وببصَر نَافِذٍ كفوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَشْف الأُمُور كَانُوا أَقْوَىٰ»: يعني لو كان هناك شيءٌ زائدٌ عمَّا شرَعه الله علىٰ لسانِ رسوله، وفيه فضلٌ، لَمَا تركه الصَّحابةُ، الصَّحابة لم يتركُوا خيرًا إلَّا عملُوه، ولا شرًّا إلَّا حَذِرُوه، وحذَّروا منه.

قوله: «وبفَضْل ما كانُوا فيها أَوْلَىٰ؛ فَإِنْ كَانَ الهُدَىٰ ما أَنْتُمْ عَلَيهِ لَقَدْ سَبقْتُمُوهُمْ إلَيهِ»، أي: الصَّحابة هم أهل الفضْل، وهم أتباعُ النَّبيِّ ﷺ، سارُوا معه في السَّفر، وعايشوه في الحضَر، وغزَوْا معه، وقاتلُوا الأعداء معه، وشهدُوا تنزُّل القُرآن وتنزُّل الوحي.

فلذلك هم كانوا أجدر، فلو كان هناك زيادةٌ عمَّا نُقل لفعلوها.

«وَلَئِن قُلْتُم: إنَّما حَدَثَ بَعْدَهُمْ، مَا أَحْدَثَه إلَّا مَنِ اتَّبَع غَيرَ سَبيلِهِمْ»؛ يعني - مثلًا - عندما خرج أبو موسىٰ الأشعريّ ومَنْ معه إلىٰ المسجد، فوجدوا فيه حِلقًا (قَدْ تَحلَّقوا) وكلُّ حلقةٍ فيها واحدٌ يقول لهم: سَبِّحوا مئةً، فيُسبِّحون مئةً، كَبِّروا مئةً، فيُكبِّرون مئةً، هَلِّلوا مئةً، فيُهلِّلون مئةً، فذهبوا إلىٰ عبد الله بن مسعودٍ، وكان ما زال في منزله، فخرج عليهم بعدما قال له أبو موسىٰ: يا أبا عبد الرَّحمن، إنَّه قَدْ حدث في المسجد أمرٌ.

قال: وما هو؟

قال: إنْ عشت فستراه، فذهبوا يمشون، فلمَّا دخلوا المسجد وجدوا تلك الحلقَ، فقال لهم عبد الله بن مسعودٍ: «ما هَذَا الَّذي أحدثتُم؟ هذه ثيابُ رسولِ اللهِ ﷺ لم تبلَ، وهؤلاء أصحابُه مُتوافِرُون، ما أسرع هلكتكم يا أُمَّة مُحمَّدٍ! إمَّا إنَّكم لأفضلُ مِن أصحابِ رسول الله، أو مفتتحو باب ضلالةٍ»، أو كما قال رضوان الله تعالىٰ عليه.

يقول الرَّاوي: «ولقَدْ رَأينَا كثيرًا مِن أولئكَ يُطَاعنونا يوم النَّهْروان» أي في يوم موقعة حَرُوراء، الموقعة الَّتي كانت بينهم وبين عليٍّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه[1].

فالمهمُّ: أنَّ الإحداث شَيْنٌ، وأنَّ البدعةَ شُؤمٌ، فيجبُ أنْ نحذرَها، وأنْ نَتمسَّك بالسُّنَّة الَّتي وردَتْ، ولهذا قال عُمر بن عبد العزيز: «وَلَئِنْ قُلْتُمْ: إنَّما حَدَثَ بَعْدَهُمْ»؛ أي: فنقول لكم: «مَا أَحْدَثَهُ إلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بنَفْسِه عَنْهُمْ»؛ يعني: كأنَّه يرىٰ أنَّ عبادة الصَّحابة كانت أقلَّ، وجهدهم كان أضعف، وأنَّ هذا يذهب بنفسه إلىٰ أنَّه سيعمل أفضل مِن عملهم.

قوله: «وَرَغِبَ بنَفْسِه عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِن مقصرٍ، وَمَا فَوقَهُمْ مِن مُحسرٍ، وَقَدْ قصَّر قَومٌ دُونَهُم فَجَفَوْا، وَطَمِحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَينَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مُسْتَقِيمٍ».

قال هنا: «فَما دُونَهُمْ مِنْ مُقصِّرٍ»، والظَّاهر يعني مَنْ دونهم فهو مُقصِّرٌ.

وقوله: «وَمَا فَوْقَهُمْ فَهُوَ مُحسرٌ»؛ أي: أنَّه سيحسر.

---

(١) أخرجه الدَّارميُّ في «سُننه» (٢١٠) عن عمرو بن سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٠٠٥).

وقوله: «وَقَدْ قصَّر قَومٌ دُونَهُمْ فَجَفَوا[١]»: جفا يجفو، إذا لحقت واوُ الجماعة بالفعلِ الماضي الَّذي آخره ألف؛ فإنَّه يُحذَف حرفُ العلَّة، ويُفتَح ما قبله، ويَتَّصل بالواو، يُقَال: جفَوا وعفَوا.

وقوله: «وَطَمِحَ عَنهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا» أي: طَمِحَ عنهم أقوامٌ، وأرادوا أن يزيدوا عنهم، فدخلوا في الغلوِّ الَّذي نهىٰ اللهُ عنه، وليس ببعيدٍ عن أذهاننا ما ورد في «الصَّحيحين» أنَّ ثلاثةَ رهطٍ جاؤوا إلىٰ بُيُوت النَّبيِّ ﷺ، وسألوا عن عبادته، فكأنَّهم تَقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النَّبيِّ ﷺ؟ قَدْ غفر له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أمَّا أنا، فإنِّي أُصلِّي اللَّيل أبدًا.

وقال الآخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النِّساء، فلا أتزوَّج أبدًا.

فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم، فقال: **«أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[٢].

قوله: «كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الإِقْرَارِ بالقَدَر، فَعَلَىٰ الخَبير - بِإِذْنِ الله - وَقَعْتَ، مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ، وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا، وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الإِقْرَارِ بالقَدَر، لَقَدْ كَانَ ذِكْره في الجَاهِلِيَّةِ الجُهَلَاءِ، يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهم، وَفِي شِعْرِهِمْ، يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ، ثُمَّ لم يَزِدْهُ الإِسْلَام بَعْدُ

(١) «فَجَفَوا»، أي: لم يلزموا مكانهم الواجب قيامهم فيه من جفا جفاء إذا لم يلزم مكانه، أي: انحدرُوا وانحطُّوا مِن علوٍّ إلىٰ سُفل بهذا الفعل، وهو زيادة القصر. انظر: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٢/ ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

إِلَّا شِدَّةً، وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ في غَيرِ حَدِيثٍ وَلا حَدِيثَينِ.

وقَدْ سَمِعَه مِنْهُ المسْلِمُونَ، فتكَلَّمُوا بهِ في حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِه، يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِم، وَتَضْعِيفًا لأَنفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيءٌ لم يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَم يُحصِه كِتَابُه، وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدرهُ».

أي أنَّ الَّذين يقولون: «لا قَدر»، هؤلاء يتَّهمون الله بأنَّه يقع في ملكه غير ما يريد، وهذا تَنقُّصٌ لله عَزَّوَجَلَّ، والواجبُ عليهم أن يُؤمنُوا بالقَدَر حتَّىٰ يكون لله عَزَّوَجَلَّ - في عقيدتهم - ما هو أهلٌ له مِن الإحاطة بملكه وإحاطة علمه بما سيكون مِن عباده، ومُجازاتهم عليه بالعدل.

أمَّا إذ قالُوا ما قالُوا، ونَفَوْا القَدَر عن شرع اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّهم حينئذٍ قَدْ لزم من قولهم تَنقُّصٌ لله ربِّ العالمين، فكان في ضِمْن كلامهم واعتقادهم اتِّهامه بقصور العلم، واتِّهامه بالعجز، وهذا أمرٌ لا تُقرُّهم عليه شريعةٌ، وإنَّما هو مِن الشَّيطان - والعياذ بالله -، وعلىٰ كلِّ مسلمٍ أنْ يؤمن بالقَدَر؛ خيرِهِ وشَرِّه، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ويقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

ويقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

وفي حديث جبريل وغيره: «وَتُؤْمِن بالقَدَر؛ خَيرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

قوله: «وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَم كِتَابِهِ: مِنْه اقْتَبَسُوهُ»؛ يعني: الصَّحابة في إقرارهم بالقَدَر.

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: «مِنهُ اقْتَبَسُوهُ، وَمِنهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلتُمْ: لِمَ أَنزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟ وَلِمَ قَالَ كَذَا؟ لَقَدْ قَرَؤُوا مِنهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ: كُلُّه بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ، وَكُتِبَتْ الشَّقَاوَةُ، وَمَا يُقَدَّر يَكُنْ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا». سبحان الله العظيم! هذا كتابٌ عجيبٌ عظيمٌ، اللَّهمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه.



تابع باب لزوم السُّنَّة

قَالَ الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦١٣- حدَّثنا أَحْمَدُ بنُ حَنبلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ - يَعْنِي: ابْنَ أَبِي أَيُّوبَ -، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ»[(١)].

٤٦١٤- حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ الجرَّاح، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ زَيد، عَنْ خَالِد الحذَّاء، قَالَ: قُلتُ للحسَن: يا أبَا سعيد، أخبِرْني عن آدمَ، أَلِلسَّماءِ خُلِقَ أَمْ للأرضِ؟

قَالَ: لا، بلْ للأرضِ.

قُلتُ: أرأيتَ لَو اعتَصَمَ فلَمْ يأكُلْ مِن الشَّجرَةِ؟

قَالَ: لَم يكُنْ لَهُ مِنهُ بُدٌّ، قُلتُ: أخبرْنِي عَنْ قَولِه تَعالَى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣].

قَالَ: إنَّ الشَّياطِينَ لا يَفتِنُونَ بِضَلالَتِهِمْ إلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهِ الجَحِيمَ[(٢)].

٤٦١٥- حدَّثنا مُوسَىٰ بنُ إِسمَاعِيل، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ الحذَّاءُ، عَنِ الحسَنِ فِي قَولِه تَعالَى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ [هود: ١١٩]، قَالَ: «خَلَقَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٣)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن الإسناد مقطوع».

هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ»[1].

٤٦١٦- حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الحذَّاء، قَالَ: قُلْتُ لِلحَسَنِ: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣].

قال: إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ أَنَّه يَصْلَى الجَحِيمَ[2].

٤٦١٧- حَدَّثَنَا هِلَالُ بنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قَالَ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ، قَالَ: كَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: «لَأَنْ يُسْقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: الأَمْرُ بِيَدِي»[3].

٤٦١٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا الْحَسَنُ مَكَّةَ، فَكَلَّمَنِي فُقَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ يَوْمًا يَعِظُهُمْ فِيهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَاجْتَمَعُوا فَخَطَبَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَخْطَبَ مِنْهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَلَقَ الشَّيْطَانَ؟ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟ خَلَقَ اللهُ الشَّيْطَانَ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ، وَخَلَقَ الشَّرَّ»، قَالَ الرَّجُلُ: قَاتَلَهُمُ اللهُ كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ[4].

٤٦١٩- حَدَّثَنَا ابْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حُمَيدٍ الطَّوِيلِ، عَنِ الحَسَنِ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]. قَالَ: الشِّرْكُ[5].

٤٦٢٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ غَيرُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٥)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيح الإسناد مقطوع».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٦)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيح الإسناد مقطوع».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦١٧)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيح الإسناد مقطوع».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦١٨)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيح لغيره».

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦١٩)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيح لغيره».

ابْن كَثِير، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عُبَيْدٍ الصِّيدِ، عَنِ الحَسَنِ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]. قَالَ: بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الإِيمَانِ(١).

٤٦٢١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمٌ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ بِالشَّام، فَنَادَانِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَوْنٍ مَا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُونَ عَنِ الحَسَنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: «إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى الْحَسَنِ كَثِيرًا»(٢).

٤٦٢٢ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ، يَقُولُ: كَذَبَ عَلَى الْحَسَنِ ضَرْبَانِ مِنَ النَّاسِ: قَوْمٌ الْقَدَرُ رَأْيُهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُنَفِّقُوا بِذَلِكَ رَأْيَهُمْ، وَقَوْمٌ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ شَنَآنٌ وَبُغْضٌ يَقُولُونَ: أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟ أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟(٣).

٤٦٢٣ - حَدَّثَنَا ابْنُ المثَنَّى، أَنَّ يَحْيَى بن كَثِير العَنْبَري حَدَّثَهُم، قَالَ: كَانَ قُرَّةُ بنُ خَالِدٍ يَقُولُ لنَا: يَا فِتْيَانُ، لا تُغْلَبُوا عَلَى الحَسَنِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ رَأْيُه السُّنَّةَ وَالصَّوَابَ(٤).

٤٦٢٤ - حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ كَلِمَةَ الْحَسَنِ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ لَكَتَبْنَا بِرُجُوعِهِ كِتَابًا وَأَشْهَدْنَا عَلَيْهِ شُهُودًا، وَلَكِنَّا قُلْنَا: كَلِمَةٌ خَرَجَتْ لَا تُحْمَلُ(٥).

٤٦٢٥ - وَحَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٢٠)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضعيفُ الإسناد مقطوعٌ».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢١)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٢٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيحٌ لغيره».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٢٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «صحيح لغيره».

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٢٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «صحيح لغيره».

قَالَ: قَالَ لي الحَسَنُ: مَا أَنَا بعائِدٍ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنهُ أَبَدًا[١].

٤٦٢٦ - حَدَّثَنَا هِلالُ بنُ بِشْر، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بنُ عُثْمَان، عَنْ عُثْمَان البَتِّي، قَالَ: مَا فَسَّرَ الحَسَنُ آيَةً قَطُّ إِلَّا عَلَىٰ الإِثْبَاتِ[٢].

الشرح:

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث رقم (٤٦١٣): حدثنا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ - يَعْنِي: ابْنَ أَبِي أَيُّوبَ -، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ»؛ أي: أنَّ عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لمَّا سمع عن هذا الرَّجل أنَّه تكلَّم في القَدَر، وكانت بينهما مكاتبةٌ، فحذَّره من الكتابة إليه، وقال له: «بَلَغَنِي أَنَّك تَكَلَّمْتَ في شَيءٍ مِن القَدَر»، والكلام في القَدَر بدعةٌ وسوءٌ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ في أُمَّتِي أقوامٌ يُكذِّبون بالقَدَر».

ثمَّ أوردَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثَ خالد الحذَّاء، قَالَ: «قُلْتُ للحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيد، أَخبِرْنِي عَنْ آدَمَ، أَلِلسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ للأَرْضِ؟

قَالَ: لا، بَلْ لِلأَرْضِ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُل مِنَ الشَّجَرَةِ؟

قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ»؛ يعني: أنَّ القَدَر لا بدَّ أن يكون، إذًا، فلابدَّ أن يقع ما قدَّره الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٢٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «صحيح لغيره».

قَوْلُه: «قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣]. قَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لا يَفْتِنُونَ بِضَلالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَحِيمَ».

وأقولُ: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرَنا بأنَّ الشَّياطين وأصحابَ الشَّرِّ لا يَفْتِنون إلَّا مَنْ كتَبَ اللهُ عليه الفتنة، أمَّا مَنْ لم يكتب الله عليه الفتنة فليسُوا قادرين بأَنْ يفتنوه.

ثُمَّ أورد حديث موسىٰ بن إسماعيل، قال: «أخبرنا حَمَّاد» يعني: ابن سلمة «أخبرنا خالد الحذَّاء»، يقال: إنَّه ما كان يبيع الأحذية، ولكن كان يجلس عند قوم يبيعون الأحذية، فسُمِّي خالدًا الحذَّاء، «عَنْ الحَسَن في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قَالَ: «خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلاءِ لِهَذِهِ».

هذه الآية ذُكرت في آخر سورة (هود)، وذُكر فيها الاختلاف، وأنَّ الله خَلَقَهم لذلك، وأنَّ الاختلافَ لا بدَّ أنْ يكونَ في بني آدمَ، إذًا فالاختلافُ كتبَه اللهُ قدرًا، ومنعَه شرْعًا، وما كُتِبَ قدرًا فلا بدَّ أنْ يكونَ؛ فالاختلاف بين المؤمنين والكُفَّار والمنافقين، والاختلافُ أيضًا بين الكُفَّار بعضِهم مع بعضٍ، وبين المسلمين بعضِهم مع بعضٍ، هذا كتبَه اللهُ قدرًا، لكنَّه نهىٰ عن الاختلاف، وذمَّه، وأمَرَ بالاتِّحاد شَرْعًا.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمَرَ المسلمين أن يكونوا أُمَّةً واحدةً، وأنْ يَعبدُوا إلهًا واحدًا، وأنْ يتَّبعُوا رَسُولًا واحدًا، وأن يكونَ شأنُهم الإخلاصَ والمتابعة، ولكنَّ الشَّياطين لم تتركهم، فحَصَلَ ما حَصَلَ مِن الاختلاف.

ثُمَّ قالَ: «حَدَّثنا أَبُو كَامِلٍ» هذا يقالُ له: الجحدريّ، «حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا خَالِدٌ الحَذَّاءُ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ

الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣]، **قَالَ: «إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيهِ أَنَّهُ يَصْلَىٰ الْجَحِيمَ»**.

أقولُ: مَنْ كَتَبَ اللهُ عليه ذلك، فلا بدَّ أن يكون، وقَدْ سبَق لنا عِدَّةَ مَرَّاتٍ أنَّ لله في عباده الحكمةَ البالغةَ، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، فلا يُعذِّب اللهُ عبدًا إلَّا بذنبٍ، وقَدْ صحَّ عن بعضِ الصَّحابة أنَّهم قالُوا: «لَوْ عَذَّبَ اللهُ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ لَهُمْ»[1]، فهم عَبِيدُهُ، خَلَقُهم ورزَقهم وهَيَّأهم، وله في ذلك الحكمة العظيمة الَّتي لا يُدركُها البشرُ.

ثم قَالَ: «حَدَّثَنَا هِلَالُ بنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حمَّادُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حُمِيدٌ، قَالَ: كَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: لَأَنْ يُسْقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: الأَمْرُ بِيَدِي».

أقولُ: كون الإنسان يقول: «**الأَمْرُ بِيَدِي**» هذا خطأٌ، فالأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ، السَّعادة والشَّقَاوة بيده، والإيمان والكفر، والجنَّة والنَّار، والغِنىٰ والفَقْر، كلُّها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فلا ينبغي للإنسان أنْ يقولَ: الأَمْرُ بيَدِي.

ثَمَّ أوردَ حديثَ موسىٰ بن إسماعيل قال: «حَدَّثَنَا حَمَّاد» المشهور أنَّ موسىٰ ابن إسماعيل قَدْ أكثر عن حمَّاد بن سلمة «**قال: حَدَّثَنَا حُمَيدٌ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا الحَسَنُ مَكَّةَ، فَكَلَّمَنِي فُقَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ أُكلِّمه فِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ يَوْمًا يَعِظُهُمْ فِيهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَاجْتَمَعُوا، فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: فَمَا رَأَيْتُ أَخْطَبَ مِنْهُ**».

أقول: كان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيبًا مُفوَّهًا، ولذلك فإنَّه شاع ذِكْرُه بسبب هذا.

قوله: «فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَلَقَ الشَّيْطَانَ؟

قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]. **خَلَقَ اللهُ الشَّيْطَانَ، وَخَلَقَ**

---

(١) رواه البيهقيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (١٠/ ٢٠٤)، وابن بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (١٤٢٨) (٣/ ٤٧٢)، من حديث ابن الدَّيلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«صحيح ابن حبَّان» (٧٢٨) (٣/ ٤٤٩)، و«مسند الطَّيالسي» (٦١٣) (٢/ ١٥٠).

الخَيرَ، وَخَلَقَ الشَّرَّ.

قَالَ الرَّجُلُ: قَاتَلَهُمُ اللهُ! كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ؟!»؛ يعني: في هذا تبرئةٌ للحسن من قولهم بأنَّه كان يقول بالقَدَر، ويخوض فيه.

ثمَّ أورد المؤلِّف حديث سفيان «عَنْ حُمَيدٍ الطَّوِيلِ عَنِ الحَسَنِ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]. قَالَ: الشِّرْكُ».

أقولُ: في هذا نظرٌ، ولكنَّ المرادَ بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾؛ أي: القُرآن ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: أنَّ القرآنَ يَمرُّ في قُلُوبهم فلا يَستقرُّ فيه، ولا يؤمنون به حقَّ الإيمان، والعياذ بالله.

ثُمَّ أوردَ حديثًا من طريق محمَّد بن كثيرٍ «قَالَ: أَخبرَنَا سُفيَانُ» هو الثَّوريُّ «عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ غَيرُ ابْنِ كَثِيرٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عُبَيدٍ الصِّيد، عَنْ الحَسَنِ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قَالَ: بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الإِيمَانِ».

أقول: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له في عباده الحكمة البالغة، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، فهو إذا عاقب أحدًا بالخذلان، فإنَّما يُعاقبُه بذلك نتيجةً لعملِه، فقدْ أخبرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه يُعاقبُ علىٰ الإعراض، ويُعاقبُ علىٰ الزَّيْغ، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥].

وفي حديث الثَّلاثة: «وَأَمَّا الثَّالِثُ، فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»[1]؛ وإنَّك لترىٰ الرَّجل يُعرض عن السُّنَّة، ولا يستمعُ إليها، ولا يجلسُ إلىٰ مَنْ يُلْقيها، ثُمَّ إنَّه بعد ذلك يُعاقَب فيزيغ قلبُه، ويُفتَن ويتَّبع أهل الضَّلال - والعياذ بالله - عقوبةً له علىٰ ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤)، ومسلم (٤٠٤٢) من حديث أبي واقد اللَّيثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

فإذا نزَل الموت بالعبد، نَدِمَ واشتهى الإيمان، وأراده وعرف أنَّه كان على خطأ، ولكن بسبب إعراضه وبسبب زَيْغِه عُوقِبَ بذلك، فمُنِعَ من الإيمان عندما اشْتَهاهُ.

ثُمَّ أوردَ حديث ابن عَون قالَ: «كُنْتُ أَسِيرُ بِالشَّام، فَنَادَانِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا هُوَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ، فَقَالَ: يَابْنَ عَوْنٍ، مَا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُونَ عَنْ الحَسَنِ؟ قَالَ:

قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ الحَسَنِ كَثِيرًا».

أقول: ما أشبه اللَّيلة بالبارحة، تجد أهل البدع يَكْذِبُونَ علىٰ الرَّجُل المشهور، فيقولون مثلًا: إنَّ الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان معنا وأيَّدنا، وقد يجدون له كلمةً قديمةً قبل أن يعرفهم، وقبل أن يَبْلُغَه عنهم ما بلغه مُؤخَّرًا، فكان يُحْسِن بهم الظَّنَّ في ذلك الزَّمَن، وفي تلك الحقبة، فزكَّاهم وأثنىٰ عليهم خيرًا، ثُمَّ جاءت الأمورُ وانتشرَتْ الأخبارُ، وبلغه عنهم مِن البدع ما بلَغُه، فاختلف حُكْمُهُ عليهم في الأخير عن حُكمه عليهم في الأوَّل.

فهم يتركون الحُكم الثَّاني الَّذي ليس في صالحهم، ويأخذون بالحُكم الأوَّل الَّذي يزعمون بأنَّه في صالحهم، وهذا مِن الكَذِبِ والدَّجَل والتَّضليل، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ثُمَّ أوردَ حديث سُليمان بن حرب قال: «حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ يَقُولُ: كَذَبَ عَلَىٰ الحَسَنِ ضَرْبَانِ مِن النَّاسِ»؛ أي: فئتان مِن النَّاس.

«قَوْمٌ القَدَرُ رَأْيُهُمْ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُنَفِّقُوا بذَلِكَ رَأْيَهُمْ، وَقَوْمٌ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ

شَنَآنٌ وَبُغْضٌ، يَقُولُونَ: أَلَيْسَ مِنْ قَولِهِ كَذَا؟ أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟»؛ فهاتان الفئتان من النَّاس كذَبَتْ علىٰ الحسن، والمهمُّ أنَّه إذا كانَتْ قَدْ حصلت منه هفوةٌ وتراجع عنها؛ فإنَّه لا يجوز أن يُحْكَم عليه بها.

وكذلك الآن، لَوْ أنَّ رجلًا وقعَتْ منه هفوةٌ خلاف ما هو معروفٌ عنه، ثُمَّ راجع الأمر وتاب؛ فإنَّه في هذه الحالة لا يُحْكَم عليه بأنَّه مُبتدعٌ، بل يُقَال فيه بأنَّه سلفيٌّ، ولم يخرج عن سَلفيَّته إلَّا إذا أَصرَّ علىٰ الباطل.

ثُمَّ أَورَدَ أيضًا حديث ابن المثنَّىٰ: «أَنَّ يَحْيَىٰ بْنَ كَثِيرِ العَنْبَرِيّ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: كَانَ قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ يَقُولُ لَنَا: يَا فِتْيَانُ، لا تُغْلَبُوا عَلَىٰ الحَسَنِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ رَأْيُهُ السُّنَّةَ وَالصَّوَابَ».

أي: يُوصِيهم بمُلازمته والأخذ عنه؛ لأنَّ رأيَه السُّنَّة والصَّواب، ولا يصدُّهم عنه ما أُشيع مِن القول بالقَدَر؛ فإنَّ ذلك لا يصحُّ البقاء عليه.

ثُمَّ أورد حديث مؤمل بن إسماعيل: «قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيدٍ عَنْ ابْنِ عَونٍ، قَالَ: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ كَلِمَةَ الحَسَنِ تَبلُغُ مَا بَلَغَتْ لَكَتَبْنَا بِرُجُوعِهِ كِتَابًا، وَأَشْهَدْنَا عَلَيهِ شُهُودًا، وَلَكِنَّا قُلْنَا: كَلِمَةٌ خَرَجَتْ لا تُحْمَلُ».

أقولُ: ولكنَّ أهل الشَّرِّ حتَّىٰ لو خرجَتْ كلمةٌ واحدةٌ من الرَّجل المشهور بالسُّنَّة، فأهلُ الشَّرِّ لا يتركونه، بل إنَّ مَنْ لهم هوًىٰ ينشرون تلك الكلمة رغبةً منهم في أن يكون معهم، ويأتي أناسٌ آخرون من المبغضين له فينشرونها عنه علىٰ سبيل المَذمَّة له.

ثُمَّ أورد حديث سُليمان بن حرب، قال: «حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ زَيدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ لِي الحَسَنُ: مَا أَنَا بعَائِدٍ إِلَىٰ شَيءٍ مِنْهُ أَبَدًا»؛ يعني: ما هو بعائدٍ إلىٰ

الكلام الَّذي حصل منه.

كذلك الأثرُ الأخيرُ: «**مَا فَسَّرَ الحَسَنُ آيَةً قَطُّ إِلَّا عَلَىٰ الإِثْبَاتِ**»، أي: علىٰ إثبات القَدَر، وبالله التَّوفيق.



باب: في التفضيل

قَالَ الإمامُ أبو دَاودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٢٧- قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»[(١)].

٤٦٢٨- وَقَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ سَالِمُ بنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»[(٢)].

٤٦٢٩- وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بن الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟ فَيَقُولَ: عُثْمَانُ. فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَتِ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المسْلِمِينَ»[(٣)].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٢٧)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢٨)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٢٩)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٦٣٠- وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ مِسْكِينَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - يعني: الفريابي - قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه كَانَ أَحَقَّ بالولَايَةِ مِنْهُمَا فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالمهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَىٰ السَّمَاءِ»(١).

٤٦٣١- وقال: حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ السَّمَّاكُ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: «الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنهم»(٢).

الشرح:

(باب في التَّفضيل)؛ أورد فيه حديثَ عثمان بن أبي شيبة، قال: حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ».

ثُمَّ أورد الحديث أيضًا من طريق يونس، «عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ رضي الله عنهم».

أقولُ: اتَّفقت الأُمَّة - والمقصود بهم: أهل السُّنَّة والجماعة - علىٰ أنَّ أفضل الأُمَّة بعد النَّبيِّ ﷺ: أبو بكرٍ، فقَدْ وردَتْ في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ، مثل حديث: «سُدُّوا كُلَّ خوخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٠)، وقال الألبانيُّ رحمه الله: «صحيح الإسناد مقطوع».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣١)، وقال الألبانيُّ رحمه الله: «ضعيف الإسناد مقطوع».

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، =

ومنها أيضًا قوله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»(١)، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الدَّالَّة علىٰ فضيلةِ أبي بكرٍ، والدَّالَّة علىٰ فضيلةِ عُمرَ.

وهذه الأحاديثُ عَمِلَ بها أهل السُّنَّة والجماعة، وحتَّىٰ الخوارج الَّذين كَفَّروا الصَّحابة جميعًا اسْتَثْنَوا منهم أبا بكرٍ وعمر، ولكنَّ الرَّافضة - عليهم من الله ما يستحقُّون - بدؤوا بهما، فكَفَّروهما وسَبُّوهما وانتقصوهما، والعياذ بالله، لكن لا يُنظر إلىٰ أهل البدع، وإنَّما القول قولُ أهل السُّنَّة والجماعة، وأنَّ أفضلَ الأُمَّة بعد النَّبيِّ ﷺ: أبو بكرٍ، ثمَّ بعده في المرتبة الثَّانية: عمر، ثمَّ بعده في المرتبة الثَّالثة: عُثمان، ثمَّ بعده في المرتبة الرَّابعة عند أهل السُّنَّة والجماعة: عليُّ بن أبي طالبٍ.

وعليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الرَّابع عند أهل السُّنَّة والجماعة، بل هو إجماعٌ من الصَّحابة علىٰ ذلك، وأنَّهم أجمعوا علىٰ تقديم عثمان، فَقدَّموه، ولم يخالف في ذلك أحدٌ، حتَّىٰ علي بن أبي طالبٍ، وكان مِنْ أوَّل مَنْ بايع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذًا: فمَنْ يُقدِّم عليًّا علىٰ عُثمان مِن الشِّيعة أو مِنْ غيرهم مِمَّنْ يميلون إلىٰ

=

عَاصِبًا رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ»، ومسلم (٢٣٨٢) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»، فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَبَكَىٰ، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ، لا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ».

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٥٦)، ومسلم (٢٣٨٣)، واللَّفظ له، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قول الشِّيعة وهم ينتمون إلىٰ السُّنَّة فإنَّه مخطئ، ثُمَّ من حيثُ المفاضلة بين الصَّحَابة علىٰ العُموم، يُقَال: أفضلُ الصَّحابة مَنْ بايع البيعتين: (مَنْ بايع بيعة العقبة ومَنْ بايَع بيعةَ الرّضوان)، وأفضل الصَّحَابة بعد هؤلاء: أهل بدرٍ، ثُمَّ بعد أهل بدرٍ: أهل بيعة الرضوان - وهي بيعة الحديبية -، ثمَّ مَنْ أسلمَ قبل الفتح وقاتل، ثمَّ مَنْ أسلمَ بعد الفتح وقاتل، هَذَا التَّفضيل من حَيْث العمُوم.

أمَّا من حَيْث التَّخْصيص بعد الأربعة: السِّتَّة الَّذين جعل فيهم عمر بن الخطاب الشُّورَىٰ، ومنهم: أبو عبيدة بن الجَرَّاح، وأبو عبيدة بن الجَرَّاح تُوفِّي في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة، وهو مِن العشرة الَّذين أَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّهم مِن أهل الجنَّة(١).

ثُمَّ أوردَ حديثَ مُحمَّد بن الحَنَفِيَّة قَالَ: قُلْتُ لأَبي: «أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْر. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟ فَيَقُولَ: عُثْمَانُ. فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَتِ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المسْلِمِينَ».

قلتُ: ولمَّا طُعن عمر، ودَخَل النَّاس عليه، يقول عبد الله بن عَبَّاسٍ: «بَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَىٰ عُمَرَ بَعْدَ أَنْ طُعِنَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ مَنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب فَتَرَحَّمَ عَلَىٰ عُمَرَ، وَقَالَ: «مَا خَلَّفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِليَّ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ»(٢).

(١) أخرج التّرمذيّ (٣٧٤٧) عن عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح التّرمذي» (٢٩٤٦).

(٢) أخرج البخاريُّ (٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩) عن ابن أبي مليكة أنَّه سَمِعَ ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما يقول: «وُضِعَ

يعني: ما خَلَّفتُ أحدًا غيرك أحبَّ أنْ ألْقَىٰ الله بمثل عملِه، أي أنَّه يقولُ في عمر: إنَّه يحبُّ أنْ يَلْقَىٰ الله بمثْلِ عملِه.

وهكذا الأدلَّة دالَّةٌ علىٰ تفضيل أبي بكرٍ، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثمَّ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم جميعًا.

ثُمَّ أوْرَدَ حديثَ محمَّد بن مسكين قال: «قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد - يعني: الفريابي - قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ كَمَا تَزْعُمُ الشِّيعَةُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَحَقَّ بالوَلَايَةِ مِنْهُمَا (يعني: من أبي بكرٍ وعمر)، فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالمهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار رَضِيَ اللهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ، وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا» الزَاعِم البَاطِلِ والعقيدة الفَاسدة، «عَمَلٌ صَالحٌ إلىٰ السَّمَاءِ كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]».

ثمَّ أورد الحديث الأخير: «حدَّثنَا قَبيصَةُ، قَالَ: حَدَّثنَا عَبَّاد السَّمَّاك قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ يَقُولُ: الخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بنُ عَبْد العَزِيزِ».

عُمرُ بنُ عبد العَزيز أُلحِقَ بالأربعة لِمَا كان فيه من الخير، والصَّلاح، وردِّ المظَالم. وبالله التَّوفيقُ.



= عُمَرُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ، يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ عَلَىٰ عُمَرَ، وَقَالَ: «مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

باب في الخلفاء

قَالَ الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٣٢ - حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: مُحَمَّدٌ كَتَبْتُهُ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَرَىٰ اللَّيْلَةَ ظُلَّةً يَنْطِفُ مِنْهَا السَّمْنُ وَالعَسَلُ، فَأَرَىٰ النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ بِأَيْدِيهِمْ، فَالمُسْتَكْثِرُ وَالمُسْتَقِلُّ، وَأَرَىٰ سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَأَرَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ، ثُمَّ وُصِلَ فَعَلَا بِهِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي وَأُمِّي، لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا، فَقَالَ: «اعْبُرْهَا» قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الإِسْلَامِ، وَأَمَّا مَا يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالعَسَلِ فَهُوَ القُرْآنُ: لِينُهُ وَحَلَاوَتُهُ، وَأَمَّا المُسْتَكْثِرُ وَالمُسْتَقِلُّ؛ فَهُوَ المُسْتَكْثِرُ مِنَ القُرْآنِ، وَالمُسْتَقِلُّ مِنْهُ، وَأَمَّا السَّبَبُ الوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ فَهُوَ الحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ: تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ بَعْدَكَ رَجُلٌ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ؛ أَيْ رَسُولَ اللهِ، لَتُحَدِّثَنِّي أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ، فَقَالَ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا». فَقَالَ: أَقْسَمْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُقْسِمْ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٣٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ يحيىٰ بْن فَارِس، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بنُ كَثِير، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ كَثِير، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيدِ اللهِ بن عَبْدِ اللهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاس، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ القِصَّةِ قَالَ: فَأَبَىٰ أَنْ يُخْبِرَهُ[١].

٤٦٣٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ المثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَشْعَثُ، عَنْ الحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْم: «مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ رُؤْيَا؟».

فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْر، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْر، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْر، فَرَجَحَ أَبُو بَكْر، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ المِيزَانُ»، فَرَأَيْنَا الكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

٤٦٣٥- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ، عَنْ عَلِيِّ بن زَيد، عَنْ عَبْدِ الرَّحمَن بْن أَبي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوم: «أَيُّكُمْ رَأَىٰ رُؤْيَا؟» فَذَكَرَ مَعْنَاهُ، وَلَم يَذْكُرِ الكَرَاهِيَةَ، قَالَ: فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ (يَعْنِي: فَسَاءَه ذَلِكَ)، فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»[٣].

٤٦٣٦- حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بعُمَرَ».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٣)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف الإسناد».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٤)، وصحّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا تَنَوُّطُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَهُمْ وُلَاةُ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَرَوَاهُ يُونُسُ وَشُعَيْبٌ، لَمْ يَذْكُرَا عَمْرَو بْنَ أَبَانَ[(١)].

٤٦٣٧ - حَدَّثَنَا محمَّدُ بنُ المثنَّىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي عَفَّانُ بنُ مُسْلِم، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدُب أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَأَخَذ بعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ، فَأَخَذَ بعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بعَرَاقِيهَا، فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيهِ مِنْهَا شَيءٌ[(٢)].

٤٦٣٨ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْل الرَّمْلِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابنُ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ مَكْحُول قَالَ: «لَتَمْخُرَنَّ الرُّومُ الشَّامَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، لا يَمْتَنِعُ مِنْهَا إِلَّا دِمَشْقَ وَعَمَّانَ»[(٣)].

٤٦٣٩ - حدَّثنَا مُوسَىٰ بنُ عَامِر المرِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيز بنُ العَلَاء أَنَّه سَمِعَ أَبَا الأَعْيَسَ عَبْدَ الرَّحْمَن بن سَلْمَانَ يَقُولُ: «سَيَأْتِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ العَجَم، يَظْهَرُ عَلَىٰ المدَائِنِ كُلِّهَا إِلَّا دِمَشْقَ»[(٤)].

٤٦٤٠ - حدَّثنَا مُوسَىٰ بنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حمَّادٌ، قَالَ: أَخْبرَنَا بُرْدٌ أَبُو العَلَاءِ، عَنْ مَكْحُولٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَوْضِعُ فُسْطَاطِ المسْلِمِينَ فِي

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٦)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف الإسناد مقطوع» (١٠٠٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٣٩)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».

عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ، قَالَ: «كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ يَعْنِي بَنِي مَرْوَانَ»(١).

٤٦٤٧- (ح) وحدَّثنا عَمْرُو بنُ عَون، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيم، عَنْ العَوَّام بنِ حَوْشَب، المعْنَىٰ جَمِيعًا، عَنْ سَعِيدِ بن جُمْهَان، عَنْ سَفِينَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الملْكَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»(٢).

٤٦٤٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ، وَسُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ المَازِنِيِّ، ذَكَرَ سُفْيَانُ رَجُلًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ المَازِنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ زَيْدِ بنِ عَمْرو بنِ نُفَيل، قَالَ: لما قَدِمَ فُلَانٌ إِلَىٰ الكُوفَةِ، أَقَامَ فُلَانٌ خَطِيبًا، فَأَخَذَ بِيَدِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا الظَّالِمِ، فَأَشْهَدُ عَلَىٰ التِّسْعَةِ إِنَّهُمْ فِي الجَنَّةِ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَىٰ الْعَاشِرِ لَمْ إِيثَمْ - قَالَ ابنُ إِدْرِيسَ: وَالعَرَبُ تَقُولُ: آثَم -.

قُلْتُ: وَمَن التِّسْعَةُ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ حِرَاء: «اثْبُتْ حِرَاءُ؛ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ».

قُلْتُ: وَمَنَ التِّسْعَةُ؟ قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ، وَأَبُو بَكر، وعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبيرُ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاص، وَعَبْدُ الرَّحْمَن بنُ عَوفٍ. قُلْتُ: وَمَن العَاشِرُ؟ فتلكَّأَ هنيَّة، ثُمَّ قَالَ: أَنَا».

قَالَ أَبُو دَاودَ: رَوَاهُ الأَشْجَعِيُّ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ ابْنِ حيَّان، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ ظَالم بِإِسْنَادِهِ نَحْوهُ(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٧)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٤٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الحُرِّ بنِ الصَّيَّاحِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الأَخْنَسِ أَنَّهُ كَانَ فِي المَسْجِدِ، فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا، فَقَامَ سَعِيدُ بنُ زَيدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ ﷺ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ». وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيتُ العَاشِرَ.

قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ سَعِيدُ بنُ زَيدٍ[1].

٤٦٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بنُ المثَنَّىٰ النَّخَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي رِيَاحُ بنُ الحَارِثِ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ فُلَانٍ فِي مَسْجِدِ الكُوفَةِ، وَعِنْدَهُ أَهْلُ الكُوفَةِ، فَجَاءَ سَعِيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيلٍ، فَرَحَّبَ بِهِ وَحَيَّاهُ وَأَقْعَدَهُ عِنْدَ رِجْلِهِ عَلَىٰ السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ يُقَالُ لَهُ: قَيسُ بنُ عَلْقَمَةَ، فَاسْتَقْبَلَهُ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ سَعِيدٌ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: يَسُبُّ عَلِيًّا.

قَالَ: لَا أَرَىٰ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُغَيِّرُ؟

أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، وَإِنِّي لَغَنِيٌّ أَنْ أَقُولَ عَلَيهِ مَا لَمْ يَقُلْ فَيَسْأَلُنِي عَنْهُ غَدًا إِذَا لَقِيتُهُ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ»، وَسَاقَ مَعْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ خَيرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ، وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

٤٦٥١ - وَحَدَّثنا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثنا يَزِيدُ بنُ زُرَيعٍ، (ح) وَحَدَّثنا مُسَدَّدٌ، قال: حَدَّثنا يحيىٰ، المعنىٰ، قَالا: حَدَّثنا سَعِيدُ بنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِم، فَضَرَبَهُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ برجْلِهِ، وَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدان»[(١)].

[٤٦٥٢ - حدَّثنا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُحَارِبِيِّ، عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الدَّالانِيِّ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، مَوْلَىٰ آلِ جَعْدَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَرَانِي بَابَ الجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَيهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»][(٢)].

٤٦٥٣ - حَدَّثنا قُتَيبَةُ بنُ سَعِيدٍ وَيَزِيدُ بنُ خَالِدٍ الرَّمليُّ، أَنَّ اللَّيثَ حَدَّثَهُمْ، عَنْ أَبِي الزُّبير، عَنْ جابر، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ»[(٣)].

٤٦٥٤ - حَدَّثنا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، (ح)، وَحَدَّثنا أَحْمَدُ بنُ سِنَان، قَالَ: حَدَّثنا يَزِيدُ بنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ مُوسَىٰ: «فَلَعَلَّ اللهَ» وَقَالَ ابنُ سِنَان: «اطَّلَعَ اللهُ عَلَىٰ أَهْل بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(١)].

٤٦٥٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُبَيد، أَنَّ محمَّدَ بنَ ثور حَدَّثَهُمْ عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بن الزُّبَير، عَنْ المسْوَر بن مَخْرَمَةَ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ، فَذَكَرَ الحَدِيثَ، قَالَ: فَأَتَاهُ (يَعْنِي: عُرْوَةَ بنَ مَسْعُودٍ)، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا كَلَّمَهُ، أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالمغِيرَة بن شُعْبَة قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْس النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ، وَعَلَيهِ المغْفَرُ، فَضَرَبَ يَدَهُ بنَعْل السَّيْفِ، وَقَالَ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَتِهِ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: المغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ[(٢)].

٤٦٥٦ - حَدَّثَنَا حَفْص بنُ عُمَر أَبُو عُمَر الضَّرِير، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ إِيَاسٍ الجُرَيْرِيَّ، أَخْبَرَهُمْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ، عَنِ الأَقْرَعِ، مُؤَذِّنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: بَعَثَنِي عُمَرُ إِلَىٰ الأُسْقُفِّ، فَدَعَوْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَهَلْ تَجِدُنِي فِي الْكِتَابِ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ تَجِدُنِي؟ قَالَ: أَجِدُكَ قَرْنًا. قَالَ: فَرَفَعَ عَلَيهِ الدِّرَّة، فَقَالَ: قَرْنٌ مَهْ؟ فَقَالَ: قَرْنٌ حَدِيدٌ، أَمِينٌ شَدِيدٌ.

قَالَ: كَيفَ تَجِدُ الَّذِي يَجِيءُ مِنْ بَعْدِي؟ فَقَالَ: أَجِدُهُ خَلِيفَةً صَالِحًا غير أَنَّهُ يُؤْثِرُ قَرَابَتَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَرْحَمُ اللهُ عُثْمَانَ! ثَلَاثًا.

فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي بَعْدَهُ؟ فَقَالَ: أَجِدُهُ صَدَأَ حَدِيد. قَالَ: فَوَضَعَ عُمَرُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ. فَقَالَ: يَا دَفْرَاهُ، يَا دَفْرَاهُ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، إِنَّهُ خَلِيفَةٌ صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْلَفُ حِيْنَ يُسْتَخْلَفُ وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ، والدَّمُ مُهْرَاقٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَالدَّفْرُ: النَّتْنُ[١].

الشرح:

في هذا الباب الطَّوِيلِ: إثباتُ فضْلِ الخُلَفاءِ الأربعةِ: أبي بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

وفيه أيضًا إثبات فضل سائر العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وهم السِّتَّة الباقون.

وفيه أيضًا إثبات فضل أهل بيعة الرّضوان، وأنَّه لا يدخل النَّارَ أحدٌ بايَع رسولَ اللهِ ﷺ تحت الشَّجَرة، وهذا الباب فيه فضائلُ الصَّحابة، وقَدْ تَقدَّم أنَّ الفضائل على العموم، يُبدأ أوَّلًا بمَنْ ذُكِرَ[٢]، ثمَّ بعْدَ ذلك مَنْ سبقُوا إلى الإسلام من المهاجرين الَّذين هاجروا الهجرتَين؛ هجرة الحبشة، وهجرة المدينة، لهم فضلٌ عظيمٌ، ثمَّ بعد ذلك مَنْ هاجر إلى المدينة.

ثمَّ بعد ذلك مَنْ حضر موقعة بدْرٍ: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[٣].

ثمَّ بعد ذلك أصحابُ بيعةِ الرّضوان، ثُمَّ بعد ذلك مَنْ أسلَمَ قبْلَ الفتْح وقاتَلَ، ثُمَّ بعْدَ ذلك مَنْ أسلَمَ بعْدَ الفتْح وقاتل، هذه فضائلهم مُرتَّبةٌ.

أمَّا ما ورَدَ في الرُّؤى الَّتي رُئِيَتْ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ وُزن بأُمَّته فوزنهم، إلى آخره[٤]،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيفُ الإسناد».

(٢) أي: العشرة المبشَّرين بالجنة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٢) قال: «أخبرنا محمَّد بن عُمَرَ عن أصحابه قال: «مَكَثَ (أي النَّبيُّ ﷺ) عِندَهُمْ (أي: عند حليمة) سَنَتَيْنِ حَتَّى فُطِمَ، وَكَأَنَّه ابنُ أَرْبَعِ سِنِينَ، فَقَدِمُوا بِهِ عَلَى أُمِّهِ زَائِرِينَ لَهَا، وَأَخْبَرَتْهَا حَلِيمَةُ خَبَرَهُ، وَمَا رَأَوا مِنْ بَرَكَتِهِ، فَقَالَتْ آمِنَةُ: ارْجِعِي بِابْنِي؛ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ وَبَاءَ =

وكذلك الرُّؤيا الَّتي فيها أنَّ سببًا نزل مِن السَّماء، فأخذ به النَّبيُّ ﷺ فعَلا، ثمَّ أخذ به أبو بكرٍ فعَلا، ثمَّ أخذ به عمرُ فعَلا، ثمَّ أخذ به عثمانُ فعَلا، ثمَّ أخذ به رجلٌ فانقطع به، ثمَّ وُصل له فعَلا(١).

هذه أيضًا كلُّها تُثبِت فضائل الخلفاء، وهذه الفضائل مرتَّبةٌ.

أمَّا كون عليٍّ انْقطَع به ذلك السَّبب، ثمَّ وُصل له، فلِما جرى من الفتن في عهده رضوان الله عليه، وذلك في القتال الَّذي وقع في موقعة الجمل، والقتال الَّذي حصل أيضًا في صِفِّين، ثمَّ بعد ذلك خرجت الخوارج في صِفِّين، وبعد ذلك قتَلهم، ثمَّ قُتل.

أمَّا ما ورد أنَّ الخلافة ثلاثون سنة، فحُسِبَتْ خلافة أبي بكرٍ سَنَتين وستَّة

=

مَكَّةَ، فَوالله لَيَكُونَنَّ لَهُ شَأْنٌ، فَرَجَعَتْ بِهِ، وَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعَ سِنِينَ كَانَ يَغْدُو مَعَ أَخِيهِ وَأُخْتِهِ فِي البَهْمِ قَرِيبًا مِنَ الحيِّ؛ فَأَتَاهُ الملكَانِ هُنَاكَ فَشَقَّا بَطْنَهُ، وَاسْتَخْرَجَا عَلَقَةً سَوْدَاءَ فطَرَحَاهَا وَغَسَلا بَطْنَهُ بِمَاءِ الثَّلْجِ فِي طِسْتٍ مِنْ ذَهَب، ثُمَّ وُزِنَ بأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوزَنَهُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا للآخَرِ: دَعْهُ؛ فَلَوْ وُزِنَ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَوَزَنَهُمْ...».

(١) أخرج مسلم (٢٢٦٩) أنَّ ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَرَى سَبَبًا وَاصِلًا، مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ، وَاللهِ لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اعْبُرْهَا!». قال أبو بكر: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قال ﷺ: «**أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا**» قال: فَوَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ؟ قَالَ «**لَا تُقْسِمْ!**».

أشهرٍ تقريبًا، فهي[(١)] حُسبت تسعًا وعشرين سنةً وستَّة أشهرٍ إلىٰ مقتل عليٍّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ كمَّلت بها خلافة الحسن بن عليٍّ، فبلغتْ ثلاثين سنةً، وهي أربعون سنةً؛ عشرٌ قبل موت النَّبيِّ ﷺ، وثلاثون بعده[(٢)].

كذلك أيضًا ما وَرَدَ عن الحَجَّاج من استحلاله لدماء النَّاس لو عَصَوْه، فهذا لا شكَّ أنَّه مخطئٌ فيه خطأً فاحشًا وعظيمًا، وتكلُّمه في عبد الله بن مسعودٍ أيضًا عليه فيه مؤاخذةٌ عظيمةٌ، وأهل السُّنَّة والجماعة يَرَوْن أنَّ الحَجَّاج فاسقٌ، وكذلك يقولون في يزيد بن معاوية.

ولكن الحَجَّاج كان فسقُهُ أشدَّ، ورزاياه في الأُمَّة أعظم، وقتله كثير في النَّاس في زمنه واستعلاؤه حتَّىٰ كان بعض النَّاس كفَّروه بكلمةٍ قالها، ولكن لا أدري هل تصحُّ عنه أم لا؟

يقولون: إنَّ سجنه كان شمسيًّا بدون سقفٍ، وأنَّه مرَّ بمَنْ في السِّجْن، فقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[(٣)] [المؤمنون: ١٠٨].

---

(١) أي: الثلاثون سنةً.

(٢) أخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (١٥/ ٣٤، ٣٥) (٦٦٥٧) عن سفينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، وَسَائِرُهُمْ مُلُوكٌ، وَالخُلَفَاءُ وَالمُلُوكُ اثْنَا عَشَرَ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التَّعليقات الحسان» (٦٦٢٣).

(٣) أخرج الدِّينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥/ ١٥٩ ابن حزم)، ومن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ١٩٢ الفكر) عن أبي سعيدٍ الأزديِّ، يعني: الحسن بن الحسين اليشكري، قال: نبَّأنا الرِّياشيّ، نبَّأنا عبَّاس الأزرق، عن السَّريّ بن يحيىٰ، قال: مرَّ الحجَّاج في يوم جُمعةٍ فسمِع استغاثةً، فقال: مَا هذَا؟! فقِيلَ لهُ: أهْلُ السُّجونِ يقولُون: قتَلنَا الحرُّ، قَالَ: قُولُوا لهم: «اخسَئُوا فيهَا ولا تكلَّمونَ». قال: فما عَاشَ بعْد ذلكَ إلَّا أقلّ مِن جُمْعةٍ حتَّىٰ مَاتَ.

وهذا سند ضعيف؛ عبَّاس الأزرق ضعَّفه في «التَّقريب» (ص٢٩٤ الرَّشيد) وقال: «كذَّبه ابنُ معين».

فمثَّل نفسَه بربِّ العزَّة حين قال لأهل النَّار: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

إنْ صحَّ هذا، فهذه كلمةٌ قَدْ يبلغ بها الكفر، بل هي مُكفِّرةٌ له، لكن في صِحَّتها عنه نظرٌ.

أمَّا القَتْل، فَقَدْ قتَل فيما يُقَال فوق ثلاث مئة ألفٍ، ولذلك اسْتجَاز كثيرٌ من التَّابعين الخروج عليه، وإلَّا فالحقيقة أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ عن الخروج علىٰ ولاة الأمر، وهذا الباب حصل فيه شيءٌ كثيرٌ من ذلك.

كذلك قوله في عليٍّ بن أبي طالبٍ: «إنَّه خليفةٌ صالحٌ، ولكنَّه يُسْتَخْلَفُ حِينَ يُسْتَخْلَفُ وَالسَّيفُ مَسْلُولٌ، وَالدَّمُ مُهْرَاقٌ».

والدَّفْر: في قوله: «يَا دَفْرَاهُ يَا دَفْرَاهُ» هو النَّتْن، هذا كخلاصةٍ لما تذكرته من هذا الباب، فنسأل الله أن يُبصِّرنا بالحقِّ، ويرينا إيَّاه، إنَّه جوادٌ كريمٌ.



باب: في فضل أصحاب النَّبيِّ ﷺ

قَالَ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٥٧- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَونٍ، قَالَ: أَنبأَنَا، (ح) قال: وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَينٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لا -، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ، وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ، وَلا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ، وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ»[1].

الشرح:

قال: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَونٍ، قَالَ: أَنبأَنَا، (ح) قال: وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَينٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لا -، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ، وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ، وَلا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ، وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ».

القَرْنُ يُطلقُ ويُرَاد به: الجماعةُ مِن النَّاس، يشتركون في زمنٍ واحدٍ، ويُطلقُ القرنُ ويُرَادُ به مئةُ سنةٍ، والظَّاهرُ أنَّ المرادَ هنا: الجماعة الَّذين يشتركون في زمنٍ واحدٍ يعيشون فيه.

فإذا كان كذلك، فإنَّ القرن يكون عُمُرًا طويلًا، وهل هو مئة سنةٍ؟ أو ثمانون

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

سنةً؟ أو سبعون سنةً أو أقلُّ من ذلك؟ خلافٌ في المسألة، فإذا نظرنا نجدُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»(١).

فإذا كان كذلك، فإنَّ الاعتبارَ يكون بالكثرة، ويمكن أن نقول: القرن سبعون(٢) سنةً بالنِّسْبة لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ القليل هم الَّذين يَجُوزُون السَّبْعين، وإذا نظرنا في حوادث التَّأْريخ الَّتي حدثت بعد النَّبيِّ ﷺ نجد القول بخَلْق القرآن، وحَمْل النَّاس عليه والَّذي يُعتَبر تَحوُّلًا في التَّاريخ من مجرىٰ السُّنَّة إلىٰ مجرىٰ البدعة.

وأقول مثلًا: القرن الأوَّل هم الَّذين صحبوا النَّبيَّ ﷺ إلىٰ السَّبْعين، ثمَّ القرن الثَّاني وهم التَّابعون إلىٰ مئةٍ وأربعين، ثمَّ القرن الثَّالث وهم أتباع التَّابعين إلىٰ مئتين وعشرٍ، وفي مئتين واثني عشر أظهر المأمون القولَ بخَلْق القرآن، ودعا أهلَ العلم إلىٰ ذلك، وألْقَىٰ بهم في السُّجُون، ومنهم مَنْ مات في السِّجْن، ومنهم مَنْ بقي في السِّجن مُدَّةً طويلةً، ثمَّ خرج ومُنِع من التَّحديث؛ كالإمام أحمد، وتتابع علىٰ ذلك ثلاثةٌ من الخلفاء، وهم: المأمون والمعتصم والواثق.

ولمَّا ولي الأمرَ المُتوكِّل علىٰ الله، عند ذلك أعلنَ السُّنَّةَ، وأخرج مَنْ كانوا في السُّجون من العلماء.

والمهمُّ: أنَّا نستطيعُ أن نُحدِّد الثَّلاثة القرون بأنَّها انتهتْ في مئتين وعشرة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٧٥٧).

(٢) قال الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني عملًا بالحديث، وهو قولُ النَّبيِّ ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَينَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»، رواه الترمذي، وابن ماجه، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي»».

وهذا اجتهادٌ منّي، علمًا بأنَّ السّبعين هي التّحديد الّذي حدَّده النّبيُّ ﷺ.

قوله: «ثُمَّ يَظْهَر أَقْوَامٌ يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذُرُون وَلا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ»؛ أي: تكثر فيهم هذه الثّلاث الخصال الّتي تدلُّ على تأثُّرهم بالدُّنيا وحبِّهم لها؛ لكونهم يسارعون بالشّهادة بلا طلبٍ، ولكونهم يلتزمون النّذْر ولا يوفون به؛ استهانةً بالدِّين، وضَعْفًا في التّمسُّك به، والأمرُ الثّالثُ أنّها تظهرُ فيهم الخيانةُ وقلّةُ الأمانة.

وهذا لا ينفي وجود الخير، ولكن يدلُّ على قلّته بالنِّسبة لما سبق في الثّلاثة القرون الأولى، وقَدْ جاء في حديثِ أنسٍ الّذي في «البخاري»: «مَا مِنْ عَام إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»[1]، حديثٌ مرفوعٌ إلى النّبيِّ ﷺ، حتّى قال أنسٌ: «لا أَقُولُ: عَامٌ أَخْصَبُ مِنْ عَام»[2].

يُشِير بذلك إلى أنَّ فُشُوَّ الشَّرِّ، هذا ليس بالنِّسبة للخصب والجدب، ولكن بالنِّسبة لتمسُّك الأُمّة بِهَدْي نبيِّها، واتِّباع شرعه، وسيطرة الإيمان على القلوب، هذا لا ينفي أن يكون هناك مواضعُ يتجدَّد فيها الإيمان بسبب الدُّعاة الّذين يدعون إلى الله ويأمرون بتوحيده.

أمّا قولُه: «وَيَظْهَر فِيهِمْ السِّمَن»: فهو إشارةٌ إلى أنّهم يُؤْثِرون التّنعُّم؛ إذْ لا

---

(١) أخرج البخاري (٧٠٦٨) عن الزُّبير بن عديّ قال: أَتَيْنَا أَنَسَ بنَ مَالِكٍ فَشَكَوْنَا إِلَيهِ مَا نَلْقَى مِن الحَجَّاج، فَقَالَ: «اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»، سَمِعْتُهُ مِن نَبِيِّكُمْ ﷺ، والتِّرمذيُّ (٢٢٠٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الدّارمي في «سننه» (١٩٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَام، وَلا أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِير، وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ وَخِيَارُكُمْ وَفُقَهَاؤُكُمْ يَذْهَبُونَ، ثُمَّ لا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا، وَيَجِيءُ قَومٌ يَقِيسُونَ الأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ».

يكون اهتمامهم بالشَّرع وتطبيقه والعمل عليه، ولكن يكون اهتمامهم بِتنعُّمِ الأجساد، نسأل الله أن يُصلِحَ أحوالنا.

وفي هذا الحديث فضلُ أصحاب النَّبيِّ ﷺ الَّذين اختارهم الله لصحبة نَبيِّه، فهم خير القرون السَّابقة واللَّاحقة، لا يأتي بعدهم ولم يأتِ قبلهم مَنْ هو خيرٌ منهم، وهذا حكمٌ عامٌّ في تفضيل أصحاب النَّبيِّ ﷺ علىٰ غيرهم من السَّابقين واللَّاحقين.

أمَّا التَّفاضل بينهم فقد سبق الكلام عليه، وذلك بتفضيل أصحاب الهجرتَين الَّذين هاجرُوا إلىٰ الحبشة، ثمَّ هاجروا إلىٰ المدينة، ثُمَّ بعد ذلك أهل بيعة العقبة، ثمَّ بعد ذلك مَنْ حضرُوا بدرًا، ثمَّ بعدَ ذلك مَنْ شَهدُوا بيعةَ الرِّضوان، ثمَّ بعد ذلك مَنْ أسلم قبل الفتح وقاتل، ثمَّ بعد ذلك مَنْ أسلم بعد الفتح وقاتل.

أمَّا التَّفضيل علىٰ التَّعْيين فقد سبق أيضًا أنَّ أفضل الأُمَّة بعد نَبيِّها: أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ، ثمَّ عثمانُ، ثمَّ عليُّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ السِّتَّة الباقون من العشرة، وبالله التَّوْفيق.



باب: في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ

قَالَ الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٥٨- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ».

قال أبو سعيد: حدَّثنا العطاردي، قال: أخبرنا أبو معاوية، وذكر الحديث[1].

٤٦٥٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ المَاصِرُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ، قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالمَدَائِنِ فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ، فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ.

فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ، فَمَا صَدَّقَكَ وَلا كَذَّبَكَ، فَأَتَىٰ حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبْقَلَةٍ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ، فَيَقُولُ فِي الغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَرْضَىٰ فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّىٰ تُوَرِّثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ، وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ، وَحَتَّىٰ تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ، فَقَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ، أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَاللهِ، لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ عُمَرَ، [فَتَحَمَّلَ عَلَيهِ بِرِجَالٍ، فَكَفَّرَ يَمِينَهُ، وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَىٰ عُمَرَ، وَكَفَّرَ قَبْلَ الْحِنْثِ».

قَالَ أَبُو دَاودَ: قَبْلُ وَبَعْدُ، كُلُّهُ جَائِزٌ][(١)].

الشرح:

(بابُ النَّهي عن سَبِّ أصحاب رسُول الله ﷺ) أوردَ فيه حديث أبي سعيدٍ، قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

هذا الحديث سندُهُ ظاهرُ الصِّحَّة.

مسدَّد: هو ابن مسربل، وهو من رجال الصَّحيحين.

أبو معاويةَ: هو محمَّد بن خازم الضَّرير، من رجال الصَّحيحين.

الأعمش: هو سليمان، من رجال الصَّحيحين.

أبو صالح: عند إطلاقه يُرَاد به ذكوان السَّمَّان، من رجال الصَّحيحين، وعلىٰ هذا فالسَّنَد صحيحٌ.

النَّبيُّ ﷺ نهىٰ عن سبِّ أصحابه، وقَدْ كان هذا النَّهي حين أرسل النَّبيُّ ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٧٥٨)، وما بين معقوفتين ليست في المطبوع، وأثبتت في بعض النُّسخ؛ انظر: «السُّنن» بشرحه «عون المعبود» (١١/ ٢٧٠ - ٢٧١ الكتب العلمية).

خالد بن الوليد بعد الفتح إلىٰ قومٍ يُقال لهم: بنو جذيمة، وكان في السَّريَّة التي معه عبد الرَّحمن بن عوفٍ.

فلمَّا وصلوا إلىٰ القوم لم يُحسنُوا أنْ يقولُوا: أسلَمْنا، فقالوا: صَبأنا، فأمر خالد بن الوليد باستمرار القتْل فيهم، فنهاه عبد الرَّحمن بن عوفٍ. قال خالد بن الوليد: أتفخرون علينا إلَّا بأيَّامٍ سبقتمونا بها.

فحصلَتْ بينه وبين عبد الرَّحمن مُقَاولةٌ، فجاء عبدُ الرَّحمن إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وأخبره، فغضِبَ النَّبيُّ ﷺ عَلَىٰ خَالِدٍ، فَقَالَ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[(١)].

فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»[(٢)].

فإذا كان النَّبيُّ ﷺ قال هذا في المفاضلة بين صحابيٍّ وصحابيٍّ، فغيرهم من باب أَوْلىٰ؛ يعني: كون خالد بن الوليد تكلَّم علىٰ عبد الرَّحمن بن عوفٍ الَّذي هو من السَّابقين إلىٰ الإسلام، والَّذين تحمَّلوا ما تحمَّلوا في سبيل الإسلام، وشاركوا في الجهاد عند قلَّة النَّاس، وقلَّة أتباعه ﷺ، لهذا قال النَّبيُّ ﷺ ما قال في ذلك.

إذًا؛ فإذا كان هذا في التَّفضيل بين صحابيٍّ وصحابيٍّ، فغيرُهُم مِن باب أَوْلىٰ.

قوله: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا» اللهُ أكبر! لا إله إلَّا الله! «مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ».

المُدُّ: هو ربعُ صاعٍ، فإنفاق أحدهم المُدَّ في ذلك الزَّمن العصيب علىٰ قلَّة الأنصار وكثرة الأضداد والأشرار، يُفضَّل علىٰ إنفاق مثل أُحُدٍ من الذَّهب، ولي

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣)، ومسلمٌ (٢٥٤٠)، واللَّفظُ له، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٤٣٣٩)، من حديث ابن عُمر رضي الله عنهما.

هذا من الفضل ما لا يُدرك مداه أبدًا.

ثُمَّ أورد في ذلك القصَّة الَّتي حصلت بين حذيفة وسلمان الفارسي، وأنَّ سلمان الفارسيَّ كان ينتقد حذيفة؛ لكونه يذكر أحاديث قالها النَّبيُّ ﷺ لأقوامٍ في حالة الغضب.

«فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ، فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ، وَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ، فَمَا صَدَّقَكَ وَلا كَذَّبَكَ».

يُؤخذ من هذا الحديث:

أوَّلًا: أنَّ الأخيار قَدْ يجري بينهم ما يجري من العَتْب.

ثانيًا: أنَّ الأشرار في كلِّ زمنٍ يثيرون الفتن، ويسعون بالإفساد بين النَّاس، فَنَقْلُ قول هذا إلىٰ هذا، ونقل قول هذا إلىٰ ذاك، هذا مِمَّا يثير الشَّرَّ، ويوجب الخلاف الَّذي يُؤدِّي إلىٰ الفُرقة، وإذا كان هذا حاصلًا في ذاك الزَّمن، فما حالنا اليوم؟

ثُمَّ قال سَلمان لحذيفة رضي الله عنهما: ولقدْ علمت أنَّ رسولَ الله ﷺ خطَبَ، فقالَ: «أيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سبَّةً، أو لعَنْتُهُ لعْنَةً في غَضَبِي؛ فإنَّما أنا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كما يَغْضَبُونَ، وَإِنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً للعَالمينَ، فَأَجْعَلُهَا عَلَيهِ صَلاةً يَومَ القِيَامَةِ».

وفي رواية: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ، وإنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيكَ يومَ القِيَامَةِ»[1].

ثُمَّ قال سلمانُ: «وَاللهِ، لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ عُمَرَ»: فيه دليلٌ علىٰ أنَّهم كانُوا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠١)، مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يخافون عُمرَ.

ثُمَّ قال: «فَتَحَمَّلَ عَلَيهِ برجالٍ»؛ أي: تحمَّل حذيفة علىٰ سلمان الفارس برجالٍ[1] حتَّىٰ لا يكتب إلىٰ عُمر، فلم يكتب وكفَّر عن يمينه «وكَفَّرَ قَبلَ الحِنْث».

قَولُه: «فَتَحَمَّلَ»، أي: شفع، وهذا شائعٌ في لُغة العرب، وبالأخصِّ في مُتابعة الرَّجل لامرأتِه؛ يقولون: فلانٌ تحمَّل علىٰ زوجتِه، أو علىٰ أولياء زوجته، أو أشبه ذلك، أي: ذهب بأناسٍ يستشفع بهم في رَدِّ زوجته إليه، هذا شائعٌ في لُغة العرب، وبالأخصِّ في مُتابعة الرَّجُل لامرأته.

وأقولُ: يجوز التَّكْفير قبل الحنث وبعده إذا نوىٰ التَّراجع عن اليمين، فقد ورد في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وإنِّي وَالله، لا أَحْلفُ عَلَىٰ يَمِينٍ فَأَرَىٰ غَيرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَّرْت عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»[2]، وبالله التَّوفيقُ.



(١) قال الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: استشفع».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩).

باب: في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

قَالَ الإمامُ أبو دَاودَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٦٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ»، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَمْعَةَ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ قُمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ.

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ، وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا، قَالَ: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالمُسْلِمُونَ»، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ»[1].

٤٦٦١- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن إِسْحَاقَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْن عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ زَمْعَةَ أَخْبَرَهُ بِهَذَا الخَبَرِ، قَالَ: «لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَ عُمَرَ، قَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا، لَا، لَا، لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ»، يَقُولُ ذَلِكَ مُغْضَبًا[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٠)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ظلال الجنَّة» (١١٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦١)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرح:

(بَابٌ فِي اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): أورد فيه حديث عبد الله بن زمعة، «لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ»: ومعنىٰ استُعزَّ: اشتدَّ عليه المرض، أُيِس من حياته.

«وَأَنَا عِنْدَه فِي نَفَرٍ مِنْ المسْلِمِينَ، دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ»، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ بنُ زَمْعَةَ، فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاس، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غائبًا - قال - فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ، قُمْ فَصَلِّ بالنَّاس، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوتَهُ، وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا»، أَوْ: «جَهِيرًا». ومعنىٰ مجهرًا؛ أي: أنّه كان جهير الصَّوْتِ.

«قَالَ: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَىٰ اللهُ ذَلِكَ وَالمسْلِمُونَ، يَأْبَىٰ اللهُ ذَلِكَ وَالمسْلِمُونَ»، فَبَعَثَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّىٰ عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّىٰ بِالنَّاسِ».

يُؤخذ من هذا الحديث:

- فضل أبي بكرٍ علىٰ غيره من الصَّحَابة حتَّىٰ عمر.

- فيه إشارةٌ إلىٰ خلافة أبي بكرٍ، ففي الباب حديث عائشة في «الصَّحيحين»، وأنَّها قَدَّرتْ في نفسِها أنَّ النَّاس سَيَتَشاءمون لمَنْ يقوم مقامَ النَّبيِّ ﷺ، فقالت: فقُلْتُ لحفصةَ: قُولي: إنَّ أبَا بَكْر إذَا قَامَ في مَقامِكَ لم يُسْمِع النَّاسَ مِن البُكَاء، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بالنَّاس! فقَالَ النَّبيُّ ﷺ بعْد تَرْدِيدِ عائِشَةَ وَحَفْصَةَ: «إِنَّكُنَّ لَصَوَاحِبُ يُوسُف، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[(١)].

وفي هذا فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ، وفيه أيضًا الإشارة إلىٰ خلافته، ولهذا قال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عُمرُ: «رَضِيَهُ رَسُول الله ﷺ لِدِينِنَا، فَكَيْفَ لَا نَرْضَاكَ لِدُنْيَانَا»، فَبايَعُوه.

- وفيه ردٌّ علىٰ الشِّيعة في زعمهم أنَّ الخلافة كانت لعليٍّ، وأنَّ أبا بكرٍ وعمر اغتصباها منه.

والحديث الثَّاني معناه شبيهٌ بالمعنىٰ الأوَّل. وبالله التَّوفيق.



باب: ما يدلُّ على ترك الكلام في الفتنة

قالَ أبو داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٦٢- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ وَمُسْلِمُ بنُ إبْرَاهِيمَ، قَالا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بنِ زَيدٍ، عَنْ الحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ المثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ الأَنْصَارِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَشْعَثُ، عَنْ الحَسَن، عَن أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ للحَسَنِ بن عَليٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ مِنْ أُمَّتِي».

وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّاد: «وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصلِحَ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ مِنْ المسْلِمِينَ عَظِيمَتَينِ»[١].

٤٦٦٣- حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ، إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لا تَضُرُّكَ الفِتْنَةُ»[٢].

٤٦٦٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ مَرْزُوق، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الأَشْعَثِ بنِ سُلَيم، عَنْ أَبِي بُرْدَةِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بن ضُبَيعَةَ، قَالَ: «دَخَلْنَا عَلَىٰ حُذَيفَةَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا لا تَضُرُّهُ الْفِتَنُ شَيئًا»، قَالَ: فَخَرَجنَا فَإِذَا فُسطَاطٌ مَضْرُوبٌ، فَدَخَلْنَا، فَإِذَا فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِن

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أَمْصَارِكُمْ، حَتَّىٰ تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ»[١].

٤٦٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بن سُلَيم، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ضُبَيْعَةَ بن حُصَينٍ الثَّعْلَبِيِّ بِمَعْنَاهُ.

٤٦٦٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بنِ عَبَّادٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا؛ أَعَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَمْ رَأْيٌ رَأَيْتَهُ؟ فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِشَيءٍ، لَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْتُهُ»[٢].

وَقَالَ:

٤٦٦٧ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا القَاسِمُ بْنُ الفَضْلِ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ»[٣].

الشرح:

أورد في هذا الباب قول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في الحسن بن عليٍّ حين كان جالسًا معه على المنبر، فقال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المسْلِمِينَ»[٤].

فلمَّا قُتل عليُّ بنُ أبي طالبٍ، تولَّى الحسنُ، ووجد من الشِّيعة ما وجد مِن عدم الإخلاص، بل إنَّهم يدَّعون ادِّعاءاتٍ ويكذبون فيها، حتَّى إنَّه قيل: إنَّهم كادُوا أن يغتالُوه، وبعد ذلك رأى أن يتنازل لمعاوية عن الخلافة بشروطٍ، وسعى

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «صحيح بما قبله».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

بينهم أقوامٌ من الصَّحابة وغيرهم، فتنازل الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسُمِّيَ هذا العام: عام الجماعة، والَّذي هو عام واحدٌ وأربعون من الهجرة النَّبويَّة، وتَحقَّق في الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قول النَّبيِّ ﷺ: «وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ».

كذلك أيضًا أورد فيه حديث حذيفة، قال: «مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الفِتْنَةُ، إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ».

وكان مُحمَّد بن مسلمة من أكابر الصَّحابة ومن الأنصار، شهد بدرًا والمشاهدَ بعدها، فكان النَّبيُّ ﷺ قَدْ أوصاه أنَّه إذا رأىٰ الفتنة أنْ يأتيَ بسيفِهِ أُحُدًا، فيضرب به في الحجارة حتَّىٰ يكسره، وأنْ يَتَّخذ سيفًا من خشبٍ.

وقَدْ أرسل إلىٰ عليٍّ بن أبي طالبٍ حين خرج، فقال: «إنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ السَّيْفَ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ابنُ عَمِّكَ عِنْدَ اختِلَافِ النَّاسِ»[(١)].

وفي الحديث الَّذي بعده من طريق الأشعث بن سُليم عن أبي بُردة (يعني: ابن أبي مُوسىٰ) عن ثعلبة بن ضُبيعة، قال: «دَخَلْنَا عَلَىٰ حُذَيفَةَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا لا تَضُرُّه الفِتَنُ شَيْئًا، قَالَ: فَخَرَجْنَا فَإِذَا فسْطَاطٌ مَضْرُوبٌ، فَدَخَلْنَا، فَإِذَا فِيهِ مُحمَّد بن مَسلمَةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَيَّ شَيءٌ مِنْ أَمْصَارِكُمْ حَتَّىٰ تَنْجَلِيَ عَمَّا انجلَتْ».

ثمَّ أورد حديث الحسَن - والظَّاهر أنَّه: هو البصريُّ - عن قيس بن عباد، قال:

---

(١) أخرج الترمذي (٢٢٠٣) عن عديسة بنت أهبان بن صيفي الغفاري قالت: «جَاءَ عَلِيُّ بن أبي طالب إلىٰ أبي، فَدعَاهُ إِلَىٰ الخُرُوجِ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ أبي: «إِنَّ خَلِيلي وَابنَ عَمِّكَ عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا اختَلَفَ النَّاسُ أَنْ أَتَّخِذَ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ»، فَقَدْ اتَّخَذْتُهُ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ بِهِ مَعَكَ. قَالَتْ: فَتَرَكَهُ». قَالَ أَبُو عِيسَىٰ التِّرمذي: «وفي البَاب عَنْ مُحَمَّد بن مَسْلَمَة، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُه إِلَّا مِن حَدِيثِ عبدِ الله بن عُبيدٍ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٣٨٠).

«قُلتُ لِعَلِيٍّ: أَخْبِرنا عَنْ مَسِيرِك هَذَا، أَعَهْدٌ عَهِدَه إِلَيكَ رَسُولُ الله ﷺ، أَمْ رَأْيٌ رَأَيْتَه؟

فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَيءٍ، لَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْتُهُ».

يُؤخَذُ مِن هذا الحديث:

- تكذيبٌ لمَّا تَدَّعيه الشِّيعة من الوصاية لعليٍّ، وأنَّهم قَدْ كذبوا في ذلك، وَافتَرَوْا علىٰ عليِّ بن أبي طالبٍ في زَعْمِهم هذا.

- وأنَّ ما حصَلَ مِن عليٍّ مِن الخروج ودعوة النَّاس إلىٰ خلافته إنَّما هو رأيٌ رآه، ولكن هذا لا ينفي أنَّه أفضلُ الموجودين في ذلك الوقت.

ثمَّ أورد حديث أبي سعيدٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ المسْلِمِينَ** - شكَّله هنا (فِرقة)[1] وهذا غلطٌ، فالفِرقة: هي الواحدة من الفِرق، والفُرقة هي الاختلاف - **يَقْتُلُهَا - أَوْ: تَقْتُلُهَا - أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَينِ بالحَقِّ»**.

والمقصود بذلك: خروج الخوارج، وقَتْل عليِّ بن أبي طالبٍ لهم، وفي هذا علامةٌ علىٰ أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ كان أَوْلَىٰ بالحقِّ مِن غَيرِه، وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) قلتُ: «فِرْقة» في النُّسخة الَّتي عند شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ، بخلاف ما عليه في هذه النُّسخةِ المطبوعة «فُرْقة»، وهي الكتابة الصحيحة.

باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام

قَالَ الإِمَامُ أَبو دَاودَ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٦٨- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو يَعْنِي ابْنَ يَحْيَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ»[(١)].

٤٦٦٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»[(٢)].

٤٦٧٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّىٰ»[(٣)].

٤٦٧١- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، قَالَا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٧٠)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح بما قبله».

مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَحَدِيثُ ابْنِ يَحْيَى أَتَمُّ(١).

٤٦٧٢ - حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، يَذْكُرُ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»(٢).

٤٦٧٣ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُّوخَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٣).

٤٦٧٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْعَسْقَلَانِيُّ، وَمَخْلَدُ بْنُ خَالِدٍ الشَّعِيرِيُّ الْمَعْنَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا؟»(٤).

٤٦٧٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧١)، وصحّحه الألبانيُّ رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٢)، وصحّحه الألبانيُّ رحمه الله.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٧٣)، وصحّحه الألبانيُّ رحمه الله.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، وصحّحه الألبانيُّ رحمه الله في «الصّحيحة» (٢٢١٧).

بْنِ مَتَّىٰ نَبِيٌّ»[(١)].

الشرح:

(باب التَّفضيل بين الأنبياء): ما ورد في هذا الباب إنَّما قاله النَّبيُّ ﷺ هضمًا لنفسه، وتواضعًا منه في حال حياته، وإلَّا فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: إخبارٌ عن التَّفضيل بين الأنبياء، وأنَّ المفاضلة بينهم حاصلةٌ، فالمُرْسَلون أفضلُ مِن الأنبياء، والفرق بين «النَّبيِّ» و«الرَّسول» هو أنَّ النَّبيَّ مَنْ كُلِّف بتبليغ رسالة مَنْ قبله، والرَّسول هو مَنْ كُلِّف برسالةٍ جديدةٍ.

فالرُّسُل أفضلُ من الأنبياء، والرُّسُل بعضهم أفضل من بعضٍ بصريح الآية، وإنَّما أنكر النَّبيُّ ﷺ علىٰ مَنْ فعل ذلك في حياته تواضعًا منه صلوات الله وسلامه عليه، وأولو العزم من الرسل خمسةٌ، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومُحمَّدٌ ﷺ.

والنَّبيُّ ﷺ أفضل الرُّسُل جميعًا، ولذلك فقدْ خَصَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمقام المحمود الَّذي لا ينالُه أحدٌ غيرُه مِن الرُّسُل؛ إذْ إنَّه لا يصل إليه إلَّا بعد أن يُعرَض علىٰ الرُّسُل جميعًا، أي: علىٰ أولي العزم جميعًا، وكلٌّ منهم يَتنصَّل، ويقول: «لَسْتُ لَها»[(٢)]؛ كذلك أيضًا استفتاح باب الجنَّة، لا يستفتحه أحدٌ غيره[(٣)].

وقوله: «لا تُخَيِّروا بَيْنَ الأَنْبِياءِ»: أي: لا تُفضِّلوا بعضهم علىٰ بعضٍ من عند

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٥)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٤٥٢).

(٢) أخرج حديث الشَّفاعة الطَّويل البخاريُّ (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي بابَ الجَنَّةِ يومَ القيامةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ».

أنفسكم، أو: لا تُفضِّلوا بعضهم على بعضٍ تفضيلًا يُؤدِّي إلى تنقُّص المفضول منهم، والإزراء به، وهو كُفرٌ، أو معناه: لا تُفضِّلوا في نفس النُّبوَّة؛ فإنَّهم مُتساوون فيها، وإنَّما التَّفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية.

«قال الخطَّابيُّ: معنى هذا: ترك التَّخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم؛ فإنَّه رُبَّما أدَّى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم، والإخلال بالواجب مِن حقوقهم، وليس معناه: أن يُعتقَد التَّسوية بينهم في درجاتهم، فإنَّ اللَّه تعالى قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

قال المنذريُّ: وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ أتمّ منه»[1].

والَّذي يظهر أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن التَّخيير بينهم في حياته تواضعًا منه - صلواتُ الله وسلامُه عليه -، ولهذا قال: «لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ».

ويونُس بنُ متَّى هو صاحب الحوت الَّذي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٠]، وقِصَّته معروفة، وأنَّه أرسل إلى قوم فوق عددٍ، يقاربون أو يزيدون على مئة ألف، فكذَّبوه وأنذرهم بوقوع العذاب، ثُمَّ إنَّهم خافوا من العذاب، فاجتمعوا جميعًا، وفرَّقوا بين الوالدات والأولاد، وبعد ذلك جأروا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ودَعَوه، فصرف الله عنهم العذاب.

وكانَ قد خرج من بينهم؛ انتظارًا لوقوع العذاب بهم، فكان يلتمس الأخبار،

(١) انظر: «عون المعبود» (١٢/ ٢٧٧).

فكُلَّما سأل قيل له: إنَّهم بخيرٍ، فعند ذلك وقَع في نفسه غضبٌ وغيظٌ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَذَّبه، فخرج إلىٰ البحر وركب في سفينةٍ، فلمَّا توسَّطوا في البحر، وقفت السَّفينةُ، فقال أصحاب السَّفينة: لا بدَّ أن نُخفِّف عنها، فنقترع، ومَنْ وقعت عليه القُرعة يُلقَىٰ في البحر، فاقترعوا ثلاثَ مَرَّاتٍ، وتقع القرعة عليه، فألقوه في البحر، فوقَعَ في فم الحوت (النُّون).

وهذا الحوتُ عظيمٌ، ويُقَال: إنَّه يفتح فاه، فينزل الماء (البحر) في فيه مع المخلوقات الَّتي فيه، ثمَّ إنَّه يخرج الماء، وتَبْقىٰ هذه الأشياء الَّتي دخلت في بطنه، ويُقَال أيضًا: إنَّ الله أَوْحَىٰ إلىٰ الحوت أَلَّا تهشُم له عَظْمًا.

فلمَّا دخل في بطن الحوت، عرف أنَّه مخطئٌ، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفعل في خَلْقه ما يشاءُ، فليس لأحدٍ عليه اعتراضٌ، عند ذلك نادىٰ ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان كثير الدُّعاء في صِحَّتِهِ، وقبل ابتلائه، فقالت الملائكة: يا ربِّ، صوتٌ معروفٌ من بلاد غربة.

فأخرجه من بطن البحر، ومن بطن النُّون، وأنبت عليه شجرةً يتغذَّىٰ منها، وأخرج له عينًا يشرب منها حتَّىٰ ثَابَتْ(١) عليه قُوَّتُه، ثمَّ عاد إلىٰ قومه، فآمنوا كما وَضَّح الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في آخر سورة (يونس): ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨]؛ يعني: عند نزول العذاب، لا ينفع الإيمان، ولكن قوم يونس نفعهم إيمانهم حينما جأروا إلىٰ الله؛ صغارًا وكبارًا، وذكورًا وإناثًا بعد استيقانهم بوقوع العذاب - فرحمهم الله - وصرف العذاب عنهم، وقَدْ ورد في القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن

(١) أي: رجَعَت.

تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٠].

فقولُ النَّبيِّ ﷺ: «لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّىٰ».

هذا أوَّلًا: قاله علىٰ سبيل الهَضْم لنفسِه.

وثانيًا: منعًا للتَّخْيير المُؤدِّي إلىٰ الإزراء بالنَّبيِّ المخيَّر عليه.

قوله: «فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»: الصَّعَق بفتح العين، يُقال: صُعِق الرَّجل: إذا أصابته صاعقةٌ، وصُعِق أيضًا: «إذا أصابه فزعٌ فأُغْمِي عليه، ورُبَّما مات منه، ثمَّ يُستعمَل في الموت كثيرًا، لكنَّ هذه الصَّعقة صعقة فزع يكون قبل البعث»[(١)] ولا أدري ما معنىٰ قوله[(٢)]: يكون قبل البعث.

والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يومَ القِيَامَةِ، فَأَرْفَع رَأْسِي، فَإِذَا مُوسَىٰ بنُ عِمْرَانَ بَاطِشٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللهُ».

وهذا الحديث يدلُّ علىٰ:

أوَّلًا: رؤيته ﷺ لموسىٰ وهو باطشٌ بقائمةٍ من قوائم العرش؛ لأنَّ السَّماوات في ذلك الوقت كانت قد تلاشَتْ.

وثانيًا: يدلُّ علىٰ أنَّه يوم القيامة وعند بعث النَّاس وخروجهم مِن قبورهم، والمهمُّ: أنَّ قوله[(٣)]: «هذه الصَّعقة صعقة فزع يكون قبل البعث»، وهذا لا أدري ما وجهه؟ وهذا الكلام غير صحيح.

(١) «عون المعبود» (٢٤/ ٩٥).

(٢) أي: صاحب «عون المعبود».

(٣) أي: قول صاحب «عون المعبود».

ثالثًا: كيف يراه النَّبيُّ ﷺ على البعد العظيم ما بين الأرض وما بين العرش؟ والجواب: أنَّ الله يجعل لأنبيائه ما يجعل من الفضل والإكرام.

قوله في الحديث عن أنس قال: قَالَ رَجُلٌ: يا خَيرَ البريَّة. فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ». أي: المشار إليه الموصوف بخير البريَّة وهو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال المنذريُّ: «وأخرجه مسلمٌ والنَّسائيُّ. قيل: يحتمل أنَّه قاله قبل أن يوحىٰ إليه بأنَّه خيرٌ منه، أو يكون علىٰ جهة التَّواضع، وكره إظهار المطاولة علىٰ الأنبياء» انتهىٰ كلام المنذريّ[(١)].

وقوله في الحديث: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا؟».

قوله في الحديث: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا؟». هذا قبل أن يُوحىٰ إليه شأن تُبَّع، وقد روىٰ أحمد من حديث سهل بن سعد السّاعديّ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ»[(٢)].

وقوله في الحديث الأخير: «أَنَا أَوْلَىٰ النَّاس بِابْنِ مَرْيَمَ، الأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»؛ أولاد العلَّات: هم الإخوة من الأب. وقال صاحب «عون المعبود»: «فإنَّ العلَّة الضَّرَّة، وبنو العلَّات: أولاد الرجل من نسوة شتَّىٰ»[(٣)]، وبالله التَّوفيق.



(١) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٨٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣١٩).

(٣) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨١).

باب في ردّ الإرجاء

قَالَ الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٧٦ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ: أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١).

٤٦٧٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: «إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَومُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الخُمْسَ مِنَ المغْنَمِ»(٢).

٤٦٧٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَ العَبْدِ وَبَينَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٧٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرح:

الإرجاء: هو تأخير العمل عن الإيمان، يقول: «قال في «النِّهاية»: المرجئةُ فِرْقةٌ مِن فِرقِ الإسلام يعتقدون أنَّه لا يَضرُّ مع الإيمان معصيةٌ، كما أنَّه لا ينفع مع الكُفر طاعةٌ، سُمُّوا مرجئةً لاعتقادهم أنَّ اللهَ أرجأ تَعْذيبَهم علىٰ المعاصي، أي: أخَّره عنهم، و«المرجئة» تُهمَز ولا تهمز، وكلاهما بمعنىٰ التَّأْخِير. كذا في «السراج المنير»»[1].

وأقول: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر الإيمان في كتابه في مواضعَ مُتعدِّدةٍ، وما ذكر الإيمان إلَّا وذكر معه العمل الصَّالح، إذًا، فالعملُ شرطٌ من حيث هو، وقَدْ يكون شرطَ صِحَّةٍ، وقَدْ يكون كمالًا، فمثلًا: الصَّلاة عند مَنْ يرىٰ أَنَّ تَرْكَها كفرٌ، فإقامتها أو الإتيان بها شرطٌ في صِحَّة الإيمان، أمَّا سائر الأعمال فهي علىٰ مراتبَ مُتعدِّدةٍ، لكن لا يكون العبد مؤمنًا حقًّا إلَّا بوجودِ العمل.

فالإيمانُ لا يتمُّ إلَّا بالعمل، لذلك أهلُ العلم مِن أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: الإيمانُ تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، وكلُّ هذه الأعمال (يعني: كلّ الأعمال الَّتي هي بضعٌ وسبعون شعبةً) كلُّها داخلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان.

وقَدْ أورد البخاريُّ عِدَّة أبوابٍ علىٰ أعمالٍ، وكُلُّها سُمِّيَتْ إيمانًا، فإماطة الأذىٰ عن الطَّريق من شُعَب الإيمان، وقول: لا إله إلَّا الله من شُعَب الإيمان والصَّلاة من الإيمان.

ولهذا لمَّا حُوِّلَ الصحابة عن بيت المقدس إلىٰ الكعبة، قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنَّ النَّاس ماتوا وهم يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس، فكيف حالهم!

(١) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٢).

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس، يعني: فأنتم صَلَّيتم إلىٰ بيت المقدس بأمرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ وكنتم مؤمنين بذلك، وصَلَّيتم إلىٰ الكعبة بأمرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ، فكنتم مؤمنين بذلك.

إذًا فمَنْ قال: إنَّ الإيمانَ اعتقادٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح وإنَّه يزيدُ وينقصُ؛ فهو مؤمنٌ، مَنْ قال هذا القول فهو قَدْ خرج من الإرجاء، والخروج من الإرجاء هو اعتقاد وجوب العمل، لأنَّ العمل من أركان الإيمان، ومن شروط الإيمان الَّتي لا يتمُّ الإيمان إلَّا بها.

أمَّا المرجئة الَّذين يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ. فقولهم هذا مردودٌ وباطل؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ ذكر عِدَّةً من المعاصي، وتَوعَّد عليها بالعذاب وبالنَّار، فوعيد الله لا شكَّ أنَّه في مَحلِّه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تَوعَّد أصحاب الكبائر إذا ماتُوا عليها بدون توبةٍ أنْ يُصيبَهم ما يُصيبُهم مِن العذاب، لكن المسلم الَّذي يقع في الكبائر ينفعه إيمانه يومًا ما، ولكن ينفعه بعد أن يناله ما يناله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢].

والله تعالىٰ يقول: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١].

وعلىٰ هذا، فإنَّ المرجئة مخطئون في قولهم: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، وإنَّ الخوارج مخطئون في قولهم: إنَّ أصحابَ الكبائر كُفَّارٌ، وإنَّهم مُخلَّدون في النَّار، وأهل السُّنَّة وسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء.

فأهل السُّنَّة يقولون: إنَّ أصحاب الكبائر تحت المشيئة، وهم مسلمون بإسلامهم، فُسَّاقٌ بكبائرهم، وأهل السُّنَّة وسط ما بين المرجئة والخوارج؛

فالخوارج غلَّبوا النُّصوص الواردة في الوعيد، والمرجئة غلَّبوا النُّصوص الواردة في الوعد، وأهل السُّنَّة والجماعة توسَّطوا وقالوا الحقَّ، وأنَّ المسلم الآتي كبيرةً أو كبائر؛ مسلمٌ بإسلامه، وإسلامُهُ سينفعه يومًا من الأيَّام إذا مات عليه، ولكن لا بدَّ أن يناله من معرَّة الذُّنوب ما يناله، ولمَّا كان اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَدْ وعد بالمغفرة لِمَنْ لم يشرك بالله شيئًا، ومَنَع المغفرةَ عَمَّنْ أشرك بالله في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وإخباره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنَّ المشركَ مُحرَّمٌ عليه دخول الجنَّة، ومُحتَّمٌ عليه دخول النَّار، فمَنْ مات وعليه كبائر لكنَّه مات علىٰ التَّوحيد وشيءٍ من الإيمان ولو كان قليلًا، فأمْرُه إلىٰ الله، إنْ شاءَ عفَا عنه، وأدخلَه الجنَّةَ بدون عذابٍ، وإنْ شاء عَذَّبه بالنَّار بقدْر جِنايته، ثمَّ يكون مآلُهُ إلىٰ الجنَّة، فمَنْ وُجد فيه الإيمانُ ولو كان بنسبةٍ قَليلةٍ، وسَلِمَ مِن الشِّرك الأكبر الموجب للتَّخليد في النَّار؛ فإنَّه لا بدَّ أن ينفعَه إيمانُه هذا يومًا ما، مهما عُذِّب وطال عذابُهُ في النَّار؛ فإنَّه سيخرج منها ويدخل الجنَّة، هذِهِ عقيدةُ أهل السُّنَّة والجَماعة، وأمَّا غَيْرُهم - كما قُلنا - المرجئة والخوارج كانوا علىٰ طَرَفي نقيضٍ، فالمرجئة غَلَّبوا الوعدَ، والخوارجُ غَلَّبوا جانبَ الوعيد.

وأهلُ السُّنَّة والجماعة وسطٌ بينهم في ذلك.

أمَّا الَّذين غلَّبوا جانب الوعيد فهم الخوارج والمعتزلة الَّذين قالُوا: إنَّ أصحابَ الكبائر مُخلَّدون في النَّار، لا يُخرجون منها أبدًا.

والفرقُ بين المعتزلة والخوارج: أنَّ الخوارج كفَّروا مرتكب الكبيرة في الدُّنيا، وحَكَموا علىٰ صاحب الكبيرة بأنَّه كافرٌ.

والمعتزلة قالوا: هو في منزلةٍ بين المنزلتين، في الدُّنيا - يعني: بين الإيمان والكفر -.

وأمَّا في الآخرة فكلُّهم[(١)] مُتَّفقون علىٰ أنَّه مُخلَّدٌ في النَّار، وأنَّه لا يخرج أحدٌ مِن أصحاب الكبائر دخل النَّار، لا يُخرج منها، وكذَّبوا بأحاديث الشَّفاعة، فهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة.

قول النَّبيِّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ»: الشُّعَبُ المذكورةُ في الحديث وغيرها قَدْ تَقصَّاها بعضُ أهل العلم؛ منهم البيهقيُّ في «شُعَب الإيمان».

فالَّذي قال: «لا إله إلَّا الله» ما حَمَله علىٰ قولها؟ إنَّه الإيمان.

والَّذي أماط الأذىٰ عن الطَّريق، ما الَّذي حَمَله علىٰ ذلك؟ إنَّه الإيمان.

وقوله: «والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ»؛ يعني: أنَّ الإنسانَ إذا استحيا مِن الشَّيء، فمعناه أنَّه مؤمنٌ باللَّوم علىٰ المعصية، والعقاب عليها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكذلك الحياء مِن النَّاس في هذا الأمر.

أمَّا قولُه: «إنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيسِ لمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بالإِيمَانِ باللهِ»:

ثمَّ فَسَّر الإيمانَ بالله لمَّا قال لهم النَّبيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ باللهِ؟».

قالُوا: اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ. فَسَّر ذلك بـ «شَهَادَة أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: إذًا شهادة أَنْ لا إله إلَّا الله هي مِن الإيمان، بل مِن أفضل أعمال الإيمان، «وَأَنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله»، ولا يكون الإنسان مُؤمنًا ومُسلمًا إلَّا بها، وفَسَّر الإيمان أيضًا بـ «إِقَام الصَّلَاة»، وفسَّر الإيمان بـ «إِيتَاء الزَّكَاة»، وفَسَّر الإيمان بـ «صَوم رَمَضَان»، وفَسَّر الإيمان بإعطاء «الخُمْس مِن المغْنَم»، فكلُّ هذه من أعمال الإيمان.

---

(١) أي: الخوارج والمعتزلة.

قوله: «بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»؛ يعني: «أنَّ الحاجز بين الإيمان والكفر فعل الصَّلاة لا تركها. قاله العزيزي. واخْتُلِفَ في تكفير تارك الصَّلاة الفرض عمدًا: قال عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَا حَظَّ في الإسلام لمَنْ ترك الصَّلاة». وقال ابن مسعودٍ: «تَرْكُها كُفرٌ». وقال عبد الله بن شقيق: «كان أصحاب مُحمَّدٍ - عليه الصَّلاة والسَّلام - لا يَرَوْن شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ غير الصَّلاة». وقال بعض العلماء: الحديثُ محمولٌ علىٰ تركها جحودًا، أو علىٰ الزَّجْر والوعيد»[١]. «وقَدْ أطال الكلام في هذه المسألة الإمام ابن القيم في كتاب الصَّلاة له، فأطاب وأحسن وأجاد»[٢].

والمهمُّ: أنَّ التَّكفير بترك الصَّلاة عمدًا، هذا هو الأرجح في نظري للأدلَّة القائمة علىٰ ذلك، وهو روايةٌ عن الإمام أحمد ومَنْ سَمَّاهم المُؤلِّف[٣].

وابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَدْ أقام أدلَّةً كثيرةً في كتابه الصَّلاة علىٰ أنَّ تارك الصَّلاة كافرٌ إذا تركها عمدًا، أمَّا الشَّافعي ومالك والجمهور والرِّوَاية المشهورة عن الإمام أحمد فهم يقولون: لا يكفرُ إلَّا أن يتركها جُحُودًا. وبالله التوفيق.



(١) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٤).

(٢) «عون المعبود» (١٢/ ٢٨٤).

(٣) أي: مؤلف «عون المعبود».

باب: الدَّليل على زيادة الإيمان ونقصانه

قَالَ الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٧٩ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ، عَنِ ابْنِ الهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلا دِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ».

قَالَتْ: وَمَا نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟

قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ شَهَادَةُ رَجُلٍ، وَأَمَّا نُقْصَانُ الدِّينِ؛ فَإِنَّ إِحْدَاكُنَّ تُفْطِرُ رَمَضَانَ، وَتُقِيمُ أَيَّامًا لا تُصَلِّي»(١).

٤٦٨٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الأَنْبَارِيُّ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ المَعْنَىٰ، قَالا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ الَّذِينَ مَاتُوا، وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣](٢).

٤٦٨١ - وَحَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ الفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ شُعَيب بن شَابُور، عَنْ يَحْيَىٰ بْن الحَارِثِ، عَنْ القَاسِم، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَىٰ للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٧٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٨٢- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(١).

٤٦٨٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنهُمْ شَيْئًا.

فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ» حَتَّىٰ أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلَاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِمٌ».

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا، وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا؛ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»(٢).

٤٦٨٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابنُ ثَورٍ، عَنْ مَعْمَر، قَالَ: وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾، قَالَ: نَرَىٰ أَنَّ الإِسْلَامَ الكَلِمَةُ، وَالإِيمَانَ العَمَلُ»(٣).

٤٦٨٥- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنبَل، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ بَشَّار، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفيَانُ المَعْنَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَن الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بن سَعْد، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَسَمَ بَينَ المسْلِمِينَ قَسْمًا، فَقُلْتُ: أَعْطِ فُلَانًا؛ فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمٌ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ العَطَاءَ، وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».

منهُ مخافةَ أنْ يُكبَّ علىٰ وَجْهِهِ»[١].

٤٦٨٦- حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ الطَيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٢].

٤٦٨٧- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلًا مُسْلِمًا: فَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرَ»[٣].

٤٦٨٨- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[٤].

٤٦٨٩- حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْأَنْطَاكِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

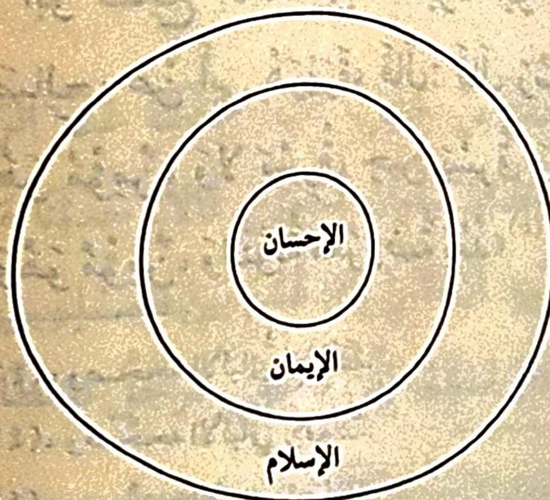
(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٨٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٦٩٠- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا نَافِعٌ - يَعْنِي: ابْنَ زَيْدٍ -، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الهَادِ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ»[1].

الشرح:

هذه الأعمال الَّتي ذُكر فيها الوعيد علىٰ فِعْلِها، واقترنَتْ في بعضِها بنفي الإيمان عن صاحبها، المقصود منها نفيُ كمال الإيمان وإثباتُ نُقصانِه، وأنَّه قدْ يصلُ بالنُّقصان إلىٰ نِسبةٍ قليلةٍ لا يصحُّ أنْ يُطلَق معها الإيمانُ، بلْ يُقَالُ: إنَّه مسلمٌ، وقدْ عاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الأعراب حين قالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، ولم يكن عندهم إيمانٌ يصحُّ إطلاقه علىٰ صاحبه بهذا الاسم.

فعندنا ثلاثُ دوائر؛ دائرة صغيرة في الوسط، ثمَّ دائرة من بعدها أوسع منها؛ ثمَّ دائرة كبيرة بعدها؛ هكذا:



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذه الدَّائرة الصَّغيرة الَّتي في الوسط هي دائرة الإحسان، وهو أعلىٰ ذروة، وهو: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

والدَّائرة الَّتي بعدها دائرة الإيمان، والدَّائرة الكبيرة هذه الَّتي شملت الدَّائرتين وهذه دائرة الإسلام؛ فمَنْ خَرَجَ من دائرة الإيمان بَقِيَ في دائرة الإسلام حتَّىٰ يُلِمَّ بشيءٍ من الأشياء المُكفِّرة الَّتي تُوجِب كُفْرَه وجحوده، فحينئذٍ يكون قَدْ خرج من الإسلام بالكُلِّيَّة، أمَّا ما دام لم يخرجْ مِنْ الإسلام بجَحْد بعض الأعمال أو بجَحْد بعض الفرائض؛ فإنَّه يبقىٰ في دائرة الإسلام، متىٰ ما أَلَمَّ بشيءٍ من الكبائر مُتعَمِّدًا لها مُقيمًا عليها؛ وإنَّه يكون قَدْ خرج من دائرة الإيمان إلىٰ دائرة الإسلام.

فإذا حقَّق العبدُ أعمالَ الإسلام الموجبة للإيمان عند ذلك دخل في دائرة الإيمان، الَّذي هو التَّصديق المصحوب بالعمل، ولهذا جاء في الحديث: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٢).

لكن لا يجوز لنا أن نقولَ بأنَّ الزَّانيَ والسَّارقَ وشاربَ الخمر كفَّارٌ؛ لأنَّه عندما أُتي بذلك الرَّجل وهو مخمورٌ (سكران) إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال رجلٌ من القوم: «**لَعَنَهُ اللهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ فِي الْخَمْرِ!**».

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ**»، وَقَالَ: «**مَا عَلِمْتُهُ إِلَّا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(٣).

---

(١) كما في حديث جبريل الذي أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرج البخاريُّ (٦٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: «اضْرِبُوهُ»، قَالَ =

فدلَّ هذا على أنَّ مَنْ أَلَمَّ بشيءٍ من هذه القاذورات؛ مِن زنًا، وسرقةٍ، وشرب خمر، والكبائر الأخرى، فإنَّه حينئذٍ يكون قَدْ خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام.

وإذا توغَّل في الإسلام، وعمل أكثر من العمل الَّذي يُهيِّئه للإيمان الكامل، عند ذلك يصير مؤمنًا، لكن أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: إنَّه لا ينبغي للعبد أنْ يقولَ: أنا مؤمنٌ، فيَقْطَع بإيمانه، بل يقول: أنا مُؤمنٌ إنْ شاء الله.

وخالَفَ في ذلك أبو حنيفة، وقال: إنَّ الاستثناء موجبٌ للشَّكِّ، ولكن قول غيره من الأئمَّة هو الأَوْلَىٰ بالدَّليل.

والله سمَّىٰ الصَّلاة إيمانًا حين قال الصَّحابة: يا رَسُولَ الله، فكيف الَّذين ماتُوا وهم يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس؟! فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣][(١)].

ثمَّ أورَدَ حديثَ أبي أُمَامَة عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَىٰ للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ».

أقولُ: كمالُ الإيمان أنْ تبذلَ لله، وأنْ تمنعَ لله، وأن تحبَّ لله، وأن تُبغضَ لله،

=

أبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّاربُ بيَدِهِ، وَالضَّاربُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّاربُ بثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوم: أَخْزَاكَ اللهُ، قَالَ: «لا تَقُولُوا هَكَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيهِ الشَّيْطَانَ». وأخرج البخاريُّ أيضًا (٦٧٨٠) عن عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ في الشَّرَاب، فَأُتِيَ بِهِ يَومًا فَأَمِرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوم: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ؛ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

(١) أخرج البخاري (٤٤٨٦) عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَىٰ القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ البَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا، لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣]».

وأنْ توالِيَ لله، وتُعادِيَ لله، هذا هو كمالُ الإيمان، وهكذا حديث: «**أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»، وسائر الأحاديث الَّتي وردت في زيادة الإيمان ونقصانه، ولا نُطِيل بالكلام عليها مُفصَّلًا، وبالله التَّوفيق.



باب في القدر

قَالَ الإمامُ أَبُو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٩١- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بنُ أَبي حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِمِنًىٰ، عَنْ أَبِيه، عَنْ ابن عُمَرَ، عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(١).

٤٦٩٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ أَبي كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ مَولَىٰ غُفْرَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، عَنْ حُذَيفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جِنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بالدَّجَّالِ»(٢).

٤٦٩٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ زُرَيعٍ وَيَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ حَدَّثَاهُمْ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، قَالَ: حَدَّثَنا قَسَامَةُ بنُ زُهَيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمْ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالحَزْنُ، وَالخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ». زَادَ في حَدِيثِ يَحْيَىٰ: «وَبَيْنَ ذَلِكَ»،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الضَّعيفة» رقم (٥٧١٤): «مُنكرٌ بهذا التَّمام.. حسنٌ دونَها».

وَالإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ[(١)].

٤٦٩٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بنُ مُسَرْهَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا المُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ مَنْصُورَ بنَ المُعْتَمِرِ يُحَدِّثُ عَنْ سَعْدِ بن عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن حَبِيب أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالمِخْصَرَةِ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الجَنَّةِ، إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً».

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ الشِّقْوَةِ؟

فَقَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ؛ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشِّقْوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلشِّقْوَةِ».

ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]»[(٢)].

٤٦٩٥- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ، أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي القَدَرِ، فَوَفَّقَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

اللهُ تَعَالَىٰ لَنَا عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ دَاخِلًا فِي المَسْجِدِ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الكَلَامَ إِلَيَّ.

فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ، وَالأَمْرَ أُنُفٌ، فَقَالَ: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بنُ الخَطَّاب، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا نَعْرِفُهُ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!!

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قَالَ: ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثْتُ ثَلاثًا. ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي مَن السَّائِلُ؟». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

٤٦٩٦ - حدَّثنا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ عُثْمَانَ بن غِيَاثٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَا: لَقِينَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَذَكَرْنَا لَهُ الْقَدَرَ وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ زَادَ قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِيمَا نَعْمَلُ؟ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا أَوْ أَمْضَىٰ، أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ؟

قَالَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَىٰ»، فَقَالَ الرَّجُلُ أَوْ بَعْضُ القَوم: فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»[٢].

٤٦٩٧ - حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ يَعْمَرَ، بِهَذَا الْحَدِيثِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ: «فَمَا الإِسْلَامُ؟

قَالَ: إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ البَيْتِ، وَصَومُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالاغْتِسَالُ مِنَ الجَنَابَةِ».

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: عَلْقَمَةُ مُرْجِئٌ[٣].

٤٦٩٨ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ أَبِي فَرْوَةَ الهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٠٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَجلِسُ بَينَ ظَهرَيْ أَصحابِهِ، فَيَجِيءُ الغَرِيبُ فَلا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّىٰ يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، قَالَ: فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيهِ، وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ، وَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الخَبَرِ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَذَكَرَ هَيْئَتَهُ، حَتَّىٰ سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكَ يَا مُحَمَّدُ.

قَالَ: فَرَدَّ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ[(١)].

٤٦٩٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الحِمْصِيِّ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ».

قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ[(٢)].

٤٧٠٠- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ الهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٨)، وصححه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وصححه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ: الْقَلَمَ. فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غير هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

٤٧٠١- وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَقَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ صَالِح المعنىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمرو بن دِينَار سَمِعَ طَاوُسًا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيرَةَ يُخْبِرُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخرَجتَنَا مِنَ الجَنَّةِ.

فَقَالَ آدَمُ: أَنتَ مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ».

قَالَ أَحْمَدُ بنُ صَالِح: عَنْ عَمْرٍو عَنْ طَاوُسٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيرَةَ(٢).

٤٧٠٢- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَىٰ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخرَجَنَا وَنَفسَهُ مِنَ الجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللهُ آدَمَ، فَقَالَ: أَنتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ.

قَالَ: أَنتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَا حملَكَ عَلَىٰ أَنْ أَخرَجتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ. قَالَ: أَنتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ مِنْ وَرَاءِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٨٤).

الحِجَاب، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَمَا وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فِيمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ القَضَاءُ قَبْلِي؟».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»(١).

٤٧٠٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ القَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِك، عَنْ زَيْدِ بن أَبِي أُنَيْسَةَ، أَنَّ عَبْدَ الحَمِيدِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن زَيد أَخْبَرَهُ، عَنْ مُسْلم بن يَسَار الجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قَالَ: قَرَأَ القَعْنَبِيُّ الآيَةَ، فَقَالَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(٢).

٤٧٠٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُصَفَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ جُعْثُم القُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُسْلِم بْن يَسَار، عَنْ نُعَيم بن رَبِيعَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بن الخَطَّابِ بِهَذَا

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٢)، وحسّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح، إلا مسح الظهر».

الحَدِيثِ، وَحَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ.

٤٧٠٥ - حَدَّثَنَا القَعْنَبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا المعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ بنِ مَصْقَلَةَ، عَنْ أَبي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بن جُبَير، عَنْ ابْنِ عَبَّاس، عَنْ أُبيِّ بن كَعْب، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(١).

٤٧٠٦ - حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَولِهِ: «﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠]: «وَكَانَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»(٢).

٤٧٠٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرو، عَنْ سَعِيدِ بْن جُبَيرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاس: حَدَّثَنِي أُبيُّ بنُ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَتَنَاوَلَ رَأْسَهُ فَقَلَعَهُ، فَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤]» الآية(٣).

٤٧٠٨ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ (ح)، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ كَثِير، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، المعْنَىٰ وَاحِدٌ، وَالإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ، عَنْ الأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بنُ وَهْب، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٥)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٦)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٠٧)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(١).

٤٧٠٩- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ الرِّشْكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(٢).

٤٧١٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ، وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»(٣).

الشرح:

في هذه الأحاديث إثباتُ العمل؛ لأنَّه من الإيمان.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧١٠)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أورد فيه: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ».

والسَّنَدُ سندٌ صحيحٌ، «موسىٰ بن إسماعيل» هو التَّبوذكيُّ من رجال الصَّحيحين، «عبد العزيز بن أبي حازم» هو من رجال الصَّحيحين، «عن أبيه» أبو حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ - أو: الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ -، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ».

ثمَّ أورد للحديث سندًا آخر مِن طريق «محمَّد بن أبي كثير، أخبرنا سفيان عن عمر» ابن محمَّد «مولىٰ غفرة عن رجلٍ من الأنصار».

لكن يقول: «قال المنذري (يعني: في السَّنَد الأوَّل): هذا منقطعٌ، أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، وقَدْ روي هذا الحديث من طُرُقٍ عن ابن عمر، ليس منها شيءٌ يثبت». انتهىٰ.

وقال السُّيوطيُّ في «مرقاة الصعود»: «هذا أحد الأحاديث الَّتي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني علىٰ «المصابيح»، وزعم أنَّه موضوعٌ».

وقال الحافظ ابن حجر فيما تَعقَّبه عليه: «هذا الحديث حَسَّنه التِّرمذيُّ، وصَحَّحَه الحاكم، ورجاله من رجال الصَّحيح إلَّا أنَّ له عِلَّتين:

الأولىٰ: الاختلاف في بعض رواته عن عبد العزيز بن أبي حازمٍ، وهو زكريا بن منظور، فرواه عن عبد العزيز بن أبي حازم، فقال: عن نافع، عن ابن عمر.

والأخرىٰ: ما ذكره المنذريُّ وغيره من أنَّ سنده منقطعٌ؛ لأنَّ أبا حاتمٍ لم يسمع من ابن عمر.

فالجواب عن الثَّانية: أنَّ أبا الحسن بن القطان القابسي الحافظ صَحَّحَ سنده، فقال: إنَّ أبا حازم عاصر ابن عمر، فكان معه بالمدينة، ومسلمٌ يكتفي في

الاتصال بالمعاصرة، فهو صحيحٌ على شرطه.

وعن الأولى: بأنَّ زكريا وُصِفَ بالوهم، فلعلَّه وَهِمَ، فأبدل راويًا بآخر، وعلى تقدير ألا يكون وَهِمَ، فيكون لعبد العزيز فيه شيخان»(١).

المهمُّ: أنَّ هذا الحديث فيه ما فيه وإنْ صحَّحه بعضهم.

ثمَّ أورد الأحاديث تباعًا.

ثم أورد حديثًا عن عبد الله بن حبيب بن أبي عبد الرَّحمن السُّلمي عن عليٍّ، قال: كُنَّا في جنَازَةٍ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ببقِيعِ الغَرْقَدِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَلَسَ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَجَعَلَ يَنكُتُ بالمخْصَرَةِ في الأرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ، فَقَالَ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ - أو: مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ - إلَّا قَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِن النَّار أَوْ مِنَ الجَنَّةِ، إلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً».

وأقولُ: وهذا يدلُّ على سابق القدر، ويدلُّ عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ويدلُّ عليه قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات الدَّالَّة على أنَّ القَدَر واقعٌ، وأنَّ الإيمان به واجبٌ، وبالله التَّوفيق.



(١) «عون المعبود» (١٢/ ٢٩٦).

باب: في ذراري المشركين

قَالَ الإِمَامُ أبو دَاودَ في «سُنَنِهِ» رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧١١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

٤٧١٢ - وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ، وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْحِجِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْمَعْنَىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا عَمَلٍ؟! قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «مِنْ آبَائِهِمْ». قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ؟! قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٢).

٤٧١٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَىٰ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ.

قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، طُوبَىٰ لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا، وَلَمْ يَدْرِ بِهِ.

فَقَالَ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيحُ الإسنادِ».

وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(١).

٤٧١٤- حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تَنَاتَجُ الإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٢).

٤٧١٥- قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قُرِئَ عَلَى الحارثِ بنِ مِسْكِينٍ وَأَنَا أَسْمَعُ: قَالَ: أَخْبَرَكَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا، قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الأَهْوَاءِ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِهَذَا الحَدِيثِ، قَالَ مَالِكٌ: احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِآخِرِهِ.

قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟! قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣).

٤٧١٦- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، يُفَسِّرُ حَدِيثَ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ». قَالَ: هَذَا عِنْدَنَا حَيْثُ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢](٤).

٤٧١٧- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الوَائِدَةُ وَالمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ».

قَالَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا: قَالَ أَبِي: فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ عَامِرًا حَدَّثَهُ بِذَلِكَ عَنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٣)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٤)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧١٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧١٦)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد مقطوع».

عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[١].

٤٧١٨ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ». فَلَمَّا قَفَّىٰ، قَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»[٢].

٤٧١٩ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَس بن مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ»[٣].

٤٧٢٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الهَمْدَانِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الحَارِثِ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ الهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ رَبِيعَةَ الجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تُجَالِسُوا أَهْلَ القَدَرِ، وَلا تُفَاتِحُوهُمْ». الحديث[٤].

الشرح:

(بابٌ في ذَرَارِيِّ المشركِينَ)؛ أي: في حُكمِهم ومآلهم.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»: يحمل هذا علىٰ أنَّ ذلك كان قبل أنْ يعلَمَ بمآلهم.

وفي الحديث الثاني قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّاب بنُ نَجْدَةَ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ):

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧١٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٠)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

بَقِيَّةُ: هو بَقِيَّة بن الوليد، يقولون: كان مُدَلِّسًا، وكان يُدَلِّسُ تدليس التَّسوية.

(وحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ، وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْحِجِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْمَعْنَىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»).

وأقول: إنَّ ذراري المؤمنين تابعون لآبائهم بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]؛ أي: ما نقصناهم.

ثمَّ أورد حديث عائشة أيضًا من طريق (عَائِشَة بنت طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، طُوبَىٰ لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا وَلَمْ يَدْرِ بِهِ! فَقَالَ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»)، أعوذُ بالله مِن النَّار؛ يعني: فلا يُدرَىٰ أهذا الطِّفْل مِمَّنْ خلقهم اللهُ للجنَّة أو للنَّار؟

ثمَّ أوردَ حديثَ أبي هُريرةَ قال: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ»)؛ يعني: أبواه يُعلِّمانه دينهم، إنْ كانُوا يهودًا هَوَّدُوه، وإنْ كانوا نصارىٰ نَصَّروه، وإنْ كانوا مشركين علَّموه الوَثنيَّة، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ هذه الأديان ليست من الفطرة في شيءٍ.

يقول النَّبيُّ ﷺ: («كَمَا تَنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ»)؛ يعني: أنَّها تُولَد علىٰ خِلقتِها كاملةً حتَّىٰ تكونوا أنتم تجدعونها، وجدع الإبل

يكون بوضع علامة عليها.

(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»).

(ثم قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قُرِئَ عَلَى الْحَارِثِ بنِ مِسْكِينَ وَأَنَا أَسْمَعُ: أَخْبَرَكَ يُوسُفُ بنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الأَهْوَاءِ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ مَالِكٌ: احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِآخِرِهِ، قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أنَّ القَدَريَّة كانوا يَحتجُّون به على أنَّ الكُفرَ والمعصيةَ ليسَا بقضاء الله، بل مِمَّا ابتدأ النَّاس إحداثه، فحاول جماعةٌ من العلماء مخالفتهم بتأويل الفِطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك؛ لأنَّ الآثار المنقولة عن السَّلَف تدلُّ على أنَّهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلَّا الإسلام، ولا يلزم مِنْ حَمْلها على ذلك موافقة مذهب القَدَريَّة؛ لأنَّ قوله: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ...»، إلخ؛ محمولٌ على أنَّ ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومِن ثَمَّ احتجَّ عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»»[1].

فهذه الأحاديثُ لا تناقض بينها، بل يُصدِّق بعضُها بعضًا، «وقد اختلفَ العلماء في الأطفال على ثمانية أقوالٍ:

أحدها: الوقف فيهم، وترك الكلام في مُستقرِّهم، ويُوكَل علمهم إلى الله تعالى.

قال هؤلاء: وظواهر السُّنَن وأجوبة النَّبيِّ ﷺ في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ وأبي

---

(١) «عون المعبود» (١٢/ ٣٢١).

هريرة رضي الله عنهم [وأقول[1]: وحديث عائشة أيضًا] يدلُّ على ذلك؛ إذ وَكَل علمهم إلى الله، وقال: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

قالوا: وقد روى ابن حبَّان في «صحيحه» من حديث جرير بن حازم: سمعت أبا رجاء العطاردي قال: سمعتُ ابنَ عَبَّاسٍ يقولُ وهو على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُوَاتِمًا - أَوْ مُقَارِبًا - مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الوِلْدَانِ وَالْقَدَرِ»[2].

القول الثَّاني: أنَّ أطفال المشركين في النَّار، وهذا مذهب طائفةٍ، وحكاه القاضي أبو يعلى روايةً عن أحمد.

قال شيخنا: وهو غلطٌ منه على أحمد، وسبب غلطه: أنَّ أحمد سُئِلَ عنهم، فقال: «هم على الحديث».

قال القاضي: أراد حديث خديجة إذ سألت النَّبيَّ ﷺ عن أولادها الَّذين ماتوا قبل الإسلام، فقال: «إِنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ»[3].

قال شيخنا: وهذا حديثٌ موضوعٌ، وأحمد أجلُّ من أن يَحتجَّ بمثله، وإنَّما أراد حديث عائشة: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

والقول الثَّالث: أنَّهم في الجنَّة، واحتجَّ هؤلاء بحديث سمرة الَّذي رواه البخاريُّ[4]. اهـ

---

(١) القول لشيخنا العلَّامة أحمد بن يحيى النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه ابنُ حبَّان (٦٧٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٨٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٥١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٧٤٣ الرسالة)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٣٨٩٨): موضوع.

(٤) انظر: «عون المعبود» (١٢/ ٣٢١)، والحديث عند البخاريِّ (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه كما في رؤيا النَّبيِّ ﷺ وفيها: «... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ؛ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ =

[وأقولُ: هذا القول هو الحقُّ، إلَّا أنَّهم لا يكونون في الجنَّة (يعني الولدان كلُّهم لا يكونون في الجنَّة مثل مَنْ قدَّموا عملًا، لكلِّ واحدٍ منهم جَنَّةٌ مُستقلَّةٌ، وله خَدَمٌ)، بل يكونون خَدَمًا تابعين للمؤمنين].

قال: «وَاحْتَجُّوا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ويقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨، ٩].

فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ كلَّ فوجٍ يُلقَىٰ في النَّار لا بدَّ وأن يكون قَدْ جاءهم النَّذير وكَذَّبوه، وهذا ممتنعٌ في حقِّ الأطفال.

وَاحْتَجُّوا بقوله تعالىٰ لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨].

قالوا: فإذا امْتَلأتْ منه ومن أتباعه، لم يَبْقَ فيها موضعٌ لغيرهم.

واحْتَجُّوا بقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [النساء: ١٦٥].

قالوا: فالله تعالىٰ لا يُعذِّب أحدًا إلَّا بذنبِهِ، فالنَّار دار عدله، لا يدخلها أحدٌ إلَّا بعملٍ، وأمَّا الجنَّة فدار فضله، يدخلها بغير عملٍ، ولهذا ينشئ للفضل الَّذي يبقىٰ فيها أقوامًا يسكنهم إيَّاها.

وأمَّا الحديث الَّذي ورد في بعض طرق البخاريِّ: «وَأَمَّا النَّارُ فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا خَلْقًا يُسْكِنُهُمْ إِيَّاهَا»(١)، فغلطٌ من الرَّاوي، انقلب عليه لفظُه، وإنَّما هو: «وَأَمَّا الجَنَّةُ

=

حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَىٰ الفِطْرَةِ». قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ».

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٤٤٩)، مِن حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظُه: «وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلَاثًا، حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ».

فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لهَا خَلْقًا»[(١)]، وقَدْ ذكَره البخاريُّ[(٢)]، وسياق الحديث يدلُّ علىٰ ذلك.

قالوا: وأمَّا حديث عائشة والأسود بن سريع، فليس فيه أنَّهم في النَّار، وإنَّما فيه أنَّهم «من آبائهم تبعٌ لهم فِي الحُكْم»، وأنَّهم إذا أُصِيبُوا فِي البَيَات[(٣)] لم يُضْمَنُوا بِدِيةٍ ولا كَفَّارةٍ، وهذا ظاهرٌ في حديث الأسود.

وأمَّا حديث عائشة، فَقَدْ ضَعَّفه غير واحدٍ.

قالوا: وحديث خديجة باطلٌ لا يصحُّ.

والقول الرَّابع: أنَّهم بين الجنَّة والنَّار؛ إذ لا معصيةَ لهم تُوجِبُ دخول النَّار، ولا إسلامَ يُوجِبُ لهم دخولَ الجنَّةِ.

وهذا أيضًا ليس بشيءٍ، فإنَّه لا دار للقَرار إلَّا الجنَّة والنَّار، وأمَّا الأعراف، فإنَّ مآل أصحابها إلىٰ الجنَّة، كما قاله الصَّحابة.

والقول الخامس: أنَّهم تحت المشيئة، يجوز أن يُعذِّبهم أو يُنعِّمهم، أو يُعذِّب بعضًا، وهذا قول كثيرٍ من المُثْبِتين للقَدَر، وقول الجبريَّة ونفاة التَّعليل والحكم.

والقول السَّادس: أنَّهم ولدان أهل الجنَّة وخَدَمهم، وقَدْ رُوِي في ذلك حديثٌ لا يثبت.

والقول السَّابع: أنَّ حكمهم حكم الآباء في الدُّنيا والآخرة، فلا حكم لهم غير حكم آبائهم، فكَمَا هُمْ تَبعٌ لآبائهم في الدُّنيا، كذلك هُمْ لهم تَبعٌ في الآخرة.

والقول الثَّامن: أنَّهم يُمْتحَنون في الآخرة، فمَنْ أطاع منهم، أدخله الله الجنَّة،

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/٤٣٦): «قال أبو الحسنِ القابِسيُّ: المعروفُ في هذا الموضعِ أنَّ اللهَ يُنشئُ للجنَّةِ خلقًا، وأمَّا النَّارُ فيضَعُ فيها قدمهُ. قال: ولا أعْلمُ في شيءٍ مِن الأحاديثِ أنَّه يُنشئُ للنَّارِ خلقًا إلَّا هذا» اهـ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٤٨٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البياتُ: هو تبييت العدوِّ، أي: أنْ يُقصد العدوّ في اللَّيل مِن غير أنْ يُعلم فيُؤخذ بغتةً.

ومَنْ عصىٰ، عَذَّبه، وقَدْ روي في هذا من حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة وغيرهما، وهي أحاديثُ يشدُّ بعضها بعضًا.

وهذا أعدل الأقوال، وبه يجتمع شمل الأدلَّة، وتتَّفق الأحاديث في هذا الباب»(١).

وأقول: حديث الأسود بن سريع في الامتحان مع غيره من الأحاديث: أحاديثُه ضعيفةٌ، لكن رُبَّما يشدُّ بعضُها بعضًا، وتكون حُجَّةً في حقِّ المجانين الَّذين خلقهم الله مجانين، وعاشوا وهم مجانين، وماتوا علىٰ ذلك، رُبَّما يكون حُجَّةً في ذلك، أمَّا أهل الفترة، فإنَّه يُخرجهم من هذا حديثا أبوَي النَّبيِّ ﷺ.

وقول النَّبيِّ ﷺ لذلك الرَّجُل: «إنَّ أَبِي وأَبَاك في النَّار»(٢)، وحديث أُمِّه أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ زار قبر أُمِّه، فبكىٰ وأبكىٰ مَنْ حوله، وقال: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي»(٣).

فهذان الحديثان يخرجان أهل الفترة، ويدلَّان علىٰ أنَّ كلَّ أهل الفترة في النَّار، وكذلك قول النَّبيِّ ﷺ في تكملة الحديث في الَّذي سأل عن أبيه، قال له: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»(٤).

وأمَّا أطفالُ المشركين، فالحُجَّة فيهم حديثُ سَمُرَة، وأنَّ جبريل وميكائيل قالا للنَّبيِّ ﷺ في النِّهاية: «... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي في الرَّوْضَةِ؛ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَان الَّذِينَ حَوْلَهُ؛ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَىٰ الفِطْرَةِ»(٥)؛ يعني: جميع

---

(١) «عون المعبود» (١٢/ ٣٢٠ - ٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (١٢٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، من حديث سمرة رضي الله عنه.

الأطفال، هذا من ناحيةٍ.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ أنَّ إدخال الأطفال الَّذين لم يعملوا ذنبًا النَّار، يتنافىٰ مع عدل الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّهم لم يعملوا عملًا يَستحقُّون به دخول النَّار، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وأيضًا هم لم يبلغوا الحِنث[1]، حتىٰ تكون لهم عقولٌ يَتفكَّرون بها، ويؤمنون بربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر عن نفسه بعدم الظُّلْم، وقال في آياتٍ كثيرةٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي فيها نفي الظُّلْم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ أطفال المشركين لا يُعذَّبون، بل يكونون في الجنَّة خَدَمًا للمؤمنين.

هذا ما تَبيَّن لي بعد البحث في هذه المسألة، وقَدْ أشرتُ في سؤالٍ عن هذا إلىٰ أنَّ البحث في ذلك طَرَقَهُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طريق الهجرتين»، وطَرَقَه أيضًا بعضُ العُلماء، ومنهم ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»، إلىٰ غير ذلك.

قال: (حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل) التَّبوذكي قال: (حدَّثنا حمَّاد) يعني حمَّاد بن سلمة (عن ثابت)؛ يعني: البُناني (عن أنس أنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ

(١) بَلَغ الغلامُ الحِنْثَ: أي الإدراك والبلوغ. وقيل: إذا بَلَغَ مَبْلَغًا جَرَىٰ عليه القَلَم بالطَّاعة والمعصية. يقال: بَلَغَ الغلامُ الحِنثَ أي: المعصيةَ والطاعةَ.

والحِنْثُ: الإثمُ. وقيل: الحِنْثُ: الحُلُم. «لسان العرب» (٩/ ١٢٦).

اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟

قَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّى قَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ».

وفي الحديث الآخر: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»، هذا قاله النَّبيُّ ﷺ لعبَّاد بن بشر والرَّجل الَّذي كان معه، حينما مرَّا والنَّبيُّ ﷺ واقفٌ مع صَفيَّة بنت حُيَي حين كان النَّبيُّ ﷺ معتكفًا، وجاءت صَفيَّة تزوره، فخرج معها يُشيِّعها في الطَّريق، ووقف يُكلِّمها، فمرَّ عباد بن بشر والرَّجل الَّذي معه، فأسرعا.

وقال لهما النَّبيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيّ».

قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! يعني: أَيُظَنُّ بكَ شَيءٌ من الظَّنِّ السُّوء؟!

قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّم، وَخَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا». الحديث[1].

قولُه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»؛ يعني: أنَّه يُوسوس، وهل هذه الوسوسة تضرُّ الإنسان ما لم يعمل؟

هذا قَدْ ورد فيه نزول الآية الأخيرة من سورة (البقرة): ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ يعني: أنَّ دفع الوسوسة لا طاقة للإنسان فيها، ولذلك عفا الله عنها.

أمَّا مناسبة ذكر الحديث[2] لأولاد المشركين، فهذا ما ظهر لي فيه شيء.

أمَّا أهل القَدَر، فينبغي ألَّا يُكلَّموا؛ لأنَّ أهل القَدَر يَحتجُّون بهذه الأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥)، من حديث صفيَّة بنت حُييّ رضي الله عنها.

(٢) أي حديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ».

على أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدلٌ، لا يُقدِّر الشَّرَّ ويعاقب عليه، وهذا كذبٌ منهم، بل إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدَّر الخير والشَّرَّ، يثيب على الخير ويعاقب على الشَّرِّ؛ لأنَّ الإنسان يعمل هذه الأعمال باختياره، والله جعل لك خيرةً تختار بها ما تشاء، ولكن لا يمكن للإنسان أن يختار غير ما قَدَّر الله له، وبالله التَّوفيقُ.



باب: في الجهمية

قَالَ الإِمَامُ أبو دَاوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٢١ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يُقَالَ هَذَا: خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللهِ»[1].

٤٧٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ (يَعْنِي: ابْنَ الفَضْلِ) قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ (يَعْنِي: ابْنَ إِسْحَاقَ)، قَالَ: حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ مَولَىٰ بَنِي تَيم، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

قَالَ: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَقُولُوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»[2].

٤٧٢٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الصَّبَّاح البَزَّازُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بنُ أَبِي ثَورٍ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمِيرَةَ، عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيسٍ، عَنِ العَبَّاسِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ قَالَ: كُنْتُ فِي البَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ، فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟». قَالُوا: السَّحَابَ. قَالَ: «والمُزْنَ».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٢)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالُوا: وَالمُزْنَ. قَالَ: «وَالعَنَانَ». قَالُوا: وَالعَنَانَ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أُتْقِنِ العَنَانَ جَيِّدًا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟».

قَالُوا: لا نَدْرِي.

قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ - حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ - ثُمَّ فَوقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَينَ أَظْلافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ العَرْشُ مَا بَينَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَعَالَىٰ فَوقَ ذَلِكَ»(١).

٤٧٢٤- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ أَبِي سُرَيجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بن سَعْدٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ، قَالا: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بنُ أَبِي قَيسٍ، عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ.

٤٧٢٥- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَىٰ هَذَا الحَدِيثِ الطَّوِيلِ.

٤٧٢٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ أَحْمَدُ: كَتَبْنَاهُ مِنْ نُسْخَتِهِ وَهَذَا لَفْظُهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ، يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

العِيَالُ، وَنُهِكَتِ الأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟».

وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَىٰ سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا - وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ القُبَّةِ عَلَيهِ - وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللهَ فَوقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوقَ سَمَاوَاتِهِ»، وَسَاقَ الحَدِيثَ.

وَقَالَ عَبْدُ الأَعْلَىٰ وَابنُ المثَنَّىٰ وَابنُ بَشَّارٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بنِ عُتْبَةَ، وَجُبَير بنِ مُحَمَّد بنِ جُبَير، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

قَالَ أَبُو دَاودُ: وَالحَدِيثُ بِإِسْنَادِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ هُوَ الصَّحِيحُ، وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ: يَحيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا، وَكَانَ سَمَاعُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ، وَابْنِ المُثَنَّىٰ، وَابْنِ بَشَّارٍ مِنْ نُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَلَغَنِي[1].

٤٧٢٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

حَمَلَةِ العَرْش، إِنَّ مَا بَينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ»(١).

٤٧٢٨- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ نَصْرٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ يُونُسَ النَّسَائِيُّ المعْنَىٰ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ يَزِيد المقْرِئُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ - يَعْنِي: ابْنَ عِمْرَانَ - قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بنُ جُبَيرٍ مَولَىٰ أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. إِلَىٰ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾. قَالَ: رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَينِهِ.

قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيهِ.

قَالَ ابنُ يُونُسَ: قَالَ المقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (يَعْنِي: أَنَّ للهِ سَمْعًا وَبَصَرًا).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ(٢).

الشرح:

هذه الأحاديثُ فيها إثباتُ عُلوِّ الله علىٰ خَلْقِه، وإثبات كونه مُستويًا علىٰ عرشِه، وإثبات ما له من صفات الكمال: صفة السَّمْع الَّذي يسمع به كلَّ المسموعات، وصفة البصر الَّذي يُبصرُ به كلَّ المُبْصَرات، وهذا كلُّه مِمَّا يكفر به الجهميَّة، والعياذ بالله.

كذلك أيضًا مسافة ما بين السَّماء الدُّنيا وبين الأرض، وَرَدَ أنَّه مسيرة خمس مئةِ عامٍ، وورد أنَّه مسيرة ثلاث وسبعين سنةً، أو اثنتين وسبعين، والجمع بين الاختلاف في هذين الحديثين أنَّ كلًّا منهما مُقدَّرٌ بسيرٍ مُسْتقلٍّ، فمثلًا تقدير

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد».

خمس مئة عامٍ بسير المشي للرِّجال، وتقدير ثلاث وسبعين سنة أو اثنتين وسبعين بتقدير سير السَّيَّارة، أو بسير عَدْو الفَرَس، أو ما أشبه ذلك.

كذلك أيضًا فيه[1] إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ وأنَّها في الآخرة، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكشفُ عن وجهه حتَّىٰ يراه المؤمنون، وهذا أيضًا مِمَّا تُنكرُه الجهميَّةُ.



(١) أي: في الباب.

باب في الرُّؤية

قَالَ الإِمَامُ أبو دَاوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٢٩ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، وَوَكِيعٌ، وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جُلُوسًا، فَنَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ (لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ) فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُّونَ[(١)] فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ:

---

(١) قال العَلَّامَةُ النَّجْمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تُضامُون، إنْ قلنا: لا تُضامُون فهو من الضَّيم؛ أي: يُضيم بعضكم بعضًا؛ يعني: إذا دفعك عن شيء ولم يتركك تتمكن من رؤيته أو من الوصول إليه، فهذا يكون سببًا في وقوع الضَّيم بك، ويُقرأ: تَضامُّون، ضامه يضيمه ضيمًا، وعلىٰ الوجه الثَّاني: لا تَضامّون يعني: لا تحتاجون أن ينضم بعضُكم إلىٰ بعض كرؤيتكم للشَّيء الخفيّ؛ فالشَّيءُ الخفيُّ يحتاج النَّاس فيه أن ينضمَّ بعضُهم إلىٰ بعض عندما يُرىٰ الهلال يأتي بعضهم يتراءىٰ، فلا يرىٰ، فيقول له الآخر: تعال ذاك الهلال.

يعني: انضممت إلىٰ أخيك الذي أراك إياه، لكن القمر ليلة البدر هل تحتاج أنَّ أحدًا يقول لك: تعالَ أريك؟ الجواب: لا، بل تراه أنت بنفسك وأنت مستقرٌّ في مكانك، والآخر يراه وهو مستقرٌّ في مكانه، وفي أيِّ مكانٍ من الأرض تنظر إليه، والشَّمس أيضًا كذلك، فمعنىٰ ذلك أنَّ هذه الآيات من آيات الله ترون فيها هذه الآية بدون تعبٍ يحصل لكم أو إزعاج يكون عليكم، بل ترون هذه الآيات من كلّ مكان، كلّ واحدٍ منكم مستقرٌّ في مكانه، كلّ أهل الأرض الذين طلعت عليهم الشَّمسُ صَحْوًا بدون سحاب يرونها، وكلُّ أهل الأرض إذا طلع عليهم القمرُ في ليلةٍ صاحيةٍ ليس فيها سحابٌ فإنَّهم يرون القَمَرَ.

فإذا كانتْ هذه الآياتُ مِن آيات الله لا نحتاج فيها أنْ ينضمَّ بعضُنا إلىٰ بعض، أو نكون في مكان مستقلّ حتَّىٰ نراها، بل كلّ منَّا يرىٰ القمر وهو علىٰ سريره، وهو علىٰ كرسيّه، وهو علىٰ دابَّته أو سيَّارته، فاللهُ عَزَّوَجَلَّ يراه المؤمنون عيانًا كما نرىٰ القمر ليلة البدر، ولا نحتاج فيه أنْ ينضمَّ بعضُنا إلىٰ بعض، أو نكون في مكان مستقلٍّ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠](١).

٤٧٣٠ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ نَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَىٰ رَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟». قَالُوا: لَا. قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟». قَالُوا: لَا. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»(٢).

٤٧٣١ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ المعْنَىٰ، عَنْ يَعْلَىٰ بن عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعٍ - قَالَ مُوسَىٰ: ابنُ عُدُسٍ -، عَنْ أَبِي رَزِينٍ - قَالَ مُوسَىٰ: العُقَيلي -، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَكُلُّنَا يَرَىٰ رَبَّهُ؟ قَالَ ابنُ مُعَاذٍ: مُخْلِيًا بِهِ يوم القِيَامَةِ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟

قَالَ: يَا أَبَا رَزِينٍ، أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَىٰ القَمَرَ؟ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: لَيْلَةَ البَدْرِ مُخْلِيًا بِهِ. ثُمَّ اتَّفَقَا: قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَاللهُ أَعْظَمُ.

قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، فَاللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ(٣).

الشرح:

هذا الباب واضحٌ، وفيه إثباتُ رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، وأنَّها رؤية تلذُّذ وتنعُّم، وأنَّ اللهَ يحاضر كلَّ واحدٍ من أهل الجنَّة، يتكلَّم معه ويُذكِّره: أتذكرُ يوم كذا حين فعلتَ كذا، يُذكِّره بمعاصيه من أجل أن تعظم نعمة الله في نفسه، وفي عينه، وبالله التَّوفيقُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٣٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٨٠٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣١)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

باب في الردِّ على الجهميَّة

قَالَ الإمَامُ أبو داوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٣٢ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، أَنَّ أَبَا أُسَامَةَ، أَخْبرَهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، قَالَ: قَالَ سَالِمٌ: أَخْبرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ، - قَالَ ابْنُ العَلَاءِ: بِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ -، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»[(١)].

٤٧٣٣ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[(٢)].

الشرح:

الحديثُ الأوَّل فيه ردٌّ على الجهميَّة، وأنَّ اللهَ يطوِي السَّموات بيده اليُمنىٰ، ويطوي الأرضين بيده الأخرىٰ، ثُمَّ يَهُزهنَّ ويَقُولُ: «أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرونَ، لمَنِ المُلْكُ اليومَ؟ فَلا يَجِيبُه أَحَدٌ، فَيَقُولُ: للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كذلك نزُوله تعالىٰ في الثُّلُث الأخير من اللَّيل أيضًا، هذا كلُّه ثابتٌ، والجهميَّة تُعطِّلُ الله عَنْ صفاتِه، وحديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» دليلٌ علىٰ عُلوِّ الله تعالىٰ؛ لأنَّ كلمةَ النُّزُول لا تكون إلَّا من أعلىٰ إلىٰ أسفل، كما أنَّ كلمةَ الصُّعُود والرَّفْع تكون مِن أسفل إلىٰ أعلىٰ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وبالله التَّوفيقُ.



باب في القرآن

قَالَ الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٣٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»(١).

٤٧٣٥- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ(٢)، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ -، قَالَتْ: وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ(٣).

٤٧٣٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَىٰ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ (يَعْنِي: الشَّعْبِيَّ) عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَقَرَأَ ابْنٌ لَهُ آيَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ، فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: أَتَضْحَكُ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ؟!(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) قال العلَّامةُ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نسبة إلىٰ المَهْرة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٧٣٧ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ». ثُمَّ يَقُولُ: كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ[١].

٤٧٣٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ الرَّازِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ»[٢].

الشرح:

في هذه الأحاديث إثبات أنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه منه بدأ، وإليه يعود، وأنَّ الله يتكلَّم بكلامٍ قديمِ النَّوْع، حادث الآحاد، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

باب في الشفاعة

قَالَ الإِمَامُ أَبو داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٣٩ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا بَسْطَامُ بْنُ حُرَيْثٍ، عَنْ أَشْعَثَ الْحُدَّانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(١).

٤٧٤٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيِّينَ»(٢).

٤٧٤١ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ»(٣).

الشرح:

باب ما جاء في الشَّفاعة، الشَّفَاعة جاءت فيها أحاديثُ كثيرةٌ تبلغ إلىٰ حدِّ التَّواتر، وقَدْ ذكر ابن خزيمة في «كتاب التَّوحيد» كثيرًا منها، وكذلك أيضًا حافظ بن أحمد الحكمي في كتابه «معارج القبول شرح سلم الوصول».

وكذلك الَّذين ألَّفوا في الأسماء والصِّفات، كلُّهم يذكرون الشَّفاعة، وسبب دخولها في العقائد لأنَّ القائلين بتخليد أهل الكبائر من الخوارج والمعتزلة ينكرونها، ولذلك كان السَّلَف - رحمهم الله - يذكرونها في العقائد، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٤١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

باب: في ذكر البعث والصُّور

قَالَ الإمامُ أبو دَاودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٤٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْلَمُ، عَنْ بِشْرِ بْنِ شَغَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»[(١)].

٤٧٤٣ - حَدَّثَنَا القَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلَّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ: مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[(٢)].

الشرح:

الصُّور: قرنٌ خلقه الله عَزَّوَجَلَّ لينفخ فيه إسرافيل، وهذا الصُّور يُقَال: إنَّ فوهتَه كما بين السَّماء والأرض، وإنَّه يُنفَخُ فيه النَّفخة الأولى، ثُمَّ الثَّانية الَّتي يُقَال لها: الرَّادفة، فيموت النَّاس مِنْ سَماعِهَا.

وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوضَهُ فَلَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»[(١)].

هكذا ورد، وذلك أنَّ النَّفخ في الصُّور يكون يوم جمعة ضُحَىٰ، فيموت النَّاس من هذه النَّفخة، يموتون كلُّهم، ثمَّ تبقى الأرض ليس عليها أحدٌ، وكذلك السَّماوات ليس فيها أحدٌ من الأحياء.

ثمَّ إذا أراد الله بعث النَّاس للقيام، وذلك بعد أن تُسوَّىٰ الأرض وتُمدَّ، وكذلك السَّماء تذهب، عند ذلك يجمع الله الأرواح لإسرافيل في فوهة الصُّور، فينفخ في الصُّور بعد أنْ أرسلَ الله علىٰ الأرض ماءً كمَنِيّ الرِّجال، فينبتون، كلُّ واحدٍ ينبت مِن عَجْب الذَّنَب، وهو قطعةٌ صغيرةٌ - أو عظمٌ صغيرٌ - لا يُدرَىٰ أينَ يذهب، ولكنَّ الله يعلم أين يذهب.

فينبتون من هذا المطر الَّذي يجلس أربعين يومًا حتَّىٰ يتكاملوا في قبورهم، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعيد الخَلْق الأوَّل؛ لا يَخْلق خلْقًا جديدًا، بل يُعيدُ الخَلْق الأوَّل الَّذي عمل الخير والشَّرَّ، وهو الَّذي يُنعَّم إنْ كان من أهل الخير وعمل الخير، وهو الَّذي يُعذَّب إنْ كان من أهل الشَّرِّ وعمل الشَّرِّ.

فإذا جمع الله له الأرواح في فوهة الصُّور، نفخ في الصُّور، فطارت الأرواح إلىٰ أجسادها، فكلُّ رُوحٍ تطير إلىٰ جسدها الَّذي عَمرته، وتدخل فيه، فيقومون من قبورهم تنشقُّ الأرض عنهم، ويقومون كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤].

وكما جاء في الحديث: «ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ لَعَمْرُ إِلَهِكَ، مَا تَدَعُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واللَّقحة: هي النَّاقة الحلوب. وقوله: «يليط حوضه»، أي: يُصلحه ويطينه.

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ عَزَّوَجَلَّ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ يُطِيفُ فِي الأَرْضِ، وَخَلَتْ عَلَيهِ البِلَادُ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ السَّمَاءَ بِهَضْبٍ(١) مِنْ عِنْدِ العَرْشِ، فلَعَمْرُ إِلهِكَ مَا تَدَعُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ مَصْرَعِ قَتِيلٍ، وَلا مَدْفِنِ مَيِّتٍ، إِلَّا شَقَّتِ الْقَبْرَ عَنْهُ، حَتَّىٰ تَجْعَلَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ، فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فَيَقُولُ رَبُّكَ: مَهْيَمْ(٢) لما كَانَ فِيهِ...»(٣). الحديث، وبالله التَّوفيق.

ثمَّ يناديهم المنادي: يا أيُّها النَّاس، هَلمُّوا إلىٰ رَبِّكم، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١، ٤٢].



---

(١) الهضب: المطر الغزير.

(٢) «مهيم»: أي: ما شأنك؟

(٣) أخرجه أحمد (١٥٦١٧)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٨٨٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٨٠٧) من حديث لقيط بن صبرة العقيلي. وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إسناده ضعيف. انظر: «ظلال الجنة» (١/ ٣٤٣).

باب في خلق الجنة والنَّار

قَالَ الإِمامُ أبو دَاود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٤٤- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.

قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(١).

الشرح:

الجنَّة حُفَّتْ بالمكاره، والنَّار حُفَّت بالشَّهوات، قال شيخُنا حافظُ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَدْ حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ   والنَّارُ بالَّذِي النُّفُوسُ تَشْتَهِي

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٦٩٦).

لذلك كان احتفاف النَّار بالشَّهوات دافعًا إلىٰ الدُّخول إليها بسبب الشَّهوات الَّتي تُوقِع فيها، والَّتي يُزيِّنها الشَّيطان للنَّاس.

وكذلك أيضًا حُفَّتِ الجنَّة بالمكاره، ولكن يُيسِّر الله عَزَّوَجَلَّ عملها[1] لمَنْ أراد به خيرًا، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذِ بْنِ جبلٍ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا**». الحديث[2]. وبالله التَّوفيقُ.



(١) وإن كان في أدائه مشقَّةٌ ابتغاءِ رضوان الله وجنَّته؛ كما في الحديث: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ**». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَىٰ المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُم الرِّبَاطُ**»، رواه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦١٦)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وابنُ ماجه (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (١١٢٢).

باب في الحوض

قَالَ الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٤٥- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُسَدَّدٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»(١).

٤٧٤٦- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ». قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُ مِئَةٍ، أَوْ ثَمَانِ مِئَةٍ(٢).

٤٧٤٧- حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: أَغْفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَإِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ ضَحِكْتَ؟

فَقَالَ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كَثِيرٌ، عَلَيهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتِي يومَ القِيامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الكَوَاكِبِ»[١].

٤٧٤٨ - حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا المُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ في الجَنَّةِ - أَوْ كَمَا قَالَ - عُرِضَ لَهُ نَهرٌ، حافَتَاهُ اليَاقُوتُ المُجَيَّبُ - أَوْ قَالَ: المُجَوَّفُ -، فَضَرَبَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا. فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ للْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟». قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ[٢].

٤٧٤٩ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَىٰ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ - سَمَّاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ فِي السِّمَاطِ - فَلَمَّا رَآهُ عُبَيْدُ اللهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا الدَّحْدَاحُ، فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَىٰ فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ!

فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَكَ زَيْنٌ غيرُ شَينٍ؛ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ إِلَيكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الحَوضِ، سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟

قَالَ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ، لا مَرَّةً وَلا ثِنْتَينِ وَلا ثَلاثًا وَلا أَرْبَعًا وَلا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ، فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا[٣].

الشرح:

الحوضُ كما وصفه النَّبيُّ ﷺ حوضٌ يَصبُّ فيه نهر الكوثر، طولُه شهرٌ، وعرضُه شهرٌ، يقفُ عليه النَّبيُّ ﷺ حين يَرِدُ النَّاسُ عليه؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٧)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٤٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيرِكُمْ؛ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي! فَيَجِيئُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟»[(١)].

وليس معنىٰ قوله: «أَصْحَابِي» أنَّهم أصحابه الَّذين عايشوه، ولكنَّهم مِنْ أُمَّته، والنَّبيُّ ﷺ يعرف أُمَّته بأنَّهم يُبعثون غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوُضوءِ.

وأمَّا الَّذين يُمنَعون من الشُّرب منه يُقَال عنهم بأنَّهم أحدثوا، ويُقَال عنهم بأنَّهم بَدَّلوا، فيقول النَّبيُّ ﷺ: «سُحْقًا سُحْقًا لمَنْ بدَّلَ بَعْدِي»[(٢)].

وأحاديثُ الحوض كثيرةٌ، وقَدْ أَوْردَ البخاريُّ منها جملةً، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٠)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

باب: المسألة في القبر وعذاب القبر

قَالَ الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»(١).

٤٧٥١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ أَبُو نَصْرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ.

فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

قَالُوا: وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، أَتَاهُ مَلَكٌ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ هَدَاهُ، قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ.

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»[(١)].

٤٧٥٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، بِمِثْلِ هَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولانِ لَهُ» فَذَكَرَ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ الأَوَّلِ، قَالَ فِيهِ: «وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولانِ لَهُ»، زَادَ: «الْمُنَافِقَ»، وَقَالَ: «يَسْمَعُهَا مَنْ وَلِيَهُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»[(٢)].

٤٧٥٣- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَهَذَا لَفْظُ هَنَّادٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا.

زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا، وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟»».

قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ».

زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ثُمَّ اتَّفَقَا.

قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا». قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَإِنَّ الكَافِرَ»، فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا». قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَبْكَمُ، مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا».

قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا». قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٧٥٤ - وحدَّثنا هَنَّادُ بنُ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثنَا عَبْدُ اللهِ بن نُمير، قَالَ: حَدَّثنا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثنا المنهَالُ، عَنْ أَبِي عُمَرَ زَاذَانَ قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ(١).

الشرح:

وردَتْ في هذا الباب أحاديثُ كثيرةٌ، وأنَّ العبد إذا وُضع في قبره أتاه مَلكان، فيُجلسانه ويسألانه، فيقولان له: «مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟». صُوَرُهما (أي: المَلكين) مُروِّعةٌ، وأصواتُهما مُخيفةٌ، فيُثبِّتُ اللهُ المؤمنَ، فإذا قيل له: «مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّي اللهُ».

وإذا قيل له: «مَا دِينُكَ؟». فيقولُ: «دِينِي الإِسْلَامُ».

فإذا قيل له: «مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟». يقول: «هُوَ مُحمَّدٌ رَسُولُ الله»، جَاءَنَا بالبيِّنات والهُدىٰ فآمَنَّا بِهِ واتَّبَعْنَاهُ.

فيُفتَحُ له بابٌ إلىٰ الجنَّة، ويقال له: انْظُرْ إلىٰ مَقْعَدِكَ من النَّار أبدَلَكَ اللهُ بهِ مَقْعَدًا مِن الجنَّة، فيرَاهما جميعًا.

وأمَّا الكافِرُ - أو المنافق - فيقولُ: لا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يقولُ النَّاسُ، فيقالُ: لا دَرَيتَ وَلا تَلَيتَ، ثُمَّ يُضربُ بمِطْرَقَةٍ من حديدٍ ضربةً بين أُذُنيهِ، فيَصِيحُ صَيحةً يسمعُهَا مَن يليهِ إلَّا الثَّقلَينِ».

معنىٰ قوله: «لا دَرَيتَ»؛ يعني: أنَّك لم تبحث عمَّا يدلُّك علىٰ الدِّراية، لم تبحث عن العلم الَّذي ينفعك، وكذلك لم تتلُ كتابَ الله، وإنَّما حرصتَ علىٰ غيره، فلذلك عُوقِبْتَ بهذه المعاقبة؛ لعدم اهتمامِك بما ينفعُك في آخرتِك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإنَّك لترىٰ كثيرًا من النَّاس اليومَ يحرصُ علىٰ الجريدة يشتريها يوميًّا، ويقرؤها ويقرأ الأخبار الَّتي فيها، وربَّما يمرُّ عليه الشَّهر ولا يفتح كتاب الله ولا يقرؤُه ولا يَتأمَّل فيه، فهذا يُخَاف عليه؛ لأنَّ هذا يُعتَبر إهمالًا لكتاب الله، وعنايةً بما لا ينفع أو يكون نفعُهُ قليلًا، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، واللهِ إنَّك لتتعجَّب، لو أعطيت واحدًا منهم كتابًا يقرؤه ينتفع منه في عقيدته، ينتفع منه في تقوية إيمانه، ربَّما أنَّه يأخذه منك ويرميه، ولا ينظر فيه، وربَّما أنَّه لا يأخذه منك ولا يقبله منك.

وإنِّي لأدعُو هؤلاء أن يَعْتَنوا بكتاب الله، وأن يعتنوا بسُنَّة رسول الله، وأنْ يَعْتَنوا بالَّذي ينفعُهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خير لهم من الأخبار الَّتي لا تفيد العبد في آخرته شيئًا، وإنَّما هي لهوٌ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وبالله التَّوفيق.



باب في ذكر الميزان

قَالَ الإمامُ أبو داود في «سُننه» رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٥٥- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَحُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَهُمْ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟». قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَومَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ، فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ المِيزَانِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ؛ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيِ جَهَنَّمَ».

قَالَ يَعْقُوبُ: عَنْ يُونُسَ، وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ(١).

الشرح:

الله أكبر! هذا يدلُّ علىٰ الميزان الَّذي تُوزَن به الأعمال، وهل هو ميزانٌ واحدٌ؟ أو اسمُ جنسٍ؟ وكونه اسم جنسٍ وأنَّه موازينُ كثيرةٌ، والملائكة هي الَّتي تزن أعمال العباد، وكلُّ عبدٍ لا بدَّ أن يحضر وزْنَ عمله حتَّىٰ يرىٰ: أيخفُّ وزنُهُ أم يثقلُ؟

وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فإنَّ الجديرَ بالعبد أنْ يحرصَ علىٰ الشَّيء الَّذي ينفعُه في ميزانِه، وأنْ يكون مخلصًا فيه، وأن يكون عاملًا علىٰ نحو ما جاء به مُحمَّدٌ ﷺ، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

باب في الدَّجَّال

قَالَ الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٥٦- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ خَالِدٍ الحَذَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُرَاقَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ».

فَوَصَفَهُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ مَنْ قَدْ رَآنِي وَسَمِعَ كَلَامِي».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيفَ قُلُوبُنَا يومَئِذٍ؟ أَمِثْلُهَا الْيَوْمَ؟ قَالَ: «أَوْ خَيْرٌ»[(١)].

٤٧٥٧- حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(٢)].

الشرح:

هذا البابُ فيه أخبار الدَّجَّال، والدَّجَّال يخرجُ، ثُمَّ يخرجُ المهدي الَّذي يُوطِّئُ لعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيفتح روما مبتدئًا بفتح أوروبا، فإذا وصل الفتح إلىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٦)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القُسطنطينيَّة عند ذلك يُخبرون بأنَّ الدَّجَّال قَدْ خلفهم في أهلهم، فيرسلون عشر فوارس، وهم خيرُ الفوارس يومئذٍ، فيجدون الدَّجَّال قَدْ خلفهم في أهلهم.

وأنَّه (أي: الدَّجَّال) يبقىٰ أربعين يومًا، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كأُسبوعٍ، وسائر أيَّامه كأيَّامنا، حتَّىٰ سأل بعضُ الصَّحابة النَّبيَّ ﷺ: يا رسول الله، فذلك اليوم الَّذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ».

فيعيثُ في الأرض، فيأتي علىٰ القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر السَّماء فتمطرُ، والأرض فتنبتُ، وتذهب مواشيهم فتعود ممتلئة الخواصر، وممتلئة الضُّرُوع من اللَّبَن، وهكذا يُضلُّهم، فإذا ارتحلَ عنهم، أعاد اللهُ لهم ما كانوا فيه كما كانوا، ثُمَّ يأتي علىٰ القوم فيدعوهم، فيردُّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون مُمحلين[(١)] ليس بأيديهم شيءٌ مِن أموالهم، ويمرُّ بالخربة، فيقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيب النَّحْلِ...»[(٢)].

وإنَّما ذلك محنةٌ وابتلاءٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الحديث: «مَعَهُ جَبَلٌ مِنْ خُبْزٍ، وَنَهَرٌ مِنْ مَاءٍ»[(٣)].

وفي الحديث: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُسْرَىٰ، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وجَنَّتُهُ نَارٌ»[(٤)]، وفيه قال ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهَرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ

(١) أمحل القومُ: أجدبُوا. «اللِّسان» (١١/٦١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٧٣٥ قرطبة) من حديث رجل من الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٤) من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ»[١]، ولكنَّها ابتلاءٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وامتحانٌ.

والمهمُّ: أنَّه ينزل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الَّتي المنارة في المسجد (مسجد دمشق)، ينزل عليها في مهرودتين، واضعًا كَفَّيه علىٰ أجنحة مَلَكين، والنَّاس ينتظرون صلاة الفجر، فينزل ويأتي وهم منتظرون، فبعد ذلك يُحدِّثهم بمنازلهم في الجنَّة (الَّذين جاهدوا مع المهديِّ وثبتوا)، ثمَّ يتبع الدَّجَّال، فيجده عند باب لُدٍّ، فإذا رآه ساخ[٢]، فيطعنه بحربةٍ فيقتله بها، ويريح الله النَّاس منه، ولكنَّه قَدِ امْتَحَنهم الله به، وكَفَر أقوامٌ بسببه، ونسألُ اللهَ العفوَ والعافيةَ. وبالله التوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٤)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ساخ في الأرض؛ يَسُوخ ويَسِيخ: إذا دَخَل فيها. «النهاية» (٣/ ١٣٧).

باب في الخوارج

قَالَ الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٥٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيرٌ وَأَبُو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ وَمَنْدَلٌ، عَن مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي جَهْم، عَنْ خَالِدِ بنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»[1].

الشرح:

قوله: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شبرٍ»؛ يعني: خرج عن الجماعة بقول المحَسِّنين للخروج أنَّ هؤلاء[2] أقرُّوا المنكرات، وأنَّ هؤلاء فعلوا وفعلوا، وحينئذٍ نخرج عليهم لنقيم بعد ذلك الشَّرع، ونقيم كتاب الله، هذا الخروجُ يقول عنه النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَام مِنْ عُنُقِهِ».

وقوله: «قِيدَ شِبْرٍ»، أي: مقدار شبر، فماذا يرجو هؤلاء الخوارج بعد قوله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَام مِنْ عُنُقِهِ»؟ ولماذا سُمُّوا خوارج؟ الجواب: لأنَّهُمُ اسْتَحَلُّوا الخُرُوجَ علىٰ وُلَاة الأمر، والعياذ بالله، وفي هذا مِن الفساد ما فيه.

والرَّسولُ ﷺ قَدْ حذَّر من الخروج علىٰ الوُلَاة ما داموا يُصلُّون، وما داموا يُقيمون الصَّلاة، وإنْ رأينا منهم ما رأينا مِن المناكر؛ فإنَّه يجبُ علىٰ مَنْ قَدر أنْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) يقصد بهم ولاة الأمور.

ينصحُهم، يجب عليه أن ينصحهم، ومَنْ لم يقدر فإنَّ الله قَدْ عفا عنه، وواجبٌ طاعتهم، وإنَّ كلَّ الأحزاب الَّذين هم موجودون في هذا الزَّمان كلُّهم يُبيحُون الخروج على الولاة.

والنَّبيُّ ﷺ قَدْ بايع أصحابه - كما في حديث عُبادةَ - على السَّمْع والطَّاعة، قال عُبادةُ بن الصَّامت رضي الله عنه: «دَعَانَا رَسُولُ اللهِ فَبَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَالعُسْرِ وَاليُسْرِ، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ»[1]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلمٌ (١٧٠٩).

[تابع باب في الخوارج]

قَالَ الإمامُ أبو داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٥٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي الجَهْمِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفَيْءِ؟».

قُلْتُ: إِذَنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعُ سَيْفِي عَلَىٰ عَاتِقِي ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ، أَوْ أَلْحَقَكَ. قَالَ: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ تَصْبِرُ حَتَّىٰ تَلْقَانِي»(١).

٤٧٦٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَعْنَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمُعَلَّىٰ بْنِ زِيَادٍ، وَهِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ».

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ هِشَامٌ: «بِلِسَانِهِ، فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ».

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَقْتُلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا».

قَالَ ابْنُ دَاوُدَ: «أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ»، قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»(٢).

٤٧٦١ - حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٩)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْعَنَزِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَاهُ قَالَ: «فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ».

قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ[1].

٤٧٦٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[2].

الشرح:

هذه الأحاديث كلُّها في ذمِّ الخوارج؛ لأنَّهم إنَّما يريدون أن يُفرِّقوا أمْرَ المسلمين، وليفسدُوا علىٰ المسلمين أمْنَهم، وعَيْشَهم، فلذلك ذمَّهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسان رسوله، وهم داخلون في اسم المفسدين الَّذين ذمَّهم اللهُ بالفساد.

والأحاديثُ في الخوارج كثيرةٌ، والنَّهي عن الخروج علىٰ وُلَاة الأمور، والأمرُ بطاعتهم أيضًا وردَتْ في أحاديثَ كثيرةٍ، وأنَّ الواجب علىٰ المسلمين طاعتهم، كلُّ ذلك موجودٌ في كتب السُّنَّة، فينبغي أن نجعل ذلك نصب أعيننا، ولا يَغرنَّك حزبٌ بأنَّه لا يرىٰ الخروج، فإنَّ نهايةَ هذه الأحزاب كلِّها أنَّهم يرون الخروج، ويَستبيحونَه، لتكونَ السُّلْطة لحزبهم دُون غيرِه، وبالله التَّوفيقُ.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

باب في قتال الخوارج

قَالَ الإمامُ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٦٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ المَعْنَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبِيدَةَ، أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ فَقَالَ: فِيهِمْ رَجُلٌ مُودَنُ اليَدِ، أَوْ مُخْدَجُ اليَدِ، أَوْ مَثْدُونُ اليَدِ، لَولا أَنْ تَبْطَرُوا لَنَبَّأْتُكُمْ مَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ(١).

٤٧٦٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ.

وَقَالَتْ: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ».

قَالَ: فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ. قَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: «مَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟». قَالَ: فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ، أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، قَالَ: فَمَنَعَهُ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا - أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا - قَوْمًا يَقْرَؤُونَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

القُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثانِ، لَئِنْ أَنا - وَاللهِ - أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عادٍ»(١).

٤٧٦٥ - حَدَّثَنا نَصْرُ بْنُ عاصِمٍ الأَنْطاكِيُّ، حَدَّثَنا الْوَلِيدُ، وَمُبَشِّرٌ - يَعْني: ابْنَ إِسْماعِيلَ الْحَلَبِيَّ -، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، قالَ: - يَعْني: الْوَلِيدَ -، حَدَّثَنا أَبُو عَمْرٍو، قالَ: حَدَّثَني قَتادَةُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ يَرْتَدَّ عَلَىٰ فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتابِ اللهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قاتَلَهُمْ كانَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْهُمْ».

قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ما سِيماهُمْ؟ قالَ: «التَّحْلِيقُ»(٢).

٤٧٦٦ - حَدَّثَنا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّزّاقِ، أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَحْوَهُ، قالَ: «سِيماهُمُ التَّحْلِيقُ وَالتَّسْبِيدُ، فَإِذا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ».

قالَ أَبو دُاودَ: التَّسْبِيدُ: اسْتِئْصالُ الشَّعْرِ(٣).

٤٧٦٧ - حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنا سُفْيانُ، حَدَّثَنا الأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قالَ: قالَ عَلِيٌّ: إِذا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّماءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيهِ، وَإِذا حَدَّثْتُكُمْ فِيما بَيْني وَبَيْنَكُمْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٦٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدْعَةٌ[١].

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

٤٧٦٨- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ الَّذِينَ سَارُوا إِلَىٰ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَىٰ صَلَاتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَىٰ صِيَامِهِمْ شَيْئًا، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، وَآيَةُ ذَٰلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَىٰ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ».

أَفَتَذْهَبُونَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟

وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ. قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ

(١) قال العلامة النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «خدعة» تقرأ بفتح الخاء وكسرها وضمها، خَدعة وخِدعة وخُدعة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الظلال» (٩١٤).

مَنْزِلًا مَنْزِلًا، حَتَّىٰ مَرَّ بِنَا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ.

قَالَ: فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَىٰ الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ.

قَالَ: فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَاسْتَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ.

قَالَ: وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ.

قَالَ: وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَلَمْ يَجِدُوا.

قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ، حَتَّىٰ أَتَىٰ نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.

فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ.

وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ.

فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

قَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّىٰ اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا وَهُوَ يَحْلِفُ[1].

٤٧٦٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَضِيءِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ اطْلُبُوا الْمُخْدَجَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ الْقَتْلَىٰ فِي طِينٍ، قَالَ أَبُو الْوَضِيءِ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَبَشِيٌّ، عَلَيْهِ قُرَيْطِقٌ، لَهُ إِحْدَىٰ يَدَيْنِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ عَلَيْهَا شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ شُعَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ عَلَىٰ ذَنَبِ الْيَرْبُوعِ[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٦٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي النُّسخةِ الهنديَّة زيادةٌ عقبَ الحديث هي: «قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ مَالِكٌ: ذُلٌّ لِلْعِلْمِ أَنْ يُجِيبَ الْعَالِمُ كُلَّ مَنْ سَأَلَهُ».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٩)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح الإسناد».

٤٧٧٠- حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: «إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخْدَجُ لَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ فِي الْمَسْجِدِ، نُجَالِسُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ فَقِيرًا، وَرَأَيْتُهُ مَعَ الْمَسَاكِينِ يَشْهَدُ طَعَامَ عَلِيٍّ مَعَ النَّاسِ، وَقَدْ كَسَوْتُهُ بُرْنُسًا لِي».

قَالَ أَبُو مَرْيَمَ: «وَكَانَ الْمُخْدَجُ يُسَمَّىٰ نَافِعًا ذَا الثُّدَيَّةِ، وَكَانَ فِي يَدِهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، عَلَىٰ رَأْسِهِ حَلَمَةٌ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ سِبَالَةِ السِّنَّوْرِ».

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ اسْمُهُ حَرْقُوسٌ»[1].

الشرح:

حرقوس هو إمام الخوارج الأوَّل، وهو حرقوس بن زهير الَّذي أنكر علىٰ النَّبيِّ ﷺ وقال: يا رَسُولَ الله، اعدِلْ! قَالَ: «وَيْحَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، أَيَأْمَنُنِي مَنْ فِي السَّمَاءِ وَلَا تَأْمَنُونِي».

فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ!

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّه لَعَلَّه يُصَلِّي...».

ثمَّ قال: «يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ عِنْدَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَكُمْ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[2].

والمهمُّ: أنَّ النَّبيَّ عَزَّوَجَلَّ أمر بقِتال الخوارج، وأمر بقتْلهم في كلِّ الأحاديث الواردة في ذلك، وأنَّهم يقرؤون القرآن، ولكنَّهم لا يعملون به: «لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٠)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضعيف الإسناد».

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْم مِنَ الرَّمِيَّةِ»، كما قال النَّبيُّ ﷺ والعياذ بالله، ونحن اليوم نرىٰ أقوامًا يَقرَؤون القُرآن، ويُقرِئونَه، ويَتَستَّرون به، ولكنَّهم في الخفاء يقولون غير ما يقولون في الظَّاهر، ويُبيِّتون الشَّرَّ للنَّاس وللدَّولة.

ونسأل الله أن يكبتهم، وألَّا يُوصلهم إلىٰ مآربهم؛ فإنَّهم شرٌّ للنَّاس، وإنَّهم يَستحقُّون القتل، الَّذين يُخْفُون الخروج، ويُبيِّتون أمرًا لا يرضاه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُهيِّئون دولةً في الخفاء معلومةً عندهم، فنسأل الله ألَّا يُوصلهم إلىٰ مآربهم. وبالله التوفيق.



باب في قتال اللُّصوص

قَالَ الإمامُ أَبُو دَاودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٧١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ»(١).

٤٧٧٢ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ الله، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ يَعْنِي أَبَا أَيُّوبَ الْهَاشِمِيَّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عَوْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٢).

الشرح:

اللُّصوص هم الَّذين يعرضون للنَّاس في الطُّرُق يأخذون أموالهم، فهؤلاء يريدون أَخْذَ المال وتجميعه، وربَّما أرادوا السُّلْطان، فهؤلاء يُعتَبرون محاربين، وقَدْ قال الله عَزَّوَجَلَّ في المحاربين: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

---

(١) أخرجه (٤٧٧١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٠١١).

(٢) أخرجه (٤٧٧٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٤٤٥).

وسبب نزول هذه الآية أنَّ جماعة من العُرَنيِّين جاؤوا إلىٰ المدينة فاستوخموها، فأرسلهم النَّبيُّ ﷺ إلىٰ إبل الصَّدَقة أن يكونوا معها، وأنْ يشربوا من أبوالها وألبانها، فشربوا من أبوالها وألبانها، فلمَّا صحّوا، قتلوا الرَّاعي الَّذي يرعىٰ الإبل، واستاقوا الإبل وذهبوا، فجاء الصَّريخ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فأرسل إليهم، فأدركوهم، وجاؤوا بهم، فأمر بهم النَّبيُّ ﷺ فسُمِرت أعينهم؛ أي: أُحْمِيت المسامير وكُحِلوا بها حتَّىٰ سالت أعينهم، وقُطِّعت أيديهم وأرجلهم، ورُموا في الحَرَّة، يَستسقون فلا يُسقَون حتَّىٰ ماتوا.

يقول أحدُ الصَّحَابة: ولقَدْ كان الواحد منهم يَكْدِم الأرضَ بفيه، فأنزل الله فيهم هذه الآية[1]، وهي آيةٌ في المحاربين، وكلُّ مَنْ أخاف النَّاس وقطع السَّبيل؛ فإنَّه يُعتبَر محاربًا، وحُكْمُهُ إلىٰ وليِّ الأمر، يحكم فيه بما يراه أنَّه رادعٌ لأمثاله؛ إمَّا بالقتل، وإمَّا بالتَّصليب، وإمَّا بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وإمَّا بالنفي من الأرض، وهذا معلومٌ في كتب الفقه.

والحمد لله علىٰ النِّهاية؛ حيث أَقْدَرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ إتمام هذا الشرح، ولعلَّنا - إن شاء الله - قد استفدنا منه فائدةً تنفعنا في دنيانا وآخرتنا، إلَّا أنِّي أنصح إخواني أن يعملوا بالسُّنَّة، وأن يجتنبوا هذه الأحزاب، وأن يكونوا ضدًّا لهم، وحربًا عليهم، لعلَّ الله أن يكْبتَهم بأهل الحقِّ، وينصر أهل الحقِّ عليهم، نفعل ذلك امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ حيث أمر بأن نَتَّبع الحقَّ، وأن نقوله حيث كنَّا لا نخاف في الله لومةَ لائمٍ كما هو في حديث عبادة بن الصَّامت الَّذي رواه الشَّيْخان وغيرهما، قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه علىٰ السَّمْع والطَّاعة في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣) ومسلم (١٦٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقِّ حيث كنَّا، لا نخاف في الله لومةَ لائمٍ[(١)].

وصلَّى الله على نبيِّنا مُحمَّدٍ

وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

تمَّ بحمد الله



(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩).

الأسئلة

السُّؤال١: قال النَّبيُّ ﷺ: «أُوصِيكُمِ بتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا»[١] لماذا خصَّ العبْدَ دون غيره من النَّاس، ونُصَّ على الحبشيِّ؟

الجواب: الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، نصَّ علىٰ الحبشيِّ؛ لأنَّه كان المتعارَف في تلك الأزمنة وغيرها أنَّ العبيد يكونون من هؤلاء، ولهذا ورد في بعض الرِّوايات: «كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[٢]، وهؤلاء هم مُفَلْفَلُو الشَّعر[٣]، فلذلك قال النَّبيُّ ﷺ هذا القول لأنَّ العرب كانوا يستهينون بهؤلاء، ويُسمُّونهم عبيدًا، ولكن في الشَّرْع المُحمَّديِّ: العبد: مَنْ وقع عليه الرِّقُّ الشَّرعيُّ، وهو أنْ يُقاتَل علىٰ دين الله ويُؤسَر، هذا هو الرِّقُّ الشَّرعيُّ.

فالحديثُ هنا خرج علىٰ غالب ما هو موجودٌ في تلك الأزمنة.



السُّؤال٢: ما الفَرْقُ بين المعصية والهوَىٰ؟

الجواب: المعصيةُ معصيةٌ، وصَاحِبُها مرجوٌّ له أنْ يعودَ يومًا مَا، مهما انْسَاق إلىٰ المعصية بالشَّهْوة فيها؛ فإنَّه يُرجىٰ له أنْ يعود يومًا ما؛ لأنَّه يعرف أنَّه علىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٢)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ».

(٣) شعَر مُفَلْفَل: إذا اشتدَّت جُعودته... وتَفَلْفَل شعر الأسود: اشتدَّت جُعودته. «لسان العرب» (١١/ ٥٣٢).

باطلٍ، لكنَّ البدعة والهوىٰ صَاحِبُها يظنُّ أنَّه علىٰ حقٍّ، فلذلك يستمرُّ ولا يتراجع؛ لأنَّه يرىٰ أنَّ هذا دينٌ، وربَّما عوقب باستمراره فيها وعدم تراجعه عنها حتَّىٰ يموت علىٰ تلك البدعة، ويكون من المُعذَّبين، نسألُ الله العفوَ والعافيةَ.

***

السُّؤال٣: هذا سؤالٌ من دولة الكويت عبر شبكة الإنترنت، يقولُ: كيف أتعاملُ مع شقيقي إنْ كان مُنضماً إلى التَّكْفيريِّين، وهو يجهل ما هم عليه مِن مخالفاتٍ، كما أنَّهم لا يُصرِّحون بشيءٍ أمامه، وهم يَسْتغلونه في أمور الدَّعْوة، مع بيان الطَّريقة المُثلَى لنصحه؟

الجوابُ: يجب عليك أن تنصحَ شقيقك، وتُبيِّن له الأدلَّة، وتطلب مَنْ ينصحه، وإنْ كان الغالب علىٰ هؤلاء أنَّهم لا ينتصحون - فنسأل الله العفو والعافية - كأنَّ الله يعاقبهم بسبب زَيْغهم أن يبقوا علىٰ ما هم عليه حتَّىٰ يلقَوْا ربَّهم، والعياذ بالله، ولكنْ إعذارًا إلىٰ الله أن تُبيِّن له بالأدلَّة إنْ كنت قادرًا علىٰ ذلك، أو ترسل إليه مَنْ ينصحه، أو تعطيه الأشرطة الَّتي يكون فيها نصيحةٌ للتَّكفيريِّين، فإنْ أصرَّ وأبىٰ فاجتنبه، وابتعد عنه كلَّ الابتعاد.

***

السُّؤال ٤: يقولُ السَّائل: ما هي وَصيَّتكم يا شيخنا للسَّلفيِّين في عُمان الذين يعيشون في وسط الخوارج وتلك الجماعات؟ وكيف يكون التَّعامل مع تلك الفِرَق والجماعات؟

الجواب: الواجب علىٰ العبد أن يتَّقي الله ما استطاع، وأن يعمل بما أمره الله به في حدود استطاعته؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وأنْ يكونَ مع تلك الفِرَق إنْ اضطرَّ إلىٰ معاملتهم؛ فإنَّه يعاملُهم بالبيع والشِّراء علىٰ بُعْدٍ بدون انبساطٍ إليهم، ولا كلامٍ معهم، ولا مزحٍ، ولا شيءٍ من ذلك، هذا الَّذي يجب فيما أرىٰ.



السُّؤال ٥: يقولُ: فضيلةَ الشَّيخ، في باب مُجانبة أهل الأهواء وترك السَّلام عليهم، جاءتْ الأحاديثُ في المعصية، فكيف استنبط المُصنِّف من الأحاديث الحكم الَّذي ذكَره في تبويبه؟

الجواب: الحقيقة هذا سؤالٌ هامٌّ، والنَّبيُّ ﷺ لم يردَّ السَّلامَ علىٰ عمَّار بن ياسرٍ؛ لكونه كان مُخَلِّقًا، والنَّبيُّ ﷺ لم يردَّ السلامَ علىٰ ذلك الرَّجل الَّذي أتىٰ وقَدْ لبس حلقةَ الذَّهب، والنَّبيُّ ﷺ لم يَرُدَّ السَّلامَ علىٰ الوفد الَّذين لبسُوا الحرير وتَختَّموا بالذَّهب، وتلك معاصٍ، وكذلك هَجْر النَّبيِّ ﷺ لزينب بنت جحش، وتلك معاصٍ، إذًا، فكيف يُستدلُّ بهذه علىٰ هَجْر المبتدعين؟

وأقولُ: إنَّه إذا وجب هَجْر العاصي - مع أنَّ مَعصيتَه أقلُّ من البدعة - فهَجْر المبتدع أَوْلىٰ وأعظم؛ لأنَّ المبتدع أشدُّ من العاصي، العاصي تجدُه يخشىٰ مِن معصيتِه، ويَسْتَحيي مِن ذِكْرِها، وهو يَهِمُّ دائمًا أنَّه يتوب ويرجع عنها، لكنَّ المبتدع لا يمكن أن يتراجع أو يستحيي من بدعته، هذا هو المعروف، وإذا كان الهَجْر حصل علىٰ هؤلاء؛ فإنَّه مِن باب أَوْلَىٰ أنْ يكونَ في المبتدعين.



السُّؤال ٦: هذا سؤالٌ من دولةِ الإمارات عبرَ شبكةِ الإنترنت يقول: فضيلةَ الشَّيخ، ترك السَّلام على أهل البدع مِنْ هَجْرِهم، فما ضوابط هَجْر أهل البدع؟ وهل يُفرَّق بين المُتأوِّل وبين مُتَّبِع الهوى، وكيفيَّة التَّعامل معهم؟

الجواب: إنَّ المبتدع سواءٌ كان مُتأوِّلًا ويظنُّ أنَّ تأويله هو الحقُّ، أو غير مُتأوِّلٍ، بل هو مُقلِّدٌ، ففي هذه الحالة يجب أن يُعرَّف المُتأوِّل، يُعرَّف بخطأ تأويلِه، وإذا عُرِّف بخطأ تأويله ولم يرجع؛ فإنَّه يُعَدُّ مُصِرًّا على ابتداعه، ومن أجل ذلك ينبغي هَجْره لعلَّه يرجع عن بدعته.



السُّؤال ٧: هل يجوز تقسيم البدعة إلى قسمين: دينيَّة ودُنيويَّة؟

الجواب: البدعةُ لا تُسمَّىٰ بدعةً إلَّا إذا كانت في الدِّين، أمَّا في أمور الدُّنيا فلا يجوز أن نُسمِّيَها بدعةً، فلو قُلنا: إنَّ ما استُحدث في الدُّنيا من أمور يُقال له: بدعة، فإنَّه لا يجوز لنا أنْ نركَب السَّيَّارات، ولا يجوز لنا أن نستعمل الدِّينامُو لرفع الماء، وما أشبه ذلك.

والحقُّ أنَّ هذه من أمور الدُّنيا، ولكنَّها أمورٌ نافعةٌ للمسلمين، فلذلك لا نقول: إنَّ هذه من البدع، بل هذه من المبتكرات الَّتي هدىٰ اللهُ البشرَ إليها؛ لينتفعوا بها، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

وقَدْ أشار النَّبيُّ ﷺ إلىٰ ذلك بحديثه عن تقارب الزَّمَان في قوله: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فتَكونُ السَّنَةُ كَالشَّهرِ، وَالشَّهْرُ كَالجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الجُمُعَةُ كَالْيَوم، وَيَكُونُ اليَومُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بالنَّارِ»[1] إلىٰ

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٢)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، وأحمد (١٠٩٤٣)، إلا أنه قال في آخره: «وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعفةِ الخُوصَةِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المشكاة» (٥٤٤٨).

غير ذلك مِمَّا دلَّ علىٰ هذه المبتكرات الَّتي يَتمتَّع بها النَّاس، والحمد لله.

إذًا؛ فهذه الأمور الَّتي هي نافعةٌ في الدُّنيا للنَّاس، هذه لا نقول: إنَّها بدعةٌ؛ لأنَّها في أمور الدُّنيا، وليست في أمور الدِّين، وإنَّما البدعة هي الزِّيادة في الدِّين، زيادةٌ لم يأذن الله بها، ولا رسوله.



السُّؤال ٨: يقولُ السَّائلُ: هل المقصود بلزوم السُّنَّة أن يُقصِّرَ المرءُ ثوبَه، ويُطْلق لِحيَتَه، ويعمل بسائر السُّنَن الظَّاهرة، أم ما هو المقصود؟

الجواب: المقصود بالسُّنَّة هو ما يشمل السُّنن جميعًا، وإنَّما نقول ذلك، ونذكر إطلاق اللِّحْية، وتقصير الثَّوب، واستعمال السِّواك، وما أشبه ذلك من السُّنَن الظَّاهرة إنَّما نقوله علىٰ سبيل التَّمْثيل، وإلَّا فالسُّنَن كثيرةٌ، ولكنَّها لم تخرج عن طاقة العبد.

فاللهُ ما كلَّف أحدًا منَّا بغير طاقته، فهو تعالىٰ يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقَدْ جاء في الآية الأخيرة من سورة (البقرة): ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ فقال الله: «قَدْ فَعَلْتُ»(١)، فربُّنا لم يُكلِّفنا بشيءٍ غير طاقتنا.



السُّؤال ٩: يقول السَّائل: هل الأناشيد والتَّمثيل مِمَّا ابتُدع لجلب النَّاس وتحزيبهم؟

الجواب: الأناشيدُ والتَّمثيلُ بدعةٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أمَّا الأناشيدُ؛ فإنَّها من غناء الصُّوفيَّة الَّذي ابتدعوه، وابتدعوه أوَّلًا ليُرقِّقوا به القلوب - زعموا -، ثُمَّ بعدَ ذلك أغراهم الشَّيْطان فطلبوا له مُنْشدًا له صوتٌ رخيمٌ[1]، ثُمَّ بعد ذلك قالوا: مُنْشدٌ واحدٌ لا يكفي، لا بدَّ أن يكونوا جماعةً يُردِّدون، هؤلاء يقولون مَقْطعًا، وهؤلاء يقولون مَقْطعًا، ويكون أيضًا هؤلاء المُنْشِدون من الشَّبَاب الحسنة أصواتُهم، والجميلة صُورُهم، ومن هذا الكلام تَطوَّروا شيئًا فشيئًا.

أمَّا التَّمثيل فقَدْ علمتم أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ قاتلوا أعداءَ الله في كلِّ مكانٍ، ودَعَوْا كلَّ النَّاس إلىٰ الإسلام، ولم يحتاجوا إلىٰ تمثيلٍ، بل ربَّما كان التَّمثيل إغراءً بمناكر، والعياذ بالله.



السُّؤال ١٠: هذا سُؤالٌ مِن منطقة العُيون من الحسا المتابعين معنا عبر الشبكة يقول سائله: هناك كتابٌ لرجلٍ يُدْعَى «الدّميجي»، واسم الكتاب: «الإمامة والسِّيادة» تكلَّم فيه عن طرق عزل الحاكم، ومنها: «العزل الجماهيري» بأن يمتنع النَّاس عن طاعته، فما القول في أمثال هذه الكتب؛ ومنها رسائل الماجستير والدُّكتوراه؟

الجواب: كلُّ ما خالَف كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ يجب رَدُّه إلىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله، وكتابُ اللهِ يأمر بطاعة وُلَاة الأمر، وسُنَن رسول الله ﷺ تأمر بالوفاء لهم بالبيعة والطَّاعة؛ سواء كانوا أهل عَدْلٍ أو جُورٍ ما لم يُحكَم بكفرهم، فإذا حُكِمَ بكُفرهم، جازَ الخروجُ عليهم، فلا يجوز الخروجُ عليهم، أمَّا ما داموا

(١) الرَّخِيم: الحَسَنُ الكلام. «لسان العرب» (١٢/ ٢٣٤).

يُقِيمون الصَّلاة، فكلُّ مَنْ قال قولًا خلاف ذلك فقولُهُ مردودٌ عليه، ولا نقبله منه أبدًا.

فاللهُ لا يسألنا في قُبُورنا إلَّا عن رسول الله ﷺ، ولا يسألنا يوم القيامة إلَّا عنه، وكيف اتَّبعناه، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

❁ ❁ ❁

السُّؤال ١١: سؤالٌ آخر من الحسا يقول سائلُهُ: فضيلةَ الشَّيخ، ناقشتُ رجلًا سُنِّيًّا، فقلتُ له عن بيعة الإمام، وأنَّه يجب عليه السَّمْع والطَّاعة لوليِّ الأمر، فقال: أنا لم أبايعه، فما الرَّدُّ عليه؟

الجواب: مَنْ قال هذا فهو مبتدعٌ ضالٌّ؛ لأنَّ بيعةَ عريفه وشيخه بيعةٌ عنه، والنَّبيُّ ﷺ قال: «حَتَّىٰ يَرْفَع إِلَينا عُرَفَاؤُكُمْ..»(١).

فالعريف مبايعتُهُ مبايعةٌ لقبيلته، وهكذا شيخ القبيلة العام أيضًا، مبايعتُهُ مبايعةٌ لِمَنْ تحت يده، فقول هذا الرَّجل قولٌ باطلٌ.

❁ ❁ ❁

السُّؤال ١٢: ما المقصود بـ(ح) في كتاب (السُّنَّة) من «سُنن أبي داود»؟

الجواب: حرف الحاء هذا: (ح)، علامةٌ علىٰ تَحوُّل السَّنَد، مثلًا يقول: حَدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ (ح)، وحَدَّثنا فلانٌ عن فلان (ح)، وحدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ، ثمَّ بعد ذلك يقول: ثلاثتهم عن فُلانٍ، ثمَّ يأتي بالسَّنَد، وهذا كثيرٌ في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٩) من حديث المسور رضي الله عنه.

«صحيح مسلم»، وفي «سنن أبي داود» فيه منه، لكن أكثر ما يكون مِن المتابعات وتَعدُّد الطُّرق في «صحيح مسلم».



السُّؤال ١٣: يقولُ السَّائلُ: شيخَنا الفاضل، أحسن الله إليك، إنَّا نُحبُّكم في الله، وبعدُ: فنحن شبابٌ ملتزمون - والحمد لله - نصوم كلَّ خميسٍ، ونفطر عند أَحَدِنا، فما رأي فضيلتُكم مأجورين؟

الجواب: إذا كان هذا ليس فيه إرغامٌ علىٰ أَحَدٍ، فرُبَّما يُقَال: إنَّه لا بأس به، ولكنَّ الَّذي أراه: أن يصوم كلُّ واحدٍ منكم علىٰ حِدته، ويفطر علىٰ حِدته، يصوم متىٰ شاء، ويفطر متىٰ شاء، هذه هي السُّنَّة.



السُّؤال ١٤: يقولُ السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخ، انتشر في بعض الشَّباب - وهم قلَّةٌ - اعتزالُ شهود الصَّلَوات مع المسلمين في المساجد، وقَدْ كان بعضُهم إمامًا للمسلمين في بعض المساجد؛ حيث إنَّهم يقولون: إنَّ الصَّلاة في المساجد اتُّخذت ولاءً لوُلَاة الأمر، وإذا أراد ناصحٌ أن ينصحهم قالوا: نحن على الحقِّ، وإنْ أردتَ أن نباهلك باهلناك، فكيف نتعامل معهم، وندرأ خطرهم ومفاسدهم؟

الجواب: هذه هي المصيبة الَّتي نحن نُحذِّرها، إذا كان هؤلاء يقولون هذا القول، ويريدون أن يباهلوا عليه، فهذا أوَّل أمرهم، ثمَّ بعد ذلك يَسْتحلُّون الدِّماء، ويَسْتحلُّون تكفير المسلمين، والخروج علىٰ الوُلَاة، ونشر الفوضىٰ، وإزهاق الأرواح، وإسالة الدِّماء، ويأتي بعد ذلك الخوف بعد الأمن، وتأتي بعد ذلك أمورٌ، نعوذ بالله منها.

ووالله، ما هذه الدَّعَوات إلَّا دعواتٌ باطلةٌ، وهذا هو قول الخوارج، وهذه هي نِحْلة الخوارج الَّذين كَفَّروا أصحابَ رسول الله ﷺ، وكَفَّروا الخليفة عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، هؤلاء مُبْطلون ضالُّون، نسأل الله أن يَكْبتَهم، وأن يكفي المسلمين شَرَّهم.



السُّؤال ١٥: يقولُ السَّائل: فضيلةَ الشَّيخ، هل كتبتم في المناهج المخالفة لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مُؤلَّفًا؟

الجواب: نعم، والحمد لله، واسألوا دار الفرقان، وعندها الكتابات الَّتي كَتَبْتُها، وسَتَطَّلعون على ذلك(١).



السُّؤال ١٦: مجموعةٌ من الشَّباب يضعون مسؤولاً لهم للدَّعوة فيما بينهم، ويستأذن منه الشَّبَاب، ولا يستأذن من والديه في أمورهم، ويجعلونه المرجع، ويرون أنَّ هذا من التَّربية، فما حكم هذه الطَّريقة، أبدعيَّةٌ أم سُنيَّةٌ؟

الجواب: هذه طريقةٌ بدعيَّةٌ، وهذا شيءٌ قَدْ عرفناه من زمن طويل، وأذكر أنَّا مرَّةً اجتمعنا مجموعةً في التَّوعية الإسلامية بمكَّة، فقال بعض الحاضرين الَّذين

(١) من الكتب المنهجيَّة التي قامت بطباعها دار الفرقان بعجمان في دولة الإمارات لشيخنا أحمد النَّجميِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «المورد العذب الزُّلال فيما انتُقد على بعض المناهج الدَّعويَّة من العقائد والأعمال»، وكتاب «الرَّدّ الشَّرعيّ المعقول على المتَّصل المجهول»، وكتاب «ردّ الجواب على من طلب منِّي عدم طبع الكتاب»، وكتاب «الفتاوى الجليَّة عن المناهج الدَّعويَّة».

وهي موجودةٌ كلُّها وغيرُها بفضل الله عَزَّوَجَلَّ ضمْن هذا المجموع المبارك لكتُب ورسائل وفتاوى العلَّامة أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ، طبعة دار الميراث النَّبوي - بالجزائر -.

كانوا معنا، وكنَّا في شُقَّتين متقابلتين: «أنت أميرنا»! فقلت لهم: اتقوا الله يا عباد الله، ما فيه إمارة في الحضر، وبَقَوْا كلُّ ما أراد الواحد منهم أن يخرج، يقول: «عن إذْنك، أنا أريد كذا وكذا»، وقد حصل هذا قبل حوالي ما يقارب خمس عشرة سنة[1]، وبعد ذلك ظهر بعضهم على فكر الخوارج.



السُّؤال ١٧: يقول السَّائلُ: هل أهل الفترة في النَّار أم في الجنَّة؟

الجواب: الحُكْم علىٰ هذا يحتاجُ إلىٰ دليلٍ، ولذلك فقد اختلف أهل العلم في المجنون الَّذي يعيش مجنونًا ويموت مجنونًا، وفي الأطفال الَّذين يموتون دون الحُلُم من المشركين، هل هؤلاء يكونون من أهل الجنَّة أم من أهل النَّار؟

حصل خلافٌ في هذا، وقد وردتْ أحاديثُ فيها شيءٌ من الضَّعْف في أنَّ هؤلاء يُمْتَحنون يوم القيامة، وكذلك أهل الفترة، وأنَّ الله يأمرهم أن يدخلوا النَّار، فمَنْ أطاع ودخل، أخرجه الله منها، ومَنْ أبىٰ، أُدخل النَّار راغمًا، ولكن يظهر لي أنَّ أهل الفترة في النَّار كما أخبر النَّبيُّ ﷺ؛ فقد جاء عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّىٰ دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»، والحديث في «صحيح مسلم»[2]، وفي روايةٍ: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ، فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»[3].

---

(١) علمًا بأنَّ الشَّيخ أجاب علىٰ هذا السُّؤال عام (١٤٢٢هـ) بالدَّورة العلميَّة الأولىٰ المقامة في جامع معاوية بن أبي سُفيان رضي الله عنه بحفر الباطن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٤٣ دار العربيَّة): هذا إسنادٌ صحيحٌ، رجالُه ثقاتٌ، محمَّد بن إسماعيل وثَّقه ابنُ حبَّان والدَّارقطنيُّ والذَّهبيُّ، وباقي رجال الإسناد علىٰ شرط الشيخين. وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف ابن ماجه»، وانظر: «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٨).

وحديث آخر: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في مسير (يعني: في سفر)، فمرُّوا بالأبواء، فذهب إلىٰ المقبرة، وتبعه أصحابه، فجعل يتخطَّىٰ القبور حتَّىٰ وصل إلىٰ قبر، فجلس حوله، فبكىٰ وأبكىٰ مَنْ حوله، ثمَّ قال: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي»، والحديث أيضًا في «صحيح مسلم»(١).

ومعلومٌ أنَّ أبا النَّبيِّ ﷺ وأمَّه من أهل الفترة، إذًا، فالقولُ في أهل الفترة بأنَّهم في النَّار، وأنَّ العقائد لا يُعذَر فيها بالجهل، لعلَّه هو الأقرب.

أمَّا تلك الأحاديثُ الَّتي وردَتْ في الامتحان علىٰ ضَعْفِها، فربَّما يُقالُ بها في الأصمِّ أو الأحمق الَّذي يحتجُّ يوم القيامة، فيقول: «رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالبَعْرِ»(٢)، وعند ذلك يُمتَحن.

وأمَّا أطفال المشركين، فوَرَد فيهم حديثان صحيحان مُتعارضان: حديثٌ جاء فيه أنَّهم مع آبائهم، وحديثٌ آخر وهو في «صحيح البخاريِّ» وهو حديث سَمُرة في رؤيا النَّبيِّ ﷺ الطَّويلة، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ سأل جبريل وميكائيل، فأخبراه، وقالا له: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ: فَإِنَّه إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَىٰ الفِطْرَةِ»(٣).

هذا الحديث أتىٰ به البخاريُّ في آخر كتاب الجنائز، وأورده في تعبير الرُّؤيا، وهو يدلُّ علىٰ أنَّ أبناء المشركين داخلون فيمَن يموتون دون الحُلُم، وأنَّهم

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٧١)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٧٤٨١)، وأبو نُعيم الأصبهانيُّ (٨٥٢)، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٩)، من حديث الأسود بن سريع، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، من حديث سمرة رضي الله عنه.

يكونون في الجنَّة، ولكن ليسوا في الجنَّة كالنَّاس الَّذين عبدُوا الله بعد البلوغ، فهؤلاء يُثَابون، بل يكونون خَدَمًا لأهل الجنَّة.

والكلامُ حولَ هذه المسألة كثيرٌ، والاختلاف كبيرٌ، فَقَدِ اختار شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الامتحان لأهل الفترة، وَتَبِعهُ علىٰ ذلك كثيرٌ مِن أهل العلم، ولكن الَّذي ظهر لي - بعد البحث - ما قلتُهُ لكم، وأسأل الله أن يكون صوابًا، والبحث حول هذا الموضوع موجودٌ في آخر كتاب «طريق الهجرتين» لابن القيِّم، وموجودٌ أيضًا في «فتح الباري»، وموجودٌ في تفسير«أضواء البيان» للشنقيطي في تفسير سورة (سبحان).



السُّؤال ١٨: سؤالٌ من الحسا يقول سائلُه: كيف يتعامل مَنْ يقيمُ في الغرب مع الكُفَّار بالنِّسبة للسَّلام وردِّ التَّحيَّة؟

الجواب: الَّذي يقيم في الغرب رغبةً في البقاء بين الكُفَّار، هذا ربَّما يُقَال: إنَّه مخطئٌ، وإنَّ تَرْكَ السَّلام عليه أَوْلَىٰ إن كان يضمن المصلحة، أمَّا إذا كان هذا مضطرًّا إلىٰ هذا الَّذي حصل منه، وفعله مضطرًّا إليه اضطرارًا؛ فلا أرىٰ في السَّلام عليه مانعًا.



السُّؤال ١٩: هذا سؤالٌ من الكويت عبر الشَّبكة يقولُ سائلُه: إنَّ عندَهم شخصًا يُدْعى عبد الله الفارسي، يقول: إنَّ كلَّ مَنْ عنده حقٌّ فإنَّه يُثنَى عليه، مثل: حسن البنَّا، وسيِّد قُطب، والجهم بن صفوان، وإبليس!

الجواب: حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل، ونسأل اللهَ السَّلامة، إِنْ كان هذا هو

الرَّجل الَّذي الْتَقَيْتُ به، فقد عرفته من أهل السُّنَّة، ونقلتُ عنه في «الرَّد الشَّرعيّ المعقول» قِصَّتين كلتاهما تدلُّ علىٰ بطلان ما عليه أهل البدع.

والظَّاهر إذا كان هذا الرَّجل هو، فنقول: ينبغي أن نُكْثِرَ من الدُّعاء أن يحفظنا الله، ويُثبِّتنا ويعصمَنا، ونعوذُ بالله مِن تَقليب القُلوب بعد استقامتِها، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.



السُّؤال ٢٠: يقولُ السَّائل: فضيلة الشَّيخ، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعدُ: قول سفيان الثَّوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخلفاءُ خمسةٌ، وذكر منهم عُمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أليس في هذا تَنقُّصٌ لقَدْر معاويةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّه أَوْلَى بهذا الوصف من عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثُ إنَّه صحابيٌّ وخالُ المؤمنين، وأيضًا زمنُهُ أفضل من زمن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث إنَّ الصَّحابة متوافرون!

الجوابُ: استدراكٌ وجيهٌ فيما أرىٰ، ففي خلافة معاويةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خيرٌ كثيرٌ، هدأتْ الأُمَّة واستراحَتْ من الخلافات الَّتي كانتْ بينها، واتَّجهتْ إلىٰ الفُتُوحات، ولكنَّهم فَضَّلوا خلافةَ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ خلافة مُعاويةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وألحقَها بعضُهم بالخُلفاء الرَّاشدين؛ لِمَا وقع في خلافته من الإصلاحات وردِّ المظالم؛ لأنَّ بعض خُلفاء بني أُميَّة كان قَدْ حصل منهم ما حصل من الإقطاعات الَّتي أُخذ فيها حقوقٌ للغير كما يُقَال.

علىٰ كلِّ حالٍ، تلك أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لها ما كسبَتْ، وعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ، ونَسألُ الله أَنْ يُلْحِقَنَا بالصَّالحين.



السُّؤال ٢١: يقولُ السَّائلُ: يا شيخُ، جزاك الله خيرًا على هذه الزِّيارة، وأتمنَّى أن تتكرَّرَ لأنَّنا استفدنا منكَ، السُّؤال: لماذا قيل في السَّنَد: «عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وهل هذا جائزٌ؟

الجواب: تخصيصُ عليٍّ بالصَّلاة والسَّلام وجَعْله سُنَّةً، هذا من عمل الشِّيعة، وليس من عمل أهل السُّنَّة، فأهلُ السُّنَّة يرون أنَّ الشِّعار الَّذي مضت عليه أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ: أنَّ الأنبياء هم الَّذين يُخصَّصون بالصَّلاة والسَّلام عليهم، والصَّحابة يُخصَّصون بالتَّرضِّي عليهم، ومَنْ عداهم فإنَّه يُترحَّم عليه.

هذا الشِّعار لا ينبغي العدول عنه، لكنَّهم يرون أنَّه لو دعا عبدٌ لآخر، وقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنَّ دعاءه هذا جائزٌ، وليس فيه مانعٌ، لكن لا يُتَّخذ هذا سُنَّةً ماضيةً يُجرَىٰ عليها دائمًا.



السُّؤال ٢٢: قولُه في الحديث: «وَمَا أَرَاهُ أَنْ يَرْتَفِعَ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ»، هل فيه دليلٌ على كُفْرِ مَنْ قدَّم عليًّا في الولاية على أبي بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

الجواب: لا أجرؤ أن أُكفِّره بهذا، ولكنَّ الرَّافضة عندهم ما يُوجِب الكفر غير هذا كثيرٌ.



السُّؤال ٢٣: يقولُ السَّائلُ: يُشْكِلُ عليَّ قولُكم: إنَّ السِّتَّة أهل الشُّورى هم من العشرة المُبشَّرين، ومعلومٌ أنَّ سعيدَ بن زيدٍ لم يكن مع السِّتَّة.

الجواب: سعيد بن زيدٍ، الظَّاهر أنَّه كان من السِّتَّة الَّذين أوصىٰ إليهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن هؤلاء السِّتَّة رجَّعوا أمرهم لثلاثةٍ[1].

---

(١) هم: عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وبقية السِّتَّة من أهل الشورىٰ هم

السُّؤال ٢٤: يقولُ: ما معنى «الأسقف» في الحديث الأخير؟

الجواب: الأسقف هو العَالِم عند النَّصارىٰ، فالعَالِمُ يُسمَّىٰ أسقفًا.



السُّؤال ٢٥: هل يُقَال عمَّنْ ثبت نَسَبُهُ إلى قُريشٍ في هذا الزَّمان أنَّه مِن أهل البيت؟

الجوابُ: لا، أهل البيت هم بنو هاشم وبنو المطلّب، هؤلاء الَّذين تَحْرُم عليهم الصَّدَقة ويأخذون الفيء، ويخرج منهم بنو عبد شمس وبنو عبد الدَّار.



السُّؤالُ ٢٦: يقولُ السَّائل: كيف نجمعُ بين حديثِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي» وبينَ حديث: «وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّام الصَّبْر، الصَّبْر فِيهنَّ مِثل قَبْضٍ عَلَى الجَمْر، للعَامِلِ فِيهنَّ مِثْل أَجْر خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُون مِثْل عَمَلِكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنهُمْ؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ أَجْرُ خَمْسِين مِنْكُمْ»[1]؟

الجواب: إنَّ التَّفضيل الخاصَّ لا يعارض التَّفضيل العامَّ، بل التَّفضيل العامُّ مُقدَّمٌ علىٰ التَّفْضيل الخاصِّ.



= الزُّبير بن العوّام، وسعد بن أبي وَقَّاص، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعًا، انظر البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قصّة البيعة والاتفاق علىٰ عثمان رقم (٣٤٩٧)، وأيضًا في كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس رقم (٦٧٨١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف الجامع» (٢٣٤٤).

السُّؤال ٢٧: يقولُ السَّائل: أمَا يعارضُ حديثَ سَلمان[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما وَرَدَ عن النَّبيِّ ﷺ حينَما قالَ لعبْدِ اللهِ بن عمْرٍو: «اكْتُبْ، فوالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، مَا يَخرجُ مِنهُ إلاَّ حقٌّ»[(٢)]؟

الجواب: المراد بحديث عبد الله بن عمرو في التَّشْريع: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النَّجم: ٣، ٤].



السُّؤال ٢٨: يقولُ السَّائلُ: أخرجَ البخاريُّ في «تاريخه»، والطَّبرانيُّ في «مسند الشَّامِيِّين»، وصَحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة»[(٣)] أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ في عبد الله بن بُسر: «يَعِيشُ هَذَا الغُلَامُ قَرْنًا» فعَاشَ مِئَةَ سَنَةٍ، فهَلْ هَذَا يَتعَارَضُ مع قولِ النَّبيِّ ﷺ: «أَعمَارُ أُمَّتِي مَا بَينَ السِّتِّينَ والسَّبْعِينَ»؟

الجواب: لا يتعارَض، وهذا لا يخالفُ ما قُلْنا مِن أنَّ القرنَ سبعون سنةً، وإنَّ معترك أعمار أُمَّة النَّبيِّ ﷺ ما بين السِّتِّين إلى السَّبعين، فلهذا رجَّحته مِن هذا الوجه.



السُّؤال ٢٩: هذا سُؤالٌ من بريطانيا، يقول سائلُهُ: ما الفرق بين الواجب والفرض؟

الجواب: الواجب دون الفرض عند قومٍ، وهُوَ يساوي السُّنَّة المُؤكَّدة،

---

(١) يعني قول سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الباب السابق وهو باب في النَّهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ: «إنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَغضبُ، فيَقولُ في الغَضَب لنَاسٍ مِن أَصْحَابه... » الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاريُّ في «التَّاريخ الكبير» (١/ ٣٢٣)، و«الصَّغير» (٩٣)، والطَّبرانيُّ في «مسند الشَّاميين» (٨٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٦٦٠).

وحتَّىٰ مَنْ يجعلون الفرضَ والواجبَ سواءً وهم الشَّافعيَّة؛ فإنَّهم يقولون: إنَّ الواجبَ درجاتٌ، وإنَّ الفرضَ أعلىٰ من الواجب.



السُّؤال ٣٠: هذا سائلٌ يقولُ: يقولُ أحدُ الدُّعاة في شريط: «كيف تكون جبانًا»: وإنَّ حَسَّان بن ثابتٍ جبانٌ، لا يصلح للقتال، ولذلك يُتْرَك مع النِّساء، وفي موضعٍ آخر: إنَّ عمر رضي الله عنه أمسكَه مِن تَلَابيبه وأخذ يَجرُّه كالتَّيس، والعياذ بالله، وكذلك يَتَّهم بلالًا رضي الله عنه بشَدِّ الرِّحال لقبر الرَّسول صلى الله عليه وسلم من الشَّام إلى المدينة لزيارة قبر الرَّسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك يقولُ: إنَّ هنالك رجلًا يُقالُ له: طارق السويدان، يطعن في الصَّحابة؛ يطعن في معاوية، وعليّ بن أبي طالب، وعثمان رضي الله عنهم، ويقول السائل: كثر عند الإخوان المسلمين في هذا الزَّمان ومَنْ تأثَّر بدعوتهم الطَّعْن في الصَّحابة رضي الله عنهم، فما أسباب ذلك؟

الجوابُ: الطَّعْن في الصَّحابة لا يجوز، وفِعْل طارق السُّوَيدان خطأٌ، وأهل السُّنَّة والجماعة يقولون: ما جرىٰ بين الصَّحابة رضي الله عنهم نسكت عنه.

وأمَّا ما ذُكر عن حَسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه، فهذا كذبٌ؛ وذلك لأنَّ الشِّيعةَ من زمنٍ قديمٍ يَتَّهمون حَسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه بأنَّه عثمانيٌّ، وأنَّه كان منصرفًا عن عليٍّ رضي الله عنه، فلذلك قالُوا فيه ما قالُوا.

أمَّا الجُبنُ والشَّجاعةُ فهذان أمران ليس للعبد فيهما ذنبٌ؛ لأنَّ الجُبنَ والشَّجاعةَ غريزتان في العبد، يخلقهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه يَوْم يَخْلُقُه، فكون العبد جبانًا هذا لا يكون من عملِهِ، ولكن يكون من خَلْق الله، ومن الغرائز

والطَّبائع الَّتي يخلقها الله في العبد، فليس له فيها ذنبٌ، لكن كونه يُقَال في أصحاب النَّبيِّ ﷺ هذا الكلام أو غيره من الكلام الَّذي يُؤدِّي بالنَّاس إلى الاستخفاف بأصحاب النَّبيِّ ﷺ واستضعافهم، فهذا أمرٌ لا يجوز.

وقَدْ ردَّ على طارق السُّويدان الشَّيخ أحمد بن عبد العزيز التّويجري حفظه الله، وهو رجلٌ سلفيٌّ، ردَّ عليه في جزءين موجودين، فلعلَّكم إذا طلبتموهما تجدوهما.



السُّؤال ٣١: هذا سؤالٌ مِن دولةِ الكويتِ يقولُ سائلُهُ: ما قولُكم فيمَنْ يقولُ: قَدْ يأتي بعد الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَنْ هو أفضلُ من بعضهم في بعض مقامات الإيمان؛ كالعلم والجهاد والعبادة، ويقول: «إنَّ جنس الصَّحابة أفضل مِن جنس مَنْ بعدَهم»؟

الجواب: هذا قَدْ يكون له شيءٌ من الحقيقة؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[(١)].

وقد ظهر في عصر التَّابعين وأتباع التَّابعين مِنْ حُفَّاظ الفقه ورجال الاستنباط مَنْ برز في ذلك، لكنَّا لا نقول: إنَّه أفضل من الصَّحابيِّ الَّذي نقل الحديث، فالصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لهم فضلٌ لا يبلغه أحدٌ أبدًا، وكون رجلٍ مِمَّنْ جاء بعدهم برَز في أمرٍ من الأمور، هذا ليس معناه أنَّه يكون أفضلَ منهم، ولكن فضل الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أعمُّ وأفضل، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد (٢٥١٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٢١/ ٩١)، وفي «الأوسط» (٥١٧٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، واللَّفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

السُّؤال ٣٢: يقولُ السَّائلُ: يا شيخُ، حفظكم اللهُ، ونفعَ بعلمكم الأُمَّةَ، إذا حَلَفَ رجلٌ باللهِ أكثر مِن مَرَّةٍ ولم يفعل ما حلف عليه، ولم يُكفِّر عن اليمين، ولا يعلم الآن كم يمين عليه، فماذا يجبُ عليه؟

الجواب: يجتهدُ ويُقدِّرُ ويدفع الكَفَّارات، ثمَّ بعد ذلك يستغفرُ اللهَ، ونرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر له.



السُّؤال ٣٣: يقولُ السَّائل: ورد في الحديث: «أَنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَيرٍ مِنْ إِيمَانٍ[(١)]»، فهل هذا الخيرُ خاصٌّ بمَنْ أسلم ومَاتَ على الإسلام، أَمْ أنَّه عامٌّ في كلِّ النَّاس حتَّى مَنْ يمُوتُ وهو كافرٌ، ولكن في قلبه خيرٌ؟

الجوابُ: لا، ليس بعامٍّ، بل هو خاصٌّ فيمَنْ مَاتَ علىٰ الإسلام، وعلىٰ التَّوحيد.



السُّؤالُ ٣٤: لماذا لم يُذكر الحجُّ في حديثِ وفدِ عبدِ القيس؟

الجواب: إن لم يُذْكر في هذا، فقد ذُكِرَ في غيره.



السُّؤال ٣٥ : هل الحوتُ «نون» هو المقصودُ في سورة (القلم) في قوله تعالىٰ:
﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]؟

الجواب: لا أدري، والله أعلمُ.



---

(١) أخرجه البخاري (٢٢)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السُّؤالُ ٣٦: ما رأيكم فيمَنْ يصفُ الإمامَ الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّه مرجئٌ، مع أنَّ سماحةَ الشَّيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين - رحمهما الله - في حياتهما لم يذكرَا ذلك عنه، بل ذكرا عنه كلَّ خيرٍ، فما رأيكم في ذلك؟

الجوابُ: رَأْيُنَا في ذلك أنَّ مَنْ يقول هذا الكلام؛ فإنَّه قَدْ ظلمَ الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَدْ حبس نفسه سبعين عامًا في خِدْمَة السُّنَّة، وعمل أعمالًا يُشكَر عليها، وقَدْ لا تجدُها لأحدٍ غيره، وإذا نظرت في سيرة الأوَّلين والآخرين، لا تجد لأحدٍ خدمةً للسُّنَّة كما خَدَمَ.

إذًا؛ فمَنْ يقول هذا فقد ظَلَم الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا القول، وسيَلْقى جزاءه، الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقولُ: إنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ، ويقول: إنَّ العمل مِن الإيمان، إلَّا أنَّه قالَ في الصَّلاة كما قال غيرُهُ من الأئمَّة بأنَّ تَرْكَها تكاسلًا لا يُعَدُّ كُفرًا، قال هذا ورَجَّحه كما قال غيرُه.

فالَّذي يقول بأنَّه مرجئٌ؛ في نظري أنَّه ظَلَم الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا القول، وسيُحاكمُه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين يدي ربِّه، كذلك أيضًا قرأتُ ما كتب جماعةٌ، فلم أرَ فيه ما يوجب هذا القول، وحسبُنا الله ونعم الوكيل، وإنَّما الشَّيْطان يريد أن يُفرِّق أهل السُّنَّة والجماعة، وإخوانُ الشَّياطين من الحِزْبيِّين ومَنْ تعاطف معهم لعلَّ لهم يدًا في هذا، نسألُ اللهَ أنْ يُصلحَ الأحوال.



السُّؤال ٣٧: في قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ في اللهِ» الحديث[1]، هل مَنْ وجد في قَلبه حُبًّا لأهل الأهواء والأحزاب، أنَّ ذلك نقص في إيمانِه ودينِه؟

الجواب: لا شكَّ في ذلك.



السُّؤال ٣٨: هذا سؤالٌ مِن الكُويتِ عبر الشَّبَكةِ، يقولُ سائلُهُ: عندنا رَجلٌ في الكُويت يُدْعَى مُحمَّد الحمود النَّجدي، يقولُ في إحدى كتاباته عن سيِّد قطب بأنَّه لا ينبغي لأيِّ طالبِ علمٍ أن تخلو مكتبتُهُ من كتاب: «في ظلال القُرآن».

فيقولُ السَّائلُ: هل نَتركُ الشَّبابَ يحضرون دروسه أم ماذا؟

الجواب: أقول: نعوذُ بالله من العمىٰ، ونسأَلُ اللهَ العفوَ والعافيةَ؛ الَّذي يُكفِّرُ المسلمين ويقول: إنَّ المسلمين كلَّهم قَد ارْتدُّوا عن الإسلام، فكيف يقالُ عنه: لا ينبغي لأيِّ طالب علم أن تخلوَ مكتبته من كتاب «في ظلال القرآن»؟!

نعوذ بالله من هذا الضَّلال، هذا أعمىٰ، ولا ينبغي لطالبِ علمٍ أن يأتي إلىٰ مثل هذا.



السُّؤال ٣٩: يقولُ السَّائلُ: هل موسى بن عمران أخٌ لمريم بنت عمران؟ وإذا لم يكن، فكَمْ بينَهُم؟

الجواب: أذكُر لكم قِصَّةً في هذا، وهو أنَّ مِن فضل الله عليَّ أنِّي كنتُ أشرحُ «صحيح البخاري» في المسجد ما بين أذان العشاء والإقامة، وقَدْ نُطيلُ في الشَّرح

(١) أخرج أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامةَ عن رسول ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَىٰ للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ». وصحَّحه الألبانيُّ بمجموع طرُقه في «الصَّحيحة» (٣٨٠).

إلىٰ ساعةٍ إلَّا وبعدها، فأتينا في باب الأنبياء إلىٰ مريم بنت عمران، فقال رجلٌ من الحاضرين: مريم بنت عمران قيل لها حينما أتت بعيسىٰ تحمله: ﴿يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨].

وهي مريم بنت عمران، إذًا، فهي أخت موسىٰ وهارون. قلتُ له: لا، فنازعني في هذا، فذهبتُ ورجعتُ إلىٰ ترجمة موسىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في «البداية والنهاية»، وإلىٰ ترجمة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ فيها، وإذا بابنِ كثيرٍ يقول: إنَّ بين موسىٰ ابن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين عيسىٰ ألفًا وتسعَ مئة سنةٍ، يعني: مثل المُدَّة الَّتي ما بين عيسىٰ وزمننا هذا، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ موسىٰ بن عمران ليس أخًا لمريم بنت عمران إلَّا أنَّهم يتسمون بأسماء أنبيائهم والأسماء كثيرة.



السُّؤال ٤٠: هذا سُؤالٌ عبر الشَّبكة من الكويت، يقولُ سائلُه: تكلَّمتُم بالأمس عن حديث: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(١)، ولم نفهم ما قلتم حفظكم الله، واستشكلَ علينا شيئان: الأوَّل: هل المقصود بقوله: «فإنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» هم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

الثَّاني: هل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُعذَّبون في الآخرة؟

الجواب: وَضَّحْتُ أمس في الأخير أنَّ قول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُمْ أَصْحَابِي»، أو «أُصَيْحَابِي»؛ ليس معنىٰ ذلكم أنَّهم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا قال له الصَّحابة رضوان الله عليهم: «كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قال: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا

(١) أخرجه البخاريُّ (٤٦٢٥)، ومسلمٌ (٢٢٩٥)، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ»(١).

فكونُ النَّبيِّ ﷺ عرف أنَّهم مِن أصحابه؛ لأنَّ فيهم علامةَ أصحابه، ولكنَّهم أَتَوا أُمُورًا أوجبَتْ حِرْمَانهم من الشُّرْب مِن حوض النَّبيِّ ﷺ، وقالَت الملائكةُ: «إِنَّهُمْ أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

فالأمر في هذا واضحٌ، يعني كونهم أحدثوا بعده، معناه أنَّهم اسْتَحقُّوا دخول النَّار مُؤَقَّتًا، ثمَّ بعد ذلك يدخلون الجنَّةَ.



السُّؤال ٤١: يقولُ السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخ، أحسن الله إليكم، ونفع بكم، هل هناك تكفيرٌ في مسائل الخلاف؟

الجوابُ: يقع الخلاف فيها - غالبًا - ولا يكون فيها تكفيرٌ.



السُّؤال ٤٢: يقولُ السَّائلُ: هل مَنْ وَقَعَ في كُفْرٍ أو تَكَلَّمَ بكُفْرٍ، هل يُكفَّر على سبيل التَّعْيين؟

الجوابُ: يُكفَّر حتَّىٰ يتوبَ، إذا وقع في الكفر؛ كالاستهزاء بالدِّين، إذا قصد به الاستهزاء والاستهانة بالدِّين، أو سخر منه، فهَذَا يُعتَبر كُفرًا، أو مَنْ سبَّ الرَّسول ﷺ فهُوَ يُعتَبر كافرًا حتَّىٰ يعود ويتوب، لكن مَنْ سبَّ الرَّسول أو نبيًّا من الأنبياء رجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه ليس له توبةٌ، وأنَّه يُقتَل حدًّا كما في كتابه «الصَّارم المسلول علىٰ شاتم الرَّسول».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السُّؤال ٤٣: يقول السَّائل: رجلٌ سُنِّيٌّ قال لأحد الرَّوافض الشِّيعة: أنت كافرٌ، فهل عليه شيءٌ من ذلك؟

الجواب: إنْ كانَ هذا من الرَّوافض الَّذين يعتقدون اعتقاداتٍ تُوجِب الكفر، والغالبُ أنَّهم كلّهم كذلك[(١)]، أمَّا ازدراء الشَّيْخين أبي بكرٍ وعمر، فكُلُّهم مُجْمِعون عليه[(٢)] إلَّا الزَّيديَّة؛ فإنَّهم لا يَسبُّون إلَّا عمرو بن العاص ومعاوية وعائشة، وأمثال هؤلاء الَّذين كانوا مع معاوية في زمنه.



السُّؤال ٤٤: هذا سؤالٌ عبر الشَّبكة مِن الإمارات، يقول سائلُهُ: فضيلة الشَّيخ، ما رأيكم فيمَن يقولُ: كُتُبُ ابن حزم والشَّوكاني تُعلِّمُ الجُرأةَ على السَّلف، فما صِحَّة هذا الكلام؟

الجواب: علىٰ كلِّ حالٍ رُبَّما يكون هذا فيه شيءٌ من الحقيقة في حقِّ ابن حزم، أمَّا الشَّوكانيُّ فلا، الشَّوكانيُّ لو حصل منه شيءٌ فهو رُبَّما يُقَال: إنَّه في مَحلِّه، لكن ابن حزم لا شكَّ أنَّ لسانَه سليطٌ علىٰ السَّلف، ولكنَّه في كتابه «المحلَّىٰ» وفي علمِه جيِّدٌ، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ورُبَّما كانت هذه المقالة فيها صرفٌ عن كُتُبهما، والحقيقة كتاب «المحلَّىٰ» كتابٌ جَيِّدٌ وعظيمٌ، وإِنْ كان ابنُ حزمٍ قَدْ يَهِمُ فيه أوهامًا، ويُضعِّف أيضًا الحديث الصَّحيح، أو يُصحِّح الحديثَ الضَّعيف، ويُنتقد في بعضها، ويُتكلَّم علىٰ المخالفين له، ولكن فيه خيرٌ كثيرٌ، وفيه علمٌ كثيرٌ، وينبغي للإنسان أنْ يقرأه، وأنْ يجتنبَ طريقتَه وسلاطةَ

(١) أي: كفَّار باعتقادهم ما يوجب الكفر.

(٢) أي: الشِّيعة مجمعون علىٰ سبِّ أبي بكر وعمر إلَّا الزَّيديَّة.

لِسَانِه وكلامه علىٰ الأئمَّة رحمهم الله؛ وينبغي أن ندع طريقته علىٰ جانبٍ، ونأخذ منه ما ينبغي أن يُؤخَذ من العلم.



السُّؤال ٤٥: يقول السَّائل: أحسن الله إليكم، إنِّي شابٌّ أرغبُ في طلب العلم الشَّرعيِّ، وبالسَّيْر على منهج الصَّحَابة رضي الله عنهم إلَّا أنَّ في بلدي عِدَّة جَمعيَّات خيريَّة؛ كجمعيَّة إحياء التُّراث الإسلاميِّ وغيرها، وكلُّهم يلزموني بالسَّيْر معهم دون غيرهم، ولقَدْ سمعتُ من بعض طُلَّاب العلم أنَّ هؤلاء حزبيُّون، فماذا تنصحونني؟

الجواب: أنصحُك أن تَتَبع رسول الله ﷺ، وأن تَتَبع أهل السُّنَّة والجماعة، وأن تترك هؤلاء الَّذين عندهم ما عندهم من التَّحزُّب، وأن تكون سَلفيًّا، وأن تلازم بعض الشُّيُوخ السَّلفيِّين لعلَّ الله أن ينفعك بذلك، أمَّا كونك تلتحق بجمعيَّةٍ من هذه الجمعيَّات فلا أرىٰ لك هذا؛ فإنَّهم إنْ أعطوك شيئًا من المساعدة، فإنَّهم يُلزمونك بها حتَّىٰ تكون معهم.

ولَقَدْ بلغني عن بعض الجَمعيَّات باليمن - مثلًا كالسُّروريِّين - أنَّهم يأتون إلىٰ الواحد من طُلَّاب العلم ويدعونه إلىٰ الالتحاق بهم، ويُرغِّبونه ويعطونه المال، ثمَّ يكتبون هذا المال عليه، فإن كان بحاجةٍ إلىٰ بيتٍ، أَعْطوه مبلغًا من المال ليبني به بيتًا، وإن كان بحاجةٍ إلىٰ سَيَّارةٍ، أَعْطوه مبلغًا من المال؛ ليشتري به دبَّابًا أو سَيَّارةً، أو نَحْو ذلك، وهكذا يَكْتبونها عليه.

فإذا وجد طالب العلم الحقيقة، وأرادَ أنْ يَعْدل عَنْهم إلىٰ غيرهم، قالوا له: هات الَّذي عندك كلَّه؛ الأوَّل والأخير، والَّذي قد كتب عليك ما دام أنت تريد أن

تركنا، فهات الَّذي عندك كلَّه، سَلِّمه الآن ولا نفكك حتَّىٰ تسلِّمه، وإلَّا أدخلناك السِّجن، فيُذْعِن ويبقىٰ معهم.

فهذه الجمعيَّات تخدم الحِزْبِيَّة، ولا ينبغي الدُّخول فيها، ولا خير في أصحابها، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



السُّؤالُ ٤٦: يقول السَّائلُ: أحسن الله إليكم، ما حُكمُ الخوارج؟ أكُفَّارٌ هُمْ؟ ومتى يُبدأ بقتالهم؟ وهل يجبُ قتالهُم؟ وماذا يُفعلُ بفارِّهم وأسيرهم وأموالهم؟

الجواب: مسألة قتالهم إنَّما يُشْرع بعد خروجهم، وهو للدَّولة؛ لأنَّهم يخرجون علىٰ الدَّولة وعلىٰ الدُّوَل، ويريدون أن يكونوا هم السَّاسة، وأن يكونوا هم القادة، ويزعمون بأنَّهم سيُصلحون وسَيُقِيمون حدود الله، وسيقطعون ما يحصل من الفساد، هكذا يزعمون، ولكنَّهم غفلوا عن أن يكون خروجهم هو الفساد بعينِهِ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ نَهانَا عن الخروج علىٰ الوُلَاة المسلمين، فالخوارج يزعمون أنَّهم يريدون أن يمنعُوا الفواحشَ، وأن يقيمُوا الصَّلاةَ، ولكن لماذا لا يعتنون بالتَّوْحيد، ولا يمنعون الشِّرْك الَّذي حَرَّمه الله وجعله مُوجِبًا لحرمان العبد من الجَنَّة، وموجبًا للخلود في النَّار، والعياذ بالله؟!

لماذا يتساهلون فيه؟!

هذا يدلُّ علىٰ أنَّهم لا يمتثلون أمر الله ورسوله، وإنَّما يمتثلون أمْرَ قادتِهم الَّذين كرهُوا الفواحش، ولم يكرهوا الشِّركَ! والسَّببُ في ذلك أنَّ النِّحلة الصُّوفيَّة واقعةٌ في الشِّرك هي بنفسها، فكونهم يتركون العقائد، ويُعنون بالفضائل، ويُحاربون الفواحش، ولا يحاربون الأُمُور الَّتي تبطل العقائدَ، ولا

يذكرونها، ولا يتكلَّمون فيها، بل رُبَّما قال بعضهم: «توحيد توحيد توحيد، الزَّمان كلُّه توحيد، شرك شرك شرك، الزمان كلّه شرك، فواحش تُعمَل وما زلنا نقول: توحيد وشرك؟!».

سبحان الله! التَّوحيدُ به يدخلُ العبدُ في الإسلام، ولا يكون لعبدٍ إسلامٌ إلَّا بدخوله في التَّوْحيد؛ بشهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ، فإذا كان هذا أمرهم وهذه عقيدتهم فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ومنذ عرف النَّاسُ الإسلامَ، وخرَج الخوارجُ في عهد عليٍّ بن أبي طالب، لَمْ تَقُمْ لهم دولةٌ، بل وفي كلِّ زمانٍ يقومون، لم تَقُمْ لهم دولةٌ، وإنْ قام لهم بعض الشَّيء، فإنَّه يَتلَاشىٰ، وينصر الله المسلمين عليهم.

أضِفْ إلىٰ أنَّ الخوارج الأوَّلين كانوا مُوحِّدين، لَكِنَّ هؤلاء الخوارج الَّذين في زماننا مشركون، قادتهم مشركون، والأتباع حينما يَرْضَون الشِّرك ويَأْتمُّون بأهله وأصحابه؛ فإنَّهم يكونون منهم والعياذ بالله، ونسأل الله ألَّا يبلغهم مآربهم.



السُّؤال ٤٧: يقولُ السَّائل: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

هل هذا الغلام يُعذَّب في الآخرة ويدخلُ النَّار مع العلم أنَّه لم يرتكب معصيةً بعدُ، فكيف يُوفَّق بينه وبين الغلمان الَّذين يدخلون الجنَّة؟

الجواب: ما كلَّفنا الله بهذا العلم.

ثانيًا: أنَّ هذا الغلام قُتل قبل أن يبلغ الحِنث.

ثالثًا: أن هذا الغلام أبواه مؤمنان، فخُشي علىٰ إيمان أبويه منه، فقتله

الخضر؛ يعني: أنَّه لو تُرك، لأمكن أنَّه يُحوِّل عقيدة أبيه وأُمِّه، ولكن أراد الله أن يُقتَل قبل أن يبلغ الحنث حتَّىٰ لا يُعرِّض أبويه وإيمان أبويه للذَّهَاب، أمَّا مآله فنرجو أنْ يكون كغلمان المسلمين؛ لأنَّه لم يبلغ الحلم.



السُّؤال ٤٨: هنا بعضُ الأسئلة من خارج المملكة، وبعضها من مناطق المملكة، جاءنا سؤالٌ من الرِّياض يقول سائلُهُ: أحسن الله إليك يا شيخ، هل يَكْفُرُ من ينكر الحوض أو الصِّراط أو الميزان أو الشَّفاعة؟

الجواب: الظَّاهر أنَّه يَكْفُرُ؛ لأنَّ هذه ثابتةٌ بالتَّواتر، وقَدْ ذَكَرها اللهُ في القُرآن.



السُّؤال ٤٩: وهذا سؤالٌ مِن الكويت يقولُ سائلُهُ: جاء في الحديث ذِكْرُ عشرة فوارس، فهل هذا يدلُّ على أنَّه لا تُوجَد يومئذٍ آلاتٌ ومُعدَّاتٌ حَربيَّةٌ كما هو الواقع الآن؟ وأنَّ الفتح سيكون بالخُيُول؟

الجواب: الَّذي يظهر أنَّ إطلاق الفوارس يكون يومئذٍ يُطلَق علىٰ السَّيَّارات والمراكب الَّتي تكون في ذلك الوقت، وأنَّها سُمِّيت «فوارس» حتَّىٰ لا يحصل شكٌّ عند النَّاس حينما يُؤتَىٰ بشيءٍ لا يعرفونه؛ لأنَّ هذه الآلات قَدْ أشار إليها القرآن إشاراتٍ، وأشار إليها النَّبيُّ ﷺ، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

لو قيل: إنَّكم ستركبون علىٰ الحديد والنَّار، وستطيرون في الهواء، لَكَفَر كثيرٌ من النَّاس؛ لأنَّ النَّاس ينكرون الشَّيء الَّذي لا يألفونه، ولكنْ إشارات تَتضمَّن أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيخلق من المراكب ما لا تعلمون، ولا يمكن أن يُوضَّح

لكم الآن، لكن إذا وُجدت فسترونها، وتؤمنون بها، وتعلمون أنَّ القرآن حقٌّ؛ لأنَّه أشار إليها إشارةً.

كذلك أيضًا الآيات الَّتي في سورة (المؤمن)، وسُورَة (المُؤْمن) فيها المَرَاكب، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٧٩ - ٨١].

فالمهمُّ أنَّ القرآنَ أشارَ إلىٰ هذه الأشياء الَّتي ستَحْدث بإشاراتٍ يفهمها أهل العلم، وكذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فتَكُونُ السَّنَةُ كالشَّهْر، وَالشَّهْرُ كالجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الجُمُعَةُ كالْيَوم، وَيَكُونُ الْيَومُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةَ كالضَّرمَةِ[(١)] بالنَّارِ»[(٢)].

وكانَ النَّاس في الزَّمن القديم قبل حوالي سبعين سنةً، كانوا إذا أرادوا الحجَّ أو العمرة يذهبون من الرِّياض يسيرون شهرًا ذهابًا إلىٰ مكَّة، وشهرًا عودًا إلىٰ الرِّياض، هكذا حَدَّثونا، ومنهم شيخنا[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حَدَّثنا بذلك غير مَرَّةٍ، وكان النَّاس من جازان يسيرون إلىٰ مكَّة خمسة عشر يومًا إلَّا أنَّهم يترحَّلون في الذَّهاب فيجعلونها حوالي عشرين شَدَّةً[(٤)]، وعند الرُّجوع يسرعون، فيجعلونها ثلاث عشرة، أو أربع عشرة، أو خمس عشرة شَدَّةً.

والمهمُّ: أنَّ مسافةَ شهرٍ قديمًا تُقْطَعُ الآن في ساعةٍ علىٰ الطَّائرة، وقَدْ تَحقَّق

---

(١) يعني: الاشتعالة من النار؛ كناية عن سرعتها وانتهائها، «مجمل اللغة» بتصرف، مادة: ضرم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أي: الشيخ العلامة الإمام المجدِّد عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) أي: مرحلة.

الآن ما أَخْبَرَ اللهُ عنه ورسولُهُ ﷺ من تَقَارب الزَّمان، وأنَّه لا يجوز للإنسان أن يخوض فيما ذُكِرَ في القرآن بغير علمٍ، ويَنْبغي له أن يَتَّقي الله.



السُّؤال ٥٠: وهذا سؤالٌ من الإمارات يقول سائلُهُ: فضيلة الشَّيخ، ما هو ضابط الكُفر البواح؟

وإذا ظهر كفرٌ بواحٌ، ولم تكن الاستطاعة، فلا يخرج درءًا للمفسدة، ولكن هل تبقى له طاعةٌ في غير معصية الله؟

الجواب: الحقيقة، الكفر البواح هو الَّذي يُبيح المُحرَّمات، ويترك الفرائض، ولا يأمر بالصَّلاة، بل يُحرِّمها ويحظرها، فهذا لا شكَّ أنَّه كفرٌ، وعلىٰ كلِّ حالٍ، الخروجُ يُبَاح عند الكفر البواح، وعند عدم إقامة الصَّلاة، إذا لم تُقم الصَّلاة، وأُبِيحَتِ المُحرَّمات، وأظهر الكفر، ولم يَتحاشَ وُلَاة الأمر من إظهاره، فعندئذٍ يجوز الخروج.



السُّؤال ٥١: وهذا سُؤالٌ مِن الكويت يقول سائلُهُ: هل مَنْ يُهيِّجُ بالخروج على الحُكَّام يُعتبَرُ خارجيًّا، وبالتَّالي يَستحِقُّ كلَّ ما يترتَّب على الخوارج من أحكامٍ؟

الجوابُ: علىٰ كلِّ حالٍ، هذا خروجٌ بالقول، والخروجُ بالقولِ يَترتَّب عليه الخروجُ بالفعل، إلَّا أنَّ الخوارج قبل الخروج يُستَتابُونَ، أو يُعزَّرون إذا عُلِموا، أمَّا إنَّه يجوز قَتْلهم قبل الخروج، فالظَّاهر أنَّه لا يجوز إلَّا إذا خرجوا بالفعل، لقوله ﷺ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢)، من حديث عرفجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله أَنْ يجمعنا وإِيَّاكم في دار كرامته، وأَنْ يجمعَ قلوبَنَا في الدُّنيا علىٰ طاعته، وأَنْ يرزقنا حُسْنَ الخاتمة جميعًا. اللَّهمَّ صلِّ وسَلِّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.



القول الحثيث
على عقيدة أهل الحديث

(من مقالات الإسلاميّين)

للإمام أبي الحسن الأشعري

تأليف

فضيلة الشيخ العلّامة

أحمد بن يحيى النّجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن منصور الدغريري

مقدّمة المحقّق

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ الأنبياءِ والمُرسلين؛ نبيِّنا مُحمَّدٍ عليه من ربِّه أفضلُ الصَّلاة والتَّسليم، ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فهذه تعليقاتٌ مباركةٌ علىٰ عقيدةِ الإمام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي مُستلَّة مِن كتاب «مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين»؛ فقد عقَد فيه الإمامُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا بعنوان: «حكايةُ جملةِ قولِ أصحاب الحديثِ وأهل السُّنَّة»[(١)].

وقد قامَ بشرحِها فضيلةُ الدُّكتور: محمَّد بن عبد الرَّحمن الخُمَيِّس ضِمن كتاب أسماهُ: «اعتقاد أئمَّة السَّلف أهل الحديث»؛ لأنَّ الإمامَ أبا الحسن الأشعريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأها بقوله: «هذه حكايةُ جملةِ قولِ أصحاب الحديث وأهل السُّنَّة؛ جملة ما عليه أهل الحديث والسُّنَّة:...»، وذكَر في كتابه هذا: «القسم الثَّالث: شرح اعتقادِ أهل الحديثِ الَّذي قرَّره الإمامُ الأشعريُّ في «مقالاته»[(٢)].

وقد قام بالتَّعليق علىٰ هذه العقيدةِ للإمام أبي الحسن الأشعريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخُنا العلَّامةُ المحدِّث: أحمدُ بن يحيىٰ بن محمَّد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد أحببتُ إخراجَها؛ ليَطَّلِع عليها عُلماءُ السُّنَّة وطُلَّابُها.

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين» (١/٢٢٦-٢٢٩)، لأبي الحسن الأشعري، المكتبة العصريَّة، الطَّبعة الأولىٰ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

(٢) انظر: «اعتقاد أئمَّة السَّلف أصحاب الحديث» (٢١٣-٣٥٥)، دار إيلاف الدَّولية للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة الأولىٰ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

وكان ذلك وَفْق الخُطوات العلميَّة المنهجيَّة التَّالية:

١- إثبات الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العُثمانيِّ، وعزوُها إلىٰ مَواضِعها في المُصحف الشَّريف.

٢- تخريج الأحاديثِ بمنهج مُوحَّدٍ، وقد اعتمدنا في التَّخريجات علىٰ كتُبِ الحديث ذات التَّرقيمات المعتمدة؛ كترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد اكتفينا بتخريج الحديث إنْ كان في الصَّحيحَينِ أو أحدِهما بذِكْر رقمِه، وإن كان في غيرهما أوردنا حُكم الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه غالبًا.

٣- تخريج الآثار مِن كتُب التَّفاسير وكتُب السُّنَّة.

٤- عزو النُّقولات إلىٰ مصادرها مِن كتُب أهلِ العلم.

٥- أثبتْنا الأحاديث الَّتي أوردها الشيخ أثناء التَّعليق بالمعنىٰ من كتُب السُّنَّة بألفاظها؛ لتَّتضح الفائدة مِن ذِكْرِها.

٦- شَرْحُ الغريب مِن كتُب الشُّروح المُعتمدة وكتُب اللُّغة.

٧- أوردْنا بعضَ التَّعليقات الَّتي رأيناها لازمةً لإيضاح المعنىٰ.

٨- وضعْنا عناوين لفقرات الكتاب المشروح تيسيرًا علىٰ القارئ حتَّىٰ يصل إلىٰ بُغيته بِيُسر.

واللهَ أسألُ أن ينفع بعلم شيخنا النَّجمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأن يَصِل ثوابُ هذه التَّعليقات إليه في قبره ويوم الدِّين، وأنْ يجزيَ خيرًا كلَّ مَن ساهم معي في إخراجها بهذه الصُّورة الطَّيِّبة.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

حسن بن محمَّد بن منصور دغريري

(٥/ ١٢/ ١٤٣١هـ)

ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعريِّ

رحمه الله تعالى

قال الشَّيخ العلَّامة حمَّادُ الأنصاريُّ رحمه الله تعالى في مُقدِّمته علىٰ تحقيق كتاب «الإبانة عن أصول الدِّيانة»: «لمَّا كان أكثرُ النَّاس في الأقطار الإسلاميَّة مَنْ ينتسبُ إلىٰ عقيدة أبي الحسن الأشعريِّ، ومع ذلك لا يعرفُ شيئًا عن أبي الحسن الأشعريِّ، ولا عن عقيدته الَّتي استقرَّ عليها أمرُه أخيرًا، واستحقَّ بها أنْ يكونَ مِن الأئمَّةِ المُقتَدىٰ بهم؛ أحبَبْنا أنْ نُفيدَ أولئك عن حقائق هذا الإمام المجهول عند كثيرٍ مِمَّن ينتسبُ إليه، ويَنتحلُ عقيدتَه، حسَب ما تتبَّعنا من المراجع المُعتبَرة.

وقبْلَ كلِّ شيءٍ نُتحفُ القارئ بنُبْذةٍ قليلةٍ مِن ترجمة الأشعريِّ.

فأقولُ وبالله أستعينُ:

التَّعريف بالإمام:

هو عليُّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسىٰ بن أبي بُردة بن أبي مُوسىٰ الأشعريِّ، وُلِدَ سنةَ سِتِّين ومئتين (٢٦٠) من الهجرة النَّبويَّة.

دخَل هذا الإمامُ بغداد، وأخَذ الحديثَ عن الحافظِ زكريَّا بن يحيىٰ السَّاجي أحد أئمَّة الحديث والفقه، وعن أبي خليفة الجمحي، وسهل بن سرح، ومحمَّد بن يعقوب المقري، وعبد الرَّحمن بن خلف البصريِّين، وروىٰ عنهم

كثيرًا في تفسيره (المختزن)، وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمّه أبي عليٍّ الجُبَّائيّ شيخ المُعتزلة.

ولمَّا تَبحَّر في كلام الاعتزال، وبلَغ فيه الغاية، كان يُورِدُ الأسئلةَ علىٰ أُستاذه في الدَّرس، ولا يجدُ فيها جوابًا شافيًا، فتحيَّر في ذلك؛ فحُكِيَ عنه أنَّه قال: وقع في صدْري في بعض اللَّيالي شيءٌ مِمَّا كنتُ فيه مِن العقائد، فقُمتُ وصَلَّيتُ ركعتين، وسألتُ الله تعالىٰ أنْ يهديَني الطَّريقَ المستقيمَ، ونمتُ، فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فشَكوتُ إليه بعضَ ما بي من الأمر، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «عَلَيكَ بسُنَّتي». فانتبهتُ! وعارضتُ مسائل الكلام بما وجدتُ في القرآن والأخبار، فأثبتُّه، ونبذتُ ما سواه ورائي ظهريًّا[(١)].

قال أبو بكر أحمدُ بن عليّ بن ثابتٍ، المعروف بالخطيب البغداديّ المُتوفَّىٰ سنة (٤٦٣ هـ)، في تاريخه المشهور[(٢)]: «أبو الحسن الأشعريُّ المُتكلِّم، صاحبُ الكتُب والتَّصانيف في الرَّدِّ علىٰ المُلحِدَة، وغيرُهم من المعتزلة والرَّافضة والجهميَّة والخوارج، وسائر أصناف المُبتدعة». إلىٰ أن قال: «وكانتْ المعتزلة قد رفعُوا رؤوسَهم حتَّىٰ أظهرَ اللهُ تعالىٰ الأشعريَّ، فحجرهم في أقماع السّمسم!».

قال ابن فرحون في «الدِّيباج»[(٣)]: «أثنىٰ علىٰ أبي الحسَن الأشعريِّ أبو مُحمَّد بن أبي زيد القَيرواني، وغيره مِن أئمَّة المسلمين».

---

(١) انظر: «طبقات الشَّافعيَّة الكُبرىٰ» للسبكي (٣/٣٤٨ - ٣٤٩)، و«الدِّيباج المذهَّب في معرفة أعيان عُلماء المَذهب» أي: مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، لابن فرحون (٢/٩٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (١١/٣٤٦).

(٣) انظر: «الدِّيباج المذهَّب» (٢/٩٤).

وقال ابنُ العِمَاد الحنبليّ في «الشَّذرات»[1] (٢/ ٣٠٣): «ومِمَّا بَيَّض به أبو الحسن الأشعري وُجوهَ أهل السُّنَّةِ النَّبويَّة، وسوَّد به راياتِ أهل الاعتزالِ والجهميَّة، فأبان به وجْهَ الحقِّ الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعِرفانِ أثلَج: مُناظرتُه مع شيخِه الجُبَّائي، الَّتي بها قصم ظَهْرَ كُلِّ مُبتدعٍ مُراءٍ».

قال ابنُ العِمادِ: «وفي هذه المُناظرة دلالةٌ علىٰ أنَّ الله تعالىٰ خَصَّ مَنْ شاء برحمته، واختصَّ آخر بعذابه». اهـ

قال الشيخ حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبعد ذِكْر هذه التُّحفة مِن ترجمةِ هذا الإمام، نذكُر فيما يلي إثباتَ رُجوعِه عن الاعتزال، وإثبات نسبة الإبانة إليه، وننقُلُ ذلك من المراجع الموثوق بها.

فنقولُ، وبالله التَّوفيقُ:

رُجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزالِ إلى عقيدةِ السَّلَف:

قال الحافظُ مُؤرِّخ الشَّام أبو القاسم عليُّ بن الحسَن بن هِبة الله بن عساكر الدِّمشقيّ المُتوفَّىٰ سنة (٥٧١ هـ) في كتابه «التَّبيين»[2]:

«قال أبو بكر إسماعيل بن أبي محمَّد بن إسحاق الأزديّ القيروانيّ المعروف بابن عزْرة: إنَّ أبا الحسن الأشعري كان مُعتزليًّا، وإنَّه أقام علىٰ مذهب الاعتزال أربعين سنةً، وكان لهم إمامًا، ثُمَّ غاب عن النَّاس في بيته خمسة عشر يومًا، فبعْد ذلك خرَج إلىٰ الجامع بالبصرة، فصعدَ المنبر بعد صلاةِ الجُمعةِ، وقال: معاشرَ النَّاس، إنِّي إنَّما تغيَّبتُ عنكُم في هذه المُدَّة؛ لأنِّي نظرت، فتكافأَتْ

---

(١) «شذراتُ الذَّهب» (٢/ ٣٠٣).

(٢) «تبيين كذِب المُفتري فيما نُسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري» (ص ٣٩ - ٤٠، ١١٣).

عندي الأدلَّة، ولم يترجَّح عندي حقٌّ علىٰ باطلٍ، ولا باطلٌ علىٰ حقٍّ، فاستهديتُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهداني إلىٰ ما أودعته في كتُبي هذه، وانخلعتُ مِن جميع ما كنتُ أعتقدُه، كما انخلعتُ مِن ثوبي هذا، وانخلع مِن ثوبٍ كان عليه، ورمىٰ به، ودفَع الكتُبَ إلىٰ النَّاس، فمنها كتاب «اللُّمع»[(١)]، وغيره مِن تواليفِه الآتي ذكرُ بعضِها قريبًا إنْ شاء الله.

فلمَّا قرأ تلك الكتبَ أهلُ الحديث والفقه مِن أهل السُّنَّة والجماعة، أخذُوا بما فيها، وانتحلُوه، واعتقدوا تقدُّمه، واتَّخذُوه إمامًا، حتَّىٰ نُسبَ مذهبُهم إليه، فصار عند المُعتزلة ككتابيٍّ أسلمَ، وأظهرَ عوَارَ ما تركَه، فهو أعدَىٰ الخَلْق إلىٰ أهل الذِّمَّة.

وكذلك أبو الحسن الأشعريُّ أعْدَىٰ الخلْق إلىٰ المُعتزلة، فهم يُشنِّعون عليه، وينسبون إليه الأباطيل..».

«وليس طولُ مقام أبي الحسن الأشعريِّ علىٰ مذهب المُعتزلة مِمَّا يفضي به إلىٰ انحطاطِ المنزلة، بل يقضي له في معرفة الأصول بعُلوِّ المرتبة، ويدلُّ عند ذوي البصائر له علىٰ سُمُوِّ المنقبة؛ لأنَّ مَنْ رجع عن مذهبٍ كان بعوارِه أَخْبَرَ، وعلىٰ ردِّ شُبَه أهلِه وكشْف تمويهاتهم أقْدَرَ، وبتبيين ما يُلبِّسون به لمَنْ يهتدِي باستبصاره أبْصَرَ، فاستراحةُ مَنْ يُعيِّره بذلك كاستراحةِ مُناظِر هارون بن موسىٰ الأعور...»[(٢)].

«واتَّفق أصحابُ الحديث أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ كان إمامًا مِن أئمَّة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلَّم في أصول الدِّيانات

---

(١) أي: كتاب «اللُّمع في الرَّدِّ علىٰ أهل الزَّيغ والبدَع»، الَّذي ألَّفه بعد أنْ تاب مِن القول بمذهب المُعتزلة؛ وقام بالرَّدِّ عليهم فيه، وفضح مذاهبهم وأقوالهم.

(٢) انظر: «تبيين كذب المفتري» (ص ٩٢، ٩٣).

علىٰ طريقة أهل السُّنَّة، وردَّ علىٰ المُخالفين من أهل الزَّيْغ والبدعة، وكان علىٰ المعتزلة والرَّوافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن المِلَّة سيفًا مَسلُولًا. ومَنْ طعن فيه أو سبَّه فقد بسط لسان السُّوء في جميع أهل السُّنَّة»(١).

«ولم يكُن أبو الحسن الأشعري أوَّلَ مُتكلِّمٍ بلسان أهل السُّنَّة، وإنَّما جرىٰ علىٰ سنن غيره، وعلىٰ نصرة مذهبٍ معروفٍ، فزاده حُجَّةً وبيانًا، ولم يَبتدعْ مَقالةً اخترعَها، ولا مذهبًا انفردَ به، وليس له في المذهب أكثر من بَسْطِه وشَرْحِه كغيره من الأئمَّة»(٢).

وقال أبو بكر بن فُورك: «رجع أبو الحسن الأشعريُّ عن الاعتزال إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة سنة (٣٠٠ هـ)»(٣).

العلماءُ القائلون برُجوع أبي الحسن الأشعريِّ عن الاعتزال إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة:

١- أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن خَلِّكان الشَّافعي، المُتوفَّىٰ سنة (٦٨١ هـ)، قال في «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٤٦): «كان أبو الحسن الأشعريُّ معتزليًّا، ثمَّ تاب».

٢- عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيلُ بن عُمَر بن كثير القرشيّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ، المُتوفَّىٰ سنة (٧٧٤ هـ)، قال في «البداية والنِّهاية» (١١/ ١٨٧): «إنَّ الأشعريَّ كان معتزليًّا، فتاب منه بالبصرة فوق المنبر، ثمَّ أظهر فضائح المعتزلة، وقبائحَهم».

---

(١) انظر: «تبيين كذب المفتري» (ص ١١٣).

(٢) انظر: «تبيين كذب المفتري» (ص ١١٨).

(٣) انظر: «تبيين كذِب المُفتري» (ص ١٢٧).

ثمَّ قال ابن كثير: «ذكروا للشَّيخ أبي الحسن الأشعريِّ ثلاثة أحوالٍ:

أوَّلها: حال الاعتزال الَّتي رجع عنها لا محالة.

والحال الثَّاني: إثبات الصِّفات العقليَّة السَّبعة، وهي: الحياة، والعلم، والقُدرة، والإرادة، والسَّمع، والبصر، والكلام. وتأويل الخبريَّة، كالوجه، واليدين، والقدم، والسَّاق، ونحو ذلك.

والحال الثَّالث: إثبات ذلك كلِّه مِن غير تكييفٍ، ولا تشبيهٍ؛ جريًا على مِنْوال السَّلف، وهي طريقته في «الإبانة» الَّتي صنَّفها آخرًا»[١]. اهـ.

٣- شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عُثمان الدِّمشقيّ الشَّافعيّ الشَّهير بـ«الذَّهبيّ» المُتوفَّى سنة (٧٤٨ هـ) قال في كتابه «العلوّ للعليِّ الغفَّار»[٢]: «كان أبو الحسن أوَّلًا مُعتزليًا، أخذ عن أبي عليٍّ الجُبَّائي، ثمَّ نابذه وردَّ عليه، وصار مُتكلِّمًا للسُّنَّة، ووافق أئمَّة الحديث، فلو انتهى أصحابُنا المُتكلِّمون إلى مقالة أبي الحسن، ولزموها لأحسنُوا، ولكنَّهم خاضوا كخَوْض حُكماء الأوائل في الأشياءِ، ومَشَوْا خلْف المَنطقِ، فلا قُوَّةَ إلَّا بالله!».

وبهذه النُّقول عن هؤلاء الأعلام ثبَت ثُبوتًا لا شكَّ فيه ولا مريةَ أنَّ أبا الحسَن الأشعريَّ استقرَّ أمرُه أخيرًا بعد أنْ كان مُعتزليًا على عقيدة السَّلف الَّتي جاء بها القُرآن الكريم، وسُنَّة النَّبيِّ عليه أزكى الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم.

إثبات صحَّة نسبة كتاب «الإبانة» لأبي الحسن الأشعريِّ:

وبعد إتمام هذا الحديث حول رُجوعه عن الاعتزال، نقرأُ بحثًا ثانيًا في صِحَّة

---

(١) «طبقاتُ الشَّافعيِّين» (١/ ٢١٠ الثَّقافة الدِّينيَّة)، ونقله عنه المُرتضى في «إتحاف السَّادة المُتَّقين» (٢/ ٣).

(٢) «العلوُّ للعليِّ الغفَّار» (ص٢٢١- ٢٢٢ أضواء السلف).

نسبة «الإبانة في أصول الدِّيانة» إليه ردًّا علىٰ بعض الأغمار الَّذين زعموا أنَّها مدسوسةٌ عليه، وهذا هو بيتُ القصيدِ، فنقولُ وبالله نستعينُ:

١- قال الحافظ ابنُ عساكر في كتابه «تبيين كذِب المُفتري» (ص ١٢٨): «وتصانيفُ أبي الحسَن الأشعريِّ بَيْن أهل العلم مَشهورةٌ معروفةٌ، وبالإجادة والإصابة للتَّحقيق عند المُحقِّقين مَوصُوفةٌ، ومَنْ وقف علىٰ كتابه المُسمَّىٰ بـ «الإبانة»، عرف موضعه مِن العلْم والدِّيانة...».

ثمَّ قال - في صفحة (١٥٢) -: «فإذا كان أبو الحسَن كما ذُكر عنه مِن حُسن الاعتقادِ، مُسْتَصْوَبَ المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يُوافقه في أكثر ما يذهبُ إليه أكابر العِباد، ولا يقدحُ في مُعتقدِه غيرُ أهل الجهل والعناد، فلابدَّ أن نحكي عنه معتقده علىٰ وجهه بالأمانة، ونَتجنَّب أنْ نزيد فيه أو ننقص منه تركًا للخيانة، لتُعلم حقيقة حاله في صِحَّة عقيدته في أصول الدِّيانة، فاسمع ما ذكره في أوَّل كتابه الَّذي سَمَّاه بـ «الإبانة»، وذكر ما يأتي في آخر الرِّسالة إن شاء الله تعالىٰ».

ثمَّ قال في صفحة (١٧١)، في جُملةِ أبياتٍ نسبها لبعض المُعاصرين له:

لَـــوْ لَـــمْ يُصَـــنِّفْ عُمْـــرَهُ غَيْـــرَ الإِبَانَـــةِ وَاللُّمَـــعْ
لَكَفَـــىٰ فَكَيْـــفَ وَقَـــدْ تَفَنْـــ ـــنَنَ فِي العُلُـــومِ بِمَـــا جَمَـــعْ
مَجْمُوعَـــةً تُرْبِـــي عَلَـــىٰ الْـــ ـــمِـــائَتَينِ مِمَّـــا قَـــدْ صَنَـــعْ
لَـــمْ يَـــأْلُ فِي تَـــصْنِيفِهَا أَخْـــذًا بِأَحْسَـــنِ مَـــا اسْـــتَمَعْ
فَهَـــدَىٰ بِهَـــا المُسْتَرْشِدِيـــ ـــنَ وَمَـــنْ تَصَـــفَّحَهَا انْتَفَـــعْ
تُتْلَـــىٰ مَعَـــانِي كُتْبِـــهِ فَـــوْقَ المَنَـــابِرِ فِـــي الجُمَـــعْ
وَيَخَـــافُ مِـــنْ إِفْحَامِـــهِ أَهْـــلُ الكَنَـــائِسِ وَالبِيَـــعْ

فَهُوَ الشَّجَا فِـي حَلْـقِ مَـنْ   تَـرَكَ الْمَحَجَّـةَ وَابْتَـدَعْ

٢- مِمَّن عزَا «الإبانة» إلىٰ أبي الحسن الأشعريِّ، الحافظُ الكبيرُ أبو بكر أحمد بن الحُسين بن عليّ البيهقيّ الشَّافعيّ، المُتوفَّىٰ سنة (٤٥٨ هـ)، قال في كتابه «الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرَّشاد» في باب: القول في القرآن، صفحة (٣١): «ذكَر الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما دلَّ علىٰ أنَّ ما نتلُوه مِن القُرآن بألسنتِنا، ونسمعُه بآذانِنا، ونكتبُه في مصاحفنا؛ يُسمَّىٰ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كلَّم به عبادَه بأَنْ أرسلَ به رسولَه ﷺ، وبمعناه ذكَره أيضًا عليُّ بن إسماعيل في كتاب (الإبانة)».

٣- ممَّن ذكَر أنَّ (الإبانة) تأليف أبي الحسن الأشعريِّ: أبو القاسم عبد المَلك بن عيسىٰ بن دِرْباس الشَّافعي المُتوفَّىٰ سنة (٦٠٥ هـ)، قال في رسالته «الذَّبُّ عن أبي الحسن الأشعريِّ»[1]: «اعلمُوا معشرَ الإخوانِ أنَّ كتاب «الإبانة عن أصول الدِّيانة» الَّذي ألَّفه الإمام أبو الحسن عليُّ بنُ إسماعيل الأشعريّ هو الَّذي استقرَّ عليه أمْرُه فيما كان يَعتقدُه، وبه كان يدينُ اللهَ سُبحانه وتعالىٰ بعدَ رُجوعِه مِن الاعتزال بِمَنِّ الله وَلُطفِه، وكلُّ مقالةٍ تُنسَبُ إليه الآن مِمَّا يُخالفُ ما فيه، فقد رجَع عنها، وتبرَّأ إلىٰ الله سبحانه منها، وكيف وقد نصَّ فيه علىٰ أنَّه ديانتُه الَّتي يَدينُ اللهَ سبحانَه بها».

٤- ومِمَّنْ ذكَر (الإبانة)، ونَسبها إلىٰ أبي الحسنِ الأشعريِّ: شيخ الإسلام تقي الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام الشَّهير بابن تيمية، المُتوفَّىٰ سنة (٧٢٨ هـ).

قال فِي «الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ» صفحة (٧٠): «قال أبو الحسَن الأشعريُّ فِي كتابِ الَّذي سَمَّاه «الإبانة في أصول الدِّيانة»، وقد ذكَر أصحابُه أنَّه آخرُ كتابٍ

---

(١) رسالة «الذَّبّ عن أبي الحسن الأشعري» (ص١٠٧-١٠٨).

صنَّفه، وعليه يعتمدون في الذَّبِّ عنه عند مَنْ يطعن عليه، فقال: فصلٌ في إبانة قول أهلِ الحقِّ والسُّنَّة، وذكَر ما في أوَّل كتاب «الإبانة» بحروفِه، وسيأتي ذكره - إن شاء الله - قريبًا».

٥- وممَّن عزاها إلىٰ أبي الحسن الأشعريِّ شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب الزُّرَعي، المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة الحنبليّ الدِّمشقيّ، المُتوفَّىٰ سنة (٧٥١ هـ)، قال في كتابه: «اجتماع الجيوش الإسلاميَّة علىٰ غزو المُعطِّلة والجهميَّة»؛ الطبعة الهندية صفحة (١١١): «قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولمَّا رجع الأشعريُّ عن مذهب المعتزلة، سلك طريق ابن كلَّاب، ومال إلىٰ أهل السُّنَّة والحديث، وانتسب إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل، كما قد ذكَر ذلك في كتُبه كلِّها كـ «الإبانة»، و«الموجز» و«المقالات»، وغيرها».

وقال ابنُ القيِّم في «قصيدتِه النُّونيَّة» الَّتي سمَّاها «الكافية الشَّافية في الانتصار للفِرقة النَّاجية» الطَّبعة المصريَّة صفحة (٦٨):

وَالأَشْعَرِيُّ يَقُولُ تَفْسِيرُ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ ... بِحَقِيقَةِ (اسْتَوْلَىٰ) مِنَ الْبُهْتَانِ

هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الاعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتْـ ... ـبَاعِ لِجَهْمٍ وَهْوَ ذُو بُطْلَانِ

فِي كُتْبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ) ... وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ) بِبَيَانِ

وقال في صفحة (٦٩) من الكتاب المذكور آنِفًا:

وَحَكَىٰ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (تَمْهِيدِهِ) ... وَكِتَابِ (الاسْتِذْكَارِ) غَيْرَ جَبَانِ

إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللهَ فَوْ ... قَ الْعَرْشِ بِالإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ

وَأَتَىٰ هُنَاكَ بِمَا شَفَىٰ أَهْلَ الْهُدَىٰ ... لَكِنَّهُ مَرَضٌ عَلَىٰ الْعُمْيَانِ

وَكَذَا عَلِيُّ الأَشْعَرِيُّ فَإِنَّهُ ... فِي كُتْبِهِ قَدْ جَاءَ بِالتِّبْيَانِ

مِـنْ (مُـوجَزٍ) و(إِبَانَـةٍ) وَ(مَقَالَـةٍ) وَ(رَسَـائِلٍ لِلثَّغْـرِ) ذَاتِ بَيَـانِ
وَأَتَـىٰ بِتَقْرِيـرِ اسْتِوَاءِ الـرَّبِّ فَـوْ قَ العَـرْشِ بالإِيـضَاحِ وَالبُرْهَـانِ
وَأَتَـىٰ بِتَقْرِيـرِ العُلُـوِّ بِأَحْسَـنِ التَّـ قْرِيـرِ فَـانْظُرْ كُتْبَـهُ بِعِيَـانِ

قلتُ: وهذه نقولُ الأئمَّة الأعلام (أعلام الإسلام)، قَدْ تَضمَّنت بالصَّراحة الَّتي لا يتناطحُ عليها عنزان[1]، ولا يمتري فيها اثنان، أنَّ كتاب «الإبانة» ليس مدسوسًا علىٰ أبي الحسن الأشعريِّ كما زعمه بعضُ الأغمار مِن المُقلِّدة؛ بل هو من تأليفاته الَّتي ألَّفها أخيرًا، واستقرَّ أمْرُهُ علىٰ ما فيها مِن عَقيدةِ السَّلف الَّتي جاءَتْ في القُرآن الكريم، وسُنَّة النَّبيِّ عليه أفضلُ الصَّلاة، وأتمُّ التَّسليم».

انتهىٰ ما أردت نقلَه مِن ترجمةِ الإمام أبي الحسن الأشعري للشَّيخ العلَّامة حمَّاد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتصرُّفٍ واختصار.



(١) أي: لا يختلف فيه اثنان.

نصُّ عقيدة الإمام الأشعريِّ
مِن كتابه «مقالات الإسلاميِّين»

فصلٌ

حكايةُ جُملةِ قولِ أصحابِ الحديثِ وأهلِ السُّنَّة مِن كتاب «مقالات الإسلاميِّين» لأبي الحسَن الأشعريِّ:

هذه حكايةُ جُملةِ قولِ أصحاب الحديث وأهل السُّنَّة؛ جملةُ ما عليهِ أهلُ الحديثِ والسُّنَّة: الإقرارُ بالله وملائكته وكتُبه ورسُله، وما جاء مِن عند الله، وما رواه الثِّقاتُ عن رسولِ الله ﷺ، لا يَردُّون مِن ذلكَ شيئًا، وأنَّ اللهَ سبحانه إلهٌ واحدٌ فردٌ صمَدٌ لا إلهَ غيرُه، لم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولَدًا، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ الجنَّةَ حقٌّ، وأنَّ النَّارَ حقٌّ، وأنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعثُ مَنْ في القُبور.

وأنَّ اللهَ سبحانه علىٰ عرشِه، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وأنَّ له يدين بلا كيفٍ، كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وأنَّ له عينَين بلا كيفٍ، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]. وأنَّ له وجهًا، كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن: ٢٧].

وأنَّ أسماءَ الله لا يقال: إنَّها غيرُ الله، كما قالتْ المُعتزلةُ والخوارجُ.

وأَقرُّوا أنَّ لله سبحانه عِلمًا، كما قال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النِّساء: ١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

وأَثبتُوا السَّمعَ والبصرَ، ولم ينفُوا ذلك عن الله كما نَفتْه المُعتزلةُ.

وأَثبتُوا لله القُوَّة، كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وقالُوا: إنَّه لا يكونُ في الأرض مِن خيرٍ ولا شرٍّ إلَّا ما شاء الله، وأنَّ الأشياءَ تَكونُ بمشيئةِ الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وكما قال المُسلمون: ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لا يشاءُ لا يكونُ.

وقالُوا: إنَّ أحدًا لا يَستطيعُ أنْ يفعلَ شيئًا قبْل أنْ يفعلَه، أو يكون أحدٌ يقدر أنْ يخرجَ عنْ عِلْم الله، أو أنْ يفعلَ شيئًا عِلِمَ اللهُ أنَّه لا يفعلُه، وأَقرُّوا أنَّه لا خالقَ إلَّا اللهُ، وأنَّ سَيِّئات العبادِ يَخلقُها الله، وأنَّ أعمالَ العِباد يَخلُقها اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ العبادَ لا يَقدرُون أنْ يَخلقُوا منها شيئًا.

وأنَّ اللهَ سبحانَه وَفَّق المُؤمنين لطاعتِه، وخذَل الكافرين، ولطَف بالمُؤمنين، ونظَر لهم وأصلَحهم وهداهُم، ولم يلطُف بالكافرين، ولا أصلَحُهم، ولا هدَاهُم، ولو أصلَحهم لكانُوا صَالحين، ولو هداهم لكانُوا مُهتدِين.

وأنَّ اللهَ سبحانه يَقدرُ أنْ يُصلحَ الكافرين ويلطُفَ بهم حتَّىٰ يكُونُوا مُؤمنين، ولكنَّه أراد ألَّا يُصلحَ الكافرين ويلطُف بهم حتَّىٰ يَكونُوا مُؤمنين، ولكنَّه أراد أنْ يكُونوا كافرين كما عِلِمَ، وخَذلَهم وأَضلَّهم، وطبَع علىٰ قُلوبِهم.

وأنَّ الخيرَ والشَّرَّ بقضاءِ الله وقَدَره، ويُؤمنُون بقضاءِ الله وقَدَره خيرِهِ وشرِّه، حُلوِهِ ومُرِّهِ، ويُؤمنون أنَّهم لا يَملكُون لأنفسِهم نَفعًا ولا ضرًّا إلَّا ما شاء الله كما قال، ويُلجئون أمْرَهم إلىٰ الله سبحانَه، ويُثبتون الحاجة إلىٰ الله في كلِّ وقتٍ، والفقر إلىٰ الله في كلِّ حالٍ.

ويقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، والكلام في الوقف واللَّفظ، مَنْ قال باللَّفظ أو بالوقف فهو مُبتدعٌ عندهم، لا يُقال: اللَّفظُ بالقُرآن مَخلوقٌ، ولا يُقالُ: غيرُ مَخلوقٍ.

ويقولونَ: إنَّ اللهَ سبحانه يُرَىٰ بالأبصار يوم القيامة كما يُرىٰ القَمرُ ليلةَ البدر، يراه المُؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنَّهم عن الله مَحجوبُون، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المُطفِّفين: ١٥].

وأنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سأَل اللهَ - سبحانه - الرُّؤيةَ في الدُّنيا، وأنَّ اللهَ سُبحانه تَجلَّىٰ للجبل فجعلَه دكًّا، فأعلَمه بذلك أنَّه لا يراه في الدُّنيا، بل يراه في الآخرةِ.

ولا يُكَفِّرون أحدًا مِن أهل القِبلةِ بذنْبٍ يرتكبُه؛ كنحو الزِّنا والسَّرقة وما أشبهَ ذلك مِن الكبائر، وهم بما معهم مِن الإيمان مؤمنون وإنْ ارتكبُوا الكبائر.

والإيمانُ عندَهم هو الإيمانُ باللهِ وملائكتِه وكتُبه ورُسلِه وبالقدَر خَيرِهِ وشرِّهِ، حُلوِهِ ومُرِّهِ، وأنَّ ما أخطأَهم لم يكن لِيُصيبَهم، وما أصابَهم لم يكُن ليُخطئَهم.

والإسلامُ هو أنْ يَشهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، علىٰ ما جاء في الحديث، والإسلامُ عندهم غيرُ الإيمان.

ويُقرُّون بأنَّ اللهَ - سبحانه - مُقلِّب القُلوب.

ويُقرُّون بشفاعةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّها لأهل الكبائر مِن أُمَّته وبعذاب القبْر، وأنَّ الحوضَ حقٌّ، والصِّراطَ حقٌّ، والبعثَ بعد الْموتِ حقٌّ، والمُحاسبة مِن الله عَزَّوَجَلَّ للعباد حقٌّ، والوقوف بين يدي اللهِ حقٌّ.

ويُقرُّون بأنَّ الإيمانَ قَولٌ وعَملٌ، يزيدُ وينقصُ، ولا يقولون: مخلوقٌ، ولا غير مخلوقٍ، ويقولون: أسماءُ الله هي الله.

ولا يشهدون على أحدٍ من أهل الكبائر بالنَّار، ولا يحكمون بالجنَّة لأحدٍ من الموحِّدين حتَّىٰ يكون الله سبحانه ينزلهم حيث شاء، ويقولون: أمرُهم إلى الله، إنْ شاء عذَّبهم، وإنْ شاء غفر لهم.

ويؤمنون بأنَّ الله - سبحانه - يُخرجُ قومًا من الموحِّدين من النَّار علىٰ ما جاءت به الرِّوايات عن رسولِ الله ﷺ، ويُنكرون الجدَل والمِراء في الدِّين والخصومة في القدَر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهلُ الجدَل ويتنازعون فيه من دينهم بالتَّسليم للرِّوايات الصَّحيحة، ولمَا جاءت به الآثارُ الَّتي رواها الثِّقات عدلًا عن عدلٍ حتَّىٰ ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، ولا يقولون: كيف ولا لِمَ؛ لأنَّ ذلك بدعةٌ.

ويقولون: إنَّ الله لم يأمر بالشَّرِّ، بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرْضَ بالشَّرِّ وإنْ كان مُريدًا له.

ويعرفون حقَّ السَّلف الَّذين اختارهم اللهُ - سبحانه - لصُحبة نبيِّه ﷺ ويأخذون بفضائلهم، ويُمسكون عمَّا شجَر بينهم: صغيرهم وكبيرهم.

ويُقدِّمون أبا بكرٍ، ثمَّ عُمر، ثمَّ عُثمان، ثمَّ عليًا - رضوان الله عليهم -، ويُقرُّون أنَّهم الخُلفاءُ الرَّاشدون المهديُّون، أفضلُ النَّاس كلِّهم بعد النَّبيِّ ﷺ.

ويُصدِّقون بالأحاديث الَّتي جاءت عن رسول الله ﷺ أنَّ الله - سبحانه - ينزِلُ إلى السَّماء الدُّنيا، فيقولُ: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ...»، كما جاء الحديث عن رسولِ الله ﷺ.

ويأخذون بالكتاب والسُّنَّة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

ويرون اتِّباع مَنْ سلَف مِن أئمَّة الدِّين، وألَّا يبتدعُوا في دينهم ما لم يأْذَنْ به الله.

ويُقِرُّون أنَّ الله - سبحانه - يجيءُ يومَ القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

وأنَّ الله يَقرُبُ مِن خَلْقه كيف يشاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ويَرَوْن العيدَ والجُمعةَ والجماعةَ خلْفَ كُلِّ إمامٍ برٍّ وفاجرٍ، ويُثبتون المسحَ على الخُفَّين سُنَّةً، ويَرَوْنه في الحضَر والسَّفَر، ويُثبتون فرضَ الجهادِ للمُشركين مُنذُ بعثَ اللهُ نَبيَّه ﷺ إلى آخرِ عِصابةٍ تُقاتل الدَّجَّال، وبعْدَ ذلك.

ويَرَوْن الدُّعاء لأئمَّة المسلمين بالصَّلاح، وألَّا يخرجوا عليهم بالسَّيف، وألَّا يقاتلوا في الفتنة، ويُصدِّقون بخروج الدَّجَّال، وأنَّ عيسى ابن مريم يقتُلُه.

ويُؤمنون بمُنكَرٍ ونكيرٍ، والمعراجِ، والرُّؤيا في المَنام، وأنَّ الدُّعاءَ لموتى المُسلمين والصَّدقةَ عنهم بعد موتِهم تصلُ إليهم.

ويُصدِّقون بأنَّ في الدُّنيا سَحَرةً، وأنَّ السَّاحرَ كافرٌ، كما قالَ الله، وأنَّ السِّحرَ كائنٌ موجودٌ في الدُّنيا.

ويَرَوْنَ الصَّلاةَ على كلِّ مَنْ مات مِن أهل القِبلة: برِّهم وفاجرِهم، وموارثتِهم.

ويُقِرُّون أنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مخلوقتان.

وأنَّ مَنْ ماتَ - ماتَ بأجله، وكذلك مَنْ قُتِل - قُتِل بأجلِه.

وأنَّ الأرزاقَ مِن قِبَلِ الله - سبحانه - يرزقُها عبادَه: حلالًا كانتْ أم حرامًا.

وأنَّ الشَّيطانَ يُوسوِسُ للإنسان ويُشكِّكُه ويُخبطُه.

وأنَّ الصَّالحين قدْ يجوزُ أنْ يخصَّهم اللهُ بآياتٍ تظهرُ عليهم.

وأنَّ السُّنَّةَ لا تنسخُ القرآنَ.

وأنَّ الأطفالَ أمْرُهُم إلىٰ الله؛ إنْ شاءَ عذَّبهم، وإنْ شاءَ فعَل بهم ما أرادَ، وأنَّ اللهَ عالمٌ ما العبادُ عاملون، وكتَب أنَّ ذلك يَكونُ، وأنَّ الأمورَ بيَدِ الله، ويَرَوْن الصَّبر علىٰ حُكْم الله، والأخذَ بما أمَر اللهُ به، والانتهاءَ عمَّا نهىٰ اللهُ عنه، وإخلاصَ العمل، والنَّصيحةَ للمُسلمين.

ويَدِينُون بعبادة الله في العابدين، والنَّصيحة لجماعةِ المُسلمين، واجتناب الكبائر، والزِّنا، وقول الزُّور، والعصبيَّة، والفخر، والكِبر، والإزراء علىٰ النَّاس، والعجب.

ويَرَوْن مُجانبةَ كلِّ داعٍ إلىٰ بدعةٍ، والتَّشاغل بقراءةِ القُرآن، وكتابة الآثار، والنَّظر في الفقه مع التَّواضع والاستكانة، وحُسْن الخُلق، وبذْل المعروف، وكفُّ الأذىٰ، وترْك الغيبة والنَّميمة، والسِّعاية، وتَفقُّد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويَرونَه. وبكلِّ ما ذكَرْنا مِن قَولِهم نقولُ، وإليه نَذهبُ، وما توفيقُنا إلَّا بالله، وهو حسْبُنا ونعمَ الوكيل، وبه نَستعينُ، وعليه نَتوكَّلُ، وإليه المصيرُ.



المُقدِّمة

قال الإمامُ أبو الحسَن الأشعريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

هذه حِكايةُ جُملةِ قولِ أصحاب الحديثِ وأهل السُّنَّة: جملةُ ما عليهِ أهلُ الحديثِ والسُّنَّة: الإقرارُ بالله، ومَلائكتِه، وكتُبه، ورُسلِه.

الشرح:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسولِ الله، وعلىٰ آله وصحبِه. وبعدُ:

فهذه عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعةِ لأبي الحسَن الأشعريِّ.

قوله: «الإقرارُ بالله»؛ هذا يَتفرَّع عنه أمورٌ:

الأمر الأوَّل والثَّاني: الإقرارُ بوجودِ الله عَزَّوَجَلَّ ورُبُوبيَّته، وممَّا يدلُّ علىٰ ذلك: ما ورد في القُرآن مِن النُّصوص الَّتي تُنبِّهُ العقلَ البشريَّ بالأدلَّة الكونيَّة، والأدلَّة الَّتي ساقها اللهُ في القُرآن، والقُرآنُ كلامُ الله مُعجزٌ للبشريَّة، يدلُّ علىٰ كمالِ مَن تكلَّم به؛ كماله في علْمِه، وفي قُدرتِه، وفي بلاغةِ كلامِه، وغيرِ ذلك ممَّا يَدلُّ علىٰ عجْز البشر عن مُعارضتِه أو مُحاكاتِه.

ومِن المعلوم أنَّ أعداءَ الدَّعوةِ المُحمَّديَّة منذُ بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ، وهم يُحاولون معارضةَ ما جاء به، فلم يَقدرُوا علىٰ ذلك، وقد تحدَّاهم القرآنُ بأنْ يأتُوا بمِثلِه، أو بعشْر سُوَرٍ مِن مِثلِه، أو بسُورةٍ واحدةٍ مِن مثلِه[1]، فلم يستطع أحدٌ

(١) قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ

منهم ذلك، وهذا دليلٌ مِن أعظم الأدلّة على كمالِ عِلْم اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى، وأنَّ القرآنَ كلامُه.

ومِنَ الأدلَّةِ الَّتي تُنبِّهُ العقلَ البشريَّ بالأدلَّة الكونيَّة، قولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]، وغيرها من الآيات.

الأمر الثَّالث: الإيمان بوَحْدانيَّته وأُلوهيَّته؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال سُبحانَهُ وتَعالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال سُبحانَهُ وتَعالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

والقرآنُ كلُّه مليءٌ بالاستدلال على انفراد الله بالألوهيَّة، ووحدانيَّته بها، كما قال جلَّ مِن قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣].

الأمرُ الرَّابع: الإيمانُ بما له مِن صفاتٍ كاملةٍ، وأسماءٍ حُسنى، كما قال جلَّ مِن قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

= لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]. وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]. وقال جلَّ في عُلاه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

فيجبُ أنْ نُثبِتَ لله ما أثبته لنفسِه، وما أثبتَه له رسولُه ﷺ مِن الأسماء والصِّفات.

فالإقرارُ بالله عَزَّوَجَلَّ يقتضي الإقرار بما ذُكِرَ؛ وهو الإقرار بوجوده وربوبيَّته، وانفراده بالأُلُوهيَّة، وانفراده بالأسماء والصِّفات الَّتي يجبُ إثباتُها له، وأنْ نُثبِتَها له علىٰ الوجه اللَّائق بجلالِه.

قولُه: «وملائِكته»: الإيمان بالملائكة، هو الإيمان بوُجودهم، وأنَّهم لا يُحْصيهم إلَّا الَّذي خلقَهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]، وقد جاء في الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين أُسرِيَ به، قال: «ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ[(١)]»[(٢)].

فإذا كان هذا منذُ خلَقَ اللهُ السَّموات والأرض إلىٰ يوم القيامة، فمَنْ يُحصي هذا الجنس مِن المخلوقات إلَّا الَّذي خلقَهم.

قولُه: «وكُتبه»: الإيمان بالكتُب المُنزلة؛ كصُحف إبراهيم، وتوراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وقُرآن مُحمَّدٍ، وزبور داود، نُؤمن بالكتُب الأُولَىٰ إيمانًا مُجملًا، ونُؤمن بكتابنا القرآنِ إيمانًا مُفصَّلًا.

قولُه: «ورسُله»: كذلك نُؤمنُ بأنَّ لله رسلًا؛ منهم مَنْ سمَّىٰ، ومنهم مَنْ لم يُسَمِّ، فأوَّلهم: نُوحٌ، وآخرُهم مُحمَّدٌ ﷺ، وأنَّ الله كلَّف عبادَه اتِّباع الرُّسل، قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

---

(١) أي: دخولهم الأوَّل ذلك هو آخرُ دخولِهم لكثرتِهم.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٢٠٧)، ومسلمٌ (١٦٤) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

الإيمانُ بكلِّ ما جاءَ عن الله، وصحّ عنْ رسولِ الله ﷺ

وما جاءَ مِن عندِ اللهِ، ومَا رَواهُ الثِّقاتُ عن رسولِ اللهِ ﷺ لا يَردُّون مِنْ ذلكَ شيئًا، وأنَّ اللهَ سبحانَه إلهٌ واحدٌ فردٌ صمدٌ، لا إلهَ غيرُه؛ لَمْ يتَّخذْ صاحبةً ولا ولَدًا، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ الجنَّةَ حقٌّ، وأنَّ النَّارَ حقٌّ، وأنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَنْ في القُبُورِ.

الشرح:

قولُه: «وما جاءَ مِن عندِ الله، وما رواه الثِّقاتُ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، لا يَردُّون مِن ذلكَ شيئًا»؛ أي: أنَّهم يُؤمنون بذلك علىٰ نحو ما جاءَ، فيُؤمنون بسُنَّة رسولِ الله ﷺ علىٰ فَهم الصَّحابة رضوان الله عليهم.

وقولُه: «وأنَّ اللهَ سبحانَه إلهٌ واحِدٌ فردٌ صمدٌ، لا إلهَ غيرُه»:

أقولُ: إثباتُ الوحدانيَّة لله عَزَّوَجَلَّ له أدلَّةٌ لا تُحصَىٰ، ومِن ذلك قولُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٩، ١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وقوله: «لم يتَّخذ صاحبةً ولا ولدًا»:

فهذا فيه ضرورة الإخلاص لله تعالىٰ، دلَّ علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥].

وقولُه: «وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه»:

أمَّا شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله، فهي ثانية الشَّهادتين، والشَّهادة الأولىٰ شهادةٌ لله بوحدانيَّته للأُلوهيَّة، والشَّهادة الثَّانية شهادةٌ للرَّسول ﷺ بالرِّسالة، وأنَّه مُرسَلٌ مِن عندِ الله، مُبلِّغٌ عن الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشُّعراء: ٢١٤ - ٢٢٠].

فهو ﷺ عبدٌ لله عَزَّوَجَلَّ، ليس له حقٌّ في الأُلوهيَّة، وفيه ردٌّ علىٰ أصحاب وحدةِ الوجودِ والحُلوليَّة وغيرهم من الصُّوفيَّة الَّذين يُغالُون في مقام رسولِ الله ﷺ، ويُعْطونَه ما ليس له ممَّا انفرد به اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

وقد ثبَت بالأدلَّة أنَّ اللهَ خيَّره بين أنْ يكون مَلِكًا رسُولًا، وبين أنْ يكونَ عبْدًا رسولًا، فاستشار جبريل في ذلك، فقال له: تَواضَعْ، فاختار أنْ يكون ﷺ عبدًا رسولًا لله[1].

---

(١) أخرج أحمدُ (٢ / ٢٣١ قرطبة) (٧١٦٠)، وابنُ حبَّان (٦٣٣١ التَّعليقات الحِسان)، عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مِنْذُ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ: أَمَلِكًا أَجْعَلُكَ أَمْ عَبْدًا رَسُولًا؟ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا، بَلْ عَبْدًا رَسُولًا»، وصحَّح إسنادَه علىٰ شرط مسلم العلَّامة الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٠٠٢).

قولُه: «وأنَّ الجنَّةَ حقٌّ، وأنَّ النَّارَ حقٌّ»؛ أي: أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة يُؤمنون بأنَّ الجنَّةَ والنَّارَ موجودتان؛ الجنَّة دار المؤمنين، والنَّار دار الكافرين، فهم يُؤمنون بوُجودِهما، وأنَّهما مُعدَّتان، كلُّ واحدةٍ منهما مُعدَّةٌ لأصحابها، وأنَّهما لا تفنَيان أبدًا.

قولُه: «وأنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعثُ مَنْ في القُبورِ»؛ أي: أنَّ السَّاعةَ آتيةٌ، لا بدَّ أنْ تَقعَ، لا شكَّ ولا ريبَ في وُقوعِها، وهو اليومُ الَّذي يفصلُ فيه بين العِبادِ.

إثباتُ الاستواءِ واليدَينِ والعَينينِ
والوجهِ والعلم لله تعالى

وأنَّ اللهَ - سبحانه - علىٰ عرشِه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وأنَّ له يدَين بلا كَيفٍ، كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأنَّ له عَينَين بلا كيفٍ، كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وأنَّ له وجهًا، كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأنَّ أسماءَ الله لا يقالُ: إنَّها غيرُ الله؛ كما قالت المُعتزلةُ والخَوارجُ.

وأَقرُّوا أنَّ لله سبحانه عِلمًا، كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١].

الشرح:

قولُه: «وأنَّ اللهَ سبحانَه استوىٰ علىٰ عرشِه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾»؛ فأهل السُّنَّة يقولون: استوىٰ استواءً يَليقُ بجلالِه.

قولُه: «وأنَّ لهُ يدَين بلا كَيفٍ، كما قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، وكما قالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾».

فنؤمن بأنَّ لله يدَينِ، ولا يجوزُ أنْ نُشبِّهَ يدَيه بيدَي خَلْقِه، أو نُعطِّله عنهما، ولا نقول: كيف؟ وأنَّ الاتِّفاق في الاسم لا يَلزمُ منه الاتِّفاقُ في الحقيقةِ، كذلك في جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

قولُه: «وأنَّ له سُبحانه عينَين بِلا كيفٍ، كمَا قالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾»؛ يعني: أنَّا نُثبتُ له عينَين بدون كيفيَّةٍ، بل نعتقدُ كمالها، فنعتقدُ أنَّ له عينَين لا تُشبهان أعين المخلوقين.

قوله: «وأنَّ له وَجْهًا بلا كَيفٍ، كما قالَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمن: ٢٧]»؛ أي: نثبتُ له سبحانه وجهًا لا يُشبهُ وُجوهَ المَخلوقِين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

قولُه: «وأنَّ أسماءَ اللهِ لا يُقالُ: إنَّها غيرُ الله، كما قالَت المُعتزلةُ والخوارجُ»:

أقولُ: الاسمُ في اللُّغة علَمٌ علىٰ المُسمَّىٰ، فلا يُقَال: إنَّه هو المسمَّىٰ، ولا يُقَال: إنَّه غير المُسمَّىٰ، وفي هذا خلافٌ، وكلامٌ كثيرٌ، والَّذي تبيَّن أنَّه الحقُّ أنَّ الاسم هو اللَّفظ الدَّالُّ علىٰ المُسمَّىٰ؛ وهو للمُسمَّىٰ، وليس هو لِغير المُسمَّىٰ، ولهذا قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٠٦ - ٢٠٧): «وأمَّا الَّذين يقولون: إنَّ الاسم للمُسمَّىٰ؛ كما يقوله أكثر أهل السُّنَّة، فهؤلاء وافقوا الكتابَ والسُّنَّةَ والمعقولَ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»[(١)].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، والمَاحِي، وَالحَاشِرُ، وَالعَاقِبُ»[(٢)]. اهـ.

لذلك فإنَّنا نقولُ: إنَّ أسماءَ الله الحُسنىٰ هو سَمَّىٰ نفسَه بها، كما أنَّ صفاته

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مُطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمَيَّ، وَأَنَا العَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ»، قال الزُّهري: وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رَؤُوفًا رَحِيمًا.

هو وصف نفسه بها، فأسماؤه غيرُ مخلوقةٍ، بل هي دالَّةٌ على ذاتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفاتُهُ غيرُ مخلوقةٍ؛ لأنَّه هو الَّذي سَمَّىٰ نفسَه بها، ووصف نفسَه بها، وما كان منه فليس بمخلوقٍ، فتعيَّن أنَّ الأسماءَ هي أعلامٌ على المُسمَّىٰ بها، وهي للمُسمَّىٰ.

ومرادُ المُعتزلةِ والخوارج حينما يقولُون: «إنَّ أسماءَ اللهِ لا يُقالُ: إنَّها غيرُ اللهِ» يُريدون بذلك أنَّ اسمَ الله مخلوقٌ، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٦/ ١٨٥، ١٨٦): «والَّذي كان معروفًا عندَ أئمَّة السُّنَّة أحمد وغيره؛ الإنكارُ علىٰ الجهميَّة الَّذين يقولون: أسماء الله مخلوقةٌ، فيقولون: إنَّ الاسمَ غيرُ المسمَّىٰ، وأسماءُ الله غيرُه، وما كان غيرُه فهو مَخلوقٌ، وهؤلاء هم الَّذين ذمَّهم السَّلفُ، وغلَّظوا فيهم القَولَ؛ لأنَّ أسماءَ اللهِ مِن كلامِه، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، بل هو المُتكلِّمُ به، وهو المُسمِّي لِنفسِه بما فيه مِن الأسماء.

والجهميَّة يقُولون: كلامُه مَخلوقٌ، وأسماؤُه مَخلوقةٌ، وهو نفسُه لم يَتكلَّم بكلامٍ يقومُ بذاتِه، ولا سَمَّىٰ نفسَه باسمٍ هو المُتكلِّم به، بل قد يقولُون: إنَّه تكلَّم به، وسَمَّىٰ نفسَه بهذِه الأسماءِ، بمعنىٰ أنَّه خلقَها في غَيرِه، لا بمعنَىٰ أنَّه نفسُه تكلَّم بها الكلامَ القائمَ به، فالقَولُ في أسمائِه هو نَوعٌ مِن القول في كلامِه». اهـ.

قولُه: «وأقرُّوا أنَّ لله سُبحانه علمًا، كما قالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وكما قالَ: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]».

أقولُ: صفةُ العلم ثابتةٌ لله تعالىٰ، وقد جاءتْ بصيَغٍ مُتعدِّدةٍ، فتأتي تارةً بصيغة المضارع المُستوعِبة لكلِّ ما في الكون؛ كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧].

وتارة يأتي باسم الفاعل على صيغة المُبالغة؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وكما في هذه الآية: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [فصلت: ٤٧].

فعِلْمُ اللهِ شاملٌ للدَّقيقِ والجليلِ، والكثيرِ والقليلِ، لا تفوته ذَرَّةٌ ولا أدنىٰ منها، كما قال: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].



إثبات السَّمع والبصر والقوَّة والمَشيئة لله تعالى

وأَثبتُوا السَّمعَ والبصرَ، ولم يَنفُوا ذلك عن الله، كما نَفَتْه المُعتزلةُ.

وأَثبتُوا لله القُوَّةَ، كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلت: ١٥].

وقالُوا: إنَّه لا يكونُ في الأَرْض مِن خيرٍ ولا شرٍّ إلَّا ما شاءَ اللهُ، وأنَّ الأشياءَ تكونُ بمشيئةِ الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التَّكوير: ٢٩].

وكما قالَ المُسلمون: ما شاء اللهُ كان، ومَا لا يشاءُ لا يَكونُ.

الشرح:

قولُه: «وأثبتُوا السَّمعَ والبَصرَ، ولم ينفُوا ذلك عن الله، كما نفتْه المُعتزلةُ»:

أقولُ: نحن نُثْبِتُ لله سمعًا لا كأسماع المخلوقات، وبصَرًا علىٰ الوجه اللَّائق بجلاله لا كأبصار المخلوقات؛ سمعًا يسمع به كلَّ الأصوات وكلَّ الحركات، وبصَرًا ينفذ إلىٰ كلِّ شيءٍ؛ لا تحجبه الحُجب، ولا تمنعه الموانع، يرىٰ ما في تضاعيف الأرض، وما في بطون البحار، كلُّ ذلك يعلمه ويراه.

قولُه: «وأَثبتُوا لله القُوَّة»، كما قال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصِّلت: ١٥].

أقولُ: قوَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ تفوق كلَّ القُوىٰ، وتأمَّل - أخي المسلم - كيف عذَّب الله قوم عادٍ المفتخرين بقوَّتهم الَّذين قالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟!

وكيف سلَّط الله عليهم الرِّيح الَّتي تحمل الواحد منهم في الهواء مع ضخامة جِسمه، وتسُفُّه بالحجارة، فتقتلعُ رأسه حتَّىٰ يكون الواحد منهم كأنَّه ريشةٌ؟!(١)

فكانوا كما وصفهم اللهُ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقَّة: ٧]!

قولُه: «وقالوا: إنَّه لا يكون في الأرض مِن خيرٍ ولا شرٍّ إلَّا ما شاءَ اللهُ، وأنَّ الأشياءَ تكونُ بمشيئةِ الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]. وكما قالَ المُسلمونَ: ما شاء اللهُ كانَ، وما لا يشاءُ لا يكونُ»:

هذه الفقرة فيها إثبات القَدَر، وأنَّ كلَّ شيءٍ يعمله النَّاس فهو مُقدَّرٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والدَّليلُ: قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وقولُه تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]، وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾ [التغابن: ١١]، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.



(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٣٥ سلامة) و(٦/ ١٥٥ و٢٧٨) و(٧/ ٤٧٩).

اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ

وقالُوا: إنَّ أَحَدًا لا يَستطيعُ أنْ يَفعلَ شَيئًا قبْل أنْ يَفعَلَه، أو يكُون أحدٌ يَقدرُ أنْ يَخرُجَ عنْ علْم اللهِ، أو أنْ يَفعلَ شيئًا عَلِمَ اللهُ أنَّه لا يَفعلُه، وأَقرُّوا أنَّه لا خَالقَ إلَّا اللهُ، وأنَّ سَيِّئَاتِ العبادِ يَخلقُها اللهُ، وأنَّ أعمالَ العبادِ يخلُقها اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ العبادَ لا يَقدرُون أنْ يخلقُوا منها شَيئًا.

الشرح:

هذه الفقرةُ أيضًا فيها إثبات القَدَر.

وقد قسَّم أهلُ العلم الإرادةَ إلىٰ إرادتَين:

١- إرادةٍ كَونيَّةٍ قَدريَّةٍ. ٢- إرادةٍ شَرعيَّةٍ.

فالإرادة الكونيَّة القَدَريَّة: هي الَّتي جمعتْ الخيرَ والشَّرَ، والكُفر والإيمانَ، والطَّاعة والعصيان.

أمَّا الإرادة الشَّرعيَّة: فهي الَّتي أَرسلَ اللهُ بها رسلَه، وأنزلَ بها كتبَه، وأمَرَ النَّاسَ أن يَتَّبعوها، فالإرادة الشَّرعيَّة تَتحقَّق في المُؤمن، وتَتحقَّق فيه الإرادة الكونيَّة أيضًا.

والإرادةُ الكونيَّةُ هي الإرادةُ العامَّةُ الَّتي كُتِبَ فيها كلُّ شيءٍ، وقد جاء في الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ الْقَدَرَ؛ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٥٥) من حديث عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٠١٧).

فالإرادةُ الكونيَّةُ القَدَريَّة لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يخرجَ عنها.

أمَّا الإرادة الشَّرعيَّة، فكما تقدَّم هي الَّتي تحقَّقتْ في المُؤمنين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّكوير: ٢٨ - ٢٩].

إلَّا أنَّه ينبغي أنْ يُعلَمَ أنَّ لله علىٰ عبادِه الحُجَّةَ الدَّامغةَ، وله الحكمةُ البالغةُ، يَجعلُ مَنْ يشاء سعيدًا بفضْلِه، ويَجعلُ مَنْ يشاء شقيًّا بعدلِه، فالنَّاسُ هم الَّذين يعملون الكُفرَ مُختارين، ويَعملون المعاصيَ مُختارين.

واللهُ لا يَظْلمُ أحدًا مِن عبادِه، كما قال جلَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۢ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةًۭ يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًۭا ﴿٤٠﴾﴾ [النِّساء: ٤٠]، وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًۭا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍۢ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فُصِّلت: ٤٦]، إلَّا أنَّه يثبت الشَّقاء علىٰ العبد بسبب إعراضه، كما يقولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍۢ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وكما يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصَّفّ: ٥].

اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ مِن الزَّيغ بعْدَ الهُدىٰ!

لذلك قال أبو الحسن الأشعريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقرُّوا أنَّه لا خَالقَ إلَّا اللهُ، وأنَّ سَيِّئاتِ العِبادِ يَخلُقها اللهُ، وأنَّ أعمالَ العِبادِ يَخلقُها اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ العبادَ لا يَقدرُون أنْ يخلقُوا منها شيئًا».

ومقتضىٰ هذا كما قال أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الكُفرَ والمعاصيَ هي مِن الله خَلْقًا وتَقْديرًا، ومِن العباد كَسْبًا وإيجادًا، والإيمانُ بالقضاء والقدَر ركنٌ مِن أركان الإيمان، ولا يصحُّ الإيمانُ إلَّا بذلك.

الهدايةُ والغوايةُ بيدِ الله

وأنَّ اللهَ - سُبحانه - وفَّق المُؤمنين لطاعتِه، وخذَل الكافرين، ولطفَ بالمُؤمنين، ونظَر لهم، وأصلَحهُم، وهداهُم، ولم يلطُف بالكافرين، ولا أصلَحَهم، ولا هدَاهُم، ولو أصلَحُهم لكانُوا صالحِينَ، ولو هداهم لكانُوا مُهتدِين.

وأنَّ اللهَ - سبحانه - يَقْدرُ أنْ يُصلِحَ الكَافرين، ويَلطفَ بهم حتَّىٰ يكونُوا مُؤمنين، ولكنَّه أراد ألَّا يُصلحَ الكافرين ويلطفَ بهم حتَّىٰ يَكونُوا مؤمنين، ولكنَّه أراد أنْ يَكونُوا كافرين كما علم، وخذَلَهم وأَضلَّهم، وطبَع علىٰ قُلوبِهم.

الشرح:

أقولُ: الدَّليلُ علىٰ ذلك: قولُ الله سُبحانَهُ وتَعالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]، وقولُه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وعَن علِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كُنَّا في جنازَةٍ في بَقِيعِ الغَرقَدِ[١]، فأتَانا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقعَدَ وقَعدنَا حولَهُ، ومَعَهُ مِخْصرَةٌ[٢]، فنكَّس، فجعَل يَنكُتُ بمِخْصَرتِهِ، ثمَّ قالَ: «مَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ، مَا مِن نَفسٍ مَنفُوسَةٍ إلَّا كُتِبَ مَكَانُها مِن الجنَّةِ والنَّار، وإلَّا قَد

(١) «بقيع الغرقد»: مقبرة أهل المدينة، والبقيع: موضع من الأرض فيه أصول شجر، والغرقد: شجر له شوك كان يَنبت في ذلك المكان بكثرة فأضيف إليه.

(٢) «مخصرة»: ما يُتوكَّأ عليه مِن عصًا وغيرها.

كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟! فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ؟

قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [اللَّيل: ٥ - ٦] الآيَة»[(١)].



(١) أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

الخيرُ والشرُّ بقضاءِ الله وقدرِه

وأنَّ الخيرَ والشَّرَّ بقضاءِ الله وقَدَرِه، ويُؤمنون بقضاءِ اللهِ وقَدَره؛ خيرِهِ وشرِّه؛ حُلوِهِ ومُرِّهِ، ويُؤمنون أَنَّهم لا يَملكُون لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا إلَّا ما شاءَ اللهُ كما قال، ويُلجئون أمرَهم إلىٰ الله سبحانَه، ويُثبتُون الحاجَةَ إلىٰ الله في كُلِّ وقْتٍ، والفَقْرِ إلىٰ الله في كلِّ حالٍ.

الشرح:

أي: أنَّه يجبُ علىٰ العبادِ أنْ يسألُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ الخيرَ، ويستعيذُوا به مِن الشَّرِّ، يسألونه أَنْ يُوفِّقَهم للإيمان والتَّقوىٰ، ويرزُقهم العملَ بذلك، واللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فنحن كما كنَّا فقراء إليه في إيجادنا، وفقراء إليه في حفظ وُجودِنا، كذلك نحن فقراءُ إليه في هدايتنا وتوفيقِنا، وفقراء إليه أنْ يُثبِّتنا علىٰ الحقِّ حتَّىٰ نلقاه، ومِنْ أجْل ذلك، فإنَّه ينبغي للعبد أنْ يسألَ اللهَ دائمًا التَّوفيقَ والهُدىٰ، كما يسألُه الرِّزق والغنىٰ، واللهُ لا يَردُّ أحدًا عن بابه، فمَنْ طرقَ البابَ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِن طريق مُحمَّدٍ ﷺ الشرعية؛ فإنَّ اللهَ لا يَردُّه؛ إذا سأله مُخلصًا الهداية هَدَاهُ، وإذا رغب إليه في الكفاية كَفَاهُ، وقنَّعه بما أعطاه، وعلىٰ العبد أنْ يلجأ إلىٰ الله بدُعائه، والتَّقرُّب إليه بطاعتِه؛ مِن تَوحيدٍ، وصلاةٍ، وصيامٍ، وصدَقةٍ، وقراءةٍ للقُرآن، وذكرٍ له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.



القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ

ويقُولونَ: إنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ، والكلامُ في الوقف واللَّفظِ، مَنْ قالَ باللَّفظ أو بالوقفِ؛ فهو مُبتدعٌ عندهم، لا يُقَالُ: اللَّفظُ بالقُرآن مَخلوقٌ، ولا يُقَالُ: غيرُ مَخلوقٍ.

الشرح:

الضَّمير في «يَقولُون»: يعود إلىٰ أهل السُّنَّة والجماعة.

وقوله: «إنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ»:

الدَّليلُ علىٰ ذلك: آياتٌ مِن القُرآن الكريم؛ كقولِه سُبحانَهُ وتَعالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التَّوبة: ٦]، وقوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [لقمان: ٢٧]، وقوله سُبحانَهُ وتَعالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقوله في عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾ [النِّساء: ١٧١].

قال أهلُ السُّنَّة والجماعةِ: إنَّ عيسىٰ خُلِقَ بالكلمةِ، ولم يكن هو الكلمة.

فهذه الآيات دَالَّةٌ علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلامُ الله عَزَّوَجَلَّ منه، وما كان منه، فهو غيرُ مخلوقٍ.

وقولُه: «والكلامُ في الوقْفِ واللَّفظِ، مَنْ قالَ باللَّفظِ أو بالوقْفِ فهو مُبتدِعٌ عندَهم، لا يُقَالُ: اللَّفظُ بالقُرآنِ مَخلوقٌ، ولا يُقَالُ: غيرُ مخلوقٍ» نظرًا لأنَّ اللَّفظ يقع علىٰ اللَّفظ نفسِه، وعلىٰ الملفوظِ به، فلهذا الاحتمال كره السَّلفُ - رحمهم الله - أن يقولَ الإنسانُ: لَفْظي بالقُرآن مخلوقٌ، ومن أجل ذلك بَدَّعَ الإمامُ أحمدُ الحسينَ بن عليٍّ الكرابيسي، ونهىٰ عن إتيانه، والسَّماع منه[1].



(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٥ الكتُب العلميَّة)، و«الحجَّة في بيان المحجَّة» للأصبهاني (١/ ٣٧٠ -٣٧٣ المدخلي) و(٢/ ٤٨٥)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ١٠٩ فقي)، و«مسائل ابن هانئ» (ص٤١٩ الفاروق الحديثة).

رؤيةُ الله في الآخرةِ

ويقُولون: إنَّ اللهَ سبحانَه يُرىٰ بالأبصَارِ يومَ القِيامةِ كما يُرَىٰ القمرُ ليلةَ البدْر، يراهُ الْمُؤمنونَ، ولا يَراه الكافرون؛ لأَنَّهم عن اللهِ محجُوبون، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفِّفين: ١٥].

وأنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سأَل اللهَ سُبحانه الرُّؤيةَ في الدُّنيا، وأنَّ اللهَ سُبحانَه تَجلَّىٰ للجبَلِ، فجعلَه دكًّا، فأَعلمَه بذلك أَنَّه لا يَراهُ في الدُّنيا، بل يراهُ في الآخِرةِ.

الشرح:

أقولُ: الدَّليلُ علىٰ رؤية المُؤمنين ربَّهم في الآخرة:

قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]؛ فقولُه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾: وصفٌ لها بالنّضرة، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾؛ أي: ناظرةٌ إليه، مُتلذِّذةٌ بالنَّظَر إليه سبحانه، وهذا التَّفسير هو التَّفسير الأصحُّ، أمَّا تفسير مَنْ يقول: منتظرة، فهو غير صحيح، أو فيه نظرٌ[1].

ولِمَا جاء في الحديثِ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَل نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ لَيسَ دُونَهُ

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٠٧-١٠٨ الكتب المصرية)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧٩ - ٢٨١ سلامة)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٠٧ ابن كثير).

سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»(١).

والاستدلالُ بقصَّة موسىٰ، وسؤاله الرُّؤية استدلالٌ جيِّدٌ؛ إذْ لو كانتْ الرُّؤيةُ مُمكنةً في حقِّه في الدُّنيا لأعطاهُ ذلك، ولكنْ قالَ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: لن تراني في الدُّنيا، فالنَّفي هذا في الدُّنيا فقط، وليس في الدُّنيا والآخرة كما تقولُه المعتزلةُ.

والدَّليل علىٰ ذلك أيضًا: أنَّ الكُفَّار يُحجَبون عن ربِّهم، ومفهومُه العكسيُّ: أنَّ المؤمنين بخلافِ ذلك.

ومِن الأدلَّة علىٰ إثباتِ رُؤية المُؤمنين لربِّهم - أيضًا - قولُه ﷺ في حديثِه عن الدَّجَّال: «وَأَنَّكُم لَنْ تَرَوا رَبَّكُم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ تَمُوتُوا»(٢).



---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤ قرطبة) (٢٢٨١٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٤٥٩).

وفي «صحيح مسلم» (١٦٩)، عن بعضِ أصحاب رسولِ الله ﷺ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ».

حكم تكفيرِ أهلِ القِبلةِ

ولا يُكفِّرُون أَحدًا مِن أَهْلِ القِبلةِ بذنْبٍ يَرتكبُه؛ كنحو الزِّنا، والسَّرقةِ، ومَا أَشْبهَ ذلكَ مِن الكبَائرِ، وهم بما معَهم مِن الإيمانِ مُؤمنونَ، إِنِ ارْتكبُوا الكبَائرَ.

الشرح:

تكفيرُ أهلِ الإسلام بالذُّنوب هذه طريقةُ الخوارجِ.

والمعتزلةُ يقولون في أهل الكبائر: هم في مَنزلةٍ بين المنزلتَين؛ فلا هم مُؤمنون ولا كفَّارٌ.

أمَّا أهلُ السُّنَّة والجماعة فهُم يقولون: صاحبُ الكبيرةِ مُؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بخطيئته، أي: إنَّه مؤمنٌ ناقصُ الإيمان.

ويَستدلُّون علىٰ ذلك بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجرات: ٩ - ١٠]، فاعتبرَهم مؤمنين بإيمانِهم ذلك مع وُجودِ الاقتِتال بينهما، وهو كبيرةٌ مِن الكبائر.

ويَستدلُّون علىٰ ذلك أيضًا بقوله تعالىٰ في القتل والعفو علىٰ الدِّية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨]. فسمَّىٰ اللهُ القاتل أخًا مع ما بينهما مِن القتْل.

وعن عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ؛ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[(١)].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ؛ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَمِنَّا مَنْ يَضْربُهُ بِيَدِهِ، ومِنَّا مَنْ يَضْربُهُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ، أَخْزَاهُ اللهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ**». رواه البخاريُّ[(٢)].

وعن عمران بن حصينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «**أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَائْتِنِي بِهَا**»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ؛ فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا[(٣)]، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ؟! فَقَالَ: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ تَعَالَىٰ[(٤)]؟**»[(٥)].

فهذه الأدلَّةُ كلُّها تدلُّ علىٰ أنَّ مُرتكبَ الكبائر لا يخرجُ مِن الإسلام، ولكن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

(٣) أي: شُدَّت، وفي هذا استحبابُ جمع أثوابِها عليها وشدُّها؛ بحيثُ لا تنكشفُ عورتُها في تقلُّبها وتكرارِ اضطرابِها. «النووي على مسلم» (١١/٢٠٥).

(٤) أي: أخرجت رُوحها ودفعتها لله تعالىٰ. انظُر: «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٤/٥٨٩ الكتب العلمية).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٩٦).

يُقَالُ له: مُسلمٌ فاسقٌ، بخلاف رأي الخوارج والمُعتزلة.

أمَّا المرجئةُ فيقولون: إنَّ المسلمَ الَّذي عمل الكبائر، إيمانُه كاملٌ كإيمانِ جبريلَ وأبي بكرٍ، ومَذْهبُهُم باطلٌ أيضًا، كما أنَّ مذهب الخوارج والمعتزلة باطلٌ، والحقُّ ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة.



أركانُ الإيمانِ والإسلامِ، وبيانُ العلاقةِ بينهما

والإيمانُ عندَهم هُوَ الإيمانُ باللهِ، ومَلائكتِه، وكتُبِه، ورُسلِه، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّه، حُلْوِهِ ومُرِّهِ، وأنَّ مَا أخطأهم لمْ يكُنْ لِيصيبَهم، ومَا أصابَهم لمْ يكُنْ لِيخطئَهم.

والإسلامُ هو أنْ يشهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ؛ علىٰ ما جاءَ في الحديثِ، والإسلامُ عندَهم غيرُ الإيمانِ.

الشرح:

قولُه: «والإيمانُ عندَهم هو الإيمانُ باللهِ، وملائكتِه، وكتُبِه، ورسلِه، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّه، حُلْوِهِ ومُرِّهِ، وأنَّ ما أخطأَهُم لم يكُنْ لِيصيبَهم، وما أصابَهم لم يكُنْ لِيخطئَهم»:

أقولُ: تقدَّم الكلام علىٰ الإيمان باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، وتقدَّم الكلام علىٰ الإيمان بالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ بتوسُّع.

وقولُه: «والإسلامُ هو أنْ يَشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ؛ علىٰ ما جاءَ في الحديثِ، والإسلامُ عندَهم غيرُ الإيمانِ»:

أقولُ: الإسلامُ فُسِّرَ في حديثِ جبريل وغيره بالأركان الخمسة، فالشَّهادتان ركنٌ، وإقامةُ الصَّلاة ركنٌ، وإيتاءُ الزَّكاة ركنٌ، وصومُ رمضان ركنٌ، وحجُّ بيت الله ركنٌ، فهذه الأركانُ الخمسةُ هي الإسلام، مَنْ أقرَّ بها وعمِلَها فهو المُسلمُ.

والإسلامُ والإيمانُ مُترادفان، يُطلَق كلٌّ منهما علىٰ الآخر، فإنْ أُطلِقَ الإسلامُ فالإيمانُ داخلٌ فيه، وإنْ أُطلِقَ الإيمانُ فالإسلامُ داخلٌ فيه، وإذا أُطلِقَا معًا فالإسلامُ يُطلَق علىٰ الأعمالِ الظَّاهرةِ، والإيمان يُطلَق علىٰ العقائد الباطنة؛

لأنَّ النَّبيَّ ﷺ فسّره لجبريل حين سأله بما ذكر، فقال: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ؛ قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ[1].



(١) أخرجه مسلم (٨).

الإقرار بأنَّ الله مُقلِّبُ القلوب، والإقرار بشفاعة النَّبيِّ ﷺ

ويُقرُّون بأنَّ اللهَ سُبحانه مُقلِّبُ القلوب.

ويُقرُّون بشَفاعةِ رَسولِ الله ﷺ، وأنَّها لأهْل الكَبائِر مِن أُمَّتِه.

الشرح:

قولُه: «ويُقرُّون بأنَّ اللهَ سبحانَه مُقلِّبُ القلوب»: يشهدُ لهذه الفقرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ دائمًا: «يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ»[(١)].

وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول إنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»[(٢)].

وعن شهر بن حوشبٍ رحمه الله قال: «قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ:

---

(١) أخرج ابن ماجه (١٩٩) من حديث النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ». قَالَ: «وَالمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ». وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»؟! قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ»، فتلا مُعاذ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨][(١)].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]. فالقلوبُ بيدِ مُقلِّبها، فينبغي للإنسانِ أنْ يدعوَ بهذا الدُّعاءِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ».

قولُه: «ويُقِرُّون بشَفاعةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأنَّها لأهْلِ الكبائرِ مِنْ أُمَّتِه»: دلَّ على ذلك حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(٢)].

وشفاعتُه ﷺ تَنالُ مَنْ مات على التَّوحيدِ مِن أُمَّتِه؛ لحديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»[(٣)].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُكرِمُ الشَّافعَ بالشَّفاعة، ويَرحمُ المشفوعَ له بها، لكنَّها لا تُطلَبُ إلَّا مِن الله، فلا يجوزُ للعبدِ أنْ يقولَ: يا رسولَ الله اشفعْ لي. فلا تُطلَبُ مِن الرَّسولِ ﷺ، ولا مِن غيرِه، وإنَّما تُطلَبُ مِن الله وحدَه، كما قال سُبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٤].

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٥٢٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٠٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والتِّرمذيُّ (٢٤٣٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على «المشكاة» (٥٥٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩) و(٦٥٧٠).

وأنواعُ الشَّفاعة سبعٌ، منها ثلاثٌ خاصَّة بالنَّبيِّ ﷺ:

الشَّفاعةُ الأُولىٰ: وهي أعظمُها: الشَّفاعةُ في فصل القضاءِ، وهي تأتي إلىٰ النَّبيِّ ﷺ بعد أن تُعرَض علىٰ آدم، وأُولِي العزم مِن الرُّسل عليهم السلام، فكلُّهم يَردُّونها، فإذا وصلت إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قال: «أَنَا لَهَا»(١)؛ فيشفع إلىٰ ربِّه في فصل القضاءِ، ولذلك ورَد في الحديثِ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ - وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ - فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا.

قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ؛ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ(٢)، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ.

قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَىٰ ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ.

قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَىٰ رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

(٢) أي: لست أهلًا لهذه المرتبة، وهذا العمل.

عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

ثُمَّ أَعُودُ، فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ.

قَالَ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَي: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ».

قال أبو عبد الله: «إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»؛ يعني قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾»(١).

الشَّفاعة الثَّانية: - وهي مِن خصائصه - وهي الشَّفاعةُ في فتح باب الْجنَّة؛ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»(٢).

الشَّفاعةُ الثَّالثةُ: هي الشَّفاعةُ في عَمِّه أبي طالبٍ لإخراجه مِن غَمْرةِ النَّارِ إلىٰ ضَحْضَاحٍ فيها؛ دلَّ علىٰ ذلك حديثُ العبَّاس بن عبد المُطَّلب رضي الله عنه أنَّه قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).

«نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[(١)].

وأمَّا الشَّفاعاتُ الَّتي يُشاركُه فيها غيرُه، فهي:

أوَّلًا: الشَّفاعةُ في قومٍ استَحقُّوا النَّار بذُنوبهم، فيشفعُ فيهم النَّبيُّ ﷺ أو غيرُه مِن الشَّافعين، فيعفُو الله عنه، ويُدخلُهم الجنَّة بدون عذابٍ.

ثانيًا: الشَّفاعة في أُناسٍ دَخلُوا النَّارَ، فيشفعُ فيهم الشَّافعون، ويُخرجُهم الله من النَّار، ويُدخلهم الجنَّةَ.

ثالثًا: الشَّفاعةُ في أهل الأعراف، حيثُ يشفع فيهم الشَّافعون، فيُدخلُهم الجنَّةَ.

رابعًا: الشَّفاعة في أقوامٍ استَحقُّوا درجاتٍ لأعمالِهم؛ فيشفعُ لهم النَّبيُّ ﷺ أنْ تُرفَع درجاتُهم فوق ما يَستحقُّون، وهذه الأربعةُ يُشاركُ فيها النَّبيَّ ﷺ أقوامٌ من المؤمنين أو الرُّسل أو الصِّدِّيقين أو الشُّهداءِ.

فأنواعُ الشَّفاعاتِ سبعٌ؛ ثلاثٌ خَاصَّةٌ بالنَّبيِّ ﷺ، وأربعٌ مشتركةٌ بينه وبين غيرِه.



---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩).

الإيمانُ بما يكونُ بعدَ الموتِ

ويعذَابِ الْقبْرِ، وأنَّ الْحوضَ حقٌّ، والصِّراطَ حقٌّ، والْبعْثَ بعْدَ الْمَوتِ حقٌّ، والمُحاسبةَ مِن الله عَزَّوَجَلَّ للعِبادِ حقٌّ، والوقُوف بين يدَي اللهِ حقٌّ.

الشرح:

قولُه: «وبعذاب القبْر»؛ يعني أنَّهم يُقرُّون بعذاب القبر، وعذابُ القبرِ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّة.

أمَّا الكتابُ: فقولُه تعالىٰ: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

وأمَّا السُّنَّة: ففي الحديثِ المُتَّفق عليه عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خَرجَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: «يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَينِ أَوْ ثِنْتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، وَكِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»»[١].

وفي الحديث عَن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «دَخلَتْ عَلَيَّ عَجوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فقالَتا لِي: إنَّ أَهلَ القُبورِ يُعذَّبونَ فِي قُبُورِهِم، فكَذَّبتُهُمَا، وَلَم أُنعِمْ أَن أُصدِّقَهُمَا[٢]،

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) المرادُ: لم أحسن في تصديقهما، أي: ما صدَّقتُهما. «عُمدة القاري» (٢٣/ ٤ إحياء التراث).

فخَرَجَتا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبيُّ ﷺ، فَقُلتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ عَجُوزَينِ...، وَذَكَرتُ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَتَا؛ إِنَّهُم يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّها»، فَمَا رَأَيتُهُ بَعدُ فِي صَلاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِن عَذَابِ القَبرِ»[(١)].

وفي الحديث عَنْ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن شَيءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّىٰ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُم مِثْلَ أَو قَرِيبَ - لَا أَدرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَت أَسمَاءُ - مِن فِتنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ: مَا عِلمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ - لَا أَدرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ، فَأَجَبنَا وَاتَّبَعنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا، قَد عَلِمنَا إِن كُنتَ لَمُوقِنًا بِهِ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرتَابُ - لَا أَدرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَت أَسمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدرِي؟ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ»[(٢)].

وقولُه: «وأَنَّ الْحَوضَ حقٌّ»:

وأقولُ: قد وردَتْ أحاديثُ في الحوض تبلغُ حدَّ التَّواتر[(٣)]، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ له حوضٌ، طولُهُ شهرٌ، وعرضُهُ شهرٌ[(٤)]، وأنَّ المسلمين يَرِدُون عليه يوم القيامة كأظمأ ناهلةٍ[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

(٣) انظر: «نظم المتناثر» للكتَّاني (ص٢٣٦ الكتب السلفية).

(٤) أخرج البخاريُّ (٦٥٧٩) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوضِي مَسِيرَةُ شَهرٍ، مَاؤُهُ أَبيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنهَا فَلَا يَظمَأُ أَبَدًا»، وبنحوه مسلم (٢٢٩٢).

(٥) يُشيرُ الشَّيخُ رحمه الله إلىٰ ما أخرجه الحاكمُ (٨٦٨٣)، وعبدُ الله بن أحمد في «زوائده على المسند» =

وقد قال صلواتُ الله وسلامُه عليه: «إِنِّي عَلَىٰ الْحَوْضِ حَتَّىٰ أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ»[(١)].

وفي روايةٍ عن أبي حازمٍ قال: سَمِعْتُ سَهْلَ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَه شَرِبَ مِنْه، وَمَنْ شَرِبَ منه لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فيه، قال: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»[(٢)].

وقولُه: «والصِّراطُ حقٌّ»: الصِّراطُ تعريفُه[(٣)] هو: جسرٌ يُمَدُّ على نار جهنَّم،

=
(٤/ ١٣) (١٦٢٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٦٠ - ٤٧٦ الرشد)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٩/ ٢١١ - ٢١٤) (١٦١٤٧)، من حديث أبي رزين العقيلي الطَّويل، وفيه: «فَيَطَّلِعُونَ عَلَىٰ حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَىٰ أَظْمَأ - وَاللهِ - نَاهِلَةٍ مَا رَأَيْتُهَا قَطُّ». قال الحاكمُ: «هذا حديثٌ جامعٌ في البابِ صحيحُ الإسنادِ، كلُّهم مدنيُّون، ولم يُخرجاه». وضعَّف إسناده الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (١/ ٢٨٩). ومع ذلك فقد تلقَّاه الأئمَّة بالقبول والتسليم. انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٩٢ - الرسالة) و«حادي الأرواح» (ص ٢٤٦ - المدني)؛ للإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

والنَّاهلةُ: اسمُ فاعل من النَّهَل، وهو العطَش، أي: النَّاقة العطشَىٰ. انظر: «النِّهاية» لابن الأثير (٥/ ١٣٨ المكتبة العلميَّة).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) مِن حديثِ أسماءَ بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٣) انظر: «رسالة إلىٰ أهل الثغر» للأشعري (ص١٦٣)، و«شرح النووي» علىٰ مسلم (٣/ ٢٠)، و«تفسير
=

يمرُّ عليه المُوحِّدون، ولا يصل أحدٌ إلىٰ الجنَّة إلَّا أن يَعبُر عليه، وهذا تأويلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

فالكُفَّار، والمشركون، والمُلحدون والزَّنادقةُ، كلُّ هؤلاءِ يُساقون إلىٰ النَّار - والعياذُ بالله -، ويدخلون مِن أبوابها، ولها سبعةُ أبواب، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحِجر: ٤٤]. ونسألُ الله العفوَ والعافيةَ.

أمَّا المُوحِّدون؛ وهم عصاةُ المُسلمين مِن كلِّ أُمَّةٍ؛ فهؤلاءِ يمرُّون علىٰ الصِّراط، وهو جسرٌ ممدودٌ علىٰ نار جهنَّم، أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ من السَّيف[(١)]، لا يمرُّ عليه أحدٌ إلَّا بعونٍ من الله.

وهذا الصِّراطُ الحِسِّيُّ هو الصِّراطُ المَعنويُّ الَّذي في الدُّنيا، يَتجسَّد يوم القيامة، فيكون حِسِّيًّا، والصِّراطُ المعنويُّ هو الَّذي أشارتْ إليه الآيةُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعلىٰ الصِّراط كلاليبُ تخطفُ مَن أُمِرَتْ بخطفِهِ، وتُلْقيهِ في نار جهنَّم، ثمَّ هؤلاء الَّذين يَتساقطُون في النَّار، يبقون فيها كما يشاء الله، وبقدر ما يشاءِ الله، ثمَّ يُخرجُهم اللهُ منها؛ إمَّا بشفاعةِ الشَّافعين، وإمَّا برحمةِ أرحم الرَّاحمين.

=

ابن كثير» (٥/ ٥٨ سلامة)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٤٤٦).

(١) يشيرُ الشَّيخ رحمه الله إلىٰ ما ذكره مُسلمٌ عقِبَ حديثِ أبي سعيد الخدريِّ (١٨٣)، حيثُ قال: «قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ». وأخرج نحوه أحمدُ رقم (٦/ ١١٠) (٢٤٨٣٧) عن عَائِشَةَ مَرْفُوعًا. وقال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (١٠/ ٦٥٠ -البغية): «فيه ابنُ لهيعة، وهو ضعيفٌ، وقد وُثِّق، وبقيَّةُ رجالِه رجالُ الصَّحيح».

ويكونُ خروجُهم بحسَب ما عندَهم مِن الإيمان والخير، فيقول اللهُ عَزَّوَجَلَّ بعد الشَّفاعة: «انظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زِنَةُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ»[١]. وفي رواية: «ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا»[٢]. وفي حديثٍ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»[٣]. وفي حديث: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»[٤]. وفي روايةٍ: «اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا»[٥]. وفيه: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجنَّة، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[٦].

فإذا كان بعْد أنْ يدخلَ كلُّ أهل الجنَّة الَّذين كُتِبُوا مِن أهلِها، يدخل هؤلاء

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦) (١١١٤٣) ضمن حديث طويل عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني في «ظلال الجنَّة» (٦٣٤): «إسناده جيد، وهو علىٰ شرْط مُسلم».

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. و«الحِبَّة»: بِزرُ البُقول والعُشب تنبت في البراري وجوانب السُّيول. «شرح النَّووي علىٰ مسلم» (٣/ ٢٣).

و«حميل السَّيل»: غثاؤه، وهو ما جاء به من طين وغيره، فإذا كان فيه حبَّة واستقرَّتْ علىٰ شطِّ الوادي تنبتُ بسُرعةٍ. انظر: «النِّهاية» لابن الأثير (١/ ٤٤٢).

الجنَّة - ويبقىٰ فيها فضلٌ عن أهلها -، ولكن هذا بعد ماذا؟ قَدْ يكون بعد عذابٍ يطولُ آلافِ السِّنين: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، نعوذُ بالله.

فهؤلاءِ المُعذَّبون يُطرحون علىٰ نهرٍ في أفواه الجنَّة، فينبتون فيه كالحبَّة في حَميلِ السَّيْل، ثُمَّ بعْد ذلك يَمرُّون علىٰ نهرٍ آخر؛ فيشربُون منه، فيذهبُ عنهم الطَّوف، يعني: البول والغائط، وكلُّ الأذىٰ، وتكون فيهم علامةٌ يُعرَفون بها في الجنَّة، يُقَال: هؤلاء الجَهنَّميُّون في أعناقهم الخواتيمُ، يُقال: هؤلاء عُتَقاء الله.

هذا كلُّ ما يَتعلَّق بالصِّراط، يَمرُّون عليه كلمْح البصر، وكالبرقِ، وكالرِّيح، وكأجاويدِ الخيل، وكَسَعْي الرِّجالِ، ومنهم مَن يمشي، ومنهم مَنْ يزحف علىٰ بطنه؛ فيطأ الجمرةَ، فيقولُ: «حَسِّ[1]؛ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ: أَوَانُهُ»[2]، نسأل الله العفوَ والعافيةَ.

وقولُه: «والبعْث بعْد الموتِ حقٌّ»: البعثُ بعْد الموت كائنٌ، وذلك في اليوم الآخر، فَقَدْ ورد في الأخبار عن هذا اليوم أنَّه تكونُ فيه نفخة الفزَع، وتطولُ، يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ [ص: ١٥]؛ أي: رجوعٌ إلىٰ الدُّنيا، ثمَّ يتلوها نفخةُ الصَّعْق، وهي الَّتي يموتُ منها النَّاس جميعًا، لا يبقىٰ حيٌّ إلَّا مات، حتَّىٰ حمَلَة العرش، وجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملَك الموت، ولا يبقىٰ إلَّا ربُّ العِزَّة، ويأتي تأويلُ قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾

---

(١) الحسُّ: الصَّوت أو الحركة الخفيَّة، ومنه حسيس؛ قال الله تعالىٰ عن أهل الجنَّة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢]. انظر: «لسان العرب» (٦/ ٤٩ صادر).

(٢) جزء من حديث أبي رزين العقيلي الطويل. وقد سبق تخريجه. و«أوانه»: أي: أوانُ خروجه من النار.

وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

وقد ورد في حديثِ عبدِ الله بن عُمر رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَطْوِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»(١).

وقد أشارَ القرآنُ إلىٰ ذلكَ بقولِه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقَدْ رُوِيَ في الحديث: «فَإِذَا صَعِقُوا جَمِيعًا يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا إِسْرَافِيلُ مَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَ إِسْرَافِيلُ عَبْدُكَ الضَّعِيفُ، فَيَقُولُ: مُتْ يَا إِسْرَافِيلُ فَيَمُوتُ، ثُمَّ يَقُولُ الْجَبَّارُ تَعَالَىٰ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فَلَا هَمِيسَ، وَلَا حَسِيسَ، فَلَا نَاطِقَ يَتَكَلَّمُ، وَلَا مُجِيبَ يَفْهَمُ، وَقَدْ مَاتَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَإِسْرَافِيلُ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَيَرُدُّ الْجَبَّارُ عَلَىٰ نَفْسِهِ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾»(٢).

وَيُرْسِلُ اللهُ عَلَىٰ الأَرْضِ مَطَرًا مِنْ تَحْتِ العَرْشِ، فَيَنْبُتُونَ فِي أَصْوَائِهِمْ(٣) وقبورهم، يرسل الله ذلك المطر على الأرض أربعين يومًا، وكلُّ شيءٍ من ابنِ آدم يَبْلَىٰ إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ(٤)، فَينبُتُ الإنسانُ منه حتَّىٰ إذا تكاملت أجسادُهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

(٢) أخرجه البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شعب الإيمان» (١/ ٥٣٩) (٣٤٨) عن ابن عباس رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: «بإسناد ضعيف».

(٣) الأَصْوَاءُ: القُبور. وأصلُها من (الصُّوىٰ): (الأعلامُ)، فشَبَّه القُبورَ بها. «النِّهاية» لابن الأثير (٣/ ٦٢ المكتبة العلميَّة).

(٤) عجب الذَّنب: العظم اللَّطيف الَّذي في أسفل الصّلب، وهو رأس العصعص، ومنه يُركب الخلق. انظر: =

زجَر الله الأرضَ زجرةً، فترفعُهم إلىٰ أقرب قشرتها، ثمَّ يُحيي اللهُ إسرافيلَ، فيأمُره أنْ ينفخَ في الصُّور نفخةَ القِيام الَّتي يقولُ الله تعالىٰ عنها: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ [الزُّمر: ٦٨ - ٦٩].

فإذا نفخ إسرافيل النَّفخة الأخيرة، طارت الأرواح إلىٰ أجسادها، فكلُّ رُوحٍ يذهب إلىٰ الجسد الَّذي كان يعمره، ويكون أعلم به، ويأمر الله الأرض فتنشق عنهم، فيقومون من قُبُورهم، ويرسل الله داعيًا يدعو: يا أيُّها النَّاس، هَلمُّوا إلىٰ ربِّكم، قال تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾ [القمر: ٦ - ٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسٗا ۝١٠٨﴾ [طه: ١٠٨]، فكلُّهم يتَّبعون الدَّاعي، يقومون حُفاةً غير منتعلين، عُراةً غير مُكْتسِين، غُرْلًا غير مختونين[(١)]، حتَّىٰ يصلوا إلىٰ أرض الموقف، فيقفوا، يجتمع أوَّلُهم وآخِرُهم، وإنْسُهم وجِنُّهم، ويقفون ذلك اليوم الطَّويل الَّذي ذكَره الله عَزَّ وَجَلَّ في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٖ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦﴾ [المعارج: ١ - ٦].

=

«شرح النَّوويِّ علىٰ مُسلم» (١٨/ ٩٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٥٢).

(١) أي: غير مختونين جمع أغرل. والغرلة: القلفة، أي: الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذَّكر. انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (١٩/ ٣٦٨ الفلاح).

فهذا هو البعثُ بعد الموتِ، يبقون قيامًا مُدَّةً طويلةً، ينتظرُون ماذا يُفعَل بهم، حتَّىٰ يمشي المؤمنون بعضُهم في بعضٍ، ويقولُون: انظرُوا إلىٰ مَنْ يشفع لكُم إلىٰ ربِّكم ليُريحكُم مِن هذا الموقفِ، فيأتون إلىٰ آدمَ، فيُحِيل إلىٰ نُوحٍ، ثمَّ نُوح فيُحيل إلىٰ إبراهيمَ، ثمَّ إبراهيم فيُحيل إلىٰ مُوسىٰ، ثمَّ مُوسىٰ فيُحيل علىٰ عيسىٰ، ثم عيسىٰ فيُحيل علىٰ مُحمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وحينئذٍ يقول النَّبيُّ ﷺ: أنا لها، أنا لها، فيشفع إلىٰ ربِّه في فصل القضاء، وعندئذٍ يأمر الله بفصل القضاء، فتتطاير الصُّحُف؛ فآخذٌ بيمينه، وآخذٌ بشماله، ثمَّ يفترق النَّاس تفرُّقًا لا لقاء بعده، فأهل السَّعادة يذهبون إلىٰ الجنَّة، وأهل الشَّقاء يدخلون النَّار[1]، والعياذ بالله.

وقولُه: «والمُحاسبة مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ للعبادِ حقٌّ» أقولُ: خلَقَ اللهُ العِبادَ للعبادةِ، وجعَل غايَتهُم الحسابَ والجزاءَ، سواءٌ عمِلوا لهذه الغايةِ، وحسبُوا حسابها بالعمل أم لا؟ فهي كائنةٌ ولا بدَّ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، وقال جلَّ مِن قائل: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨]، وقال أيضًا: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر ٩٢ - ٩٣]، وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٢]، نعوذُ بالله.

---

(١) انظر أدلَّة تفاصيل البعث وما يقع فيه في: «النِّهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ٢٧٩-٤٢٢) و(٢/ ٣-٩٨)، ط: الجيل.

وأوَّل خطبةٍ خَطَبها ﷺ بمكَّة حين دعا قومَه، قوله بعد أنْ حَمِدَ الله وأثنى عليهِ: «إنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أهْلَهُ، واللهِ، لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جميعًا ما كَذَبْتُكُمْ؛ وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ مَا غَرَرْتُكُمْ، واللهِ الَّذِي لا إلَهَ إلَّا هُوَ، إنِّي لَرَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ خاصةً، وَإلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، واللهِ لتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بالإحْسَانِ إحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإنَّهَا لَلْجَنَّةُ أبَدًا أوْ النَّارُ أبَدًا، وَإنَّكُمْ لأوَّلُ مَنْ أُنْذِرُ بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ»[1].

وقولُه: «والوُقوف بينَ يدَي اللهِ حقٌّ»: نَعَم، كلُّ إنسانٍ سيقفُ بين يدَي ربِّه، كما ورد في الحديثِ عن عديِّ بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مِنكُم أَحَدٌ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ مِنهُ فَلَا يَرَىٰ إلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إلَّا النَّار تِلقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّار وَلَو بِشِقِّ تَمرةٍ»، قَالَ الأعمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمرُو بنُ مُرَّةَ عَن خَيثمةَ مِثلَهُ، وَزادَ فِيهِ: «وَلَو بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2].

إذًا، فالوقوف بين يدي الله نهايتُهُ بالمحاسبةِ والجزاءِ.



---

(١) أخرجه البلاذريُّ في «أنساب الأشراف» (١/١١٨ الفِكر). وفي سندِه محمَّد بن عمر الواقديّ، قال في «التَّقريب»: «متروكٌ مع سعةِ علمِه»، وابن أبي سبْرة: وهو أبو بكر بن عبد الله بن محمَّد بن أبي سبْرة المدنيّ، رموه بالوضع كما في «التَّقريب».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

الإيمانُ قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقصُ

ويُقِرُّون بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يَزيدُ ويَنقصُ، ولا يَقولونَ: مَخلوقٌ ولا غيرُ مَخلوقٍ، ويَقولُونَ: أسماءُ اللهِ هي اللهُ.

الشرح:

قولُه: «ويُقِرُّون بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ»:

أقولُ: الإيمانُ في اللُّغة: هو التَّصديق(١). وفي الشَّرع: اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللِّسان، وعمَلٌ بالجوارح، يزيدُ بالطَّاعة، ويَنقصُ بالمعصية، وقد ذكر اللهُ زيادةَ الإيمان في آياتٍ كثيرةٍ، ومِنْ لازِمِ الزِّيادة: النُّقصانُ؛ قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١﴾ [المدَّثر: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

فأهلُ السُّنَّة يُقِرُّون بأنَّ الإيمانَ: اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللِّسان، وهو النُّطق بالشَّهادتَين، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطَّاعة، ويَنقُص بالمعصيةِ.

(١) انظر: «تهذيب اللُّغة» (١٥/ ٣٦٨ إحياء التُّراث العربيّ).

وقد ذكَر البُخاريُّ في كتاب الإيمان الآيات الَّتي فيها الزِّيادةُ، وذكَر الأعمالَ الَّتي اعتبرَها الشَّرعُ من الإيمان، ومَنْ شاء فليراجع هذا الموضوع في كتاب الإيمان(١) من «فتح الباري» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

أمَّا المرجئةُ فهم يقولون: الإيمانُ هو التَّصديق فقطْ، وأنَّه لا يزيدُ ولا ينقصُ، ويزعمون أنَّ إيمانَ الفاسق مِن المُسلمين كإيمان جبريلَ وميكائيلَ وأبي بكرٍ وعمر، وقولُهُم هذا باطلٌ تَردُّه الأدلَّةُ.

وقولُه: «وَلا يَقولُون: مَخلوقٌ ولا غيرُ مخلوقٍ، ويقولُون: أسماء الله هي الله»: الَّذي نعلمُه مِن عقيدةِ أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ أعمالَ العبادِ كلَّها مخلوقةٌ، واللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافَّات: ٩٦].

واللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يُخبرُنا في كتابه بأنَّ الهدايةَ منه جَلَّ وَعَلَا، وأنَّ الخُذلانَ والزَّيغَ كلُّ ذلك مُقدَّرٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرّعد: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصَّفّ: ٥]، فنسب الزَّيْغ إليهم كَسْبًا، ونسب الإزاغة لقلوبهم إليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جزاءً لهم علىٰ ما فعلُوه من الزَّيْغ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي

(١) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٦ فما بعدها)، دار المعرفة.

طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال جلَّ من قائل: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥]، وقال تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]. فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذي يخلُق الهدايةَ في القلب، وهو الَّذي يُزيغُ القلوبَ، نعوذُ بالله مِن الزَّيْغ بعْدَ الهدايةِ.

وقد ورد في حديث عبد الله بن عمْرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

حُكمُ الشَّهادةِ بالجنَّةِ والنَّارِ

ولا يَشهدُون علىٰ أحدٍ مِن أهْلِ الكَبائِرِ بالنَّارِ، ولا يَحكُمون بالْجنَّة لأحدٍ مِن المُوحِّدين حتَّىٰ يكونَ اللهُ سبحانَه يُنزلُهم حيثُ شاءَ، ويَقولُونَ: أمرُهم إلىٰ اللهِ، إنْ شاءَ عذَّبهم، وإنْ شاءَ غفرَ لهُمْ.

الشرح:

أقولُ: عقيدةُ أهلِ السُّنَّة والجماعة أنَّهم لا يَشهدُون لأحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ إلَّا لمَنْ شهد له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة؛ كالعشرةِ المشهودِ لهم بها، كما في حديثِ عبد الرَّحمن بن حُمَيدٍ عن أبيه أنَّ سعيدَ بن زَيدٍ حَدَّثه في نَفرٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «عشَرَةٌ في الْجنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجنَّةِ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبيرُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحمَنِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ، وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ، مَنِ الْعَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي باللهِ، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ[1].

وعن قتادةَ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: صَعِدَ النَّبيُّ ﷺ إِلَىٰ أُحُدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، قَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ»[2]. وفي روايةٍ: «فإنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٤٨)، وأبو الأعور هو: سعيد بن زيد رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٦١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٦).

وَشَهِيدَانِ»[(١)].

وشهد لثابت بن قيس بن شمَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بالْجنَّة[(٢)]، وشهد للمرأة السَّوداء بالجنَّة[(٣)]، وشهد لعبدِ الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بالْجنَّة، كما في حديثِ أبي النَّضر عن عامرِ بن سعْدٍ، قال: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْشِي: إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ»[(٤)].

ومَنْ عدا هؤلاءِ مِمَّنْ لم يَشْهَد لهم النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة، فنحنُ لا نقطع لأحدٍ بالجنَّة، ولا بالنَّار، ولكنَّا نرجو للمُحسن، ونخافُ على المُسيء، وأَمْرُ العبادِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، هم خَلقُه وعباده، لَوْ عَذَّبهم جميعًا لعَذَّبهم وهو غيرُ ظالِمٍ لهم، ولَو رحمَهم جميعًا لكانت رحمتُه خيرًا لهم مِن أعمالِهم.



---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) أخرج مسلم (١١٩) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنه قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحُجرات: ٢] إلى آخر الآيةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟». قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦) عن عَطاءِ بن أبي رَبَاح قالَ: قَالَ لِي ابنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨٣).

حُكم الجدَل والمِراءِ

ويُؤمنُون بأنَّ اللهَ سُبحانَه يُخرِج قَومًا مِن المُوحِّدينَ مِن النَّار علىٰ مَا جاءَتْ به الرِّواياتُ عن رسُول الله ﷺ.

ويُنكرون الجدَلَ والمِراءَ في الدِّين، والخُصومة في القَدَر، والمُناظرة فيما يَتناظرُ فيه أهلُ الجدَل ويَتنازعُون فيه مِن دِينِهم بالتَّسليم للرِّوايات الصَّحيحةِ، ولمَا جاءتْ به الآثار الَّتي رواها الثِّقاتُ عدْلًا عنْ عدْلٍ، حتَّىٰ تنتهيَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا يقولون: كيفَ، ولا لِمَ؟ لأنَّ ذلك بدْعةٌ.

الشرح:

قولُه: «ويُؤمنونَ بأنَّ اللهَ سبحانه يُخرجُ قومًا مِن المُوحِّدين مِن النَّار علىٰ ما جاءَتْ به الرِّوايات عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ»:

قد سبقتْ الإشارةُ إلىٰ هذا، وأنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يُعذِّبُ أقوامًا مِن المُسلمين مِن أهل الكبائر، ويُخْرجُهم مِن النَّار؛ إمَّا بشفاعةِ الشَّافعين، وإمَّا برحمةِ أرحم الرَّاحمين.

قولُه: «ويُنكرُون الجدَل والمِرَاء في الدِّين، والخُصومة في القدَر، والمُناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدَل ويَتنازعون فيهِ مِن دينهم بالتَّسليم للرِّوايات الصَّحيحةِ، ولِمَا جاءَتْ به الآثارُ الَّتي رواها الثِّقاتُ عدْلًا عن عدْلٍ، حتَّىٰ تنتهيَ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، ولا يَقولون: كيف، ولا لِمَ؟ لأنَّ ذلك بدعةٌ»:

أقولُ: تَرْكُ المراءِ والجدَل في الدِّين هذا هو الَّذي ينبغي لأهل الدِّين، وقَد

تورَّع كثيرٌ مِن السَّلف عن الجدَل والخُصومات أخذًا بتوجيهِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فعَنْ عمرو بن شُعيبٍ عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنه قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ[1]، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ - أَوْ: لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ - تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ!» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَخَلُّفِي عَنْهُ»[2].

وفي روايةٍ من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا عند بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَذَاكَرُ، يَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ، وَيَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: «يَا هَؤُلَاءِ، بِهَذَا بُعِثْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟! لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[3].

فتَرْكُ الجدَل هو الأولىٰ، حتَّىٰ ولو رأىٰ الإنسانُ أنَّه قادرٌ علىٰ الانتصار، وينبغي أنْ نَعرضَ علىٰ أهل البدع الأدلَّة الَّتي خالفوها، فإنْ قَبِلوا ذلك فالحمدُ لله، وإنْ لم يقبلوا؛ كنَّا قد أقمْنا الحُجَّة عليهم، وحينئذٍ نتركُهم.



---

(١) أي: فغضِبَ فاحمرَّ وجهُه مِن أجل الغضب احمرارًا يُشبهُ فقْءَ حبِّ الرُّمان في وجهِه. «حاشية السِّندي علىٰ سُنن ابن ماجه» (١/ ٤٤ الجيل).

(٢) أخرجه ابنُ ماجه (٨٥)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه»: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المُعجم الكبير» (٦/ ٣٧) برقم (٥٤٤٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١٤٠): «صحيحٌ لغيره».

اللهُ أرادَ الخيرَ كونًا، ورَضيه شرعًا، وأرادَ الشرَّ كونًا، ولم يرضه شرعًا

ويقولون: إنَّ اللهَ لم يأمُرْ بالشَّرِّ، بل نهىٰ عنه، وأمر بالخيرِ، ولم يرضَ بالشَّرِّ، وإنْ كان مُريدًا له.

الشرح:

أقولُ: هذا كقولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٢٩].

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أراد الخيرَ كونًا، ورَضيَه شرعًا، وأراد الشَّرَّ كونًا، ولم يَرضَه شرعًا، ولم يأمر به قطُّ، ولا رَضيَهُ، فيجبُ علىٰ المُسلم أنْ يعلمَ ذلك ويعتقدَه حتَّىٰ لا يقعَ في العقائد الباطلة.



فضلُ السَّلف

ويعرفونَ حقَّ السَّلف الَّذين اختارَهم اللهُ سبحانَه لِصُحبةِ نبيِّهِ ﷺ، ويأخذُون بفضائِلِهم، ويُمسِكون عمَّا شَجَر بينَهم؛ صَغيرِهم وكَبيرِهم.

الشرح:

أقولُ: الآياتُ في تفضيل الصَّحابة كثيرةٌ، منها قولُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال في سورة (براءة): ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ويقول أيضًا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٨].

وفي الحديثِ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومُسلمٌ (٢٥٤٠) مِن حديثِ أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضلُ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ الأربعة، ونزولُ الله، والأخذُ بالكِتابِ والسُّنَّة

ويُقدِّمون أبَا بكرٍ، ثمَّ عُمرَ، ثمَّ عُثمانَ، ثمَّ عليًّا رضوانُ الله عليهم.

ويُقرُّون أنَّهم الخُلفاءُ الرَّاشدون المَهديُّون، أفضلُ النَّاس كُلِّهم بعْدَ النَّبيِّ ﷺ.

ويُصدِّقون بالأحاديثِ الَّتي جاءَتْ عنْ رَسولِ الله ﷺ أنَّ اللهَ سُبحانَه ينزِلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا؛ فيَقولُ: هلْ مِنْ مُستغْفرٍ... كما جاءَ الحديثُ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ.

ويَأخُذونَ بالكتاب والسُّنَّة؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: ٥٩].

الشرح:

قولُه: «ويُقدِّمون أبَا بكرٍ، ثمَّ عُمرَ، ثمَّ عُثمانَ، ثمَّ عليًّا رضوانُ الله عليهم».

أقولُ: تقديمُ أبي بكرٍ، ثمَّ عُمر، ثمَّ عُثمان، هذا قد ورد فيه حديثٌ عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفْظ: «كُنَّا نُخيِّرُ بيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(١). وفي روايةٍ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»(٢).

وقوله: «ويُقرُّونَ أنَّهُم الخُلفاءُ الرَّاشدون المَهديُّون، أفضلُ النَّاسِ كلِّهم بعْدَ النَّبيِّ ﷺ»:

أقولُ: يَدلُّ على ذلك حديثُ العِرباضِ بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥). (٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

والخُلفاءُ الرَّاشدونَ: هم أبو بكرٍ، وعُمر، وعُثمان، وعليٌّ رضي الله عنهم جميعًا.

وقولُه: «ويُصدِّقُون بالأحاديثِ الَّتي جاءَتْ عنْ رسُول الله ﷺ أنَّ اللهَ سُبحانه ينزلُ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا؛ فيقولُ: هل مِنْ مُستغفرٍ... كمَا جاء الحديثُ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ»:

أقولُ: قد صحَّ عنْ رسول اللهِ ﷺ صِحَّةً لا يَشُوبُها شكٌّ أنَّ اللهَ ينزلُ كلَّ ليلةٍ إلىٰ السَّماء الدُّنيا في الثُّلُث الأخير من اللَّيل؛ فيقولُ: هل مِن مُستغفرٍ فأغفر له؟ هل مِن تائب فأتوب عليه؟ هل مِن سائلٍ فأعطيه؟ حتَّىٰ يطلُع الفجرُ، كما في حديث أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»(٢).

وقولُه: «ويَأخُذُون بالكتَاب والسُّنَّة؛ كما قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: ٥٩]»:

أقولُ: ردُّ التَّنازع إلىٰ الله، وإلىٰ الرَّسول أمرٌ مُجمَعٌ عليه، فالآياتُ القرآنيَّة، والأحاديثُ النَّبويَّةُ كلُّها دالَّةٌ علىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢ و٤٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود»، وفي «الإرواء» (٢٤٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

فضلُ الاتِّباع، ومَجيءُ الله يوم القيامة، وقربُه من خلقه

ويَرَون اتِّباع مَن سلَف مِن أئمَّةِ الدِّين، وألَّا يَبتدعُوا في دِينِهم ما لمْ يأذَن بِهِ اللهُ.

ويُقِرُّون أنَّ اللهَ سبحانَه يَجيءُ يومَ القِيامةِ، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

وأنَّ اللهَ يَقرُبُ مِنْ خَلقِهِ كيفَ يشاءُ، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

الشرح:

قولُه: «ويَرَون اتِّباعَ مَن سلَف مِن أئمَّةِ الدِّين، وألَّا يَبتدِعُوا في دينِهم ما لمْ يأذن بهِ اللهُ»:

أقولُ: دليلُ ذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ مُتوعِّدًا لمَن خالَف سبيلَ المؤمنين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّساء: ١١٥]. ومعنىٰ هذه الآية: أنَّ مَن شاقق الرَّسول ﷺ؛ بأَنْ صارَ في شقٍّ غيرِ شِقِّه، وكان مِمَّن يكونون ضِدَّه، واتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين - إذ إنَّ سبيلَ المُؤمنين طاعةُ الله، وطاعةُ رسولِه ﷺ، واتِّباع مَن سَلَف من هذه الأُمَّة -؛ توعَّده اللهُ بالمجازاة علىٰ ذلك بأنْ يُحسِّنَها في صدرِه، ويُزيِّنها له؛ استدراجًا له، وجعَل النَّارَ مصيرَه في الآخرة[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١٣ سلامة).

ويَستدلُّون علىٰ ذلك - أي علىٰ اتِّباع السَّلف - بحديثِ العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا؟! قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وقولُه: «ويُقرُّون أنَّ اللهَ سُبحانه يَجِيءُ يوم القِيامةِ، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]»؛ أي: أنَّهم يؤمنون بمجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء، حين يَجمعُ اللهُ الجنَّ والإنس في صعيدٍ واحدٍ، وتنزلُ ملائكةُ السَّماءِ الدُّنيا، فيكونون صفًّا مِن ورائِهم، وهكذا ملائكة السَّماء الثَّانية، والثَّالثة، والرَّابعة.. إلىٰ السَّابعة، وتكون الملائكة صفوفًا مِن وراءِ الجنِّ والإنس، وذلك حين ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ١٠].

وقولُه: «وأنَّ اللهَ يَقربُ مِن خَلْقه كيف يشاءُ، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]»:

وأقولُ: إنَّ اللهَ قريبٌ مِن خَلْقه باطِّلاعه عليهم، وهَيمَنتِه، وقُدرتِه، وعلمِه الشَّامل، وهو بذاته علىٰ العرش كما قال جلَّ مِن قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

وعن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا، ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ[١]؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ؛ تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ» أخرجه البُخاريُّ[٢].



(١) ارفقوا بأنفُسِكم، واخفضُوا أصواتكم. «شرح النَّووي علىٰ مُسلم» (١٧/ ٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

طاعةُ الأئمَّة والصَّلاةُ خلفَهُم، وإثباتُ المسْحِ على الخفَّين، وفرضيَّةُ الجهاد

ويَرونَ العيدَ، والجُمعةَ، والجماعةَ خلْف كلِّ إمامٍ برٍّ وفاجرٍ.

ويُثبِتُون الْمَسحَ علىٰ الخُفَّين سُنَّةً، ويَرونَه في الحضر والسَّفر، ويُثبتُون فرضَ الجِهاد للمُشركين منذُ بعثَ اللهُ نبيَّه إلىٰ آخِر عِصابةٍ تُقاتل الدَّجَّال، وبعدَ ذلك.

الشرح:

قوله: «ويَرونَ العيدَ، والجُمعةَ، والْجماعةَ خلْف كُلِّ إمامٍ برٍّ وفاجرٍ»؛ يعني: أنَّهم يَرون طاعةَ الأئمَّة، والصَّلاةَ وراءَهم، ودفْع الزَّكاة إليهم، والجهادَ معهم، ولا يُجيزُون الخروج عليهم، كما دلَّت علىٰ ذلك الأدلَّة.

وقولُه: «ويُثبِتُون المسحَ علىٰ الخُفَّين سُنَّةً، ويَرونه في الحضَر والسَّفَر»:

وأقولُ: المسح علىٰ الخُفَّين سُنَّةٌ مِن سُنن الإسلام، يمسحون عليها من كلِّ حدثٍ أصغر، ويجبُ خلعهما للحدث الأكبر، وإنَّما ذكر المسح علىٰ الخُفَّين في كتب العقيدة؛ لأنَّ الخوارج والرَّافضة لا يرون ذلك، فلذلك كانت مذكورةً في كتب العقيدة.

وقوله: «ويُثبتُون فرضَ الجهادِ للمُشركين منذُ بعثَ اللهُ نبيَّه إلىٰ آخِر عِصابةٍ تُقاتلُ الدَّجَّالَ، وبعدَ ذلك»:

أقولُ: الجهادُ فرضُ كفايةٍ؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

فالجهادُ فرضٌ لهاتين الآيتين، لكنَّه مفروضٌ بشروطٍ، منها:

١- أنْ يكون تحت لواءِ إمامٍ يُجاهدُ، وأتباعه يجاهدون معه؛ لأنَّ بني إسرائيل لمَّا أرادوا الجهادَ طلبُوا من نَبيِّهم الَّذي كان في عصرهم بأن يبعث لهم مَلِكًا يجاهدون معه، فبعث الله لهم مَلكًا، والقصَّة معروفةٌ في سورة (البقرة).

٢- أن يكون القوم المجاهدون لهم قُوَّةٌ يُناوِئون بها العدوَّ، فإن كانُوا مُستضعفِين بحيثُ إنَّ القوَّة مُتفاوتةٌ، فهنا لا يجبُ القِتالُ، وربَّما يُقال: إنَّ الجهادَ مُستَحبٌّ توكُّلًا علىٰ الله.

٣- جعَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ الوجوب معلَّقًا بما إذا كان عددُ المسلمين المجاهدين يقابل عددًا ضعفهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

فإذا لم يعزم الإمامُ علىٰ الجِهاد، فإنَّ الجهاد لا يجبُ علىٰ الرَّعيَّة؛ لأنَّ الجهاد الشَّرعيَّ لا يتمُّ إلَّا بقيادةٍ، والقيادة لا تتمُّ إلَّا بقوَّةٍ، إذْ إنَّ القوَّة المُبعثرةَ لا تنفعُ، فمَن ذهَب بنفسِه للجهادِ، أو مع جماعة بزعمهم أنَّهم يُجاهدون مِن دون قيادةٍ ولا إمام، فهذا لا ينبغي، والواجب علىٰ وُلاة الأمور أن ينظرُوا في هذا الأمر.

وقد ورد في الحديثِ عن يزيد بن الأصمِّ، قال: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي

سُفْيَانَ ذَكَرَ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ أَسْمَعْهُ رَوَىٰ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ مِنْبَرِهِ حَدِيثًا غَيْرَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(١)].

وفي حديثٍ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»[(٢)].

ويظهر أنَّ المقاتلةَ هنا تارةً تكون بالقتال بالآلاتِ الحربيَّة، وتارةً تكون - بين أصحاب العقيدة الصَّحيحة الَّتي تستند إلىٰ الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة، وبين مَن يخالفهم - بالحُجَّة والبيان.



(١) أخرجه مُسلمٌ (١٠٣٧)، وأخرجه البخاريُّ بنحوهِ مِن غيرِ طريقِ يزيد بن الأصم (٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٨٤) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٩٥٩).

الدُّعاءُ لأئمَّة المسلمين بالصَّلاح، وتَرْكُ الخروجِ عليهم، والمُقاتلة في الفتنةِ

ويَرَون الدُّعاءَ لأئمَّة المُسلمين بالصَّلاح، وألَّا يَخرجُوا علَيهم بالسَّيفِ؛ وألَّا يُقاتلوا في الفتْنةِ.

الشرح:

وأقولُ: الواجب علىٰ طُلَّاب العلم جميعًا، ومَن يعلمون الحقَّ ويُميِّزونه بالأدلَّة أن يرجعوا إلىٰ عقيدة السَّلف؛ وهي السَّمع والطَّاعة لأئمَّة المسلمين في غير معصية الله، والدُّعاء لهم بالصَّلاح والتَّسديد والنَّصر؛ سواء كان في خطب الجمعة، أو في غيرها، ولِهذا أُثِرَ عن الفُضيل بن عياض أنَّه قال: «لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَمْ أَجْعَلْهَا إِلَّا فِي إِمَامٍ؛ لِأَنَّه إِذَا صَلحَ الإِمَامُ، أَمِنَ البِلَادُ وَالعِبَادُ»(١).

أمَّا قولُه: «وألَّا يَخرُجوا عليهِم بالسَّيفِ»:

فأقولُ: الواجبُ علىٰ المُسلمين لوُلاتهم السَّمع والطَّاعة؛ سواء كان الوُلَاة أبرارًا أو فُجَّارًا، والواجب عليهم عدمُ الخُروج علىٰ الولاة بالسَّيف، وفي ذلك أحاديثُ كثيرةٌ، منها:

حديثٌ عن جُنادَةَ بن أَبي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم «الحلية» (٨/ ٩١)، وفي «فضيلة العادلين» (٤٨ الوطن). وانظر: «أصول الاعتقاد» للَّالكائيّ (١/ ١٩٧ طيبة).

قَالَ: «دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[١].

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرويهِ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٢].

وحديث عن نافعٍ قال: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُه، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٣].

وحديث عن زِيَادِ بن عِلاقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَرْفَجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ[٤]، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ»[٥].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥ و٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٤) أي: فتنٌ وأمورٌ حادثةٌ. «شرح النَّوويّ علىٰ مُسلم» (١٢/ ٢٤١).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

وعن عوف بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[(١)].

فما أعظم الخطر علىٰ أقوامٍ مِن أصحاب الحزبيَّات! يُكفِّرون الوُلاة من المسلمين والعُلماء، ويرون الخروج عليهم، فهؤلاء علىٰ خطرٍ عظيمٍ؛ لأنَّ عقيدتهم سَيِّئةٌ؛ إذ إنَّها عقيدة الخوارج الَّذين قال عنهم النَّبيُّ ﷺ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ»[(٢)].

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ: سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ[(٣)]، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»[(٤)].

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ في تُربتها[(٥)] إلىٰ رسول الله ﷺ، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ العَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٣)، مِن حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٣٣٤٧).

(٣) أي: حلوقهم.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٥) الذَّهبة: قطعة من الذَّهب. «عون المعبود» (٩/ ٢٠٥١ المكتبة السلفية).

بَنِي كِلَاب، وَزَيْدُ الْخَيرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ! فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ».

فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَينِ، غَائِرُ الْعَيْنَينِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ؟! قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ؟! أَيَأْمَنُنِي عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ وَلا تَأْمَنُونِي؟» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَومِ فِي قَتْلِهِ -يَرَونَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ-، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ[1] هَذَا قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ[2]»[3]. وفي روايةٍ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»[4].

وحديث: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ يَرْتَدَّ عَلَىٰ فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»[5].

---

(١) أصل هذا. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧/ ١٦٢).

(٢) أي: قتلًا عامًّا مستأصلًا، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨]. «شرح النووي» (٧/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن أبي داود».

وحديث أبي بكرة ﵁: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ سَاجِدٍ؛ وَهُوَ يَنْطَلِقُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَقَضَىٰ الصَّلَاةَ، وَرَجَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَقَالَ: «مَنْ يَقْتُلُ هَذَا؟»، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَسَرَ عَنْ يَدَيْهِ، فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهَزَّهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلًا سَاجِدًا، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟! ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَقْتُلُ هَذَا؟» فَقَامَ رَجُلٌ؛ فَقَالَ: أَنَا، فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، وَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهَزَّهُ؛ حَتَّىٰ أُرْعِدَتْ يَدُهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلًا سَاجِدًا، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَتَلْتُمُوهُ، لَكَانَ أَوَّلَ فِتْنَةٍ وَآخِرَهَا»(١).

وللحديثِ شاهدٌ من حديثِ أنسٍ نحوه، وفيه: أَنَّ الرَّجلَ الأَوَّلَ الَّذي قام لِقتلِه هو أبو بكرٍ، والثَّاني عمرُ. وزادَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ هَذَا فَيَقْتُلُهُ؟»، قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتَ لَهُ إِنْ أَدْرَكْتَهُ»، فَذَهَبَ عَلِيٌّ؛ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَرَجَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقَتَلْتَ الرَّجُلَ؟»، قَالَ: لَمْ أَدْرِ أَيْنَ سَلَكَ مِنَ الأَرْضِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا أَوَّلُ قَرْنٍ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي، لَوْ قَتَلْتَهُ مَا اخْتَلَفَ فِي أُمَّتِي اثْنَانِ، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا عَلَىٰ وَاحِدٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ - يعني: أُمَّتَهُ - سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً»، فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ تِلْكَ الفِرْقَةُ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»(٢).

وورد بلفظٍ آخر في آخره: فَرَجَعَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَمْ يَرَهُ، فَقَالَ ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٥/ ٤٢) (٢٠٤٤٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٤٩٥).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤١٢٧ سليم أسد).

«إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّىٰ يَعُودَ السَّهْمُ فِي فُوقِهِ - أي: موضع الوتر منه - فَاقْتُلُوهُمْ؛ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ»[(١)]، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الثَّابتة فيهم[(٢)].

وقولُه: «وألَّا يقاتلوا في الفتنةِ»:

أقولُ: الفتنةُ إذا لم يكُن هناك إمامٌ معروفٌ، واشْتَبه الحقُّ بالباطل، فهذه هي الفتنة، أمَّا مَن كان له إمامٌ معروفٌ، وخرَج عليه مَن خرَج، فإنَّه يجبُ القتال معه؛ لحديث أبي سعيدٍ[(٣)]، وحديث عرفجة الكلابيّ[(٤)]، وغيرهما.



(١) أخرجه أحمدُ (٣/ ١٥) (١١١٣٣). وانظرْ هذه الرِّوايات في «السِّلسلة الصَّحيحة» تحت رقم (٢٤٩٥).

(٢) أي: الخوارج.

(٣) أخرج مسلمٌ (١٨٥٣) عن أبي سعيد الخُدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا».

(٤) أخرج مسلم (١٨٥٢) عن عرفجة الكِلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ».

خُروجُ الدَّجَّال ونزولُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

ويُصدِّقون بخُروج الدَّجَّال، وأنَّ عيسىٰ ابنَ مريم يقتلُه.

الشرح:

أي: يُصدِّقون ذلكَ بالأحاديث الواردة فيه، والأحاديثُ الواردةُ في الدَّجَّال كثيرةٌ، وأنَّه يمكث في الأرض أربعين يومًا: يومٌ كَسَنَةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كأسبوعٍ، وسائر أيَّامه كأيَّامنا هذه؛ لحديثِ النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ[(١)]، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ (الْكَهْفِ)، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا[(٢)]، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ومَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَومٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ،

---

(١) **أي**: شديد جعودة الشَّعر. «شرح النَّووي علىٰ مُسلم» (١٨/ ٦٥).

(٢) **العيث**: الفساد أو أشدّ الفساد والإسراع فيه. المرجع السَّابق.

وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا(١)، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ(٢)، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ(٣)، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ(٤)، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَينِ(٥)، رَمْيَةَ الْغَرَضِ(٦)، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَينِ(٧)، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ(٨)، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ(٩)، فَيَقْتُلُهُ.

---

(١) **تروح**: أي: ترجع آخر النَّهار، **والسَّارحةُ**: هي الماشيةُ الَّتي تسرحُ، أي: تذهبُ أوَّل النَّهار إلىٰ المرعىٰ، **والذُّرَىٰ**: الأعالي والأسنمة، جمع: ذُروة. «شرح النَّووي علىٰ مُسلم» (١٨/ ٦٦).

(٢) **أسبغه**: أي: أطوله لِكثرة اللَّبَن، وكذا «**أمدّه خواصر**»؛ لكثرة امتلائها مِن الشِّبع. المرجع السابق.

(٣) أي: أصابهم المحلُ وهو الجدب، مِن قلَّة المَطر ويُبس الأرض مِن الكلأ. **انظر**: «لسان العرب» (١١/ ٦١٧ صادر).

(٤) ذُكور النَّحل، أو جماعةُ النَّحل لا ذُكورها خاصَّة. **انظر**: «شرح النَّووي» (١٨/ ٦٦).

(٥) أي قطعتين. «شرح النَّووي» (١٨/ ٦٧).

(٦) **رمية الغرض**: أي: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته. المرجع السَّابق.

(٧) معناه: لابس مهرودتَين، أي: ثوبَين مصبوغين بورس ثمَّ بزَعفران، وقيل: هما شقَّتان، والشَّقَّة: نصفُ المُلاءةِ. المرجع السَّابق.

(٨) **الجُمان**: حبَّات مِن الفِضَّة تُصنعُ علىٰ هيئةِ اللُّؤلؤ الكِبار، والمُرادُ: يَتحدَّر منه الماءُ علىٰ هيئةِ اللُّؤلؤ في صفائه، فسمِّي الماءُ جُمانًا لشَبهِه بِهِ في الصَّفاءِ. المرجع السَّابق.

(٩) **لدّ**: بلدةٌ قريبةٌ مِن بيتِ المقدس. «شرح النَّووي» (١٨/ ٦٨).

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ؛ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي أَخْرَجْتُ عِبَادًا لا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ[1]، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ.

وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ؛ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ؛ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ!

ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ[2]، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ؛ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ[3] إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا.

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيهِمِ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ[4]، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ[5] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ[6] وَنَتْنُهُمْ؛ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَيُرْسِلُ اللهُ

(١) أي: لا قُدرةَ ولا طاقةَ، يقالُ: ما لِي بهٰذا الأمر يدٌ، وما لي به يدانِ؛ لأنَّ المُباشرةَ والدَّفع يكون باليد، وكأنَّ يدَيه معدومتانِ لِعجزِه عن دفعِه. المرجع السَّابق.

(٢) قوله ﷺ: «جَبَل الخَمَر»، الخمَر: هو الشَّجر المُلتفُّ الَّذي يَسترُ مَن فيه، وقد فسَّره في الحديثِ بأنَّه جبلُ بيتِ المقدس. انظر: «شرح النَّووي» (١٨/ ٧١).

(٣) أي: سهامهم، واحده: نشابة. انظر: «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤١٨ الكتب العلمية).

(٤) «النَّغَف»: دودٌ يكونُ في أنوف الإبلِ والغنم. الواحدةُ: نغفة. «شرح النَّووي» (١٨/ ٦٩).

(٥) فرسىٰ: أي: قتْلىٰ، واحدهم: فريسٌ، كـ: قَتِيل وقَتْلَىٰ. انظر المرجع السَّابق.

(٦) أي: دسمهم ورائحتهم الكريهة. المرجع السَّابق.

طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[١]، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مطرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[٢]، وَلَا وَبَرٍ؛ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[٣]، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ؛ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[٤]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[٥] حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ[٦] مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ[٧]، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ[٨].

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ[٩]؛ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[١٠].

قولُه: «ويُصدِّقون بخرُوج الدَّجَّال»: لحديثِ النَّواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) **البخت**: هي الإبل الخراسانيَّة، وهي جمالٌ طوال الأعناق. **انظُر**: «لسان العرب» (٢/ ٩).

(٢) أي: لا يمنعُ مِن نُزول الماء بيت، **والمدر**: الطِّين الصُّلب. «شرح النَّووي» (١٨/ ٦٩).

(٣) أي: كالمرآة في صفائها ونظافتها. المرجع السَّابق.

(٤) **القحف**: هو مُقعَّر قِشرها، شبَّهها بِقحْف الرَّأس، وهُو الَّذي فوقَ الدِّماغ، وقيل: ما انفلقَ من جُمجمتِهِ وانفصلَ. «شرح النَّووي» (١٨/ ٦٩).

(٥) اللَّبن. المرجع السابق.

(٦) **اللِّقحة**: هي القريبة العهد بالولادة. المرجع السابق.

(٧) **الفئام**: الجماعة الكثيرة. المرجع السابق.

(٨) **الفخذُ**: الجماعةُ مِن الأقارب، وهم دُون البطن، والبطنُ دون القَبيلةِ. «شرح النَّووي» (١٨/ ٧٠).

(٩) أي: يُجامع الرِّجالُ النِّساءَ علانية بحضرة الناس، كما يفعلُ الحميرُ، ولا يكترثون لذلك. **والهرْج**: الجماع. المرجع السَّابق.

(١٠) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

السَّابق: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّام وَالعِرَاقِ؛ فَعَاثَ يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ، فَاثْبُتُوا...».

ولحديث جُنَادَةَ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَتيتُ رَجُلًا مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ؛ فَقُلتُ لَهُ: حَدِّثنِي حَدِيثًا سَمِعتَهُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ، وَلَا تُحَدِّثنِي عَن غَيرِكَ، وإِنْ كَانَ عِندَكَ مُصَدَّقًا؟

فَقَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُم فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَومَهُ أَو أُمَّتَهُ؛ وَإِنَّهُ آدَمُ[1]، جَعْدٌ[2]، أَعْوَرُ عَينِهِ اليُسْرَىٰ، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنبِتُ الشَّجرَةَ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَىٰ نَفسٍ فَيَقْتُلُهَا، ثُمَّ يُحْيِيهَا، وَلَا يُسَلَّطُ عَلَىٰ غَيرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، ونَهَرٌ وَمَاءٌ، وَجَبَلُ خُبْزٍ؛ وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ، وَنَارَهُ جَنَّةٌ؛ وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا؛ يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنهَلٍ إِلَّا أَربعَ مَساجِدَ: مَسجِدَ الحَرَامِ، وَمَسجِدَ المَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الأَقْصَىٰ؛ وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُم أَو شُبِّهَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[3].

وفي روايةٍ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَينَ ظَهرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيسَ بِأَعوَرَ، أَلَا وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعوَرُ العَينِ اليُمنَىٰ، كَأَنَّ عَينَهُ عِنبَةٌ طَافِئَةٌ»[4].



---

(١) أي: أسمر.

(٢) أي: منقبض الشَّعر كهيئة الحَبَش والزنج. «الكواكب الدَّراري» للكرماني (٢١/ ١١٤ إحياء التراث العربي)، و«عمدة القاري» للعيني (٢٢/ ٥١ إحياء التراث العربي).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٣٤) (٢٣٧٣٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٩٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

الإيمانُ بمُنكر ونكِير، والمِعراج، والرُّؤيا في المَنام

ويُؤمنون بمُنكرٍ ونكِيرٍ، والمِعراج، والرُّؤيا في المَنام.

الشرح:

قولُه: «ويُؤمنون بمُنكرٍ ونكِيرٍ»:

أقولُ: منكرٌ ونكيرٌ وردتْ به الأحاديثُ أنَّ العبدَ حِينَ يُوضَعُ في قبْره يأتيه مَلَكان، يُقال لأحدهما: مُنكرٌ، وللآخر: نكيرٌ، فيسألانِه: مَن ربُّكَ؟ وما دينُك؟ وما هذا الرَّجل الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيُثبِّتُ اللهُ المُؤمن، فيجيبُ الإجابةَ الصَّحيحةَ، ويُضلُّ اللهُ المُنافقَ والكافرَ والفاجرَ، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أو قَالَ: أَحَدُكُم - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسوَدَانِ أَزرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: المُنكَرُ، وَالآخَرُ: النَّكِيرُ. فَيَقُولانِ: مَا كُنتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ؛ هُوَ عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفسَحُ لَهُ فِي قَبرِهِ سَبعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ. فَيَقُولُ: أَرجِعُ إِلَىٰ أَهلِي؛ فَأُخبِرُهُم. فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَومَةِ العَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهلِهِ إِلَيهِ؛ حَتَّىٰ يَبعَثَهُ اللهُ مِن مَضجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلتُ مِثلَهُ، لا أَدرِي. فَيَقُولانِ:

قَد كُنَّا نعلَمُ أَنَّكَ تقُولُ ذَلِكَ، فيُقَالُ لِلأَرضِ: التَئِمِي عَلَيهِ، فتَلْتَئِمُ عَلَيهِ، فتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حتَّىٰ يَبعثَهُ اللهُ مِن مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[(١)].

قولُه: «والمِعراجِ»؛ أي: معراج النَّبيِّ ﷺ؛ كما ثبتتْ بذلك الأحاديث الصَّحيحة، منها ما وردَ مِن حديثِ أنس بن مالكٍ، عن مالكِ بن صعصعة رضي الله عنهما: أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُم عَن لَيلَةِ أُسرِيَ بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ[(٢)] - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجرِ - مُضطَجِعًا، إذ أَتَانِي آتٍ، فقَدَّ - قَالَ: وَسَمِعتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَينَ هَذِهِ إِلَىٰ هَذِهِ»، فَقُلتُ لِلجَارُودِ وَهُوَ إِلَىٰ جَنبِي: مَا يَعنِي بِهِ؟

قَالَ: مِن ثُغرَةِ نَحرِهِ إِلَىٰ شِعرَتِهِ، وَسَمِعتُهُ يَقُولُ: «مِن قَصِّهِ إِلَىٰ شِعرَتِهِ[(٣)]، فَاسْتَخرَجَ قَلبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَستٍ مِنْ ذَهَبٍ مَملُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغلِ، وَفَوقَ الحِمَارِ أَبيَضَ».

فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَم؛ «يَضَعُ خَطْوَهُ عِندَ أَقصَىٰ طَرْفِهِ، فَحُمِلتُ عَلَيهِ، فَانطَلَقَ بِي جِبرِيلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَد أُرسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم.

قِيلَ: مَرحَبًا بِهِ، فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ؛ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّم عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرحَبًا بِالابْنِ

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني رحمه الله في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٣٩١).

(٢) الحطيم: الحِجر، سمي حَطِيمًا لما حطم من جداره، فلم يُسوّ ببناء البيت. «كشف المُشكل مِن حديثِ الصَّحيحين» لابن الجوزيّ (٢/ ٢٨٧ الوطن).

(٣) القصّ: رأس الصّدر، والشّعرة: شعر العانة. «فتح الباري» (٧/ ٢٠٤).

الصَّالِحِ، وَالنَّبيِّ الصَّالِحِ.

ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ؛ فَلَمَّا خَلَصتُ إِذَا يَحيَىٰ وَعِيسَىٰ، وَهُمَا ابنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحيَىٰ وَعِيسَىٰ، فَسَلِّم عَلَيهِمَا، فَسَلَّمتُ، فَرَدَّا، ثمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبيِّ الصَّالِحِ.

ثمَّ صَعِدَ بِي إِلَىٰ السَّماءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفتَحَ. قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَن مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ؛ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّم عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثمَّ قَالَ: مرحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبيِّ الصَّالِحِ.

ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّماءَ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَ قَدْ أُرسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ؛ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَىٰ إِدرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدرِيسُ، فَسَلِّم عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبيِّ الصَّالِحِ.

ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّماءَ الخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّم عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبيِّ الصَّالِحِ.

ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّماءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جبرِيلُ. قِيلَ: مَن مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ:

مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعمَ المَجِيءُ جاءَ، فَلَمَّا خلَصْتُ، فَإذَا مُوسَىٰ؛ قَالَ: هَذَا مُوسَىٰ؛ فَسَلِّم عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزتُ بَكَىٰ؛ قِيلَ لَهُ: مَا يُبكِيكَ؟ قَالَ: أَبكِي؛ لأَنَّ غُلَامًا بُعِث بَعدِي يَدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتِهِ أَكثَرُ مِمَّنْ يَدخُلُها مِن أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَىٰ السَّماءَ السَّابِعَةِ، فَاستَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: وَمَن مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعم. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصتُ، فَإِذَا إِبرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ، فَسَلِّم عَلَيهِ، قَالَ: فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرحَبًا بِالابنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدرَةُ المُنتَهَىٰ، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثلُ آذَانِ الفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدرَةُ المُنتَهَىٰ، وَإِذَا أَربَعَةُ أَنهَارٍ؛ نَهرَانِ بَاطِنَانِ، وَنهرَانِ ظَاهِرَانِ؛ فَقُلتُ: مَا هَذانِ يَا جِبرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ؛ فَنَهرَانِ فِي الجنَّة، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ؛ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيتُ المَعمُورُ.

ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خمرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ؛ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطرَةُ الَّتِي أَنتَ عَلَيهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَت عَلَيَّ الصَّلَواتُ خَمسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوم، فَرَجعتُ، فَمَرَرتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ؛ فَقَال: بِمَ أُمِرتَ؟ قَالَ: أُمِرتُ بِخَمسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوم.

قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَستَطِيعُ خَمسِينَ صلاةً كُلَّ يَومٍ، وَإِنِّي - وَاللهِ - قَد جَرَّبتُ النَّاسَ قَبلَكَ، وَعَالَجتُ بَنِي إِسرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسأَلهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشرًا، فَرَجَعتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثلَهُ، فَرَجَعتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشرًا، فَرَجَعتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثلَهُ، فَرَجعتُ، فَوَضَعَ

عَنِّي عَشرًا، فَرَجعتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثلَهُ، فَرَجعتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشرًا، فَرَجَعتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثلَهُ، فرَجَعتُ، فَأُمِرتُ بِعَشرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، فَرَجَعتُ، فَقَالَ مِثلَهُ، فَرَجَعتُ، فَأُمِرتُ بِخَمسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، فَرَجَعتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: بِمَ أُمِرتَ؟

قُلتُ: أُمِرتُ بِخَمسِ صَلَواتٍ كُلَّ يَومٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَستَطِيعُ خَمسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالجَةِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

قَالَ: سَأَلتُ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحيَيتُ، وَلَكِنِّي أَرضَىٰ وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزتُ، نَادَىٰ مُنَادٍ: أَمضَيتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفتُ عَن عِبَادِي»(١).

قولُه: «والرُّؤيا في المَنام»:

أقولُ: الرُّؤيا تنقسمُ إلىٰ ثلاثةِ أقسام:

١- رؤيا صالحة يُصوِّرها المَلَك.

٢- حُلْم يُصوِّره الشَّيطان.

٣- وساوس تنقدح في الذِّهن، فتتصوَّر في النَّوم.

وإنَّما الرُّؤيا المقصود بها الَّتي تكون مِن المَلَك.



(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

ما ينفعُ المُسلمَ بعدَ موتِه، والإيمانُ بوجودِ السِّحر

وأنَّ الدُّعاءَ لمَوتىٰ المُسلمين والصَّدقة عنهم بعدَ موتِهم تصلُ إليهم، ويُصدِّقون بأنَّ في الدُّنيا سَحرةً، وأنَّ السَّاحرَ كافرٌ، كما قال اللهُ، وأنَّ السِّحرَ كائنٌ موجودٌ في الدُّنيا.

الشرح:

قوله: «وأنَّ الدُّعاءَ لموتىٰ المُسلمين والصَّدقةَ عنهم بعْدَ مَوتِهم تَصلُ إليهم»:

وأقولُ: الدُّعاء لموتىٰ المُسلمين منصوصٌ عليه في قول النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ؛ أَو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ؛ أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

قوله: «ويُصدِّقون بأنَّ في الدُّنيا سَحرةً، وأنَّ السَّاحرَ كافرٌ، كما قالَ اللهُ، وأنَّ السِّحر كائنٌ مَوجودٌ في الدُّنيا»:

وأقول: هناك مَن يُنكر السِّحر، مع العلم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أثبت ذلك، فلو لم يكن ثابتًا موجودًا لَمَا أثبته الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وسَحرة فرعون: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٥ - ١١٦].

وقال في موضعٍ آخر: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦].

والسَّاحر يُخيِّل للنَّاس شيئًا، فيرونه كأنَّه حقيقةٌ مع أنَّ السِّحر ينقسمُ إلىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قسمَين: - سحرُ تخييل. - وسحرُ تأثير.

فسِحرُ التَّخييل، مثلُ الرَّجل الَّذي أتىٰ إليه جندب، وإذا هو يزعم بأنَّه يقطع رأس الغلام ويردُّه، فذهب فأخذ سيفًا، واشتمل عليه، ثمَّ ضرب رأس السَّاحر، وقال: إن كان صادقًا فليردَّ رأسه[1].

أمَّا سِحرُ التَّأثيرِ، فهو أن يُؤثِّر علىٰ المسحور، ويُقلقه، ويتعبه، وهذا يحصل كثيرًا، والعياذ بالله.

والسَّاحر كافرٌ بدليل قوله تعالىٰ عن هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ تعلُّم السِّحر كفرٌ.

وقوله: «وأنَّ السِّحرَ كائنٌ موجودٌ في الدُّنيا»:

هذا فيه ردٌّ علىٰ مَن ينكر السِّحر، وقد قال الشَّيخ حافظٌ بن أحمد الحكميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته: «سُلَّم الوصول إلىٰ علم الأصول»:

والسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ ... لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ ... فِي الكَوْنِ لا فِي الشِّرْعَةِ المُطَهَّرَهْ[2]



(١) أخرجه ا[illegible] «المستدرك» (٤/ ٤٠١)، والبيهقيُّ في «السُّنن» (٨/ ٢٣٤). وصحَّحه الألبانيُّ كما «الضَّعيفة» [illegible] (١٤٤٦).

(٢) [illegible] علم الأصول» (٢/ ٥٤٣).

الصَّلاةُ على كلِّ برٍّ وفاجرٍ مِن أهلِ القِبلة ومواريثهم، والإيمانُ بوجودِ الجنَّة والنَّار

ويَرونَ الصَّلاةَ علىٰ كلِّ مَن مات مِن أهل القِبلةِ؛ بَرِّهم وفَاجِرِهم؛ ومواريثَهم.

ويُقرُّون أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان.

الشرح:

قولُه: «ويَرونَ الصَّلاة علىٰ كلِّ مَن مات من أهل القبلة؛ بَرِّهم وفَاجِرِهم؛ ومُواريثَهم»؛ أي: أنَّ الصَّلاةَ علىٰ المُسلم حقٌّ مِن حُقوقه بعد الموت؛ وقد جاء في الحديثِ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعهُ»[1].

وجاء في الحديثِ: «صَلُّوا عَلَىٰ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَصَلُّوا وَرَاءَ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[2]، إلَّا أنَّ الحديثَ فيه ضعيفٌ، لكنَّ الإجماعَ حاصلٌ علىٰ أنَّ الصَّلاة - أي: صلاة الميِّت - تُشرعُ علىٰ كلِّ مُسلمٍ؛ سواء كان برًّا أو فاجرًا، مُؤمنًا أو فاسقًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه بنحوه البخاري (١٢٤٠).

(٢) أخرجه الدَّارقطنيُّ في «سُننه» (٢/ ٤٠١-٤٠٢) (١٧٦١ و١٧٦٢)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٢/ ٤٤٧) برقم (١٣٦٢٢) من حديث ابن عُمر رضي الله عنهما، وضعَّفه الألبانيُّ رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٣٤٨٣)، و«إرواء الغليل» (٧٢٨). وانظر: «الإرواء» (٢/ ٣٠٥-٣٠٧) تحت رقم (٥٢٧).

وقوله: «ومُوارثتَهم»؛ يعني أنَّ التَّوارث حاصلٌ بينهم، فالمؤمنُ يرث الفاسقَ الفاجرَ، والفاجرُ الفاسقُ يرثُ المُؤمنَ، وأنَّ فسقَه وفجورَه لا يمنعُ أنْ يرثَ مِن قريبِه، أو مِن مُورِّثيه، ولا يمنع موروثًا له.

وقولُه: «ويُقرُّون أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان»:

وأقولُ: قد سبق التَّعليق عليها.



الموتُ والرِّزق بتقديرِ الله، وأنَّ الشَّيطانَ يُوسوسُ للإنسانِ

وأنَّ مَن ماتَ ماتَ بأجلِه، وكَذلِكَ مَن قُتِلَ قُتِلَ بأجلِه. وأنَّ الأرزاقَ مِن قِبَلِ اللهِ سبحانه يرزقُها عبادَه؛ حلالًا كانتْ أمْ حرامًا، وأنَّ الشَّيطان يُوسوس للإنسان، ويُشكِّكه، ويخبطه.

الشرح:

قولُه: «وأنَّ مَن ماتَ، ماتَ بأجلِه، وكذَلكَ مَنْ قُتِلَ، قُتِلَ بأجلِه»:

وأقولُ: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّر مقادير العباد، فكلُّ إنسانٍ قد علِم اللهُ بأيِّ شيءٍ نهايته من الدُّنيا، هل يكون ذلك بالموت العاديّ؟ أو يكون بالقتْل؟ أو يكون بالحرْق في النَّار؟ أو باللَّدغ؟ أو بالغرَق في الماءِ؟ أو بالهدم؟ أو ما أشبه ذلك؟! فلا يمكن أنْ يموتَ بغير ما قُدِّر له، ولهذا لمَّا حضرتِ الوفاةُ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكىٰ، وقالَ: «لقدْ شهدْتُ مئةَ زَحْفٍ أو زُهاءَها، وما في جسدي موضعُ شبْرٍ إلَّا وفيه ضربةٌ، أو طعنةٌ، أو رمْيةٌ، ثمَّ هأنذا أموتُ علىٰ فِراشي كما يموتُ العيرُ، فلا نامتْ أعينُ الجُبناءِ»[1].

قولُه: «وأنَّ الأرْزاقَ مِن قِبَلِ اللهِ سبحانه يرزقُها عبادَه؛ حلالًا كانتْ أمْ حرامًا»:

وأقولُ: الأرزاقُ لا شكَّ أنَّها من الله تقديرًا، لكن منها ما يكون حلالًا واضحَ الحلِّ، ومنها ما يكون حرامًا واضحَ الحُرمة، ومنها ما يكون مُشتَبِهًا.

---

(١) انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٤٣٠ الجيل)، و«سير أعلام النُّبلاء» (١/ ٣٨٢ الرِّسالة).

ولا يُقال: لِمَ يُقدِّر اللهُ عَزَّوَجَلَّ الرِّزقَ الحرامَ؟ لا يُقال هذا، فمثلًا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حرَّم الرِّبا، وكثيرٌ من النَّاس يعملون به، ويكسبون منه، فيكون رزقهم منه حرامًا، فتقدير ذلك في الكون لا يعارض المنع في الشَّرع، فالمُحرَّم ممنوعٌ شرعًا، وقد قدَّره اللهُ كونًا، والمؤمن يَتورَّع، ويمتنعُ عن المكاسب المُحرَّمة؛ عُبوديَّةً لله، وقناعةً بما أحلَّ اللهُ.

أمَّا الفاسقُ الَّذي لا يخافُ اللهَ ولا يخشاه؛ أي: أنَّ خوفَه مِن اللهِ ضعيفٌ، فهو لا يبالي؛ بل كلُّ شيءٍ يَتيسَّر له الكسب منه، فإنَّه يكسب منه ولا يبالي، بل قَد يكون حريصًا على الشَّيء الَّذي يكون فيه الكسب كثيرًا، وإن كان مُحرَّمًا، وقَد تجدُ بعضَ النَّاس محافظًا على الصَّلاة، ولكنَّه يكسبُ من القاتِ مثلًا، أو يكسبُ من المُخدِّرات، والعياذ بالله، فيحملُه الطَّمعُ على الكسب مِن هذه المكاسبِ المُحرَّمة، مع أنَّك تراه يُصلِّي، ويحافظُ على الصَّلوات في المساجد، وإذا نصحتَه تجدُ أنَّ خَشيتَه من الله قليلةٌ.

قولُه: «وأنَّ الشَّيطانَ يُوَسوسُ للإنسانِ، ويُشكِّكُه، ويُخبطُه»:

وأقولُ: الشَّيطانُ يَتسلَّطُ على الإنسان أحيانًا، وبالأخصِّ إذا كان الإنسانُ ضعيفَ الإيمانِ، قليلَ التَّحرُّز بالأورادِ أو الأدعية القرآنيَّة والنَّبويَّة، فيَتسلَّط عليه الشَّيطان، وقَد يُشكِّكُه في ربِّه وخالقِه، ويجعلُه يَتخبَّط والعياذُ بالله؛ ونسأَلُ اللهَ العفوَ والعافيةَ.

وعلاجُ ذلك أنْ يُكثِرَ مِن الطَّاعات؛ كالمحافظةِ على الصَّلاة في الجماعةِ، والمُحافظةِ على صلاة النَّافلةِ، والمُحافظة على الأوراد القُرآنيَّة، والأوراد النَّبويَّة، والإكثار مِن قراءةِ القُرآن، والبُعد عن المعاصي؛ كالبعد عن آلاتِ اللَّهو

والأغاني، والتَّمثيليَّات، وما أشبه ذلك، فإذا ابتعدَ عن مثل هذه الأُمور، وحافظَ علىٰ ما يجبُ حِفظُه ممَّا سَبَق ذِكرُه؛ فإنَّ الشَّيطان يبتعدُ عنه، ولا يقربُه، ولا يستطيعُ عليه.



كراماتُ الأولياءِ، والسُّنَّة لا تنسخُ القُرآنَ

وأنَّ الصَّالحينَ قدْ يجوزُ أن يَخُصَّهم اللهِ بآياتٍ تظهرُ علَيهِم.

وأنَّ السُّنَّة لا تَنسخُ القُرآنَ.

الشرح:

قولُه: «وأنَّ الصَّالحين قدْ يجوزُ أنْ يَخُصَّهم اللهُ بآياتٍ تظهرُ عليهِم»:

وأقولُ: هذه تُسمَّىٰ بكراماتِ الأولياء، ومِن الكرامات ما أُثِرَ أنَّ العلاء بن الحضرميّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما فتح المنطقة الشَّرقيَّة، أراد أنْ يغزوَ البحرين، وأنْ يأتيهم وهم غافلون، فدعا الله عَزَّ وَجَلَّ، وقال لمَن معه: خوضوا البحرَ! فخاضوه جميعًا بخيولهم وإبلِهم، والمُشاة يمشون؛ حتَّىٰ خرجوا علىٰ جزيرة البحرين، واسْتَوْلوا عليها مع أنَّ الفاصل بينها وبين الجزيرة بحرٌ لا تقطعُه إلَّا السُّفُن[(١)].

وكذلك سعدُ بنُ أبي وَقَّاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمَّا غزا المدائنَ، فخاضَ دجلةَ علىٰ الخيل والإبل، ولم يفتقدوا حبلًا ولا شيئًا؛ حتَّىٰ دخلوا إلىٰ المدائن، ودخلوا قصر كسرىٰ وإيوانه، وغنموا منه غنائمَ عظيمةً حتَّىٰ إنَّ الجيشَ الَّذين غزَوْا هذه الغزوة صارَ نصيبُ الفارس منهم - بعد الخُمس - اثني عشر ألفًا، وكلُّ الجيش كانوا فرسانًا[(٢)].

---

(١) أخرج أبو نعيم في «الحِلية» (١/ ٧ - ٨ السَّعادة) عن سهم بن مِنجاب قال: «غزَوْنا مع العَلاءِ بن الحضرميّ، فَسِرْنا حتَّىٰ أَتينَا دَارِينَ، والبحرُ بَيْننَا وَبينهُم، فقالَ: «يَا عليمُ، يَا حليمُ، يَا عليُّ، يَا عظيمُ؛ إنَّا عبيدُك، وفي سَبيلِكَ نُقاتلُ عدوَّك، اللَّهمَّ فاجعلْ لنَا إليهم سَبيلًا»، فتقحَّمَ بنَا البحرَ، فخُضْنَا ما يبلُغ لبُودَنَا الماءُ، فخَرجْنَا إِلَيهِم». وانظر: «المصنَّف» لابن أبي شيبة (٢٩٨٠)، وزوائد عبد الله علىٰ «الزُّهد» لأحمد (٩٥١).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٠ - ٢١ دار التراث)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ٩٢ - ٩٣ بشار)، =

ومِن كرامات الأولياءِ ما حصَل لعمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنَّه كان مَرَّةً يخطبُ، فسمعوه يقولُ: يا ساريةُ الجبلَ! يا ساريةُ الجبلَ! يا ساريةُ الجبلَ! ثلاثَ مرَّاتٍ، وبعد فترةٍ جاء الخبرُ من ذلك الجيش، أنَّهُ قد أحاط بهم جيشُ الكُفَّار، فسمعُوا قائلًا يقول: يا ساريةُ الجبلَ! فاستندُوا للجبل، فظفروا[1].

وهكذا أشياءُ كثيرةٌ مِن كراماتِ الأولياءِ، ذكَرها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الفُرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان».

قولُه: «وأنَّ السُّنَّة لا تنسخُ القُرآنَ»:

وأقولُ: هكذا قرَّر أهلُ الأصول[2]، فقالوا: إنَّ السُّنَّةَ لا تنسخُ القرآن، ولكنَّها تُبيِّنه وتُوضِّحه.

ولكن حديث عبادةَ بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ نَبيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُرِبَ لِذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ لَهُ وَجهُهُ، قَالَ: فَأُنزِلَ عَلَيهِ ذَاتَ يوم؛ فَلُقِيَ كَذَلِكَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنهُ، قَالَ: «**خُذُوا عَنِّي، فَقَد جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ، وَالبِكرُ بالبِكرِ؛ الثَّيِّبُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثمَّ رَجْمٌ بِالحِجَارَةِ، وَالبِكرُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثمَّ نَفيُ سَنَةٍ**»[3].

أقولُ: حديث عبادة هذا ناسخٌ لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ

=

و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٨ فما بعدها) ط/ هجر.

(١) **انظر:** «تاريخ الطَّبري» (٤/ ١٧٨ - ١٧٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٣/ ٥ - ٦). و«الصحيحة» للألباني (١١١٠).

(٢) **انظر:** «روضة النَّاظر» لابن قدامة (١/ ٢٥٨ الرَّيَّان)، و«المُسوَّدة» لآل تيمية (ص٢٠٢ الكتاب العربي)، و«إرشاد الفحول» للشوكاني (٢/ ٦٩ الكتاب العربي).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠).

حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النِّساء: ١٥].

أو أنَّ هذه الآية نَسَخَتْها آيةُ (النُّور): ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النُّور: ٢]. إلَّا أنَّه يبقىٰ الرَّجم، والظَّاهرُ أنَّها قد نزلتْ آيةٌ، فنسختْ هذه الآية، ثمَّ نُسخت تلك الآيةُ تِلاوةً، وبَقِيت حُكمًا، وهي الَّتي أشار إليها عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين قال علىٰ المنبر: «لَقَد خَشِيتُ أَنْ يطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، حتَّىٰ يَقُولَ قَائِلٌ: مَا أَجِدُ الرَّجمَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ. أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ، إِذَا أُحصِنَ الرَّجُلُ، وَقَامَتِ البَيِّنَةُ، أَو كَانَ حَمْلٌ، أَو اعتِرَافٌ، وَقَد قَرَأْتُها: (**الشَّيخُ وَالشَّيخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارجُمُوهُمَا أَلبَتَّةَ**)؛ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَجَمنَا بَعدَهُ»[(١)].

وفي روايةٍ: عَن زِرٍّ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعبٍ: كَأَيِّن تَقرَأُ سُورَةَ (الأَحزَابِ)؛ أَو كَأَيِّن تَعُدُّهَا؟ قَالَ: قُلتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبعِينَ آيَةً، فَقَالَ: قَطُّ، لَقَد رَأَيتُهَا، وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ (البَقَرَةِ)، وَلَقَد قَرَأنَا فِيهَا: (**الشَّيخُ وَالشَّيخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارجُمُوهُمَا أَلبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[(٢)].

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ هذه الآية نُسِخَت بآية الرَّجم، ثمَّ إنَّ آية الرَّجم نُسِخَت تلاوةً لا حُكمًا، وهذه الآية نُسِخَت حُكمًا لا تلاوةً.



---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٩١٣).

وأخرجه بنحوه البخاري (٦٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١)، لكن دون ذِكْر الآية.

(٢) أخرجه عبدُ الله بن أحمد في «زوائدِه علىٰ المُسند» (٥/ ١٣٢) (٢١٢٤٥)، وابنُ حبَّان في «صحيحه» (٤٤٢٩)، والحاكمُ في «مُستدركِه» (٤/ ٤٠٠)، وقال: «صحيحُ الإسنادِ»، ووافقه الذَّهبيُّ. وقال الألبانيُّ: «هو كما قالا». «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦/ ٩٧٦) تحت رقم (٢٩١٣).

حُكم الأطفالِ في الآخرةِ

وأنَّ الأطفال أمرُهم إلىٰ الله؛ إنْ شاءَ عذَّبهم، وإنْ شاءَ فعَل بهم ما أرادَ.

الشرح:

أقولُ: الَّذي يترجَّح أنَّ الأطفال الَّذين يموتون دون الحنثِ، يكونون في الجنَّة، كما دلَّ علىٰ ذلك حديث الرُّؤيا، عن سمُرة بن جُندب رضي الله عنه قالَ: «كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذَا صَلَّىٰ صَلاَةً، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: **«مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيلَةَ رُؤيَا؟»**. قَالَ: فإن رَأَىٰ أَحَدٌ قَصَّهَا، فيَقُولُ: **«مَا شَاءَ اللهُ»**، فَسأَلَنَا يومًا، فقَالَ: **«هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ منكُم رُؤيَا؟»**. قُلْنَا: لَا. قَالَ: **«لكِنِّي رَأيتُ اللَّيلَةَ رَجُلَينِ أَتيَانِي، فَأَخَذَا بيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِن حَدِيدٍ[(١)]»**.

قَالَ بَعضُ أَصْحَابِنَا عَن مُوسَىٰ: **«إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ[(٢)]؛ حتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟! قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقنَا؛ حَتَّىٰ أَتينَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأسِهِ بِفِهرٍ[(٣)]؛ أَو صَخرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأسَهُ[(٤)]؛ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ**

(١) **«كلوب»**: الحديد التي ينشل بها اللَّحم عن القدر. «عمدة القاري» (٨/ ٢١٦).

(٢) **«شدقه»**: جانب فمه. «عمدة القاري» (٨/ ٢١٦).

(٣) **«بفهر»**: أي: بحجر ملء الكف. المرجع السَّابق.

(٤) **«فيشدخ»**: من الشدخ، وهو كسر الشيء الأجوف. المرجع السَّابق.

الحجرُ[١]، فَانطَلَقَ إِلَيهِ لِيَأخُذَهُ؛ فَلَا يَرْجِعُ إِلَىٰ هَذَا حَتَّىٰ يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيهِ، فَضَرَبَهُ! قُلتُ: مَنْ هَذَا؟! قَالا: انطَلِق، فَانطَلَقنَا إِلَىٰ ثَقبٍ مِثلِ التَّنُّورِ؛ أَعْلاهُ ضَيِّقٌ، وَأَسفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقتَرَبَ ارْتَفَعُوا؛ حَتَّىٰ كَادَ أَن يَخرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ! فَقُلتُ: مَن هَذَا؟! قَالا: انطَلِق، فَانطَلَقنَا حَتَّىٰ أَتَينَا عَلَىٰ نَهرٍ مِن دَمٍ؛ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ وَسَطِ النَّهرِ».

قَالَ يَزِيدُ، وَوَهبُ بنُ جَرِيرِ بنِ حَازِمٍ: «وَعَلَىٰ شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ بَينَ يَدَيهِ حِجَارَةٌ، فَأَقبَلَ الرَّجُلُ الَّذي فِي النَّهرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَن يَخرُجَ، رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخرُجَ، رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ؛ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ! فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟! قَالا: انطَلِق، فَانطَلَقنَا؛ حَتَّىٰ انتَهَينَا إِلَىٰ رَوضَةٍ خَضرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصلِهَا شَيخٌ وَصِبيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ، بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحسَنَ مِنهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبيَانٌ، ثُمَّ أَخرَجَانِي مِنهَا، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدخَلانِي دَارًا هِيَ أَحسَنُ وَأَفضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ.

قُلتُ: طَوَّفتُمَانِي اللَّيلَةَ؛ فَأَخبِرَانِي عَمَّا رَأَيتُ؟ قَالا: نَعَمْ؛ أَمَّا الَّذِي رَأَيتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحمَلُ عَنهُ حَتَّىٰ تَبلُغَ الآفَاقَ، فَيُصنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ. وَالَّذِي رَأَيتَهُ يُشدَخُ رَأسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرآنَ، فَنَامَ عَنهُ بِاللَّيلِ، وَلَمْ يَعمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفعَلُ بِهِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ. وَالَّذِي رَأَيتَهُ فِي الثَّقبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ. وَالَّذِي رَأَيتَهُ فِي النَّهرِ آكِلُوا الرِّبَا. وَالشَّيخُ فِي أَصلِ الشَّجَرَةِ: إِبرَاهِيمُ عليه السلام، وَالصِّبيَانُ حَولَهُ، فَأَولادُ النَّاسِ. وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ

(١) «تدهده الحجر»: أي: تدحرج. المرجع السابق.

الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ!

قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ، أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»(١).

ونحن نقطعُ بأنَّ الله لا يُعذِّبُ أحدًا إلَّا بحُجَّةٍ، والَّذين يموتون دون الحِنث لم يُسجَّل عليهم شيءٌ؛ رحمةً مِن الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

والَّذي يظهرُ - والله أعلمُ - أنَّ الغِلمانَ الَّذين يموتون دون الحِنث يكونون خَدَمًا لأهل الجنَّة، كما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤]، وقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٨].

وقد دلَّت الآثار أنَّ الإناث اللَّائي يمُتْن دون الحِنث يَكُنَّ جواري لنساءِ الجنَّة.



(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ، والصَّبر على حكم الله القدري، والحرص على الأوامر والنّواهي، وإخلاص العمل، و.. و..

وأنَّ اللهَ عالمٌ ما العِبادُ عاملونَ، وكتَبَ أنَّ ذلك يكونُ، وأنَّ الأمورَ بِيدِ الله، ويَرَوْن الصَّبرَ علىٰ حُكم اللهِ، والأخْذَ بما أمَر الله به، والانتهاءَ عمَّا نهىٰ الله عنه، وإخلاص العَمل، والنَّصيحةَ للمسلمين، ويَدِينُون بعبادةِ الله في العابدين، والنَّصيحة لجماعةِ المُسلمين، واجتناب الكبائر، والزِّنا، وقَولِ الزُّور والعصبيَّة والفَخر والكِبر والإزراء علىٰ النَّاس والعُجب.

الشرح:

قولُه: «وأنَّ اللهَ عالمٌ ما العبادُ عاملون، وكتَبَ أنَّ ذلك يكونُ، وأنَّ الأمورَ بيَدِ اللهِ»:

أقولُ: لا شكَّ أنَّ ما يعملُه العبادُ قد كُتِب عليهم في اللَّوح المحفوظِ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وكما ورد في الحديث عن يَزِيدَ - وَهُوَ ابنُ هُرمُزَ - وَعَبدِ الرَّحمَنِ الأَعرَجِ، قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عِندَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ.

قَالَ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهَبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَىٰ الأَرْضِ!

فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ؛ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعطاكَ الأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَن أُخلَقَ؟ قَالَ مُوسَىٰ: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١]؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَنْ عَمِلتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»(١).

قولُه: «ويَرَوْن الصَّبْر علىٰ حُكم الله، والأخْذَ بمَا أَمرَ اللهُ به، والانتهاءَ عمَّا نهىٰ اللهُ عنه، وإخلاصَ العمل، والنَّصيحةَ للمُسلمين، ويَدِينُون بعبادةِ الله في العابدِين، والنَّصيحة لجماعةِ المُسلمين، واجتنابَ الكبائرِ، والزِّنا، وقولِ الزُّور والعصبيَّة والفَخر والكِبر والإزراءِ علىٰ النَّاس والعُجب».

وأقولُ: في هذا المقطع عدَّة أمور:

أوَّلُها: الصَّبر علىٰ حُكم الله القضائيِّ القَدَريِّ، والأمر بالصَّبر قَد ورَد في النُّصوص الشَّرعيَّة كثيرًا، منها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ومِن وصايا لُقمان لابنِه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

فَالصَّبرُ علىٰ أَقدار الله أمرٌ مُحتَّمٌ علىٰ العباد، وأجرُ الصَّابرين يُعطَىٰ من الله بغير حسابٍ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمر: ١٠].

ثانيها: الحرص من المُكلَّف علىٰ فِعل الأوامر.

ثالثُها: الانهاءُ عمَّا نهىٰ الله عنه، والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ، منها قول الله تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

وفي الحديث عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عنْ ربِّه عَزَّوَجَلَّ؛ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[(١)].

وهذه هي أنواعُ الصَّبر الثَّلاثة:

١- صبرٌ علىٰ أقدار الله.

٢- صبرٌ علىٰ أداء طاعة الله.

٣- صبرٌ عن معصية الله.

رابعُها: إخلاص العمل لله، والدَّليل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣]، وقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

فالإخلاص في العمل هو أحدُ شرطَي القبول، والشَّرط الثَّاني موافقتُه لِما

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

شرع الرَّسول ﷺ.

خامسُها: النَّصيحةُ للمسلمين عامَّةً؛ كما جاء في حديثِ تميمٍ الدَّاريِّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1].

فالنَّصيحةُ لوُلَاة الأمر نصيحةٌ للمُسلمين جميعًا، حيثما عاد بالخير علىٰ وُلاة الأمر، فإنَّه يعودُ بالخير علىٰ مَن تحتَ أيديهم.

سادسُها: يدينون بعبادة الله في العابدين، أي: أنَّهم يُؤدُّون عبادة الله كما أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ، حيثُ يقولُ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، ويقول: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمر: ٥٤]، ويقولُ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعراء: ٢١٨ - ٢١٩].

سابعُها: النَّصيحة لجماعة المسلمين، وقد تقدَّمت في الفقرة الخامسة، وتقدَّم ما يدلُّ عليها.

ثامنُها: اجتنابُ الكبائر؛ لِقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

تاسعُها: الزِّنا، فالزِّنا منهيٌّ عنه وعن قُربانه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، ذلك لأنَّ الزِّنا من فِعل الجاهلين، وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

ولأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ميَّز بني آدم بالعُقول، وشرَع لهم التَّناسُلَ بطريقةِ النِّكاح الصَّحيح، خلافًا للحيواناتِ الَّتي تتَناكحُ وتتناسلُ بدون نِظامٍ، فكان الزِّنا تَشبُّهٌ ببيئةِ الحيوانات الَّتي لا تعقلُ، وبأهْل الإلحاد الَّذين يدْعون إلىٰ ذلك، وقد قلتُ في منظومة: «صيحة حقٍّ» ردًّا علىٰ المُلحدين:

وَزَعَمُــوا أَنَّ الــزَّوَاجَ وَالأُسَــرْ ... تَخَلُّفًا مِــنْ رَاسِبَاتِ مَــنْ غَبَــرْ
وَرَأَوْا الحُــبَّ الطَّلِيــقَ مُنطَلَــقْ ... مِــنْ رِبْقَــةِ العُقُــولِ سُــخْفًا وَحَمَــقْ
لِكَــي يَكُــونَ النَّــاسُ كَالْبَهَــائِمِ ... وَعَــاقِــلٌ كَــالْحَيَــوَانِ الْهَــائِــمِ
مُسَــرَّحِينَ هَمُّهُــمْ أَنْ يَشْــرَبُوا ... وَيَــأْكُلُوا وَيَمْــرَحُــوا وَيَلْعَبُــوا
وَأَسْــعَرُوا حَرْبًــا عَلَــىٰ الأَدْيَــانِ ... مُجَلِّــلًا بِــالــزُّورِ وَالْبُهْتَــانِ
تَنَكَّــرُوا لِلْعَقْــلِ ثُــمَّ لِلفِطَــرْ ... يَــا وَيْلَهُــمْ مَــاذَا أَتَــوْا مِــنَ الْكُبَــرْ

عاشرُها: قول الزُّور، أي: ومِن الواجب علىٰ المُسلم أنْ يتجنَّبَ قولَ الزُّور وهو الكذبُ علىٰ الآخرين، وهذا مُحرَّمٌ بالإجماع، والأدلَّة عليه مُتوافرةٌ.

الحادي عشر: تَجنُّبُ العصبيَّة، والعصبيَّةُ هي أنْ يَنصرَ الرَّجلُ قبيلتَه وقرابتَه؛ سواء كان ذلك بحقٍّ أو بباطلٍ، وقد جاء في الحديث: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ؛ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ**»[1]، أي: الَّذي ينصر قومه بالعصبيَّة، كالبعير يتردَّىٰ، فينزع بذَنَبه.

والواجبُ علىٰ المسلم أنْ يكونَ قوَّالًا بالحقِّ حتَّىٰ ولو كان علىٰ نفسِه، قال

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٧)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، وفي تعليقه علىٰ «المشكاة» (٤٩٠٤).

اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النِّساء: ١٣٥]؛ أي: لا تنصرُوا الغنيَّ الَّذي يكون علىٰ الباطل؛ لغناه؛ تزلُّفًا إليه، فاللهُ أَوْلىٰ بالجميع، والواجبُ عليكم أنْ تكونُوا أنصارًا للحقِّ، مُتجرِّدين عن العصبيَّة وغيرها من المَحسوبيَّات.

الثَّاني عشر: وممَّا يجبُ اجتنابُه: الفخرُ؛ فالفخرُ مذمومٌ، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لُقمان: ١٨].

فالفخرُ لا ينبغي حتَّىٰ ولو كان بالحقِّ، فإن كنتَ علىٰ حقٍّ؛ فاعلمْ أنَّ اللهَ هو الَّذي وَفَّقك إليه، وهداك له، فلا تُدلِي بما لَك مِن الإنجازات حتَّىٰ ولو كانت إنجازاتٍ في الخير، ولكن احمدِ اللهَ عليها، واعترِفْ بنعمةِ الله عليكَ فيها.

الثَّالث عشر: الكِبر؛ وهو الاختيالُ، والكِبر فسَّره النَّبيُّ ﷺ بقولِه: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ**(١)**، وَغَمْطُ النَّاسِ**(٢)»(٣).

وجاء في الحديثِ القُدسيِّ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(٤).

---

(١) «بَطَرُ الْحَقِّ»: أي: دفعُه وإنكارُه تَرفُّعًا وتجبُّرًا. «شرح النَّوويّ» (٢/ ٩٠).

(٢) «غَمْطُ النَّاس»: معناه: احتقارُهم. المرجع السَّابق.

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابنُ ماجه (٤١٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٥٤١).

الرَّابع عشر: الازدراء على النَّاس، يعني احتقارهم، وهذا من الكبر والعياذ بالله؛ بأن يفخر الإنسان بنفسه، ويزدري الآخرين.

الخامس عشر: من الأمور الَّتي يبغضها الله: العُجب، فلا تُعجب بنفسك يا عبد الله، بل الله عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي له عليك المنَّة، وله عليك الفضل، ولمَّا افتخر الأعراب بإسلامهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].



مُجانبةُ أهلِ البِدَعِ والتَّشاغل بالقُرآن و.. و..

ويَرونَ مُجانبةَ كُلِّ داعٍ إلىٰ بِدْعةٍ، والتَّشاغل بقراءةِ القُرآن، وكتابة الآثار، والنَّظَر في الفقه، مع التَّواضعِ والاستكانةِ، وحُسن الخُلُق، وبذْل المَعرُوف، وكَفِّ الأذىٰ، وترْك الغِيبَة والنَّميمة، والسِّعاية، وتَفقُّد المأْكل والمَشرب.

الشَّرح:

قولُه: «ويَرونَ مُجانبةَ كلِّ داعٍ إلىٰ بدعةٍ»:

أقولُ: مُجانبةُ أصحابِ البدَعِ - وبالأخصِّ الدَّاعين إليها - هو الَّذي أمَرَ اللهُ به في قولِه سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣]، فمُجاهدةُ الكُفَّار بدعوتهم إلىٰ الله، وقتالهم علىٰ دعوةِ الحقِّ لِيقبَلوها، أو علىٰ الأقلِّ لا يقفُ في وجهها، وذلك يكون بالدَّعوة باللِّسان والبيان، وبالسَّيف والسِّنان، أي: بالآلات الحربيَّة الحديثة الَّتي تختلفُ عن الآلات الحربيَّة الَّتي كانتْ قبْلَ أكثرَ مِن خمسينَ سنةً.

أمَّا مُجاهدةُ المنافقين فتكونُ بالدَّعوة إلىٰ الله، وبيان الحقِّ، وكشف تلبيسات أهل الزَّيغ والضَّلال، وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ أُمَّته علىٰ اتِّباع سُنَّته، وسُنَّة الخُلفاء الرَّاشدين المَهديِّين مِن بعْده، وحذَّر مِن المُحدثاتِ، وأخبَر بأنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

فمُجانبَة أهل البدع والضَّلال أمرٌ مُحتَّمٌ علىٰ أهل الإسلام، وللسَّلف في هذا المجالِ كلامٌ كثيرٌ مُوزَّعٌ في مَظانِّه، فعليك - يا عبد الله - أنْ تبحثَ عنْ هذه

الآثار، وتعلمها؛ لكي تحذَر البدَع وأصحابَها.

وهنا أمورٌ ينبغي التَّنبيهُ عليها، منها:

أنَّ مَن عُرِفَ بالسَّلفيَّة، وأُنكِر عليه شيءٌ؛ كمُجالسته لأهل البدع، ومُماشاتهم، والاعتذار لهم، وتبرير مذهبهم؛ فإنَّه يُنصح من هذا الأمر، وتُكرَّر عليه النَّصيحة حتَّىٰ لا يَخسرَه أصحابُ المنهج السَّلفيِّ؛ فإن أصرَّ علىٰ ما هو عليه أُلحِقَ بأهل البدع، ولا يكون ذلك بأخبارٍ ليستْ مُوثَّقةً؛ بل ينبغي ألَّا يُبنَىٰ هذا إلَّا علىٰ أخبارٍ معلومةٍ ومُوثَّقةٍ.

وليس مِن شأن أهل السُّنَّة ولا مِن طريقتِهم تبريرُ أهل البدع، ولا تَلمُّسُ الأعذار لهم، ولا تبريرُ مذهبهم، ولا ينبغي التَّسرُّع في الحُكم علىٰ أصحاب المنهج السَّلفيِّ بأنَّهم مُبتدعون، والتَّحذير منهم؛ حتَّىٰ ينصح مَن أُنكر عليه مَرَّةً بعد مرَّةٍ؛ فإذا أعذر أصحاب المنهج السَّلفيِّ بتكرير النَّصيحة علىٰ ذلك الرَّجل، عند ذلك يُحكمُ عليه بالبدعة، ويُلحقُ بالمُبتدعةِ، أمَّا بدون هذا، فلا ينبغي التَّسرُّع في الحُكم عليهِ.

ملحوظةٌ:

وممَّا أُثِر عن السَّلفِ: الحُكم علىٰ كلِّ شخصٍ بمَن يَتَّخذُهم الشَّخص أصحابًا وبطانةً، ولا تهدأ نفسُهُ، ولا تقرُّ عينُهُ، ولا يستريح إلَّا معهم وبهم، ولهذا قال مُحمَّد بن عُبيد الله الغلَّابي: «يَتكَاتَمُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ كُلَّ شَيءٍ إِلَّا التَّآلُفَ وَالصُّحْبَةَ»[(١)]. وقال الأوزاعيُّ: «مَنْ سَتَرَ عَنَّا بِدْعَتَهُ، لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا أُلْفَتُهُ»[(٢)]. وقال الأعمش:

---

(١) أخرجه ابنُ بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (٢/ ٤٧٩ الرَّاية) (٥١٠).

(٢) أخرجه ابنُ بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (٢/ ٤٥٢) (٤٢٠) و(٢/ ٤٧٩) (٥٠٨)، واللَّالكائيُّ في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٥٧).

«كَانُوا لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الرَّجُلِ بَعْدَ ثَلَاثٍ: مَمْشَاهُ، وَمَدْخَلِهِ، وَإِلْفِهِ[1] مِنَ النَّاسِ»[2]، إلى غير ذلك مِن الآثار المذكورةِ في مَظانِّها كـ«الإبانة الكُبرى» لابن بطَّة، و«الإبانة الصُّغرى» له، و«شرح أصول اعتقادِ أهل السُّنَّة» للَّالكائيِّ، و«الشَّريعة» للآجرِّي، وغير ذلك مِمَّا هو مَذكورٌ ومعروفٌ مِن الكتب الَّتي جَمعتْ هذه الآثار.

قولُه: «والتَّشاغل بقراءةِ القُرآن، وكتابة الآثار، والنَّظَر في الفقه»؛ يعني: أنَّ الإنسان يصرف وقتَ فراغه في هذه الأمور الَّتي تعود إليه بالنَّفع في الدَّار الآخرة، بل في الدُّنيا والآخرة، فقراءة القرآن والاستكثار منها نعمةٌ تتضاءل عندها كلُّ نعمةٍ، وكتابة الآثار، والنَّظَر في الأحكام الشَّرعيَّة كذلك، فمعرفة الأحكام الشَّرعيَّة من مَظانِّها بالتَّفصيل من الأمور الَّتي يَحسُن بطُلَّاب العلم التَّشاغل بها، والعكوف عليها، والتَّكرير لها.

قولُه: «مع التَّواضع والاستكانةِ، وحُسن الخُلُق، وبذلِ المعروفِ، وكَفِّ الأذى، وترْك الغِيبَة والنَّميمةِ، والسِّعايةِ، وتَفقُّد المأكل والمشرب»:

وأقولُ: في هذا المقطع عِدَّة جُمَلٍ:

الجملةُ الأولى: التَّواضع والاستكانة: التَّواضع هو ضدُّ الكِبر، وفي الحديث: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصبرَ عَلَيهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا.

---

(١) المراد به: الخلّ والصَّديق.

(٢) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٥٢) (٤١٩).

وَأُحَدِّثُكُم حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله تعالىٰ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَو أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيرِ عِلْمٍ، لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»(١).

الجملة الثَّانيةُ: حُسن الخُلُق: وليعلم أنَّه ليس حُسنُ الخُلُق مُوافَقَة النَّاس علىٰ ما يُحبُّون، ولو كان مُنكرًا أو باطلًا، ولكن حُسن الخُلُق هو بَسط الوجهِ، وبَذْلُ المعروف، وإنكارُ المنكر، والأمرُ بالمعروف، والمُوالاة والمُعاداة في الله ولله، والمحبَّة والبُغض في الله ولله، هذا هو حُسنُ الخلُق، واللهُ تعالىٰ يقولُ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

الجملةُ الثَّالثة: بذلُ المعروف: وبَذْلُ المعروف أنْ تبذلَ ما تستطيع مع طلاقةِ الوجهِ، وحُسنِ الرَّويَّة.

الجملة الرَّابعة: كفُّ الأذىٰ: وكفُّ الأذىٰ من الأمور المطلوبة للعبد، وقد أُمر العبد أنْ يأتي إلىٰ النَّاس ما يحبُّ أن يأتوا إليه، ويشمل كفُّ الأذىٰ جميعَ أنواعِ الأذىٰ؛ فتارةً يكون باليد؛ كالضَّرب، والقتل، وسفك الدَّم، وتارةً يكون باللِّسانِ بالسَّبِّ، والشَّتم، والتَّعيير، والسُّخريَّة، والمطلوبُ مِن العبْد أنْ يكُفَّ أذاه عن النَّاس مِن كلِّ

---

(١) أخرجه التِّرمذي (٢٣٢٥) من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٢٨٧).

وجهٍ، وليس الأمرُ بالمعروف، والنَّهيُ عن المُنكر مِن الأذىٰ، بل هو مِن الإحسان.

الجملة الخامسةُ: تركُ الغِيبةِ: والنَّبيُّ ﷺ قد فسَّر الغيبة لمَّا سُئل عنها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[1].

فالبهتُ: هو ادِّعاء شيءٍ علىٰ إنسانٍ لم يفعله، وهو مِن أعظم الجرائم، وبالأخصِّ إذا كان القائلُ هو الَّذي يفعلُ ذلك الشَّيءَ، وينسبُه إلىٰ غيرِه، فالذَّنب حِينئذٍ عظيمٌ، والجريمةُ حينئذٍ كبيرةٌ.

وليس من الغِيبة الدِّفاع عن الدِّين، فالكلامُ في المُبتدعة، وبيانُ ما هُم عليه مِن البدَع والضَّلال، هذا لا يُعتبرُ غِيبةً، وإنَّ كُتُب الجرح والتَّعديل لَمليئةٌ بكلام أهل العلم الَّذين يُدافِعون به عن الدِّين، فمَن أدخَل في حديث النَّبيِّ ﷺ ما ليس منه بيَّنُوا حاله، وإذا كان الإنسانُ يغلطُ في الحديثِ ويُخطِئ فيه مع عدالتِه وصِدقِه بيَّنوا حالَه، وإذا كان يكذبُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ مُتعمِّدًا بيَّنوا حاله، وهكذا.

الجملة السَّادسةُ: النَّميمةُ: والنَّميمة: هي إيصال الكلام مِن شخصٍ إلىٰ شخصٍ علىٰ سبيل الإفسادِ، وإثمُها عظيمٌ، ولهذا جاء في الحديث عن همَّام بن الحارث، قال: كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَىٰ الأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَىٰ الأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَيْنَا، قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[2]، رواه مسلمٌ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم - واللَّفظ له - (١٠٥).

الجملة السَّابعة: السِّعاية: والظَّاهر أنَّه يقصد بالسِّعاية: إيصال حاجات النَّاس إلىٰ السُّلطان، فمَن قَصَدَ بذلك الخيرَ، جزَاهُ اللهُ عن ذلك بالخير، ومَن قَصَدَ بذلك أذيَّة المُسلمين بما لم يفعلوه، فهو مُجرمٌ، والمهمُّ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النِّساء: ٨٥].

الجملةُ الثَّامنة: تَفقُّد المأْكل والمَشْرب: أي: ينبغي للإنسانِ أنْ يَتفقَّد مأكلَه ومشربَه، هل هو من حلالٍ؟ أو مِن حرامٍ؟ أو مِن أمْرٍ يُشتبَه فيه؟

وفي الحديث عن الشَّعبيِّ عن النُّعمانِ بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ؛ أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، متَّفق عليه[1].

فالواجب علىٰ المُسلم ألَّا يأكلَ إلَّا ما هو حلالٌ، وأنْ يترك المكاسبَ المُشْتَبهة حتَّىٰ يكونَ علىٰ بيِّنَةٍ مِن أمْرِه.



---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الخاتمةُ

فهذهِ جُملةُ ما يَأمُرون بهِ، ويَستعملُونَه، ويَرونَه، وبكُلِّ ما ذكَرْنا مِن قَولِهم نَقولُ، وإليهِ نَذهبُ، وما تَوفيقُنا إلَّا باللهِ، وهُو حسبُنا ونِعْمَ الوكيل، وبه نَستعِينُ؛ وعليه نَتوكَّلُ، وإليه المَصيرُ.

الشَّرح:

قولُه: «فهذهِ جملةُ ما يَأمرُون به، ويَستعملونَه، ويَرونَه، وبكُلِّ ما ذَكرْنا مِن قَولِهم نقولُ، وإليهِ نَذهبُ»:

هذا دليلٌ علىٰ أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ في آخر أمره كان علىٰ العقيدة الصَّحيحة. وهذا دليلٌ علىٰ تَراجع أبي الحسن في آخرِ حياتِه.

ثُمَّ قال: «وما تَوفيقُنا إلَّا بالله، وهو حسبُنا ونِعْم الوكيلُ، وبه نستعينُ؛ وعليه نَتوكَّلُ، وإليه المصيرُ».

وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



إِبْرَازُ المَعَانِي

بِشَرْحِ وَصِيَّةِ الإِمَامِ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِي

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ الإِمَامِ

أَبِي عُثْمَانَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابُونِي

(٣٧٣ - ٤٤٩ هـ)

تَأْلِيفُ

فَضِيلَةِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ

أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى النَّجْمِيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمةُ صاحبِ الوصيَّةِ الإمامِ الصَّابونيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمُه ونسبُه:

هُوَ أَبو عُثْمان؛ إسماعيل بْن عَبْد الرَّحمن بْن أَحْمَد بْن إِسْماعيلَ بْن إِبْرَاهيم بْن عَامر بْن عَابِدٍ، الصَّابونيُّ، النَّيسابوريُّ، الحَافظُ، المُفسِّرُ، المحدِّث، الفقيهُ، الوَاعظُ، المُلقَّب بشَيْخ الإِسْلَام.

وَقَدْ ذَكَر السَّمعانيُّ في كتابِهِ «الأنساب» أنَّ الصَّابونيَّ نِسْبَةً إلىٰ عَمَل الصَّابون، حَيْث قَالَ: «وبيتٌ كَبيرٌ بنَيْسابور (الصَّابونيَّة)؛ لعلَّ بَعْض أَجْدادِهِمْ عَمِلَ الصَّابونَ فَعُرفُوا بِهِ».

مولدُه:

وُلِدَ فِي بوشنج - من نَوَحي هراة[1] - في النِّصْف من جُمادىٰ الآخرة سَنَةَ ثَلَاثٍ وسَبْعِين وثَلَاث مئةٍ من الهِجْرَة.

نشأتُه:

كَانَ أَبُوه أَبُو نَصْر من كِبَار الوَاعِظِينَ بنَيْسابور، فَفُتِكَ بِهِ لأَجْل التَّعصُّب والمَذْهب، وأُقْعد بمَجْلس الوَعْظ مقامَ أَبيه، وأوَّل مَجْلس عَقَده للوَعْظ إِثْرَ قَتْل أَبيه فِي سَنَة ثِنْتَين وثَمَانين، وهُوَ ابْن تسع سنين، وحَضَر أَئمَّة الوَقْت مَجَالسَهُ.

---

(١) مدينة عظيمة من مدن خُراسان.

وقَدْ أَخَذَ الإمامُ أَبو الطَّيِّب؛ سَهْل بن مُحمَّد بن سُلَيمان الصُّعلوكي في تَرْبيتِهِ، وتَهْيئة أسبابِهِ، وتَرْتيب حِشْمَتِهِ، وكَانَ يَحْضر مَجَالسَهُ، ويُثْني عَلَيه مع تكبُّره في نَفْسه، وكذلِكَ سَائر الأَئمَّة؛ كالأُسْتاذ الإمام أَبي إِسْحَاق الإِسْفرايِيني، والأُسْتَاذ أبي بَكْر بْن فَوْرك، وَسَائر الأَئمَّة كَانوا يَحْضرونَ مَجْلسَ تَذْكيره، ويَتعجَّبونَ من كَمَال ذَكَائِهِ، وعَقْله، وحُسْن إِيرَادِهِ الكَلَام؛ عَربيَّه وفارسيَّه، وحِفْظه الأَحَاديث حَتَّىٰ كَبر وبَلَغ مَبْلغَ الرِّجال، وقَامَ مَقَامَ أَسْلَافه في جميع ما كَان إِلَيْهم من المَهَامِّ العِظَام.

شيوخُه:

للصَّابونيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَشايخ كَثيرُونَ أَخذَ عَنْهم الحَديثَ، والآثَارَ، والأَحْكامَ، وَسَائرَ فُنُونِ العِلْم.

ولعلَّ أَبْرَزهم أُسْتَاذه الحَاكم أَبو عَبْد الله الحَافظ النَّيسابوري إمام أَهْل الحَدِيثِ في عَصْره، وَصَاحب كتاب «المُسْتَدرك عَلَىٰ الصَّحيحَيْن»، وغَيْره من المُصنَّفات، وقَدْ رَوَىٰ عنه الصَّابونيُّ كثيرًا في كتابِهِ «عَقيدَة السَّلَف وأَصْحَاب الحَدِيثِ».

ومِنهم: أَبو طَاهر مُحمَّد بْن الفَضْل بْن مُحمَّد بْن إِسْحَاقَ بْن خُزَيمة، ومُحدِّث نيسابور: أَبو مُحمَّد الحسن بْن أَحمد بن مُحمَّد المخلدي الشَّيبانيُّ، وأَبو الحُسَين أَحْمَد بن مُحمَّد بن عُمَر الزَّاهد، وأَبو سَعيد عَبْد الله بْن مُحمَّد بن عَبْد الوَهَّاب، وأَبو بكر بْن مهران، وعَبْد الرَّحْمن بْن أبي شريح، وزاهر بْن أَحْمَد الفقيه، وطَبَقتهم، ومَنْ بَعْدهم.

تلامذتُه:

مِنْ تَلامذتِهِ: أَبو القَاسم عليُّ بْن مُحمَّد بن عليِّ بْن أَحْمَد بْن أَبي العَلَاء

السُّلمي المصيصي الفَقيه الشَّافعي، كَانَ مُسْنِدًا في الحَدِيثِ، وكَانَ فَقيهًا ثقةً، وأبو صَالح المُؤذِّن أحمد بن عبد الملك بن عليّ بن أحمد النّيسابوري الحافظ، وأبو مُحمَّد عبد العزيز بن أحمد بن مُحمَّد التَّميمي الدِّمشقي الكتَّاني الإمام المحدِّث المُتقن، وعليُّ بن الحُسين بن صَصْرَىٰ، وأبو بكر أحمد بن الحُسين البيهقيُّ، وأَبو عَبْد الله مُحمَّد بن الفَضْل الفراويُّ، وابنُه عبد الرَّحمن بن إسماعيل، وخلقٌ كثيرونَ.

منزلتُه وعبادتُه:

رزَق اللهُ تعالىٰ الصَّابونيَّ العزَّ والجاهَ في الدِّين والدُّنيا، وكَانَ جمالًا للبلد، زينًا للمَحَافل والمَجَالس، مَقبولًا عندَ المُوَافق والمُخَالف، مُجْمعًا عَلَىٰ أنَّه عَديم النَّظير، وسَيْف السُّنَّة، ودَافع البِدْعَةِ.

ولم يَزَلْ يَرْتفع شأنُه حتَّىٰ صار إلىٰ ما صار إليه من الحِشْمَة التَّامَّة والجاه العريض، وهُوَ في جَميع أَوْقاتِه مشتغلٌ بكَثْرة العبادات ووظائف الطَّاعات، مُبالغٌ في العفاف والسَّداد وصيانة النَّفس، مَعْروف بحُسْن الصَّلاة، وطُول القُنُوت وَاسْتشعار الهَيبة حتَّىٰ كان يُضْرب به المَثَلُ في ذلك.

وقد وعَظ المُسلمين في مَجالس التَّذْكير أَكْثر من ستِّينَ سنةً، وخطَب وصلَّىٰ في جَامع نيسابور عشرين سنةً.

عقيدتُه ومذهبُه:

أَبو عُثْمان الصَّابونيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُتَّبعٌ لمذهب أَهْل الحَدِيثِ والسُّنَّة من السَّلَف الصَّالح، فهُوَ سلفيُّ العَقيدة، ومن أَبْرز الأدلَّة عَلَىٰ ذَلِكَ: عقيدتُهُ الَّتي سَمَّاها: «عقيدَةُ السَّلَف وأَصْحاب الحَدِيثِ»، والَّتي كَتَبها بأُسلوبٍ علميٍّ سَهْلٍ واضح،

ذَاكرًا فيهَا الأَدلَّة علَىٰ ما يُذْكر من مَسَائل الاعْتقَاد من الآيَات والأَحَاديث والآثَار غَالبًا، وكَذَلِكَ أَوْرَد فيهَا كَلمَاتٍ رَائعةً للسَّلَف فيهَا ثناءُ بعْضهم علىٰ بَعْضٍ؛ كالثَّناء علىٰ الإمَام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيره من أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة، وكذلكَ نقَل اعْتقَادات السَّلف الصَّالح، وما يَعتقدُه فلانٌ وفلانٌ منهم.

ولهذا، تَجدُ أَنَّ شَيْخ الإسْلام ابن تيمية وتِلميذه ابْن القيِّم يَنقلون عن هذه العقيدة، وهذا يدلُّ علىٰ عِظَمِ مَكَانتها عند العلماء المحقِّقين الرَّاسخين.

وأمَّا مَذْهبه في الفُرُوع: فالَّذي يَظْهر أَنَّه شافعيُّ المَذْهب؛ لأنَّ الإمام تاجَ الدِّين السُّبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترجمَه في «طبَقات الشَّافعيَّة الكُبْرىٰ».

ثناءُ العلماءِ عليه:

قال فيه الإمامُ أبو بكْر البيهقيُّ وهوَ من أقرانِه: «إنَّه إمامُ المُسْلمينَ حقًّا، وشَيْخ الإسْلام صِدْقًا، وأَهْلُ عَصْره كُلُّهم مُذْعنون لعُلوِّ شَأْنه في الدِّين والسِّيادة، وحُسْن الاعْتقَاد، وكَثْرة العلْمِ، ولُزوم طريقة السَّلف».

وقَال القَاضي أَبو عَبْد الله المالكيُّ: «أَبو عُثْمان الصَّابونيُّ ممَّنْ شَهِدَتْ له أعيانُ الرِّجال بالكمال في الحِفظ والتَّفسير، وغيرهما».

وقال ابن نَاصر الدِّين: «كان إمَامًا حَافظًا عُمْدة مُقدَّمًا في الوَعْظ والأَدب، وغَيْرهما من العلوم، وحِفْظُهُ للحديثِ وتَفْسير القُرْآن معلومٌ».

وقَالَ عَبْد الغَافر الفارسيُّ: «كان أَكْثرَ أَهْل العَصْر من المشايخ سماعًا وحفظًا ونشرًا لمَسْموعاتِه وتَصْنيفاتِه، وجمعًا وتَحْريضًا علىٰ السَّماع، وإقامة لمجالس الحديثِ، سَمعَ الحديثَ بسَرْخس وبهراة، وبالشَّام وبالحِجازِ وبالجبال، وحَدَّث بكثيرٍ من البِلادِ، وأَكثرَ النَّاسُ السَّماعَ منه».

مؤلَّفاته:

مِن مؤلَّفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتاب «عقيدة السَّلف وأصحاب الحديثِ»، وهي بالطَّبع غَيْر وصيَّتِهِ هذه، والأَرْبَعون حديثًا، وكتاب «المئتين» حديثًا، وكتاب «الدَّعوات».

وفاتُه:

تُوفِّي أبو عُثمان الصَّابونيُّ بنيسابور عصْر يوم الخميس، الثَّالثَ من شَهْر مُحرَّمٍ، سنةَ تسعٍ وأربعينَ وأَرْبع مئةٍ من الهجرة بعْد مَرَضٍ أصابه، ودُفِنَ بمدرسته بسكَّة حَرْب بجنْب أبيه. رحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً، وجزاه خيرَ الجزاء علىٰ ما قدَّم للإسلام والمُسلمين.

مصادرُ ترجمته:

«طبقاتُ الشَّافعيَّة»، لتاج الدِّين السُّبكي.

«طبقات الشَّافعيَّة»، لابْن قاضي شهبة.

«الأَنْسَاب»، للسَّمعانيِّ.

«البداية والنِّهاية»، لابْن كثيرٍ.

«شذرات الذَّهَب»، لابْن العماد.

«تَاريخ دمشق»، لابْن عساكر.

«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ.



نص وَصيَّة الإمام
أبِي عُثمانَ الصَّابُونِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الشَّيخُ تاجُ الدِّين السُّبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشَّافعيَّة الكُبرىٰ» (٤/ ٢٨٥ - ٢٩٢)، (طبعة دار هجر، ١٤١٣ هـ، الطَّبعة الثَّانية)، ما نصُّه:

«وهذه وصيَّته، وقَدْ وَجدتُ بها بدمشق عندَ دُخُولِه إلَيها حاجًا:

«هَذا ما أَوْصَىٰ بِهِ إِسْماعيلُ بْنُ عَبْد الرَّحمن بْن إِسْماعيلَ، أَبو عُثْمان الصَّابونيُّ، الوَاعظ غير المُتَّعظ، الموقظ غَيْر المُتيقِّظ، الآمر غَيْر المُؤْتمر، الزَّاجر غَيْر المُنْزجر، المُتعلِّم المُعْترف، المُنْذر المُخوِّف، المُخلِّط المُفرِّط المُسْرف، المُقترف للسَّيِّئات المُغْتَرف، الوَاثق مَعَ ذَلِكَ برَحْمة ربِّه الرَّاجي لمَغْفرتِهِ، المُحبّ لرَسُول الله ﷺ وشيعتِه، الدَّاعي النَّاسَ إلىٰ التَّمسُّك بسُنَّته وَشَريعتِه ﷺ.

أَوْصَىٰ وهُوَ يَشْهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْده لَا شَريكَ لَهُ، إِلهًا وَاحدًا أَحَدًا فردًا صمدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحبةً وَلَا ولدًا، ولَمْ يُشْرك فِي حُكْمِهِ أَحدًا؛ الأَوَّل، الآخر، الظَّاهر، البَاطن، الحيُّ، القيُّوم، البَاقي بَعْد فَنَاءِ خَلْقِه، المُطَّلِع عَلَىٰ عبادِهِ، العَالِم بِخَفِيَّات الغُيُوب، الخَبير بضَمَائر القُلُوب، المُبْدئ، المُعِيد، الغَفُور، الوَدُود، ذُو العَرْش المَجيد، الفَعَّال لمَا يُريدُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، هُوَ مَوْلَانا ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

يَشْهدُ بذَلِكَ كلِّه مَعَ الشَّاهِدِينَ، مُقِرًّا بلسانِهِ عَنْ صِحَّةِ اعْتقَادِ، وصِدْقِ يَقينٍ، ويَتحمَّلُها عَن المُنْكرينَ الجَاحِدِينَ، ويُعِدُّها ليَوْم الدِّين ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤١ - ٤٢].

وَيَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَه بالهُدَىٰ ودِينِ الحقِّ؛ ليُظْهره عَلَىٰ الدِّين كُلِّه، ولَوْ كَرِهَ المُشْركونَ.

وَيَشْهدُ أَنَّ الجنَّةَ حقٌّ، وجُمْلة ما أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيهَا لأَوْليائِهِ حَقٌّ ويَسْأل مَوْلاه الكَريم جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَجْعَلها مَأْوَاه ومَثْواه فَضْلًا منه وكَرَمًا.

وَيَشْهدُ أَنَّ النَّار ومَا أَعدَّ اللهُ فيها لأَعدائِهِ حقٌّ، ويَسأل اللهَ مَوْلَاه أَنْ يُجِيرَه منْهَا، ويُزَحْزحه عَنْها، ويَجْعَله من الفَائزين؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وَيَشْهدُ أَنَّ صلاتَهُ ونُسُكَهُ ومَحْياهُ ومَمَاتَهُ لله ربِّ العَالَمين، لَا شَريكَ لَهُ، وبذَلِكَ أُمِرَ، وهُوَ من المُسْلمينَ، والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمينَ.

وأَنَّه رَضِيَ باللهِ ربًّا، وبالإِسْلَام دينًا، وبمُحمَّدٍ نبيًّا، وبالقُرْآن إمَامًا، عَلَىٰ ذَلِك يَحْيَا، وعَلَيه يَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

ويَشْهدُ أَنَّ المَلَائكةَ حقٌّ، وأَنَّ النَّبيِّين حَقٌّ، وأَنَّ السَّاعةَ لَا رَيْبَ فيهَا، وأَنَّ اللهَ يَبْعثُ مَنْ فِي القُبُور.

ويَشْهدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدَّر الخيرَ، وأَمَرَ به، ورَضِيَه، وأَحَبَّه، وأَرَاد كَوْنه مِنْ فَاعلِهِ، ووَعَد حُسْنَ الثَّواب عَلَىٰ فِعْلِهِ، وقَدَّر الشَّرَّ، وزَجر عَنْه، ولَمْ يَرْضه، ولَمْ يُحِبَّه.

ويَشْهدُ أَنَّ القُرآنَ كتابُ الله وكَلَامُهُ، ووَحْيُهُ، وتَنْزِيلُهُ غَير مَخْلُوقٍ، وهُوَ الَّذي فِي المَصَاحف مَكْتوبٌ، وبالأَلْسِنَةِ مَقْروءٌ، وفِي الصُّدُور مَحْفوظٌ، وبالآذان

مَسْموعٌ؛ قَالَ اللهُ - تعالىٰ -: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَقَالَ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

ويَشْهدُ أنَّ الإيمانَ تَصْديقٌ بالقَلْب بمَا أمَرَ اللهُ أنْ يُصدَّق بِهِ، وإِقْرارٌ باللِّسَان بمَا أَمَر اللهُ أَنْ يُقرَّ بِهِ، وعَملٌ بالجَوارح بمَا أَمَر اللهُ أَنْ يُعْمَل بِهِ، وَانْزجَارٌ عَمَّا زَجَر عَنْه مِن كَسْب قَلْبٍ، وقَوْلِ لِسَانٍ، وعَمَل جَوارح وأَرْكَانٍ.

ويَشْهدُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُسْتوٍ علَىٰ عَرْشه؛ اسْتَوىٰ عَلَيه كَمَا بَيَّنَه فِي كتابِهِ فِي قوله - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

والرَّسُولُ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيه وَسلَّم تَسْليمًا - ذَكَرَه فيما نُقِلَ عَنْه من غَيْر أَنْ يُكيِّفَ اسْتِوَاءَه عَلَيه، أَوْ يَجعل لفِعْله وفَهْمه أَوْ وَهْمه سبيلًا إِلَىٰ إِثْبَاتِ كَيْفيَّته، إِذِ الكَيفيَّةُ عَنْ صِفَاتِ رَبِّنا مَنفيَّةٌ.

قَالَ إِمَامُ المُسْلمينَ فِي عَصْره، أَبو عَبْد الله، مالكُ بْن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَوَاب مَنْ سَأَله عن كَيفيَّة الاسْتوَاء: «الاسْتوَاءُ مَعْلومٌ، والكَيْفُ مَجْهولٌ، والإِيمَانُ بِهِ وَاجبٌ، والسُّؤالُ عَنْه بِدْعةٌ، وأَظنُّك زِنْديقًا؛ أَخْرجُوه من المَسْجد».

ويَشْهدُ أَنَّ اللهَ - تعالىٰ - مَوْصوفٌ بصِفَاتِ العُلَىٰ الَّتي وَصَفَ بها نَفْسَه فِي كتابِهِ، وعَلَىٰ لِسَانِ نَبيِّه ﷺ تَسْليمًا كثيرًا، لَا يَنْفي شيئًا مِنْهَا، وَلَا يَعْتقد شَبَهًا له بصِفَاتِ خَلْقِهِ، بَلْ يَقُول: إِنَّ صِفَاتِهِ لَا تُشْبه صِفَاتِ المَرْبُوبينَ، كَمَا لَا تُشْبه ذَاتُهُ

ذَوَات المُحْدَثين؛ تعالىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُ المُعطِّلَة والمُشَبِّهة عُلوًّا كَبيرًا.

ويَسْلك فِي الآيَات الَّتي وَرَدتْ في ذِكْرِ صِفَاتِ البَارِئ جَلَّجَلَالُهُ، والأَخْبَار الَّتي صَحَّتْ عَنْ رَسُول الله ﷺ فِي بَابِها؛ كَآيَات مَجيء الرَّبِّ يَوْمَ القِيَامَة، وإِتْيَان اللهِ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام، وخَلْق آدم بيدِهِ، وَاسْتوائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وكأَخْبَار نُزُولِهِ كلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاء الدُّنيا، والضَّحك، والنَّجوىٰ، وَوَضْع الكَنَف عَلَىٰ مَنْ يُنَاجيه يَوْمَ القيَامة وغَيْرها - مَسْلَكَ السَّلَف الصَّالح، وأَئمَّة الدِّين مِن قَبُولها، ورِوَايَتها عَلَىٰ وَجْهها بَعْد صِحَّة سَنَدِها، وَإِيرَادهَا عَلَىٰ ظَاهرهَا، والتَّصْديق بهَا، والتَّسْليم لهَا، واتِّقاء اعْتقَاد التَّكْييف والتَّشْبيه فيها، واجْتنَاب ما يُؤدِّي إلىٰ القَوْل بردِّها، وتَرْك قَبُولها أَوْ تَحْريفها بتَأْويل يُسْتنكَر، ولَم يُنْزل اللهُ به سُلْطانًا، ولَمْ يَجْرِ بِهِ للصَّحَابة والتَّابِعِينَ والسَّلَف الصَّالِحِينَ لسَانٌ.

ويَنْهَىٰ في الجُمْلة عَن الخَوْض في الكَلام، والتَّعمُّقِ فِيهِ، وفِي الاشْتغَال بمَا كَرِهَ السَّلَفُ - رحمهم الله - الاشْتغَال بِهِ، ونَهَوا وزَجَروا عَنْه؛ فإِنَّ الجدَالَ فِيهِ، والتَّعمُّقَ في دَقَائِقهِ، والتَّخبُّط في ظُلُماتِهِ - كلُّ ذٰلِكَ يُفْسد القَلْبَ، ويُسْقط منه هَيْبَةَ الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ، ويُوقع الشُّبَه الكَبيرَة فِيهِ، ويَسْلبُ البَرَكَة في الحَال، ويَهْدي إلىٰ البَاطل والمُحَال، والخُصُومة في الدِّين والجِدَالِ، وكَثْرة القِيلِ والقَال في الرَّبِّ ذِي الجَلَال، الكَبير المُتَعَال، سبحانه وتعالىٰ عَمَّا يَقُول الظَّالمونَ عُلوًّا كَبيرًا.

والحَمْدُ لله عَلَىٰ ما هَدَانا مِنْ دينِهِ، وَسُنَّة نبيِّه صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيه حَمْدًا كَثيرًا.

ويَشْهد أَنَّ القيامَةَ حقٌّ، وكلَّ ما وَرَد به الكِتَابُ والأَخْبَارُ الصِّحَاح من أَشْرَاطها وأَهْوَالها، وَمَا وَعَدَنا بِهِ، وأَوْعدَنا بِهِ فيها، فهُوَ حقٌّ؛ نُؤْمن بِهِ، ونُصدِّق اللهَ - سبحانه - ورَسُولَه ﷺ فيمَا أَخْبر بِهِ عَنْه؛ كالحَوْض، والمِيزَانِ، والصِّرَاط،

وقِراءَة الكُتُب، والحِساب، والسُّؤال، والعَرْض، والوُقُوف، والصَّدْر عن المَحْشر إلىٰ جَنَّةٍ أَوْ إلىٰ نَارٍ، مَعَ الشَّفاعَة المَوْعودة لأَهْل التَّوْحيد، وغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هو مُبيَّنٌ في الكِتَابِ، ومُدوَّنٌ في الكُتُب الجَامِعَة لِصِحَاحِ الأَخْبار.

ويَشْهد بذَلِكَ كُلِّه في الشَّاهِدِينَ، ويَسْتَعين بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الثَّبَات عَلَىٰ هَذِهِ الشَّهَادات إلىٰ المَمَات حَتَّىٰ يُتوفَّىٰ عَلَيها في جُمْلة المُسْلمينَ المُؤْمنينَ المُوقِنِينَ المُوحِّدينَ.

ويَشْهدُ أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَمُنُّ عَلَىٰ أَوْليائِهِ بوُجُوهٍ نَاضرةٍ، إِلَىٰ ربِّها نَاظِرةٍ، ويَرَوْنه عيَانًا في دَار البَقَاء، لَا يُضَارون في رُؤْيتِهِ، وَلَا يُمَارَون، وَلَا يُضَامونَ.

ويَسْأَل اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعلَ وَجْهَه من تِلْكَ الوُجُوه، ويَقِيَهُ كلَّ بَلَاءٍ وسُوءٍ ومَكْروهٍ، ويُبلِّغَه كلَّ ما يُؤمِّله من فَضْله، ويَرْجوه بِمَنِّه.

ويَشْهدُ أَنَّ خيرَ النَّاس بَعْد رَسُول الله ﷺ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيق، ثمَّ عُمَر الفَارُوق، ثمَّ عُثْمَان بْن عفَّان، ثمَّ عليُّ بْن أبي طَالِبٍ، رضي الله عنهم أَجْمعينَ.

ويَترحَّمُ عَلَىٰ جميع الصَّحَابة، ويَتوَلَّاهم، ويَسْتغفرُ لهُمْ، وكَذَلِكَ ذُرِّيَّته، وأَزْوَاجه أُمَّهات المُؤْمنينَ.

ويَسْأَلُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعلَه مَعَهم، ويَرْجو أَنْ يفْعله بِهِ، فإِنَّه قَدْ صحَّ عندَهُ من طُرُقٍ شَتَّىٰ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

ويُوصِي إِلَىٰ مَنْ يَخْلفه من وَلَدٍ، وأَخٍ، وأَهْلٍ، وَقَرِيبٍ، وَصَديقٍ، وَجَميع مَنْ يَقْبل وَصيَّته مِنَ المُسْلمينَ عَامَّةً أَنْ يَشْهدوا بجَميعِ مَا شَهِدَ بِهِ، وأن يَتَّقوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ، وأَلَّا يَمُوتوا إلَّا وهُمْ مُسْلمونَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَيُوصيهم بصَلاح ذَات البَيْن، وصِلةِ الأرْحَام، والإحْسان إلَىٰ الجِيران والأقَارب والإخْوَان، ومَعْرفَةِ حَقِّ الأكَابر، والرَّحْمةِ عَلَىٰ الأصَاغر.

ويَنْهاهُمْ عَن التَّدابر، وَالتَّباغُض، والتَّقاطع، والتَّحاسد، ويَأمُرُهمْ أنْ يَكُونوا إخْوَانًا عَلَىٰ الخَيْرات أعوانًا، وأنْ يَعْتصموا بحَبْل الله جَميعًا وَلَا يتفرَّقوا، ويَتَّبعوا الكِتَابَ والسُّنَّة، ومَا كَانَ عَلَيه عُلَماء الأُمَّة وأئمَّة المِلَّة؛ كَمالك بْن أَنسٍ، والشَّافعيِّ، وسُفْيان الثَّوريِّ، وسُفْيان بْن عُيينة، وأَحْمَد بْن حَنْبل، وإِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيمَ، ويَحْيىٰ بْن يَحْيىٰ، وغَيْرهم من أئمَّة المُسْلمينَ وعُلَمَاء الدِّين، رضي الله عنهم أجْمعينَ، وجَمعَ بَيْننا وبَيْنهم في ظِلِّ طُوبَىٰ، ومُسْتَراح العَابِدِينَ.

أَوْصَىٰ بهَذَا كلِّه إِسْمَاعيلُ بْن عَبْد الرَّحمن الصَّابونيُّ إلَىٰ أَوْلَاده، وأَهْلِهِ، وأَصْحابِهِ، ومُخْتلفَة مَجَالسِهِ.

وأَوْصَىٰ أَنَّه إذا نَزَلَتْ بِهِ المَنيَّةُ الَّتي لا شَكَّ أَنَّها نَازلةٌ، والله يَسأَل خَيْر ذَلِكَ اليَوْم الَّذي تَنْزل المَنيَّة بِهِ فِيهِ، وخَيْر تِلْكَ اللَّيلة الَّتي تَنْزل بِهِ فِيهِ، وخَيْر تِلْكَ السَّاعَة، وخَيْر ما قَبْلها، وخَيْر مَا بَعْدها - أنْ يُلْبَس لباسًا طيِّبًا حسنًا طاهرًا نَقيًّا، ويُوضَع عَلَىٰ رَأْسه العِمَامَة الَّتي كَانَ يَشدُّها فِي حَالِ حَياتِهِ وضعًا عَلَىٰ الهَيْئة الَّتي كَانَ يَضَعُها عَلَىٰ رَأْسه أيَّام حياتِهِ، ويُوضَع الرِّداءُ عَلَىٰ عاتِقَيْه، ويُضْجع مُستلقيًا عَلَىٰ قَفَاه، مُوجَّهًا إلىٰ القِبْلَة، وتَجْلس أَوْلادُهُ عندَ رَأْسِهِ، ويَضَعوا المَصَاحفَ عَلَىٰ حُجُورهمْ، ويَقْرؤوا القُرآنَ جَهْرًا.

وَحَرَّج عَلَيهم أَلَّا يُمكِّنوا امْرأةً لَا قَرابة بَيْنه وبَيْنها، ولا نَسَبَ، وَلَا سَبَب من طَريق الزَّوجيَّة تَقْرب من مَضْجعه تِلْكَ السَّاعَة، أو تَدْخل بيتًا يَكُونُ فِيهِ.

وكَذَلِكَ يُحرِّج عَلَيهم أنْ يَأذَنُوا لأَحَدٍ من الرِّجال فِي الدُّخول عَلَيه فِي تِلْكَ

السَّاعَة، بَلْ يَأمُرُون الأخَ والأحبابَ وغَيْرهم أَنْ يَجْلسوا فِي المَدْرسة، وَلَا يَدْخلوا الدَّار، وليُساعدوا الأَصْحابَ فِي قِرَاءَة القُرْآن، وإِمْدَادِهِ بالدُّعَاء، فلَعلَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُهوِّن عَلَيه سَكَرات المَوْت، ويُسهِّل له اقْتحام عَقَبة المَوْت عَلَىٰ الإِسْلَام والسُّنَّة فِي سَلَامةٍ وعَافيَةٍ.

وأَوْصَىٰ إذا قَضَىٰ نَحْبه، وأَجَاب ربَّه، وفَارَقتْ رُوحُهُ جَسدَه أَنْ يُشدَّ ذَقْنه، وتُغْمض عَيْناه، وتمدَّ أَعْضَاؤه، ويُسجَّىٰ بثَوْبٍ، ولا يُكْشَف عَنْ وَجْهه لِيُنْظر إِلَيْه إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُ غَاسِلُهُ، فيَحمله إلىٰ مُغْتسلِهِ، جَعَل اللهُ ذَلِكَ الحَمْلَ مباركًا عَلَيه، ونَظَر بعَيْن الرَّحمة إليْه، وغَفَر له مَا قَدَّمه مِنَ الأَعْمَال السَّيِّئة بَيْن يَدَيه.

وأَوْصَىٰ أَلَّا يُنَاح عَلَيه، وأَنْ يُمنَع أَوْلِيَاؤُهُ وأَقْرِبَاؤه وأَحبَّاؤه وجَميع النَّاس من الرِّجَال والنِّساء أَنْفسهم عن الشَّقِّ والحَلْق والتَّخْريق للثِّياب والتَّمزيق، وأَلَّا يَبكوا عَلَيه إِلَّا بُكَاء حُزْن قَلْب، ودُمُوع عَيْن، لَا يَقْدرون عَلَىٰ رَدِّهما ودَفعِهما، وأَمَّا دعاءٌ بوَيْل، ورَنُّ شَيْطانٍ، وخَمْشُ وُجُوهٍ، وحَلْقُ شَعْرٍ ونَتْفُهُ، وتَخْريقُ ثوبٍ وتَمْزيقُهُ وفَتْقُهُ فلَا، وهُوَ بَريءٌ مِمَّنْ فَعَل شيئًا من ذَلِكَ كَمَا بَرئَ النَّبيُّ ﷺ مِنْهُمْ.

وأَوْصَىٰ أن يُعجَّل تَجْهيزُهُ وغَسْلُهُ وتَكْفينُهُ وحَمْلُهُ إلىٰ حُفْرته، ولَا يُحْبَس، وَلَا يُبطَّأ بِهِ، وإِنْ ماتَ ضَحْوة النَّهار، أَوْ وَقْت الزَّوال، أو بُكْرةً، فإِنَّه لا يُؤَخَّر تَجْهيزُهُ إلىٰ الغَد، ولَا يُتْرك مَيِّتٌ بَيْن أَهلِهِ باللَّيل أَصْلًا، بَلْ يُعجَّل أَمْره، فيُنْقل إلىٰ حُفْرته نقلًا بَعْد أَنْ يُغسَّل وترًا، ويُجْعل فِي آخِرِ غَسْلةٍ من غَسَلاتِهِ كَافورٌ.

ويُكفَّن فِي ثَلَاثة أثْوَاب بيضٍ سحوليَّةٍ إنْ وُجدت، فإِنْ لم توجد سحوليَّة كُفِّنَ فِي ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ لَيْسَ فيها قَميصٌ، وَلَا عِمَامةٌ، ويُجمَّر كفنُهُ وترًا لا شَفْعًا قبل أن يلفَّ عَلَيه، ويُسْرع بالسَّير بجِنَازتِهِ، كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ.

ويُحمَل للصَّلاة عَلَيه إلىٰ ميدان الحسين، ويُصلِّي عَلَيه ولَدُهُ أَبو نَصْر إِنْ كَانَ

حاضرًا، فإنْ عجز عَن القِيَامِ بالصَّلاة عَلَيه، فأمْرُ الصَّلاة عَلَيه إلىٰ أخِيهِ أبي يَعْلىٰ، ثمَّ يُرَدُّ إلَىٰ المَدْرسة، فيُدْفن فِيهَا بَيْن يَدَي والده الشَّهيد - رضي الله تعالىٰ عنه -، ويُلْحَد له لَحْدٌ، ويُنصَبُ عَلَيه اللَّبِنُ نَصْبًا.

وَلَا يُشقُّ له شقٌّ، ولا يُتَّخذ لَه تَابوتٌ أصلًا، ولا يُوضَع في التَّابوت للحَمْل إلىٰ المُصلَّىٰ، وليُوضَع عَلَىٰ الجِنازَة مَلْفوفًا في الكَفَن مُسجًّىٰ بثَوْبٍ أبْيض لَيْس فِيهِ إبْريسم[(١)] بحالٍ.

وَلَا يُطيَّن قَبْره، وَلَا يُجَصَّص، ويُرَشُّ عَلَيه المَاء، ويُوضَع عَلَيه الحَصَىٰ، ويُمْكَث عندَ قَبْره مقدارَ مَا يُنْحر جزورٌ ويُقْسم لحمُهُ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ ما يُراجِع بِهِ رُسُلَ ربِّه جَلَّ وَعَلَا.

ويُسْأَل اللهُ - تعالىٰ - عَلَىٰ رَأْس قَبْره - لَه التَّثبيت المَوْعود لجُمْلة المُؤْمنينَ في قَوْلِهِ - تعالىٰ -: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ويُسْتغفَر لَهُ ولِوَالِدَيْه ولجَمِيعِ المُؤْمنات، والمُسْلمينَ والمُسْلمات، ولَا يُنْسَىٰ، بل يُذكَر بالدُّعاء؛ فإنَّ المؤمنَ إذَا قُبِرَ، كَانَ كَالغَرِيقِ المَبْغوت يَنْتظر دَعْوةً صَالحةً تَلْحقُهُ، وَلَا يمكنُ أَحدٌ مِنَ الجَوَاري والنِّسْوان أنْ يَكْشفنَ رُؤوسَهنَّ، وأنْ يَنْدبنَهُ في ذَلِكَ الوَقت، بل يَشْتغل الكلُّ بالدُّعاء وَالاسْتِغْفَار لعلَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُهوِّن عَلَيه الأَمْرَ في ذَلِكَ الوَقْت، ويُيسِّر خُرُوج منكرٍ ونكيرٍ من قَبْره عَلَىٰ الرِّضا منه، ويَنْصرفَان عَنْه، وقَدْ قَالَا لَهُ: نَم نَوْمةَ العَرُوس، فَلَا رَوْعةَ عَلَيك، ويَفْتَحان في قَبْره بَابًا من الجنَّة فضلًا من اللهِ ومِنَّةً، فيَفُوز فوزًا عَظيمًا، ويَحُوز ثَوابًا كَريمًا، ويَلْقىٰ رَوحًا ورَيْحانًا، وربًّا كَريمًا رَحِيمًا». آخر الوَصيَّة.

---

(١) الإبْريسم: الحرير.

تعريفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنفسه، وهضمه لحظها

قَالَ الشَّيخُ تَاج الدِّين السُّبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طَبقَات الشَّافعيَّة الكُبرىٰ» مَا نصُّهُ: «وهَذِهِ وَصِيَّته وقَدْ وجدت بهَا بدمشق عندَ دُخُولِهِ إِلَيْها حَاجًا: هَذَا ما أَوْصَىٰ بِهِ إِسْماعيلُ بْن عَبْد الرَّحمن بْن إِسْماعيلَ، أَبو عُثْمان الصَّابونيُّ، الواعظُ غَيْر المُتَّعظ، المُوقظ غَيْر المُتيقِّظ، الآمرُ غَيْر المُؤْتمر، الزَّاجر غَيْر المُنْزجر، المُتعلِّم المُعْترف، المُنْذر المُخوِّف، المُخلِّط المُفرِّط المُسْرف، المُقْترف للسَّيِّئات المُغْترف، الوَاثق مَعَ ذَلِكَ برَحْمة ربِّه الرَّاجي لمَغْفرتِه، المُحبُّ لرَسُول الله ﷺ وَشيعَتِهِ، الدَّاعي النَّاسَ إِلىٰ التَّمسُّك بسُنَّته وشَريعتِهِ ﷺ».

التعليق:

هَذَا من بَابِ الحَظِّ لنَفْسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَالاعْتِرَاف بالتَّقْصير، وَإِلَّا فَالحَقِيقَةُ أَنَّا نَظنُّ أَنَّه كَانَ بخِلَاف ذَلِكَ، فكَانَ عَلَىٰ الاسْتِقَامَة بقدْر المُسْتَطاع، وإِنْ كَانَ الإِنسَانُ مَهما حَاوَل الاجْتِهَادَ فإِنَّه لا يَبْلغ دَرَجة الكَمَال الَّتي هِيَ الغَايَة القُصْوىٰ، فَلَا يَبْلغها إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ.

وهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ قَسَّم النَّاسَ في سُورَة (الوَاقعَة) إِلَىٰ ثَلَاثة أَقْسَام: السَّابقُونَ، وأَصْحَاب اليَمين، وأَصْحَاب الشِّمال. وفِي سُورَة (فاطر) قَسَّم أَصْحَاب الاسْتجَابَة إِلىٰ ثَلَاثَة أَقْسَام: سَابقُونَ، وأَصْحَاب يَمينٍ، وظَالمُونَ لأَنْفسِهِمْ؛ قَالَ – تعالىٰ –: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

والمُقتصِدُونَ: هُمْ أَصْحَابُ اليَمين.

والسَّابقُون للخَيْرات: هُمُ المُقرَّبون الَّذين ذَكَرهُمُ اللهُ في سُورَة (الواقعة)[(١)]، ويُقَالُ عَنِ السَّابِقِين للخَيْرات: إنَّهم هُمُ الَّذين أَدَّوا الفَرَائض والمُسْتحبَّات، وتَرَكُوا المُحرَّمات والمَكْروهَات.

والمُقْتصِدونَ أَوْ أَصْحَاب اليَمِينِ: هُمُ الَّذين أدَّوا الفَرَائض، وتَرَكوا المُحرَّمات؛ يَعْني: قَد يَكُونُ مِنهم قُصُورٌ في فِعْلِ المُسْتحبَّات، وَاجْتنَاب المَكْروهَات.

أمَّا الظَّالمُ لنَفْسه: فهُوَ الَّذي قَصَّر في أَدَاء الوَاجبَات، وَارْتَكَب شيئًا من المُحرَّمات، فهَذَا هُوَ الظَّالم لنَفْسِهِ.

ومَنَازلُهُمْ مُتفَاوتةٌ؛ للتَّفَاوت الَّذي ذَكَره الله عَزَّوَجَلَّ، وذَكَره نبيُّه ﷺ في السَّيْر عَلَىٰ الصِّراط؛ فمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْح البَصَر، وكَالبَرْق، وكَالرِّيح، وكأَجاويد الخَيْل[(٢)]، وكسَعْي الرِّجَال، ومِنْهم مَنْ يُهَرول، ومِنْهم مَنْ يَمْشي، ومِنْهم مَنْ يَزْحف عَلَىٰ بَطْنه، ومِنْهم مَنْ تَخطفُهُ الكَلَاليب بذنبِهِ، وتُلْقي بِهِ في نَار جهنَّم[(٣)]، وهكَذا.

وَجَاءَ أيضًا في حَدِيثِ الشَّفَاعَة: «... فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ

---

(١) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٤].

(٢) أجاويد الخيل: هي جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الفرس السابق الجيد، انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٣١٢ المكتبة العلمية).

(٣) في الحديث عند البخاري (٧٤٣٩): «... قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...».

رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ... ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(١)].

فَالتَّفَاوُتُ حَاصِلٌ بينَ النَّاسِ في الإيمانِ والعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فنسأَلُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يَجعَلَنا مِمَّن يَعمَلُون بطاعَتِهِ، ويَجتَنِبُونَ مَعْصِيَتَهُ.



(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إقراره رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشهادة التَّوحيد، ورجاؤه لها عند لقاء ربه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أوصىٰ وهو يشهدُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وحدَه لا شَرِيكَ لَه، إلهًا واحِدًا أحدًا فَردًا صَمَدًا، لم يتَّخذ صَاحبَةً ولا وَلَدًا، ولم يُشرِكْ في حُكمِه أحدًا؛ الأوَّلُ، الآخرُ، الظَّاهرُ، الباطنُ، الحيُّ، القيُّومُ، الباقِي بعدَ فناءِ خَلْقِه، المُطَّلِع علَىٰ عبادِه، العَالِمُ بِخفِيَّات الغُيُوبِ، الخَبيرُ بضَمائِرِ القُلوبِ، المُبدِئُ، المُعِيدُ، الغَفُورُ، الوَدُودُ، ذُو العَرشِ المجِيدِ، الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، هُو مَولَانَا: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

يشهدُ بِذَلِكَ كلِّه مَعَ الشَّاهِدين، مُقِرًّا بِلِسانِه عَن صِحَّةِ اعتِقَادٍ وصِدقِ يَقِينٍ، ويَتحمَّلُها عَن المُنكرينَ الجَاحِدِين، ويُعِدُّها لِيومِ الدِّين، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشورىٰ: ٨٨ - ٨٩].

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤١ - ٤٢]».

التعليق:

هَذَا وَصفٌ لِنفسِهِ بأنَّه كتَبَ هَذِهِ الوَصِيَّة، وهُو يَشهَدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، ويَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ ﷺ، ويَشهَدُ بأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هو صاحِبُ العظَمَةِ، الباقِي بعدَ فناءِ خَلْقِهِ.

وبِأَنَّه هو الإلَهُ الوَاحِدُ الأحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذي لم يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، ولَم يُشرِكْ في حُكمِهِ أَحَدًا، الأوَّلُ والآخِرُ، والظَّاهرُ والباطِنُ؛ أي: الأوَّلُ: الَّذي لَيسَ قَبلَه شَيءٌ، والآخِرُ: الَّذي لَيسَ بَعدَه شَيءٌ، والظَّاهِرُ: الَّذي لَيسَ دُونَه شَيءٌ، والباطنُ: الذي ليسَ دونَهُ شيءٌ.

فهُو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَد ظَهَرَ بأوصَافِهِ لعِبَادِهِ حَتَّىٰ إنَّ الإنسَانَ إذَا تَفَكَّرَ في المَخلُوقَاتِ رَأَىٰ أنَّها قَد صُنِعَتْ لحِكمةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ الصَّانِعِ.

أمَّا كَونُهُ بَاطِنًا، فَلِأنَّه يَعلَمُ مَا يَجرِي في القُلُوبِ مِن خَطَرَاتٍ، ومَا يجرِي في النُّفوسِ مِن تَقَلُّباتٍ، وما يَحصُلُ في الأبصَارِ مِن لَحَظَاتٍ، وما يجرِي في الأجسَامِ مِن حَرَكَاتٍ.

وقد أشَارَ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ هَذَا المَعنَىٰ بقَولِهِ - صلَواتُ اللهِ وسَلَامُهُ عليه - لِأصحَابِهِ: «إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائبًا؛ إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، هُوَ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(١).

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقُولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

قولُه: «الحَيُّ»، أي: يُؤمِنُ بِأنَّه هُوَ الحيُّ الَّذي هُو حَيٌّ قَبلَ كُلِّ حيٍّ، وسَيَكُونُ حيًّا بعدَ كُلِّ حيٍّ، وهو الَّذي وَهَبَ الحَيَاةَ لكُلِّ حَيٍّ، فكلُّ حَيٍّ إنَّما استَمَدَّ حَيَاتَه مِنَ اللهِ الحَيِّ القَيُّوم.

قَولُهُ: «والقيُّوم»: أَيِ: القَائِمُ عَلَىٰ كلِّ نَفسٍ بمَا كَسَبَت، لَا تَعتَرِيهِ غَفْلَةٌ، ولَا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/٤٠٢ قرطبة)، (١٩٦١٤)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والبخاري (٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤)، بنحوه.

سِنَةٌ ولَا نَومٌ.

قَولُهُ: «والبَاقِي بَعدَ فَناءِ خَلْقِهِ»؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

قَولُهُ: «المُطَّلِعُ عَلَىٰ عِبادِهِ، العَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الغُيُوبِ، الخَبِيرُ بِضَمَائِرِ القُلُوب، المُبدِئُ، المُعِيدُ، الغفُورُ، الودُودُ، ذو العَرْشِ المَجِيدِ، الفَعَّالُ لمَا يريدُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هو مولانا ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]».

هَذِهِ العِبَارَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ عِلمِ قَائِلِهَا، ومَعرِفَتِهِ بِرَبِّهِ؛ وأَنَّه العَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الغُيُوبِ، الخَبِيرُ بِضَمَائِرِ القُلُوبِ؛ فكُلُّ مَا هُو خَفِيٌّ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عليه، واللهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقَولُهُ: «المُبدِئُ المُعِيدُ»، أي: الَّذِي ابتَدَأَ خَلْقَ العِبَاد، وسَيُعيدهم للجَزاءِ الَّذي سَيَكُونُ بعدَ المَوتِ.

«الغفُورُ»: عَلَىٰ وزن فَعُول، أي: الَّذي يَغفِرُ الذُّنُوبَ كثيرًا، فهُو مِن صِيَغِ المُبَالَغَةِ، أَي: كَثِير المَغفِرَةِ لعِبَادِهِ.

«الوَدُودُ»: المُتَوَدِّدُ إِلَىٰ عِبَادِهِ بإِسبَاغِهِ النِّعَمِ عَلَيهم، وإِعطَائِهِ لَهُم كُلَّ مَا يَحتَاجُونَ إِلَيه، وإِسبَال السِّتر عَلَيهم، وعَلَىٰ ذُنُوبِهِم.

«ذو العَرْشِ المَجِيدِ»، أَي: صَاحِبُ العَرْشِ المَجِيدِ.

«الفَعَّالُ لمَا يريدُ»: فَلَا يَمنَعه عَن فِعْلِ مَا أَرَادَ عجزٌ، وَلَا قلَّة خِبرةٍ، وَلَا شيء

مِنَ المَوَانِع الَّتِي تَمنعُ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٢]؛ فقَد قالَ للسَّموَاتِ والأرضِ: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فمَا أعظمَهُ مِن إلَهٍ! ومَا أَجلَّه مِن ربٍّ! ومَا أعظَمَ قُدرته وحِكمته! ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقَولُه: «يَشهَدُ بِذَلِكَ كلِّه مَعَ الشَّاهِدِين»: أي: كَاتِب هَذِهِ العِبَارَات يَشهَد بهَذِهِ الأوصَافِ الَّتي وصفَ بِهَا ربَّه مع الشَّاهِدِين المُقرِّين بِذَلكَ؛ مُقِرًّا بِلِسَانِهِ عَن صِحَّةِ اعتِقَادٍ وصِدقِ يَقِينٍ.

أمَّا قَولُهُ: «وَيتحمَّلها عَنِ المُنكرِينَ الجَاحِدِين»: مَا كَانَ يَنبَغِي له أَن يَقُولَ ذَلِكَ؛ لأنَّ كُلَّ مَخلُوقٍ مَسؤُولٌ عَن نَفسِهِ: هَل عرفَ ربَّه بِمَا يَستَحِقُّ مِنَ المَعرِفَة، وعَبَده بِمَا يَستَحقُّ مِنَ العِبَادَةِ، أم قَصَّر في ذَلِكَ، وغَفل عنه؟

فإِنْ كَانَ مِنَ المُقصِّرين فسَيقُولُ يومَ القِيَامَةِ كَمَا قَالَ غَيرُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقد قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١]؛ أي: لَا يَستَطِيعُ أَحَدٌ أن يَدفَعَ عَن أَحَدٍ؛ فنُوحٌ لم يُغنِ عَنِ ابنِهِ، وَلَا عَنِ امرَأتِهِ، ولُوط لَم يُغنِ عَنِ امرَأتِهِ، وإبرَاهِيم لَم يُغنِ عَن أَبِيهِ، وهَكَذَا.

فإِذَا كَانَ هَؤلَاءِ يَعْجِزُون عَن أن يَنفَعُوا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ الكُفرِ، فغَيرُهُمْ من باب أَوْلَىٰ، قَالَ اللهُ: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤٢].



إقراره رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنبوة محمد ﷺ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُه ورسُولُه، أَرسَلَه بالهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ؛ لِيُظْهِرَه عَلَىٰ الدِّين كلِّه، ولو كَرِهَ المُشرِكُون».

التعليق:

هَذِهِ الشهَادَةُ هي تتِمّةٌ للشَّهادَة الأُولَىٰ.

فالأُولَىٰ: شَهادَةٌ للهِ بِالوَحدَانِيَّةِ، وعَظِيم الصِّفَات، وهذِهِ الشَّهادَةُ هِيَ شهادَةٌ لِمُحمَّدٍ ﷺ بالرِّسَالَةِ، ولَا تُقبل إحداهُمَا إلَّا بِالأخرَىٰ.

وقَد رتَّبَ اللهُ - تعالىٰ - دُخُولَ الجنَّةِ عَلَىٰ طَاعتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: ٦٩].

وقَد رَتَّبَ سُبحانَه دُخُولَ النَّارِ عَلَىٰ مَعصيتِهِ ومَعصِيَةِ رسُولِهِ، قالَ جَلَّ من قَائِل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

ثمَّ قَالَ: «أرسلَه بالهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ؛ ليُظْهِرَه عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ»، وقد حَصَلَ ذَلِكَ، والحَمدُ للهِ.

ولَكِن لمَّا ضَعُفَ تَمسُّكُ العِبَادِ بِطاعَةِ ربِّهم، وسُنَّة نَبيِّهم، وضَعُفَ توكُّلُهم علَىٰ اللهِ وقِيَامهم بنَصرِ دِينِهِ حَصَلَ مِن جرَّاءِ ذَلِكَ مَا حَصَلَ مِنْ نَقصِ الدِّين فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَضَعفِ قوَّتِهِ وظُهُورِهِ، ومَا ذَلِكَ إلَّا لِتَقصِيرِ أهلِهِ فِي حَمْلِهِ والعَمَل بِهِ.

وإنْ تَعْجَبْ فعَجَبٌ أن يَبحَثَ المُسلِمُون عن موادَّ للقوَانِينِ وتَشَارِيع غير إسلاميَّةٍ مع أنَّ اللهَ قد أغناهم بكتابِه وسُنَّةِ رسولِه ﷺ وشرعِه المُنزَّلِ الَّذي أظهرَه حين قامتْ به الجماعةُ الأولىٰ (أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ)، فقاتلُوا مِن أجلِ نشرِه حتَّىٰ بلَغُوا المُحيطَ الأطلسيَّ غرْبًا، وحُدودَ الصِّين شرْقًا.

وكان القائلُ مِن الخُلفاءِ يقولُ للسَّحابةِ: «أَمْطِري حَيثُ شِئْتِ، فَسَيَصِلُ إليَّ خراجُكِ»[١]؛ فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ.

ونسألُ اللهَ - جلَّ شأنُه - أن يُصلحَ قلوبَ المُسلمين، وأن يَرُدَّها إلىٰ طاعتِهِ وتَحكِيم شَريعَتِهِ؛ إنَّه القَادِرُ علىٰ ذلكَ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.



---

(١) ذكَر ذلك الصَّالحيُّ الشَّاميُّ في «سُبل الهدىٰ والرَّشاد في سيرة خيرِ العِباد» (٣/ ١٢٨ الكتب العلميَّة) عن هشام بن عبد الملك، وذكرَه غيرُه عن الخليفةِ العبَّاسيِّ هارون الرَّشيد.

إيمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ الجنَّة حق، وأنَّ ما أعدَّه الله لأوليائِه فيها صدقٌ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويشهَدُ أنَّ الجنَّة حَقٌّ، وجُملةُ مَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا لأولِيَائِهِ حَقٌّ، ويَسأَلُ مَوْلَاه الكَرِيم جَلَّ جَلَالُهُ أن يَجْعلَها مأواه ومثواه فضْلًا منه وكرَمًا».

التعليق:

قَولُهُ: «ويَشهَدُ»: مَنْ هُو الَّذِي يَشهَدُ، وإِلَىٰ مَنْ يَعُودُ الضَّمِيرُ؟

الجَوابُ: يَعُودُ إلىٰ صَاحِبِ الوَصِيَّةِ، وهُو الإِمَامُ أَبُو عُثْمَان الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالمَقصُودُ به نَفسه.

«ويَشهَدُ أنَّ الجنَّةَ حَقٌّ»، وهَذِهِ وصيَّةٌ منه لنفسِه ولِغيرِه؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاس يَنبغي له أن يَعتقدَ أنَّ الجنَّة والنَّار موجودتان، وأنَّهما خُلقَتا قبل خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ، وأنَّهما بَاقيتَان لا تَفنيانِ، وهما مِن الأشياءِ الَّتي لم يكتبِ اللهُ عليها الفناءَ.

ذكَر أهلُ العلمِ أشياءَ، منها: الجنَّة، والنَّار، والعَرش، والكُرسيّ، والقلم، وقالوا: إنَّ هذه الأشياءَ لا دليلَ علىٰ فنائِها.

فأنتَ - يا عبدَ اللهِ - إذا كنتَ تعلمُ أنَّ الجنَّةَ حقٌّ، وأنَّ جُملةَ ما أعدَّه اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلمؤمنينَ فيها مِن أصنافِ النَّعيم وألوانِه حقٌّ؛ فاسألِ اللهَ أنْ يجعلك مِن أهلِ الجنَّة!

قولُهُ: «وجُملَةُ مَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا لِأَولِيَائِهِ حَقٌّ»، أي: مِن أصنافِ النَّعيمِ، والزَّوجات، والقصور، وما أَشْبهَ ذلكَ ممَّا أخبرَ اللهُ عنه.

فاسأَل مولاكَ الكريمَ جَلَّ جَلَالُهُ - يا عبدَ اللهِ - أنْ يَجعلهَا مأواك ومثواك؛ فضْلًا منه وكرَمًا.



إيمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ النَّار حقٌّ، وأنَّ ما أعدَّه اللهُ فيها لأعدائه صدقٌ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهَدُ أَنَّ النَّارَ ومَا أَعَدَّ اللهُ لِأعدَائِهِ حَقٌّ، ويَسألُ اللهَ مَولَاه أن يُجِيرَه مِنهَا ويُزَحزِحَهُ عنَها ويَجعلَه مِنَ الفَائِزِينَ؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]».

التعليق:

أي: ويَشهَدُ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ النَّار حَقٌّ، وأنَّ ما أعدَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيها لأعدائه مِن أنواعِ العذابِ والنَّكالِ، والقُيودِ والحديد والأغلال؛ حقٌّ.

فاستعذْ باللهِ - يا عبدَ اللهِ - مِن النَّار، ومِن عذابِها، ومِن كلِّ عمَلٍ يُقرِّبُ إليها.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ مع ما قد أخبرَه ربُّهِ من أنَّه غفرَ له ذنوبَه؛ ما تقدَّمَ منها وما تأخَّرَ - يَسأل اللهَ الجنَّة، ويستعيذُ به مِن النَّار؛ فكان يقولُ في دعائِه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»[1].



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وصَحَّحه الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٥٤٢).

إقراره رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتوحيدِ العبادة

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَيشهَدُ أَنَّ صَلَاتَه ونُسُكَه وَمَحْيَاه ومَمَاتَه للهِ ربِّ العَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَه، وبِذَلِكَ أُمِرَ، وهُو مِنَ المُسلِمِين، والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ».

التعليق:

يجبُ علىٰ المسلِم أنْ يَعتقدَ أنَّ صلاتَه ونُسكَه، ومحياهُ ومماته للهِ رَبِّ العالمِين؛ قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، ويجبُ علىٰ المسلم أنْ يعلمَ أنَّ اللهَ قد أَمَرَ جميعَ الخلْقِ بذلك.

وحيث إنَّ هذا لا يتُّم إلَّا بِعونٍ مِن اللهِ، فينبغي للعبد أن يسألَ ربَّه دائمًا وأبدًا التَّوفِيق لعمل الجَنَّةِ، والبُعد عن عمَل النَّار.

وهنا يَردُ سؤالٌ، وَهُو: هل صحَّ نِسبةُ القولِ بِفناءِ الجنَّة والنَّارِ لِشيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

والجَوابُ: إنَّ الَّذي صَحَّ عَن شَيخِ الإسلَام ابنِ تيميةَ وتلميذِه ابنِ القَيِّمِ - رحمهما الله - هو فناء نَوعٍ مِن النَّارِ، وهي نارُ الموحِّدينَ، أمَّا كلُّ النَّارِ فلا، فلمْ يكونَا يعتقدان ذلكَ.

وكذلك الجنَّةُ، فالجنَّةُ مَن دَخلَها لا يَمُوت، فهو يَبقَىٰ فيها خالدًا مُخلَّدًا دائمًا وأبدًا.

وأهلُ النَّارِ كذلكَ أخبرَ اللهُ عنهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرَ عنِ الجنَّةِ والنَّارِ أنَّهمَا باقيتانِ، وأنَّهما لا تفنيانِ، فإذَا أنكرَ العبدُ بقاءَ الجنَّةِ والنَّارِ مع وُجودِ الآياتِ الدَّالَّة علىٰ ذلكَ فإنَّه لا شكَّ أنَّه يَكفُرُ.



رضاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدين الإسلام، ودعاؤه أنْ يلقى اللهَ عليه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأنَّه رَضِيَ بِاللهِ ربًّا، وبِالإسلَام دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وبِالقُرآنِ إمَامًا، عَلَىٰ ذَلِكَ يَحْيَا، وعَلَيه يمُوتُ إن شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ».

التعليق:

يشهد الصَّابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ نفسِهِ بأنّه رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّدٍ نبيًّا، وبالقرآنِ إمامًا، علىٰ ذلك يحيا، وعليه يموتُ إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذه الشَّهادةُ وهذا الرِّضَا هو ما يجبُ أن يكونَ عليه كلُّ مؤمنٍ؛ فيرضىٰ باللهِ رَبًّا، وذلكَ بأن تَطمئنَّ نفسُه إلىٰ تصريفِ رَبِّه، ورزقِه، وحِياطتِه، وحمايتِه.

ويرضىٰ بالإسلام الَّذي جاء به محمَّدٌ ﷺ دينًا.

ويرضىٰ بِمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا، إذ يصلُ مِن طريقِه إلىٰ رضا ربِّه؛ فإنَّه لا يَصلُ أحدٌ إلىٰ الجنَّةِ ورضا اللهِ إلَّا من طريقِ النَّبيِّ ﷺ.

فمَن لم يأت مِن طريق النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّه لَا قَبولَ له، ولا رِضا عنه، ولن يَدخلَ الجنَّةَ، ولن يَراها بِعينِه.

فمَنْ لم يُؤمِن بالله - أي: بِوَحدانيَّتِهِ وأُلوهيَّتِه -، ويُؤمن بالإسلام الَّذي هو الدِّينُ الحقُّ، ويُؤمنْ بالنَّبيِّ بأنَّه هو الرَّسولُ المرسَلُ مِن الله الَّذي اصطفاه لقيادةِ البشريَّة مِن بعدِ بعثتِه، ويُؤمِن بالقرآنِ إمامًا - مَن لم يُؤمنْ بهذا، فهو مُخلَّدٌ في

النَّارِ، ولو صلَّىٰ حتَّىٰ يَنحنيَ ظَهرُه، ولو تَصدَّقَ بِجميعِ ما يَملِكُ، ولو صام الدَّهرَ، ولو عَمِلَ كلَّ صالحٍ، فإنَّه لا يُقبَلُ منه.

ويجبُ علىٰ المُسلمينَ أن يَتَّخذُوا القرآنَ إمامًا وحكمًا فيما بينهم، فالقرآنُ والسُّنَّةُ هما الحكَمُ بين المسلمين، ولا يجوزُ للمسلمين أنْ يَبتغوا الأحكامَ أو التَّشريعات مِن النَّاسِ ومِن طرائقِ الكفَّارِ، والعياذُ بالله؛ فهذا كلُّه ضلالٌ.



إيمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ الملائكة حقٌّ، والنَّبيِّين حقٌّ، والسَّاعة حقٌّ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويشهدُ أنَّ المَلائِكَةَ حَقٌّ، وأنَّ النَّبيِّين حَقٌّ، وأنَّ السَّاعَةَ لَا رَيبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ».

التعليق:

قولُهُ: «ويَشْهَدُ أَنَّ المَلَائِكَةَ حَقٌّ»:

وهُمْ خَلْقٌ مِن خلْق اللهِ، لا يَعْلَمُ صِفتَهم علىٰ الحقيقةِ إلَّا الَّذي خلقَهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. فيجبُ علينا كذلكَ أنْ نُؤمنَ بأنَّ الملائكةَ حقٌّ.

ويجبُ أنْ نَعلمَ أنَّ أجناسَ الملائكةِ كثيرةٌ؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ؛ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ...»[(١)].

ويقولُ النَّبيُّ ﷺ أنَّه ليلةَ أُسْريَ به رُفعَ له البيتُ المعمورُ، فسألَ عنه جبريلَ، فقال له: «هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا

---

(١) أخرجه الترمذي في (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٧٢٢).

لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»[(١)].

فسبحانَ اللهِ العظيمِ! إذا كان كلُّ يومٍ منذُ أن خلَقَ اللهُ السَّموات والأرضَ إلىٰ يوم القيامةِ يَدخلُه سبعونَ ألفَ ملَكٍ، فلا يُحصِي كَثرتَهم إلَّا اللهُ.

ويَجِبُ أن نُؤمِنَ أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا معه ملكانِ يُحصيانِ عليه ما يصدرُ منه مِن أقوالٍ وأفعالٍ، ونحن لا نَراهم.

ويجبُ علينا أنْ نُؤمنَ أنَّهم معنا؛ لِأنَّ اللهَ أخبرَنا بذلكَ، فقال جلَّ في علاه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

قولُهُ: «وأنَّ النَّبيِّين حقٌّ»:

النَّبيُّون هم البشرُ الَّذين أرسلَهم اللهُ إلىٰ عبادِهِ؛ فجعلَهم سُفراءَ بينه وبين خلْقِه. فيجب علينا أن نؤمِنَ بهم، وأنَّهم حقٌّ، وأنَّ خاتمَهم وآخرَهُم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ.

فيجب علينا أنْ نؤمنَ بهؤلاءِ الأنبياءِ، ونعلمَ أنَّ أفضلَهم خمسةٌ، وهم أولو العزم؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وأولُو العَزمِ هُم: نُوح، وإبراهِيم، ومُوسَىٰ، وعِيسَىٰ، ومُحمَّد ﷺ.

قولُهُ: «وأنَّ السَّاعةَ لا رَيبَ فِيها»:

يعني: أنَّ السَّاعة آتيةٌ لا شكَّ في وقوعها، ولابدَّ أن تقع؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

يتبايعانه، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ[١] فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ[٢] حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَته إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»[٣].

أي: تَأتِي الصَّيحةُ مُفَاجَأَةً فِي ضُحَىٰ يوم جُمُعَةٍ، فعند ذلكَ يموتُ النَّاسُ جميعًا، ولا يَبقىٰ علىٰ وجهِ الأرضِ أحدٌ؛ لأنَّ كلَّ مَن عليها فانٍ، ويبقىٰ وجهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ.

قولُه: «وأَنَّ اللهَ يَبعثُ مَنْ فِي القبورِ»:

قالَ رسولُ الله ﷺ: «يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ[٤]، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القِيامَةِ»[٥].

فَإِذا أرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَبعثَ العبادَ أرسلَ مطَرًا مِن تحتِ العَرْشِ كمنيِّ الرِّجالِ، فيمكثُ أربعين يومًا، وينبتُ النَّاس بعدما بَلِيَت أجسادُهم مِن عَجْبِ الذَّنَبِ في تضاعيفِ الأرضِ.

---

(١) اللقحة: هي النَّاقة الحلوب، انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٥٧ المعرفة).

(٢) يُقالُ: ألاطَ حوضه إذا مدره؛ أي: جمع حجارة فصيَّرها كالحوضِ ثمَّ سدَّ ما بينها من الفُرَج بالمَدَر ونحوه لينحبِسَ الماءُ، انظر المصدر السَّابق.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٦) ومسلم (١٥٧) مختصرًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «عجب الذَّنب»: أي: العظم اللَّطيف الَّذي في أسفل الصُّلب، وهو رأسُ العُصعص، ويقال له: عجم، وهو أوَّل ما يخلقُ من الآدميِّ، وهو الَّذي يبقىٰ منه ليعاد تركيب الخلق عليه، انظر: «شرح النووي علىٰ مُسلم» (١٨/ ٩٢ إحياء التراث).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإذا تكاملَ خَلْقُهم، زجَرَ اللهُ الأرضَ زَجرَةً، فترفع أجسامُهم إلى قُربِ بشرتها، ثمَّ يَنفخُ إسرافيلُ النَّفخةَ الأخيرةَ الَّتي بها يحيا مَن كان قد مات، وتَنشقُّ الأرضُ عنهم، ويقومون مِن قُبورهم يَنفضُون رؤوسَهم، وعند ذلك يدعوهم الدَّاعي؛ قال تعالى: ﴿يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ - ٨].



إيمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقدر خيره وشره

وَقَالَ الإِمَامُ أَبو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهدُ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّرَ الخيرَ، وأَمَرَ به، ورَضِيَه، وأَحبَّه، وأرادَ كَونَه مِن فَاعِلِه، ووَعَدَ حُسنَ الثَّوابِ عَلَىٰ فِعلِه، وقَدَّرَ الشَّرَّ وزَجَرَ عنه، ولَم يَرْضَه، ولَم يُحِبَّه».

التعليق:

قَدَّرَ اللهُ - تعالىٰ - وُقوعَ الشرِّ مِن مُرتكبِه، وهو - سبحانه - غير رَاضٍ به، ولا مُحبٍّ له.

وتعالَىٰ رَبُّنا وتقدَّسَ عن أن يَأمُرَ بالمعصيةِ أو أَن يُحبَّها ويَرضاهَا، عَزَّوَجَلَّ عن أن يَقدرَ العبدُ علىٰ فعلِ شيءٍ لَم يُقدِّرهُ عليه، أَو يُحْدِثَ العبدُ ما لا يُريدُه سبحانه ولا يَشاؤه؛ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

قولُهُ: «وَأَرادَ كَونَه من فَاعِلِه»:

هذه إرادةٌ كونيَّةٌ غيرُ الإرادةِ الشَّرعيَّة؛ إذ إنَّ الإرادةَ إرادتان: إرادةٌ كونيَّةٌ، وإرادةٌ شَرعيَّةٌ، فالإرادةُ الكونيَّةُ هي الإرادة العامَّة الَّتي شملتْ كلَّ ما سيكونُ في هذا الكونِ، مِن خيرٍ وشرٍّ، وعملٍ صالحٍ وعملٍ غير صالحٍ، وكفرٍ وإيمانٍ، وبرٍّ وفسوقٍ... إلىٰ غيرِ ذلك.

وخالَف هذا المعتزلةُ الأشرارُ الَّذين قالوا: إنَّ العبدَ هو الَّذي يَكفرُ، وإنَّ الله

لم يُرِدِ الكفرَ كونًا، فجعلُوا الإنسانَ خالقًا مع الله؛ فاللهُ في مُعتَقَدِهِم يَخلُقُ الخَيرَ، والإنسَانُ يَخلُقُ الشَّرَّ. ويَقُولُونَ: كَيفَ يُقدِّرُ اللهُ عَلَىٰ العَبدِ الكُفرَ، ثُمَّ يُعذِّبُه عليه؟!

فالقدريَّةُ ضالُّونَ مُضلُّون؛ سواء كانوا قدريَّةً جبريَّةً، أو قدريَّةً نفاةً؛ فإنَّهم أهلُ ضلالٍ، ويَلزمُ مِن قولِهم لوازمُ لا تليقُ بالله جَلَّجَلَالُهُ.

ولا شكَّ أنَّ مذهبَهم هذا مذهبٌ باطلٌ منقوضٌ هو وأهلُه؛ لأنَّه مُخالفٌ لما ثبَتَ مِن كتابِ اللهِ، ومِن سنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

ويَستلزِمُ مذهبُهم هذا:

* أنَّه قد وَقَع في الكَوْن مَا لا يريدُه خالقُه؟

* وعليه يكونُ اللهُ مغلوبًا، والعِياذُ باللهِ.

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]، ويَقُولُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

وأهلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ يَقُولُون: إنَّ الكُفرَ والمعصيةَ والشِّركَ والفواحِشَ، كلُّ هذه الأمورِ مُقدَّرةٌ مِن اللهِ كَوْنًا، وقد نهىٰ عنها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شَرعًا؛ أي: قدَّرها اللهُ كونًا، وجعَلَ للإنسانِ اختيارًا في فعْلِها، وبيَّن له طريقَ الخيرِ والشَّرِّ، ولا يُعذِّبُه إلَّا إذا اختارَ طريقَ الشَّرِّ علىٰ طريقِ الخيرِ، والكفرَ علىٰ الإيمانِ، والمعصيةَ علىٰ الطَّاعة، وحينئذٍ يُعذِّبه، أي: بعد إقامةِ الحُجَّة عليه. وقولُهم هذا هو الحقُّ الَّذي تَشهدُ له الأدلَّةُ.

وإذا عذَّبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الكافرَ مع أنَّ الكفرَ مُقدَّرٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس معنىٰ ذلك أنَّه كان مجبورًا عليه؛ لِأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدْ جعَل للعبدِ اختيارًا، فهو يفعلُ الكفرَ مُختارًا له، ولا يُعذِّب إلَّا بعْد أن تُقامَ عليه حجَّةُ اللهِ مِن الدَّعوةِ

والبلاغِ؛ فيأبىٰ ويَكفرُ.

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمَرَ بالعدلِ، وسمَّىٰ نفسَه عدلًا، ولا يُمكنُ أن يَكونَ كذلكَ وهو يُعذِّبُ عبادَه بغيرِ حجَّةٍ.

وقد نفىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسِه الظُّلْمَ في غيرِ موضعٍ من كتابِه؛ قال - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال جلَّ في عُلاه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]،... إلىٰ غيرِ ذلكَ مِن الآياتِ.

والنَّبيُّ ﷺ يقولُ فيما يَرويه عن ربِّه: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا»(١).

فالمهمُّ: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُعذِّبُ أحدًا مِن خلْقِه إلَّا بحُجَّةٍ؛ فللَّهِ في عبادِه الحجَّة البالغةُ، ولَه عليهم الحجَّةُ الدَّامغةُ؛ قال - تعالىٰ -: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

هذا ما يجبُ اعتقادُه في بابِ القدرِ.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إيمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ

وَقَالَ الإمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهَدُ أنَّ القُرآنَ كِتَاب اللهِ وكَلَامهُ وَوَحْيهُ وتَنزيلهُ غيرُ مخلُوقٍ، وهو الَّذي فِي المَصَاحِفِ مَكتُوبٌ، وبالألْسِنَةِ مَقْرُوءٌ، وفِي الصُّدُورِ مَحفُوظٌ، وبالآذَانِ مَسمُوعٌ؛ قَالَ اللهُ - تعالىٰ -: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقَالَ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقَالَ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]».

التعليق:

يُخبرُ الصَّابونيُّ عن نفسِه بأنَّه يَعتقدُ أنَّ القرآنَ كتابُ اللهِ وكلامُه ووحْيُه وتنزيلُه غير مخلوقٍ.

هذا هو الأمرُ البدهيُّ والمعتقدُ الصَّحيحُ الَّذي كان عليه المُسلمون في الصَّدر الأوَّل والخلافة الأُمويَّة والعبَّاسيَّة، إلىٰ أن تَولَّىٰ المَأمونُ العبَّاسيُّ، واقتربَ منه المُعتزلهُ، واحتالُوا عليه، وأزاغوه عنِ الحقِّ، وحوَّلوه عن عقيدةِ المسلمين الصَّحيحةِ.

وبدأت فتنةُ القولِ بخلْقِ القرآنِ في عَام مئتين واثني عَشر، ولكنَّه لم يستطع أن يُصرِّحَ بها، وكان مُتخوِّفًا مِن ذلك، ولكنَّ أحمدَ بنَ أبي دُؤَاد - عليه مِن اللهِ مَا يَستحقُّ - هُو الَّذي جرَّأهُ علىٰ إعلانها.

وفي عَام مئتين وثمانية عشر عيَّن علىٰ جميعِ العلماء أن يُمتَحَنُوا؛ فمَن أجَابَ مِنهُم أَجْرَوا له رزقَه الَّذي كان مكتوبًا له، وفكُّوه مِن السِّجنِ، ومَن لم يُجِبْ هدَّدوه بقطع الرِّزقِ[(١)] الَّذي يُكتبُ لطلَّابِ العلمِ ولِلعلماء، والضَّربِ، والسَّجنِ، والتَّعذِيبِ، وقد يَصلُ الأمرُ إلىٰ القتلِ.

وبالفعل قُتِل مِن العُلماءِ مَن قُتِلَ، ومِنهم مَن ماتَ في السِّجنِ؛ لذلكَ اعتذرَ كثيرٌ من العُلماءِ بأنَّهم مُكرَهونَ، حيثُ أجابُوا إجابةً فيها شيءٌ من التَّورية حتَّىٰ إنَّهم ذكرُوا أنَّ الشَّافعيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالَ: «أشهدُ أنَّ التَّوراة والإنجِيلَ والزَّبور والقرآن - هَذِهِ الأربَعَة كلُّها مَخلُوقةٌ»[(٢)]. ويقصدُ بالأربَع: أصَابِعه.

لَكنَّ هذه القصَّة ليست بصحيحةٍ؛ لأنَّ الشَّافعيَّ مُتوفًّىٰ في عام مِئتين وأربعة، وهذه الفِتنة إنَّما وقعتْ في عام مِئتَين وثمانية عشر.

وثبَت في هذه الفتنةِ اثنان، هما: أحمدُ بنُ حنبل، ومحمَّد بنُ نُوحٍ.

وحُمل أحمد بن حنبل إلىٰ الخليفة، وكانَ بـ (سُرَّ مَن رَأَىٰ)[(٣)]، وقبْل أن يصلُوا قابلَه رجلٌ وقال له: إنَّ الخليفةَ قد أَقسمَ بقرابتِه مِن رسولِ الله ﷺ إنْ لم تُجبْه إلىٰ القولِ بخلْقِ القرآنِ أن يَقتُلكَ بِسيفِه.

فدعا عليه أحمَدُ بنُ حَنبَل في وقْتِ السَّحرِ، فتوفِّيَ في تلكَ اللَّيلة؛ واستجابَ

(١) أي: الرَّاتب الَّذي يتقاضاه مِن الدَّولة.

(٢) رُوي هذا القول عن يحيىٰ بن بُكير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر: «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (١٢/ ٣٣٤ الفاروق الحديثية)، ورُوي أيضًا عن الحارث بن مسكين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر: «مرآة الزَّمان» لسبط ابن الجوزي (١٤/ ٢٣٩ الرسالة العالمية).

(٣) وهي مدينة (سامرّاء) تقع ببغداد، بناها المعتصم بن هارون الرَّشيد، انظر: «البلدان» لليعقوبي (١/ ٥٢ الكتب العلمية)، «معجم البلدان» للحموي (٣/ ١٧٣ صادر).

اللهُ دُعاءَه، وظنَّ فَرَجًا، ولَكِن بعد ذلكَ قيلَ له: إنَّ المُعتصمَ آلَتْ إليه الخلافةُ، وأحمدُ بنُ أبي دُؤادٍ قريبٌ منه، وهو مُصمِّمٌ على إكمالِ ما بدأه المأمونُ.

وبالفعل سُجِنَ الإمامُ أحمدُ زمَنًا طويلًا؛ ثمانيةً وعِشرِين شَهرًا، وقِيلَ: واحدًا وثلاثين شهرًا، وضُرِب ضَربًا مُبرِّحًا، ثمَّ بعد ذلكَ أُفرِجَ عنه لِيعود إلى بيتِه، وجرَتْ كذلكَ الفتنةُ في عهدِ الواثقِ بعد المُعتصِمِ، ولمَّا تولَّى المُتوكِّلُ على اللهِ عندئذٍ فرَّجَ اللهُ عن أهلِ السُّنَّة[(١)].

فمَنْ يَقُل: إنَّ القُرآنَ مخلوقٌ، فإنَّه يكونُ كافرًا؛ لِأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ، واللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ويقولُ: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ويقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، ويقول: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٦٩].

قَولُهُ: «وهُو الَّذِي في المَصَاحِفِ مَكتُوبٌ، وبِالألسِنَةِ مَقروءٌ، وفِي الصُّدورِ محفُوظٌ»:

المَصَاحِفُ: أي: الوَرقُ المَكتُوبُ عليه مخلوقٌ، والمدادُ مخلوقٌ، والأناملُ الَّتي تكتبُه مخلوقةٌ، والأقلامُ الَّتي يُكتبُ بها مخلوقةٌ، ولكنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

كذلكَ إذا قُرِئَ بالألسنةِ فالقراءةُ مخلوقةٌ، والألسنةُ مخلوقةٌ، ولكنَّ كلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ غيرُ مخلوقٍ، وكذلك هو في الصُّدورِ محفوظٌ، والصُّدورُ الَّتي حفظتْه مخلوقةٌ، ولكنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

---

(١) انظر (محنة الإمام أحمد بن حنبل) في: «المحنة على إمام أهل السُّنَّة» لعبدِ الغنيِّ المقدسيِّ (١/ ١٠ وما بعدها) الكتب العلمية، و«الكامل في التَّاريخ» لابن الأثير (٦/ ١٠ الكتاب العربي)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ٣٢ الكتاب العربي)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٢٠٧ هجر).

قولُه: «وبِالآذانِ مَسمُوعٌ»: ومعنىٰ هذا: أنَّ الوسائلَ الَّتي تُظهرُ القُرآنَ وتَقرؤه مَخلوقةٌ.

فلا يجوزُ للإنسَانِ أن يقولَ: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ؛ لِأنَّ هذا الكلامَ مَن قاله فهو مُبتدعٌ ضالٌّ[1]، وبعضُ العُلماء قد كفَّرَه[2].

وهذه عقيدةُ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ، ولا يجوزُ لِأحدٍ أن يَعتقدَ عقيدةَ المُعتزلة الَّذين يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

والمعتزلةُ لهم عقائدُ سيِّئةٌ؛ منها هذه العقيدةُ، ومنها أيضًا أنَّهم يعتقدون أنَّ اللهَ لا يُرىٰ في الآخرةِ، ويُعطِّلونَ كذلك الأسماءَ والصِّفات[3]، إلىٰ غيرِ ذلك مِن عقائدِهم الباطلةِ.



---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» للبربهاري (ص٩٥) دار المنهاج/ ط ١.

(٢) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لِلَّالكائي (٢/ ٣٨٥) دار طيبة ط ٨.

(٣) مذهب المعتزلة في أسماء الله وصفاته هو إثباتُهم للأسماء دون الصِّفات؛ فيقولون: سميعٌ بلا سمْعٍ، بصيرٌ بلا بصر، قديرٌ بلا قُدرةٍ، وهكذا.

قصَد شيخُنا أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعطيلهم للأسماء عند قوله: «ويُعطِّلون كذلك الأسماء والصِّفات»: أنَّ التعطيلَ للأسماء هو إثباتُهم لها مجرَّدةً عن المعاني، وهذا هو عينُ التَّعطيل؛ إذ ما الفائدةُ مِن إثباتِ الاسم بدون معنًىٰ.

اعتقادُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ الإيمانَ تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهدُ أنَّ الإيمَانَ تَصدِيقٌ بالقَلبِ بِمَا أَمَرَ اللهُ أن يُصدَّقَ به، وإقرَارٌ باللِّسَانِ بِمَا أَمَرَ اللهُ أَن يُقرَّ به، وعَمَلٌ بالجَوَارِحِ بِمَا أمَرَ اللهُ أن يُعمَلَ بِهِ، وانزجَارٌ عمَّا زَجَرَ عنه مِن كَسبِ قَلبٍ، وقَولِ لِسَانٍ، وعَمَلِ جَوارِحَ وأركَانٍ»[(١)].

التعليق:

يُؤمِنُ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ؛ قولٌ باللِّسانِ، وعمَلٌ بالجوارحِ، وتصديقٌ بالقلبِ؛ فالقلبُ يَعتقدُ، واللِّسانُ يَنطقُ، والجوارحُ تَعملُ، فإذا قال العبْدُ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، لا بدَّ أنْ يقولَها مُعتقدًا لِمعناها: أنَّ الألوهيَّةَ يَنفردُ بها مُستحقُّها، وهو اللهُ.

وهُو مُقتَضىٰ شهادةِ أن لَا إلهَ إلَّا اللهُ، فكلُّ مألوهٍ في الأرضِ فإنَّه قد أُلِّهَ بباطلٍ، وتُعبِّدَ له بِغيرِ حقٍّ، والعُبوديَّةُ لا تَنبغي إلَّا للهِ الَّذي لا يَخفىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّميعُ البصيرُ.

وإذا شهِد أنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ؛ اعتقدَ ذلكَ بِقلبِه، ولفظَه بِلسانِه، وعمِلَه

---

(١) لم يتناول الشَّيخُ رحمه الله هذه الفقرة والفقرات الثَّلاث التي تليها بالتَّعليق، وقد قُمْنا بإثبات تعليقات مناسبةٍ من كلام الشَّيخ في «إرشاد السَّاري في شرح السُّنَّة للبربهاري»، و«التَّعليقات البهيَّة علىٰ الرَّسائل العقديَّة» بتصرُّفٍ واختصارٍ حتَّىٰ تتمَّ الفائدة.

بجوارحِه، فيعتقِدُ أنَّ مُحمَّدًا مُرسَلٌ مِن عِندِ اللهِ مُبلِّغٌ لرسالتِه.

أمَّا إنْ قالَها بدون اعتقادٍ، فإنَّها لا تنفعُه؛ كقولِ المُنافقين حينَ أتَوا إليه ﷺ وقالوا: نَشهدُ إنَّك لَرسولُ اللهِ؛ فأكذبَهم اللهُ بقولِه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقال في آيةٍ أُخرَىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

وعليه، فالإيمانُ لا يكونُ إيمانًا حَقًّا حتَّىٰ يَجتمعَ عليه القلبُ واللِّسانُ والجوارحُ؛ فإن لم تَجتمعْ هذه الثَّلاثةُ، فلا إيمان[1].

---

(١) انظر: «إرشاد الساري إلىٰ توضيح شرح السنة للبربهاري» للعلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن المجموع العلمي للآثار العلامة النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ١٠٧-١٠٨) بتصرف واختصار.

إيمانُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ باستواءِ اللهِ على عرشِه من غيرِ تشبيهٍ، ولا تكييفٍ، ولا تعطيلٍ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويشهَدُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُستوٍ علَىٰ عَرشِهِ؛ استوَىٰ علَيه كَمَا بيَّنَه في كِتَابِهِ في قولِهِ - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقَولِهِ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، في آياتٍ أُخَرَ».

والرَّسُولُ - صلىٰ الله عَلَيه وَسلَّم تَسلِيمًا - ذَكَرَه فِيمَا نُقِلَ عنه مِن غيرِ أَن يُكيِّفَ استِواءَه علَيه، أَو يَجعلَ لِفعلِهِ وفَهمِهِ أو وَهمِه سَبِيلًا إلىٰ إثبَاتِ كَيفيَّتِه؛ إذِ الكَيفيَّة عن صِفَاتِ رَبِّنا مَنفيَّة.

قالَ إِمَامُ المُسلِمِين في عَصرِهِ، أَبُو عبدِ اللهِ، مَالِكُ بنُ أَنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في جَوابِ مَن سَأَلَه عَن كَيفِيةِ الاستِوَاءِ: «الاستِواءُ مَعلُومٌ، والكَيفُ مَجهُولٌ، والإيمَانُ به وَاجِبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعَةٌ، وأظنُّك زِندِيقًا؛ أخرجُوه مِنَ المَسجِدِ».

التعليق:

نحنُ نُؤمِنُ أنَّ اللهَ - تعالىٰ - علىٰ العرشِ استوىٰ، وأنَّه بائِنٌ مِن خلقِه، وعِلمُه شامِلٌ لهم.

ونُؤمِنُ بأنَّه يَنزلُ كُلَّ ليلةٍ فِي الثُّلُثِ الأخيرِ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا، فيقولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي

فَٱغْفِرَ لَهُ»(١).

كمَا نُؤمِنُ بِأنَّ له وجهًا لَا كالوُجوه، وأنَّ لَه يدًا لا كالأيدِي، فصفاتُه كاملةٌ كذاتِه، يجبُ أنْ نُؤمنَ بها، ونعتقدَ معناها، ونُفوِّضَ كيفيَّتَها.

قال الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِمَن قال له: كيف استوىٰ؟ قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستِوَاءُ معلُومٌ، والكَيفُ مَجهُولٌ، والإيمَانُ به وَاجِبٌ، والسُّؤَالُ عَنهُ بِدْعَةٌ»(٢)(٣).



---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أثر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرويٌّ بعدَّة ألفاظ، وقد أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة» (٣/ ٤٤١ طيبة) (رقم: ٦٦٤)، أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥ دار السَّعادة)، والدارمي في الرَّدِّ علىٰ الجهمية (ص ٦٦ ابن الأثير)، والبيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم٨٦٦، ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين)، وصحَّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابت عن مالك»، وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد»، وصحَّحه الألبانيّ في «مختصر العلوّ»: ص (١٤١ - ١٤٢)، وانظر للتَّوسّع كتابَ: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» للشَّيخ عبد الرَّزَّاق العبَّاد.

(٣) انظر: «التَّعليقات البهيَّة علىٰ الرَّسائل العقديَّة - التَّعليق علىٰ الأُصول الثَّلاثة» (٢/ ١٩٤ - ١٩٥) - بتصرُّفٍ يسير - من «المجموع العلمي للآثار العلامة النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ» ط / دار الميراث النبوي - الجزائر.

شهادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ صفاتِ الله - تعالى - ثابتةٌ له على الوجهِ اللائقِ به

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويشهَدُ أنَّ اللهَ - تعالىٰ - مَوصُوفٌ بصِفَاتِ العُلَىٰ الَّتي وَصَفَ بِهَا نَفَسه فِي كِتَابِهِ، وعَلَىٰ لِسَانِ نَبيِّهِ ﷺ تَسليمًا كَثيرًا، لا يَنْفي شَيئًا مِنهَا، وَلَا يَعتقِدُ شَبَهًا لَه بصِفَاتِ خَلْقِه، بَل يَقُول: إنَّ صِفَاتِهِ لَا تُشْبِه صِفَاتِ المَربُوبِين، كَمَا لَا تُشْبِه ذَاتُه ذَوَاتَ المُحْدَثِين؛ تعالىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُ المُعَطِّلَة والمُشَبِّهة عُلُوًّا كَبيرًا.

ويَسلُكُ فِي الآيَاتِ الَّتي وَرَدَت فِي ذكرِ صِفَاتِ البَارِئِ - جل جلاله - والأَخبَارِ الَّتي صَحَّت عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَابِهَا - كَآيَاتِ مَجِيءِ الرَّبِّ يَومَ القِيَامَةِ، وإتيَان اللهِ فِي ظُلَلٍ مِن الغَمَامِ، وخَلْق آدَم بيدِه، واستِوائِهِ عَلَىٰ عَرشِهِ، وكَأخبَارِ نُزولِهِ كلَّ لَيلَةٍ إلىٰ سَمَاء الدُّنيَا، والضَّحك، والنَّجوىٰ، ووضع الكَنَف عَلَىٰ مَن يُنَاجِيهِ يومَ القِيَامَة وغَيرها - مَسْلَكَ السَّلَف الصَّالِحِ، وأئمَّة الدِّين مِن قَبُولِهَا، ورِوَايَتها عَلَىٰ وَجهها بعدَ صِحَّةِ سَنَدِها، وإيرَادهَا عَلَىٰ ظَاهِرهَا، والتَّصدِيق بِهَا، والتَّسلِيم لِهَا، واتِّقَاء اعتِقَاد التَّكييف والتَّشبيه فيها، واجتِنَاب مَا يُؤدِّي إلىٰ القَولِ بَردِّها، وتَرك قَبُولها أو تَحريفها بتأويلٍ يُستَنكَر، ولم يُنزِلِ اللهُ به سُلطَانًا، ولَم يَجْرِ به للصَّحَابَة والتَّابِعِين والسَّلَف الصَّالِحِين لِسَانٌ».

التعليق:

إذا وصَفنَا الرَّبَّ - تعالىٰ - بِما وَصَفَ به نفسَه، لَم يكُن فِي ذلك تشبيهٌ له

بخلقِه، بل إنَّ ما ورَدَ له مِن الصِّفات واجبٌ الإيمانُ بها، وحَمْل تلكَ الصِّفات والأسماءِ علىٰ ما له مِن الكمالِ المطلقِ، وإنِ اتَّفقَت مع صفاتِ المخلوقين في الأسماءِ.

فإذا وصَفنَا الله بأنَّ له وجْهًا؛ فمعنىٰ ذلكَ: أنَّ له وجْهًا لا يُشبِهُ الوجوه، وكذلكَ سائر الصِّفات؛ فنحنُ نحكُم بهذه الآيةِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، علىٰ سائر صفاتِه - تعالىٰ -، فنُثبِتُ له ما أثبتَ لنفسِه علىٰ الوجهِ اللائق بجلالِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فنُثبِتُ أنَّه الأوَّل بلَا ابتداءٍ، والآخِرُ بلا انتهاءٍ؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وكما قال النَّبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ»(١).

وهُو مُستَوٍ علىٰ عرشِه، بائنٌ مِن خلقِه، وعلمُه بكلِّ مكانٍ، ولَا يَخلو مِن عِلمِه مكانٌ، مُطَّلعٌ علىٰ عبادِه، ومُسَيطِرٌ عليهِم بِقُدرتِه وهيمنتِه وعِلمِه واطِّلاعِه، يتصَرَّفُ فيهم بما يشاءُ، ما شاء كان، وما لم يَشأ لم يكن، ومشيئتُه هي النَّافذةُ فيهم، يَخلقُ العبْد إذا شاء، ومتىٰ شاء، ليس للعبد دخلٌ في خَلقِ نفسِه، ويُمرِضُه إذا شاء، ويُصحُه إذا شاء، ويُغنِيه إذا شاء، ويُفقرُه إذا شاء، ويُميتُه إذا أراد.

فالعبدُ خاضعٌ لِعظمةِ ربِّه، ولِقُدرتِه عليه، ولِاطِّلاعِه عليه، وحُكمِه فيه وله، بما لَه مِن القُدرةِ الكاملةِ، والمشيئةِ النَّافذةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَنحنُ إذَا اعتقدنَا هذه العقيدةَ، وأثبتنَا للهِ هذه الصِّفَات؛ فقد خرجنَا مِن عقيدةِ الجَهمِيَّةِ، والمُعتزِلة الَّذين يُعطِّلُون صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وخرجْنا مِن عقيدةِ

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أصحابِ وحدَةِ الوجودِ وأصحَاب الحُلولِ الَّذين يَقولونَ: إنَّ اللهَ مُتَّحدٌ بخلْقِه، حالٌّ فِيهم، لَعنَةُ اللهِ علىٰ مَنِ اعتقدَ ذلكَ!

وخَرجْنا مِن عقيدةِ المُشبِّهةِ الَّذين يُشبِّهُون اللهَ بخلقِه، تعالىٰ اللهُ عن قولِهم عُلوًّا كبيرًا.

فصفاتُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُجرَىٰ عليها حُكم ذَاته، فإذا اعتقدْنا أنَّ له ذاتًا لا تُشبِهُ الذَّوات؛ فإنَّه يجبُ أن نَعتقدَ أنَّ له صفات لا تُشبهُ الصِّفات، فمَن قال في صفاتِ الرَّبِّ - تعالىٰ -: إنَّهَا تُشبِهُ صِفَات المَخلُوقين - فإنَّه ضَالٌّ يَجِبُ أن يُعلَّمَ، ويُوجَّهَ، ويُنصحَ، فَإن أَبَىٰ فينبَغِي أن يُهجرَ.

ولَا شَكَّ أنَّ كَلَام المُبتدعةِ ربَّما انطلىٰ علىٰ مَن لا يعلمُ، فإذا قالوا: إنَّا لو أثبتْنا للهِ عينَين - مثلًا - فقَدْ شبَّهناه بِخلْقِه، وإذا أثبتْنا له يَدين فقَدْ شَبَّهناه بخلْقِه، ربَّما يَنخدعُ بهذَا بعضُ النَّاسِ، فإذا بُيِّنَ له ولم يَرجعْ عن قولِه، ويُثبتْ للهِ ما أثبتَه لِنفسِه؛ فهُو مُخطِئٌ جاهلٌ، ومُعاندٌ ضالٌّ.

والَّذي يَنبغي أن نَتصوَّرَه في صفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أنَّ له صفات تليقُ بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهي وإن اتَّفقَتْ مع صِفاتِ المَخلوقينَ في الأسماءِ، فإنَّها تَختلفُ عنها في الحقائقِ، وبذلكَ نُميِّزُ بين صفةِ الخالقِ والمخلوقِ، وإذا كانتْ المخلوقاتُ تَتفاضلُ صفاتُها، ويَعترِفُ جميعُ النَّاسِ بِالفرقِ بين صفةِ مخلوقٍ ومخلوقٍ، ففي صفةِ الخالقِ مِن بابِ أولىٰ.

فالفرقُ بين صفةِ الخالقِ والمخلوقِ مُتفاوتةٌ، وليس هناك نسبةٌ بين صفةِ الخالقِ والمخلوقِ، وفي هذا إلزامٌ للقائلين بلزُومِ الشَّبَه بين صفةِ الخالقِ والمخلوقِ إذا أُثبتتْ باتِّفاقِ الاسمِ فيها، وبهذا يَتبيَّنُ أنَّ الفرقَ بين صِفةِ الخالقِ

والمخلوقِ فرقٌ عظيمٌ لا نسبةَ فيه أبدًا.

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلَقَ المخلوقات مُتنوِّعةً، والعوالمُ الثَّلاثةُ الَّتي هي الجنُّ والإنسُ والملائكةُ، وهي أيضًا مُتنوِّعةٌ؛ فالملائكةُ لا يأكلونَ، ولا يَشربونَ، ولا ينامونَ، خلَقَهم اللهُ علىٰ ذلك، فإذا أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فناءَ الدُّنيا إذا نُفِخَ في الصُّور، مات الملائكة جميعًا.

والمهمُّ أنَّا بالتَّأمُّلِ نعرفُ ذلكَ، واللهُ هو المُتصرِّفُ في هذا الكونِ، ومِن هنا نَعلمُ أنَّا إذا أثبتْنا لله اسمَ الحيِّ وصفة الحياة، فإنَّه لا يَلزمُ مِن ذلكَ مُشابهةُ حياةِ المخلوقِ الَّذي وُجِدَ بعْدَ أن لم يكُن، وسَيفنَىٰ، ثُمَّ يُحيِيه اللهُ خلْقًا جديدًا، وهو في زمَنِ حياتِه لا يحيَا إلَّا علىٰ الطَّعامِ والشَّرابِ والنَّومِ(١).



---

(١) انظر: «إرشاد السَّاري» للعلامة أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ضمن المجموع العلمي الحاوي لآثار العلامة النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٦٥-٦٩) بتصرُّف واختصار.

نهيُه عن الخوض في علم الكلامِ، وبيانُه لآفات تعلُّمه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَنهَىٰ في الجُملَةِ عَنِ الخَوضِ في الكَلَام، والتَّعمُّقِ فيه، وفي الاشتِغَالِ بمَا كَرِه السَّلَفُ - رحمهم الله - الاشتِغَالَ بِهِ، ونَهوا وزجرُوا عنه؛ فإنَّ الجِدَالَ فيه، والتَّعمُّقَ فِي دقَائِقِهِ والتَّخبُّط فِي ظُلُمَاتِهِ - كُلُّ ذَلِكَ يُفسِدُ القَلبَ، ويُسقِطُ منه هَيبَةَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، ويُوقِعُ الشُّبَهَ الكَبِيرَةَ فِيهِ، ويَسْلِبُ البَرَكَةَ في الحَالِ، ويَهْدِي إلىٰ البَاطِلِ والمحال، والخُصُومَة في الدِّينِ والجِدَال، وكَثرة القِيلِ والقَال فِي الرَّبِّ ذِي الجَلَالِ، الكَبيرِ المُتَعَالِ، سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبيرًا.

والحَمدُ للهِ عَلَىٰ مَا هَدَانَا مِن دِينِهِ وسُنَّةِ نَبيِّهِ صَلَوَات اللهِ وسَلَامُهُ عَلَيهِ حَمدًا كَثِيرًا».

التعليق:

نهىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الخوضِ في علْم الكلامِ، والتَّعمُّقِ فيه، والاشتغالِ بما كرِهَ السَّلفُ - رحمهم الله - الاشتغالَ به، ونهَوا وزجرُوا عنه؛ فإنَّ الجدالَ في علْمِ الكلامِ، والتَّعمُّق في دقائقِه، يُؤدِّي إلَىٰ التَّخبُّطِ في ظُلماتِ الجهلِ والضَّلالِ، وإلىٰ أَن يصلَ إلَىٰ الافتراءِ عَلَىٰ اللهِ الكَبيرِ المُتَعَالِ.

هذَا؛ لِأَنَّهم زَعمُوا أنَّ الكِتَابَ والسُّنَّة لا يُوصِّلَانِ إلىٰ الحقِيقَةِ، فلَمَّا فعلُوا

ذَلِكَ إعرَاضًا مِنهُم عَن شَرِيعَةِ اللهِ، واعتَقَدُوا الحَقَائِقَ فِي كَلَامِ المُتَكَلِّمِينَ والفَلَاسِفَة عِندَ ذَلِكَ عَاقَبَهُمُ اللهُ؛ كَمَا فِي قَولِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله - سبحانه -: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥][(١)].



(١) انظر: «إرشاد السَّاري»، ضمن المجموع للعلامة النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٣٣٢) بتصرُّف.

شهادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ القيامة وما يكونُ فيها حقٌّ لا مِراءَ فيه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَيَشهَدُ أَنَّ القِيَامَةَ حَقٌّ، وَكُلَّ مَا وَرَدَ بِهِ الكِتَابُ والأخبَارُ الصِّحَاحُ مِن أَشرَاطِهَا وأهوَالِهَا، ومَا وَعَدَنا به وأَوْعَدَنَا بِهِ فِيهَا، فَهُوَ حَقٌّ؛ نُؤمِنُ به، ونُصدِّقُ الله - سبحانه - ورَسُولَه ﷺ فِيمَا أَخبَرَ بِهِ عَنه؛ كَالحَوضِ، والمِيزَانِ، والصِّراطِ، وقِراءَةِ الكُتُبِ، والحِسَاب، والسُّؤال، والعَرْض، والوُقُوف، والصَّدر عَنِ المَحشَرِ إلَىٰ جَنَّةٍ أو إلَىٰ نارٍ، مَعَ الشَّفَاعَةِ المَوعُودَةِ لأهلِ التَّوحِيدِ، وغَير ذَلِكَ مِمَّا هو مُبيَّنٌ فِي الكِتَابِ، ومُدوَّنٌ فِي الكُتُبِ الجَامِعَةِ لِصِحَاحِ الأخبَارِ».

التعليق:

الوَعدُ حقٌّ وُقوعُه، وهو الوعْدُ بالجنَّةِ للمؤمنين، وما فيها مِن النَّعيم والرَّاحةِ.

ويكونُ الحسابُ عليهم يسيرًا، والمرورُ علىٰ الصِّراطِ سهلًا، ذلكَ بأنَّ أعمالَهم الصَّالحةَ راجحةٌ، فلذلكَ لا يَنالُهم الخزيُ والذُّلُّ الَّذي يَنالُ الكفَّار.

ولكن فسَّاق المُسلمين يَنالُهم ما يَنالُهم مِن العذابِ، ثمَّ بعْد ذلكَ تكون نهايتُهم الجنَّة.

والإيعادُ حقٌّ وُقوعُه، وهو الإيعادُ بالنَّارِ، وبغضبِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ علىٰ أهلِ الكفرِ، وإلقائِهم في نارِ جهنَّم، مغلولةً أيديهم، مُقيَّدةً أرجلُهم، فيتَّقُونَ النَّار بوجُوههم - والعياذُ بالله -؛ قال - تعالىٰ -: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ

ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤].

وكذلكَ عرضُهم علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وما يَلقونَه مِن سُوءِ الحسابِ والأهوالِ، كلُّ ذلك حقٌّ لا بدَّ أن يكون.

والمهمُّ، أنَّ كلَّ ما يقعُ في القيامةِ، فهو داخلٌ في اليومِ الآخرِ والإيمان به؛ قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

نَسأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يُهوِّنَ علينا تلك المواقفَ، وأنْ يُيسِّرَ لنا دخولَ الجنَّةِ، والنَّجاة مِن النَّارِ؛ إنَّه هو القادرُ علىٰ ذلك، وبالله التَّوفيقُ.



سؤاله الله الثَّبات على الدِّين حتَّى لقاءِ ربِّ العالمين

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويشهَدُ بذَلِكَ كُلِّهِ فِي الشَّاهِدِين، ويَستَعِينُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الثَّبَاتِ عَلَىٰ هَٰذِهِ الشَّهَادَاتِ إِلَىٰ المَمَاتِ حَتَّىٰ يُتوفَّىٰ عليها فِي جُملَةِ المسلِمِين المُؤمِنِينَ الموقِنِينَ المُوحِّدِينَ».

التعليق:

يُعبِّرُ الإمامُ أبو عُثمان الصَّابونيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسِه بِأنَّه يَشهدُ بكلِّ ما سَطرَه فِي هذه السُّطورِ فِي الشَّاهِدِين ومع الشَّاهِدِين لله بذلكَ؛ أي: الشَّاهدون علىٰ وحدانيَّةِ الله بِالألوهيةِ، والشَّاهدون لِمحمَّدٍ ﷺ بالرِّسالةِ، والشَّاهدون لله بما له من الأسماء والصِّفاتِ... إلىٰ غيرِ ذلك مِن الأمورِ الَّتي قد ذُكِرَتْ.

ويَستعينُ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ الثَّبات علىٰ هذه الشَّهادات إلىٰ الممات، حتَّىٰ يتوفَّىٰ وهو عليها فِي جُملةِ المسلمين المؤمنين الموقنين الموحِّدين مِن صحابة رسولِ اللهِ ﷺ، فمَنْ بعدَهم مِن السَّلفِ الصَّالحِ أئمَّة الدِّين الَّذين عاشُوا مُوقنين بالحقِّ، عاملين به، داعِين إليه.

ويَسألُ اللهَ أنْ يَحشُرَه فِي زُمرتِهم، وأنْ يَمُنَّ عليه بذلكَ كما منَّ علىٰ أوليائِه من قبلِه.



شهادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم في جنَّات النَّعيم

وَقَالَ الإمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهَدُ أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَمُنُّ عَلَىٰ أولِيَائِهِ بوُجُوهٍ نَاضِرَةٍ إلىٰ ربِّها نَاظِرَةٍ، ويَرَوْنَه عَيَانًا في دَارِ البَقَاءِ، لا يُضَارُّون في رُؤيَتِهِ، ولَا يُمَارونَ، ولا يُضَامونَ.

ويَسأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنْ يَجعلَ وجهَه مِن تِلكَ الوُجوهِ، ويَقِيَه كُلَّ بلاءٍ وسُوءٍ ومَكرُوهٍ، ويُبلِّغَه كلَّ ما يُؤمِّلُهُ مِن فَضلِه، ويَرجُوه بِمنِّه».

التعليق:

قَولُهُ: «بوُجُوهٍ نَاضِرَةٍ»: أي: بِوُجُوهٍ يَعلُوهَا النَّضرَة؛ وهُو الرَّونَقُ والحُسنُ والبَهاءُ.

وقَولُهُ: «لا يُضَارُّونَ»: أي: لَا يَضُرُّ بَعضُهُم بَعضًا.

وفي حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، هَل نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَم، هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ الشَّمسِ بِالظَّهِيرَةِ، ضَوءٌ لَيسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «وَهَل تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، ضَوءٌ لَيسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يومَ القِيَامَةِ إلَّا كَما تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ أَحَدِهِمَا»[١].

فكما أنَّ القمرَ يراهُ كلُّ واحدٍ منَّا لا يحتاجُ أَنْ يَنضمَّ بعضُنا إلىٰ بَعضٍ، ولَا يُضَامُ بعضُنا حين يَنظرُ إليه فكذلكَ نرىٰ ربَّنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (٢٩٦٨).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُو الخَالِق للشَّمسِ والقَمر وغَيرِهما، فما أعظمَ النِّعمةَ علىٰ مَن يَرونَه ويَتلذَّذون بالنَّظرِ إلىٰ وجهِه في دارِ النَّعيمِ!

وفي الحديثِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ(١) مَا انْتَهَىٰ إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ»(٢). ولكنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَجعلُ في أبصارِ المؤمنينَ قُوَّةً في الجنَّةِ يَستطيعون بها أنْ يَنظرُوا إلىٰ وجْهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فنَسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يَجعَلَنا مِن أَهلِ كرامتِه وطاعتِه، وممَّن يَمُنُّ عليهم بالنَّظرِ إلىٰ وجهِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



---

(١) السبحات: جمع سُبحة، وهي الجلال والنور والضياء والبهاء، أي: أنوار وجهه التي توجب تعظيمه وتنزيهه عن صفات المخلوقات. وتسبيح الله: تعظيمه وتنزيهه عن ذلك، انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/ ١٧٣ دائرة المعارف)، «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٣٢ المكتبة العلمية).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

شهادتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفضل الصَّحابة العِظام والآلِ الكِرام

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويَشهَدُ أنَّ خيرَ النَّاسِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أبو بَكرٍ الصِّدِّيق، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثمَانُ بنُ عفَّان، ثُمَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالبٍ رضي الله عنهم أجمَعِينَ.

ويَترَحَّمُ علَىٰ جَميعِ الصَّحَابَةِ، ويَتوَلَّاهُم، ويَستَغفِرُ لَهُم، وكذَلِكَ ذُرِّيَّته وأزواجُهُ أُمَّهاتُ المُؤمِنِين[1].

ويَسألُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يَجعلَه مَعَهم، ويَرجُو أن يَفعلَه به، فَإنَّه قَد صَحَّ عِندَه مِن طُرُقٍ شَتَّىٰ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[2]».

التعليق:

يَجبُ أن نُؤمِنَ أنَّ أبا بَكرٍ هو خيرُ النَّاسِ بعْدَ الرُّسلِ، وخَير النَّاسِ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ في هَذِهِ الأُمَّة؛ لقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[3].

وكذَلِكَ التَّنوِيهُ بِاستِخلَافِهِ، وذَلِكَ حَصَلَ بِإِشَارَاتٍ:

---

(١) أي: يقصد - والله أعلم - ذرِّيَّة النَّبيّ ﷺ، وزوجاته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٤٦٧) من حديث عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (٥٣٢) من حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له.

مِنهَا: أمرُه بِأن يُصلِّيَ بِالنَّاسِ، قَالَ ﷺ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»(١).

ومِنَ الإشارات أيضًا: أنَّ امرأةً جاءت إلىٰ النَّبيِّ ﷺ في حاجةٍ، فأمرها أن تَعود بعد حينٍ، فقالت: إنْ لم أجِدْكَ، كأنَّها تعني الموت، فقال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَائْتِي أَبَا بَكْرٍ»(٢).

ثُمَّ إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم علَىٰ تقديمه واستخلافه.

يأتي في المقام الثَّاني بعد أبي بكرٍ: عمر الفاروق رضي الله عنه، وسُمِّي: الفاروق؛ لأنَّ الله فرَّق به بين الحقِّ والباطل.

ثمَّ عُثمان بن عفَّان أيضًا، وهو الثَّالث. ثمَّ عليُّ بن أبي طالبٍ.

فلم يكن في الموجودِين علَىٰ وجه الأرض أحدٌ أفضل منهم.

وهؤلاء هم الخلفاءُ الأربعة الَّذين أشار إليهم بقوله: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٣).

ثمَّ بعد هؤلاء الأربعة بقيَّة العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وهم السِّتَّة: طلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوَّام، وسعد بن أبي وَقَّاصٍ، وعبد الرَّحمن بن عوفٍ، وسعيد بن زيدٍ، وأبو عبيدة بن الجرَّاح.

ثمَّ بعد هؤلاء الَّذين هاجروا الهجرتَين، هاجرُوا للحبشة، ثمَّ هاجرُوا للمدينة، ثمَّ بعْد هؤلاء أصحاب بدرٍ الَّذين حضروا في بدرٍ وقاتلوا، ثمَّ بعد هؤلاء أصحاب بيعة الرضوان (الحديبية)، ثمَّ بعد هؤلاء مَنْ أسلم وقاتل قبل

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) واللفظ له، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ - رحمه الله - في «صحيح ابن ماجه» (٤٢).

الفتح، ثمَّ مَنْ أسلم وقاتل بعد الفتح، ثمَّ صغار الصَّحابة.

وأهل السُّنَّة والجماعة يَتولَّون الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ منازلهم، ويَتولَّون أهلَ البيت أيضًا مِن دون أنْ يعتقدُوا فيهم العصمة.

ثمَّ هناك المخالفون من الشِّيعة والنَّواصب؛ فالشِّيعة يَتولَّون أهلَ البيت فقط، ويَتبرَّؤون من فِعْل الصَّحابة، ويذمُّونهم، ويزعمون أنَّهم قد ارتدُّوا عن الإسلام.

أمَّا النَّواصب فإنَّهم يُفرِّقون بين أهل البيت(١).

قوله: «ويسأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يَجْعلَه معهم، ويرجو أنْ يفعلَه به»:

أي: يدعو اللهَ أنْ يكون معهم في الجنَّة، لكنَّه لن يبلغ الدَّرجة الَّتي نالوها.



---

(١) النَّواصبُ: هم الَّذين نصبُوا العداءَ لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومَن جاءَ مِن نسله، فهم يتبرَّؤون منهم ولا يتولَّونهم ولا يُحبُّونهم، بل يُبغضونهم ويُؤذونهم وقد يكفِّرونهم أو يفسِّقونهم، انظر: «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» (٥/ ٤٤ جامعة الإمام)، و«العقيدة الواسطية» (ص ١١٩ أضواء السلف).

وصيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن بعده بتقوى الله

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وَيُوصِي إلىٰ مَنْ يخلفه من ولدٍ وأخٍ وأهلٍ وقريبٍ وصديقٍ وجميع مَنْ يقْبل وَصيَّته من المسلمين عامَّةً أن يشهدوا بجميع ما شَهِد به، وأن يَتَّقوا الله حقَّ تُقاته، وألَّا يموتوا إلَّا وهم مسلمون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** [النحل: ١٢٨]».

التعليق:

يُوصِي الصَّابونيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلَّ مَنْ خلفه من ولدٍ وأخٍ وأهلٍ وقريبٍ وصديقٍ، وجميع مَنْ يقبل وَصيَّته من المسلمين أنْ **يشهدُوا مثلَه**.

وكذلكَ نحنُ بعدَه بِقُرونٍ من الزَّمان نقبل هذهِ الوصيَّة، ونعمل بها، ونرجو من الله الثَّواب عليها.

وكلُّ ما شهد به أبو عُثمان الصَّابونيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِمَّا سبق ذِكْره، فنحن نشهدُ به، ونُشْهِد الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّنا مؤمنون به، سَاعون في تنفيذه من أنفسنا، وساعون في تنفيذه من غيرنا بنشر هَذِهِ الوصيَّة، والعمل بها، والأخذ بها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحل: ١٢٨].



وصيَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن بعده بالتَّحابِّ في الله

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويُوصِيهم بصَلَاح ذَاتِ البَيْن، وصِلَةِ الأَرْحَام، والإِحْسَانِ إِلَىٰ الجِيرَانِ وَالأَقَارِبِ وَالإِخْوَانِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِّ الأَكَابِرِ، وَالرَّحْمَةِ عَلَىٰ الأَصَاغِرِ».

التعليق:

أي: يُوصي مَنْ ذَكَر من أهله وولدِه ومَنْ يخلفه بصلاح ذَات البَيْن، ونزع الشَّحناء من بينهم؛ قَالَ تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وَكَذَلِكَ يوصيهم بصلة الأرحام؛ وهم القرابة الَّذين يَمُتُّون إلىٰ الشَّخص بقَرابةٍ في النَّسَب أو المُصاهرة.

ويوصيهم أيضًا بالإحسان إلىٰ الجيران والإخوان، ومعرفة حقِّ الأكابر، بأَنْ يُوقِّرَ الصَّغيرُ الكبيرَ، والرَّحمة علىٰ الأصاغر، بأنْ يرحم الكبيرُ الصَّغيرَ؛ حَتَّىٰ يتمَّ التَّواؤم بين أفراد المُجتمع، فيُؤَدِّي كلٌّ ما عليه.



نهيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الشَّحناء

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَيَنْهَاهم عَنِ التَّدابُرِ والتَّباغُضِ والتَّقاطُعِ والتَّحاسُدِ، ويأمُرُهُمْ أنْ يَكُونُوا إخْوانًا عَلَىٰ الخَيرَاتِ أَعْوَانًا، وأنْ يعْتَصِمُوا بحبْلِ الله جَمِيعًا ولَا يتفرَّقُوا، ويتَّبِعُوا الكِتَابَ والسُّنَّةَ وَما كَانَ عليَهِ عُلماءُ الأُمَّةِ وأَئِمَّةُ المِلَّةِ؛ كمَالكِ بن أنسٍ، والشَّافعيِّ، وسُفيان الثَّوريّ، وسُفيان بن عُيَيْنَةَ، وأَحْمَد بن حنْبل، وإسْحَاق بن إبْرَاهِيم، ويَحْيىٰ بن يحيَىٰ، وغيرهم مِنْ أئمَّةِ المُسلمِينَ وعُلماء الدِّين - رضي الله عنهم أجمعين - وجمَع بَيْنَنا وبينَهُم في ظِلِّ طُوبَىٰ، ومُسْتراح العابِدِين».

التعليق:

كذَلِكَ يَنْهاهم عن التَّدَابُر، والمقصود بالتَّدابر: أنْ يَتكلَّم كلُّ واحدٍ من الاثنين في حقِّ أخيه إذا استدبَره، أمَّا إذا تواجَهَا، تكلَّما معًا بكلامٍ حسنٍ، ولكنَّ القلب فيه ما فيه مِن الشَّحناءِ.

وكذَلِكَ يَنْهاهم عن التَّباغض؛ لأنَّه ينبغي أن يكون المسلمون كلُّهم يدًا واحدةً؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه في موضعين: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وكَذَلِكَ ينهاهم عن التَّقاطع؛ والتَّقاطع لا يجوز إلَّا في حالة أنْ يكون المُقاطَعُ فاسقًا، فيُقاطع لفسقِه، أو يكون صاحبَ بدعةٍ، فيقاطع لبدعتِه.

وكَذَلِكَ ينهاهم عن التَّحاسد؛ فلا يجوز لأحد أن يحسد أخاه عَلَىٰ ما آتاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ الحسد اعتراضٌ عَلَىٰ القَدَر، فكأنَّه يقول: إن هَذَا لا يستحقُّ ما أعطاه الله.

ثم يأمرهم أن يكونوا إخوانًا عَلَىٰ الخير أعوانًا؛ لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ويأمُرهم أنْ يعتصموا بحبْل الله جميعًا، ولا يتفرَّقوا، فيتَّبعوا الكتاب والسُّنَّة وما عليه عُلماءُ الأُمَّة؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وذَكَر من عُلَمَاء الأُمَّة وأئمَّة الملَّة المشهورين أُناسًا، ثم دعا الله أن يجمع بينه وبينهم في ظلِّ طوبىٰ مُستراح العابدين.

و«طوبىٰ»: شجرة في الجنَّة، يسير الرَّاكب في ظلِّها مئة عامٍ لا يقطعها، يجتمع تحتها المؤمنون؛ ولِذَلِكَ يقال: طوبىٰ لِمَنْ فعل كذا، أي: أَنَّه يستحقُّ ذَلِكَ.



توجيهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووصيَّته إلى أهله وأصحابه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَوْصَىٰ بِهَٰذَا كلِّه إسماعيلُ بن عبد الرَّحمن الصَّابوني إلىٰ أولادِه وأهلِه وأصحابه، ومُختلفة مَجالسه».

التعليق:

قوله: «ومُختلفة مَجالسه»: أي: الَّذين يختلفون عَلَىٰ مجالسه ويَسمعون منه.

فأوصىٰ بِهَٰذِهِ الوصايا كلِّها أولادَه، وأهلَه، وأصحابَه، وتلاميذَه.



وصيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يُصنعُ بعدَ موتِه مباشرةً

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأوصىٰ أنَّه إذا نزلَتْ به المَنيَّة - الَّتي لا شكَّ أنَّها نازلةٌ، واللهَ يَسأَل خيرَ ذَلِكَ اليوم الَّذي تَنزِلُ المَنيَّة به فيه، وخيرَ تلك اللَّيلة الَّتي تنزلُ به فيها، وخيرَ تلك السَّاعة، وخيرَ ما قبلَها، وخَيرَ ما بعْدَها - أنْ يُلبس لباسًا طيِّبًا حسنًا طاهرًا نقيًّا، ويُوضع عَلَىٰ رأسه العمامة الَّتي كان يَشدُّها في حال حياته وضعًا عَلَىٰ الهيئة الَّتي كان يضعها عَلَىٰ رأسه أيَّام حياته، ويُوضع الرِّداء عَلَىٰ عاتقيه، ويُضجع مُستلقيًا عَلَىٰ قَفاه، مُوجَّهًا إلىٰ القبلة، وتَجلس أولاده عند رأسه ويَضعوا المصاحف عَلَىٰ حجورهم، ويَقرؤُوا القُرآن جَهْرًا».

التعليق:

قوله: «وأوصىٰ أنَّه إذا نزلت به المَنيَّة»: أي: الموت.

وقوله: «أن يُلبس لباسًا طيِّبًا»، أي: من الكفن الطَّيِّب.

وأمَّا قوله: «ويقرؤوا القُرآن جهرًا» فهَذَا لم يَرِدْ عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهَذَا يدلُّنا عَلَىٰ أنَّ الإنسان مهما عَظُم شأنُه فإنَّه لا بدَّ أن يقع في شيءٍ من الخطإ.



تحريجُه ألَّا تقربَ منه بعْدَ موتِه امرأةٌ أجنبيَّةٌ عنه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وحرَّج عليهم ألَّا يُمكِّنوا امرأةً لا قرابةَ بينه وبينها، ولا نَسَب، ولا سبب من طريق الزَّوجية تَقْرب من مضجعه تلك السَّاعة، أو تَدخل بيتًا يكون فيه».

التعليق:

هَذَا يدلُّنا عَلَىٰ أنَّ ما تفعله بعض النِّساء من تقبيل رأس الميِّت وجبهته، وما أشبه ذَلِكَ خطأٌ لا يجوز، وينبغي ألَّا يُمكَّن منه النِّساء إلَّا مَنْ تكون قريبةً للميت، مُحرَّمةً عليه، إمَّا بنسبٍ أو بسببٍ؛ كزوجاته وأُمَّهاتهنَّ، وبناته، وبنات أولاده، وأخواته، وبنات أخواته، وبنات إخوته، وعمَّاته وخالاته، وما أشبَهَ ذلك.



وصيَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدُّعاء له عندَ الاحتضار

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وكذَٰلِكَ يُحرِّج عليهم أنْ يأذنوا لأحدٍ من الرِّجال في الدُّخول عَلَيهِ في تلك السَّاعة، بل يَأْمُرُون الأخَ والأحبابَ وغيرهم أنْ يجلِسُوا في المَدْرسةِ ولا يدخُلُوا الدَّار، وليساعدوا الأصحابَ في قِرَاءَةِ القُرْآنِ، وإمْدَاده بالدُّعَاءِ، فلعلَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يُهَوِّن عليه سكرات الموتِ، ويُسهِّل له اقتحام عقبةَ الْمَوتِ علىٰ الإسلام والسُّنَّة في سلامةٍ وعافيةٍ».

التعليق:

قوله: «**وكذَٰلِكَ يُحرِّج عليهم**»، بمعنىٰ أنَّه يُقسم عليهم ويأمرهم بذلك أمرًا جازمًا، «**أنْ يأذنوا لأحدٍ من الرِّجال**»، يعني: ألَّا يأذنوا في الدُّخول عليه في تلك السَّاعة، لأنَّ الإنسان عند الموت، وعند النَّزع - ينبغي التَّخفيف عنه إلَّا من أقربائه الَّذين هم خاصَّته.

ويدعوهم إلىٰ أن يأمروا الأخ والأحباب وغيرهم بأن يجلسوا في المدرسة؛ أي: الَّتي بجوار بيته الَّتي كان يُدرِّس بها، ولا يدخلوا الدَّار، وليساعدوا الأصحاب في قراءة القرآن، وإمداده بالدُّعاء، يعني: أنَّهم يدعون له أن يَتوفَّاه الله علىٰ هيئةٍ حسنةٍ، ويُحسن له الخاتمة، وأن يُهوِّن عليه سكراتِ الموت، ويُسهِّل عليه اقتحام عقبة الموت علىٰ الإسلام والسُّنَّة في سلامةٍ وعافيةٍ.

وكلُّنا بحاجةٍ إلىٰ مثل هذا الدُّعاء، وهو الدُّعاء بحسن الخاتمة، والثبات علىٰ الحقِّ حَتَّىٰ الممات.

وَصِيَّتُه بما يُفعلُ به بعْد خُروجِ رُوحِه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَأَوْصَىٰ إذا قَضَىٰ نَحْبَه، وأَجابَ رَبَّه، وفَارَقَتْ رُوحُه جَسَدَه أَنْ يُشَدَّ ذَقْنُه، وتُغْمَضَ عَيْنَاهُ، وَتُمَدَّ أَعْضَاؤُهُ، ويُسَجَّىٰ بثَوبٍ، ولَا يُكْشَفَ عَنْ وَجْهِهِ لِيُنْظَرَ إِلَيهِ إِلَّا أَنْ يَأْتيه غَاسِلُهُ، فيَحْملهُ إِلَىٰ مُغْتَسلِهِ، جعَل اللهُ ذَلِكَ الحَمْلَ مُباركًا عليه، ونَظَر بعين الرَّحمةِ إِلَيهِ، وَغَفَرَ لَهُ مَا قدَّمه مِنَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ».

التعليق:

كلُّ ما ذكَره المُوصِي هنا ينبغي فعلُهُ لكلِّ أحدٍ.

فينبغي عَلَىٰ مَن حضر الميت أن يشدَّ ذقنه، بحيث لا يموتُ وهو فاتحٌ فمه، ويغمضُ عينيه؛ لأنَّ الإنسان يبقىٰ عند الموت عَلَىٰ ما هو عليه، فتتصلَّب أعضاؤه بعد الْمَوتِ، ثُمَّ يُسجَّىٰ بثوبٍ، أي: يُغطَّىٰ بثوبٍ، ثمَّ بعْد ذلكَ يُغسَّلُ، وينبغي عند الغسل ألَّا يدخلَ إلَّا الغاسلُ ومَن يُعينُه.



تحذيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهله وأحبابه عنْ فعْلِ ما يُغضبُ اللهَ، وبراءتُه منْ ذلك

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأَوصَىٰ ألَّا يُناحَ عليه، وأَنْ يمنعَ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَقْرِبَاؤُهُ وَأَحِبَّاؤُهُ وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ أَنْفُسَهم عن الشَّقِّ والحلْق والتَّخْرِيقِ للثِّياب والتَّمزيق، وألَّا يَبْكُوا عليهِ إلَّا بكاءَ حُزْنِ قَلْبٍ، ودُمُوعِ عَينٍ لا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ رَدِّهما ودَفْعِهِمَا، وَأَمَّا دُعَاءٌ بِوَيْلٍ، وَرَنُّ شَيْطَانٍ، وَخَمْشُ وُجُوهٍ، وَحَلْقُ شَعْرٍ وَنَتْفُه، وَتَخْرِيقُ ثَوْبٍ وَتَمْزِيقُهُ وفَتْقُهُ فَلَا، وهُوَ بَرِيءٌ مِمَّنْ فعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كَمَا بَرِئَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ».

التعليق:

ينهىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهله وأحبابه عن فعل ما يُغضب الله تعالىٰ بعد موته، ويتبرأ من ذَلِكَ كما «تبرأ النبي ﷺ من الصَّالقة، والحَالقة، والشَّاقة»[1]، وقال: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[2].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والصَّالقة: هي الَّتي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشَّاقَّة: هي الَّتي تشقُّ ثوبها عند المصيبة، انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢/ ١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

السِّربال: القميص، والقطران معروف، وهو الذي تطلىٰ به الإبل، وهو مادَّة سوداءُ شديدةُ الحرارة، إذا الْتصقَتْ بالجِلدِ تمزَّق، يُطلىٰ بها البعيرُ إذا أصابه الجَرَب؛ فينسلخُ شعرُه في حِينِه. وقوله ﷺ: «ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»: أي: يُسلط علىٰ أعضائها الجَرَب والحكَّة، بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع، وهو القميص، انظر: «شرح

ذلكَ لأنَّها معترضةٌ على قدرِ الله عَزَّوَجَلَّ.

والنَّائحةُ: هي الَّتي تَذكُر مَحاسنَ الميِّت، تقول: يا فُلانُ، يا فاعلَ كذا، يا صانع كذا.

فهو يمنع أولياءه وأقرباءه وأحبَّاءه وجميع النَّاس من الرِّجال والنِّساء عن الشَّقِّ والحَلْق. والشَّقُّ: هو شقُّ الثَّوب، وتخريقه، وتمزيقه.

ويمنعهم أيضًا من أن يبكوا عليه إلَّا بكاء حزن قلبٍ؛ لأن هذا هو الموافق لفعل النَّبيِّ ﷺ؛ فعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إِلَى النَّخْلِ فَإِذَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَتَبْكِي وَأَنْتَ تَنْهَى النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أَنْهَ عَنِ الْبُكَاءِ إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنِ النَّوْحِ، صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٌ عِنْدَ نَغْمَةِ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَمَزَامِيرِ شَيْطَانٍ، وَصَوْتٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشُ وُجُوهٍ وَشَقُّ جُيُوبٍ وَرَنَّةٌ وَهَذَا هُوَ رَحْمَةٌ وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ، وَوَعْدٌ صِدْقٌ وَأَنَّ آخِرَنَا سَيَلْحَقُ بِأَوَّلِنَا لَحَزِنَّا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ، تَبْكِي الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ»[(١)].

فالشَّقُّ والحلق وخمش الوجوه بالأظافر حتَّى يسيل الدَّم، وحلق الشَّعر، ونتفه، وتمزيق الثِّياب، كلُّ هَذا بريءٌ منه المُوصِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو بريءٌ مِمَّنْ فعل شيئًا من ذَلِكَ كما بريءٌ منه النَّبيُّ ﷺ.

= مشكاة المصابيح» للطيبي (٤/ ١٤١٩ مكتبة الباز).

(١) أخرجه الترمذي (١٠٠٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ١١٥) (٧١٥١) واللفظ له، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (١٠٠٥).

وصيَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعجيلِ تجهيزِه ودفنِه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأَوصَىٰ أنْ يُعجَّل تَجْهِيزُه وغسْلُه وتكْفِينُه وَحَمْلُه إِلَىٰ حُفْرَتِه، وَلَا يُحبَس وَلَا يُبطَّأ بِهِ، وإِنْ ماتَ ضحوةَ النَّهارِ، أَوْ وَقْتَ الزَّوَالِ، أَوْ بُكْرَةً؛ فَإِنَّهُ لا يُؤَخَّرُ تَجْهِيزُهُ إِلَىٰ الغَدِ، وَلَا يُتْرَكُ مَيِّتٌ بينَ أَهْلِهِ باللَّيلِ أَصْلًا، بَلْ يُعَجِّلُ أَمْرُهُ فَيُنقَل إِلَىٰ حُفْرَتِهِ نَقْلًا بعْدَ أَنْ يُغسَّل وِتْرًا، وَيُجْعل فِي آخِرِ غَسْلَةٍ مِن غَسَلَاتِهِ كَافُورٌ».

التعليق:

قوله: «وأَوصَىٰ أَنْ يُعَجَّلَ تَجْهِيزُهُ»:

هَذَا هو الَّذي حثَّ عَلَيه الشَّرع، وقد جاء في الحديث عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ»[(١)].

فينبغي المُسارعة بتجهيز المَيِّت بالغسل، والتَّكفين، وأن يُغسَّل وترًا، وأن يُجْعَل في آخر غسلةٍ من غسلاته كافورٌ، كما ورد في الحديث عن أمِّ عطيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الْخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي» قَالَتْ: فَأَعْلَمْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ وَقَالَ «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٣١٤) من حديث أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩)، واللفظ له، و«حِقْوَه»؛ أي: إزاره، وقوله ﷺ: «أَشْعِرْنَها إيَّاهُ»؛ =

وصيَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يُكفَّن فيه، وموضعُ الصَّلاة عليه، ومكانُ دفنه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويُكفَّن فِي ثَلَاثَةِ أَثْوابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ إِنْ وُجِدَتْ، فإِنْ لَمْ تُوجَدْ سَحُولِيَّة كُفِّن في ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، ويُجمَّر كَفَنُه وِتْرًا لَا شَفْعًا قَبْلَ أَنْ يُلَفَّ عَلَيْهِ، ويُسْرَعُ بالسَّيرِ بِجِنَازَتِهِ، كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ويُحملُ للصَّلاة عَلَيه إلىٰ مَيدَانِ الحُسَينِ، ويُصلِّي عَلَيه وَلَدُهُ أبو نَصْر إِنْ كانَ حَاضِرًا، فإِنْ عَجزَ عَنِ القِيَامِ بالصَّلاة عليه فَأَمْرُ الصَّلاةِ عليهِ إِلىٰ أَخِيهِ أَبِي يَعْلَىٰ، ثمَّ يُرَدُّ إلىٰ المَدْرَسَةِ فَيُدْفَنُ فيهَا بينَ يدَي والدِه الشَّهيدِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويُلحَد له لحدٌ، ويُنصَبُ عَلَيه اللَّبِن نَصْبًا».

التعليق:

ما ذكره المُوصي هنا هو ما أَمَر به الشَّرع؛ وهو التَّكفين في ثلاثة أثواب بيض سحوليَّة، وسُمِّيتْ بذَلِكَ نسبةً إلىٰ (سحولٍ)، وهي مدينةٌ في اليمن، كانت تُنسج فيها الثِّياب، فإِنْ وُجدَتْ الثِّيابُ السّحوليَّة فهذا أفضلُ، وإلَّا فتكونُ بيضاءَ فقطْ، وهذا يكْفِي.

وقوله: «ويُسرَع بالسَّير بجنازته»، وهَذَا أيضًا واردٌ كما أمر به رسول الله ﷺ[1].

= أي: اجْعَلْنَهُ شِعَارًا لها، وهو الثَّوبُ الَّذي يَلِي الجسَدَ، سُمِّيَ شِعَارًا؛ لأنَّه يلي شعر الجسدِ، والحكمة في إشعارها به تبريكها به، انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (٧/٣).

(١) أخرج البخاريُّ (١٣١٥) عن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً =

ولكن قوله: «ثمَّ يردُّ إلىٰ المَدْرَسَةِ، فَيُدْفَنُ فِيهَا»، هَذَا فيه خطأٌ؛ لأَنَّه ينبغي أن يُدفَن في مقابر المسلمين، ولا يُدفَن في المدرسة، فالدَّفن في المدرسة يُعرِّض هَذَا المدفون إلىٰ أن يُصلَّىٰ إليه، أو يتبرَّك به، أو ما أشبه ذَلِكَ، وهَذَا لا ينبغي.

وقوله: «ويُلحد له لحدٌ، ويُنصَب عَلَيه اللَّبِن نَصْبًا»، كلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ السُّنَّة.



=

فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَىٰ ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».

وصيَّتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكيفيَّة حَمْلِه إلى قَبْرِه، ووضْعِه في لَحدِه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَلَا يُشَقُّ له شقٌّ، ولا يُتَّخَذُ له تَابُوتٌ أصلًا، وَلَا يُوضَع في التَّابوت للحَمْل إلىٰ المُصلَّىٰ، ولْيُوضَعْ عَلَىٰ الجِنازةِ ملفوفًا في الكَفَن، مُسَجًّىٰ بثوبٍ أبْيَض ليس فيه إبريسم بحالٍ».

التعليق:

الشَّقُّ: نوعٌ مِن الحَفْر للقُبورِ، وهُو أنْ يُشقَّ حفرٌ في وسط القبر، ويُوضَع المَيِّت فيه، ثمَّ يُوضَع عليه اللَّبِنُ، أو الخشَب، أو الحجارة، ثمَّ يُدفن عليها.

أمَّا اللَّحد: فهو حفر يكون إلىٰ جهة القبلةِ، وهو لا تتحمَّله إلَّا الأرض القويَّة، فإذا كانت الأرض غير قويَّةٍ، فالأفضل الشَّق.

والإبريسم: هو الحريرُ.



وصيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يصنع عند قبره بعد دفنه

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولا يُطيَّن قَبرُه، ولا يُجصَّص، ويُرشُّ عَلَيْهِ المَاءُ، وَيُوضَعُ عَلَيْهِ الحَصَىٰ، ويُمْكَثُ عِنْدَ قَبْرِه مِقْدَارَ مَا يُنحَرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لَحْمُهُ حتَّىٰ يَعْلَمَ مَا يُراجِع بِهِ رُسُلَ ربِّه جَلَّ وَعَلَا.

ويُسأَل اللهُ تعالىٰ عَلَىٰ رَأْس قَبْرِه لهُ التَّثبيتَ المَوْعُودَ لِجُمْلَةِ المُؤْمِنينَ في قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».

التعليق:

قوله: «ولا يُطَين قبرُه»، يعني: لا يُوضَع عليه طينٌ حَتَّىٰ كأَنَّه بناءٌ، «ولا يُجصَّص»: أي: يُبيض (يُطلىٰ) بالجَصِّ، أو الأسمنت، أو غير ذَلِكَ، ويُرشُّ عليه الماء، ويُوضَع عليه شيءٌ من الحصىٰ.

«ويُمكَث عند قبره مقدار ما يُنحر جزورٌ، ويقسم لحمه، حَتَّىٰ يعلم ما يُراجِع به رسلَ ربِّه جَلَّ وَعَلَا، ويُسأَل الله - تعالىٰ - عَلَىٰ رأس قبره له التَّثبيت»، كما قال النبيُّ ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بالتَّثْبيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»(١).



(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، من حديث عثمان بن عفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصَحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح أبي داود»، وفي «أحكام الجنائز» (ص١٥٦).

وَصِيَّتُه رَحِمَهُ اللَّهُ بكثرة الاستغفار له

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ، وَلِوَالِدَيهِ، وَلِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، وَلَا يُنسَىٰ بل يُذكَر بالدُّعاء؛ فَإِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا قُبِرَ كَانَ كَالغَرِيقِ المَبْغُوتِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً صَالِحَةً تَلْحَقُهُ، وَلَا يُمَكَّنُ أَحَدٌ مِنَ الْجَوَارِي والنِّسْوَانِ أَنْ يَكْشِفْنَ رُؤُوسَهُنَّ، وَأَنْ يَنْدبْنَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، بَل يَشْتَغِلُ الكُلُّ بالدُّعاءِ وَالاسْتِغْفَارِ لَعَلَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُهوِّنُ عَلَيْهِ الأَمْرَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَيُيسِّرُ خُرُوجَ مُنْكَرٍ وَنكيرٍ مِنْ قَبْرِهِ عَلَىٰ الرِّضا مِنْهُ، وَيَنْصرِفَانِ عنهُ وقَدْ قَالَا لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ العَرُوسِ، فَلَا رَوْعَةَ عَلَيْكَ، وَيَفْتَحَانِ فِي قَبْرِهِ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَمِنَّةً، فَيَفُوز فوزًا عَظِيمًا، وَيَحُوزُ ثَوابًا كَرِيمًا، وَيَلْقَىٰ رَوْحًا وَرَيْحَانًا، وَرَبًّا كَرِيمًا رَحِيمًا. آخر الوصيَّة».

التعليق:

ما ذكره في هَذِهِ الوصيَّة من طلب الاستغفار له، ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، هَذَا هو المطلب الَّذي ينبغي التَّسابق إليه ممَّن خلفه، يعني: من أولاده وقرابته، وما أشبه ذَلِكَ، فينبغي لهم أن يستغفروا له كلَّما ذكروه.

وقوله: **«فإِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا قُبِرَ كَانَ كالغَرِيقِ المَبْغُوتِ»**، يعني: الَّذي بغته شيءٌ فيه هلكته.

وقوله: **«ولا يُمَكَّنُ أحدٌ مِنَ الجَوَارِي والنِّسْوَان أَنْ يَكْشِفْنَ رُؤُوسَهُنَّ، وَأَنْ يَنْدبْنَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ»**، كأنَّها جرَتْ العادة من أهل الجاهليَّة أنْ يعملوا هذه

الأشياء الَّتِي تدلُّ عَلَىٰ التَّسخُّط؛ من كشف الرُّؤوس، وشقِّ الثِّياب، ولطم الخدود، وغير ذلك، وهَٰذِهِ الأمور القبيحة السَّيِّئة لا يجوز للمسلم أن يفعلها.

والواجب عَلَىٰ الأحياء الَّذين يَبْقون بعد المَيِّت أن يُكْثِروا من الدُّعاء له؛ كأن يقولوا: «اللَّهمَّ اغفر له، اللَّهمَّ ارحمه».

وقوله: «لعلَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ الأَمْرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَيُيَسِّرُ خُرُوجَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مِنْ قَبْرِهِ عَلَىٰ الرِّضا مِنْهُ»، يعني: بأن يكون من أهل السَّعادة.

قوله: «وَيَنْصَرِفَانِ عَنْهُ، وَقَدْ قَالَا لَهُ: نَمْ نَومَةَ العَرُوسِ، فَلَا رَوْعَةَ عَلَيْكَ...»، أي: كما قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ...»(١).

ثمَّ يفتحان له في قبره بابًا إلىٰ الجنَّة، فيدخل عليه من رَوْحها وطِيبها ما يَدخل، فيكون ذَلِكَ فوزًا إلىٰ فوزٍ، ونعمةً إلىٰ نعمةٍ.

نسأل الله أن يتقبَّل من الجميع، وأنْ يعفوَ عنَّا فيما فرَّطنا أو قصَّرنا.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٣٩١).

الفوائد الجياد
على لمعة الاعتقاد

لابن قدامة المقدسيّ (ت ٦٢٠هـ)

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

اعتناء تلميذ الشّارح

سعود عبده رديش دغريري



مقدّمة التّحقيق

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرَّحمن الرَّحيم، مَالك يوم الدِّين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد الأمين، وقائد الغُرِّ المُحَجَّلِين، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، ومَن تَبِعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أمّا بعد:

فالعقيدةُ الإسلاميةُ هي أُسُّ الدِّين، وعِلم العقيدة هو الفقهُ الأكبر، فَبِها يقومُ كيان الدِّين، ولذا اهتمَّ أهلُ العلم بتأصيلها وبيانها علىٰ نهج سَلَف الأمة، ونَظَمُوا في ذلك ووضعوا متونًا وأصولًا وقواعدَ يَبني عليها طالبُ العلم بُنيانه حتىٰ يَبعد عن طرق الضَّلال والزَّيغ، ويَسلك الجادَّة التي سار عليها سلفُ الأُمَّة.

وبين أيدينا شرحٌ لمتن مَتينٍ من متون العقيدة، ألا وهو «متن لُمعَة الاعتقاد» لمؤلفه المُوفَّق ابن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠هـ)، وهذا الشرحُ هو لشيخنا العلَّامة أحمد بن يحيىٰ النجمي رحمة الله عليه (١٣٤٦ - ١٤٢٩هـ)، وهو تفريغٌ لما قام شيخُنا ببيانه وشرحه في دروسه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبعد أن أنهيتُ ذلك بَدَا لي أن أضع شيئًا من التخريجات والنُّقولات من كلام جهابذة العلم، وعَزْو الأحاديث إلىٰ مظانِّها من كتب السُّنَّة المُطهرة، ففعلتُ ذلك، والحمد لله.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل مما يُبْتغىٰ به وجهه، وأن يُثيب صاحبَ المَتن، وشارِحَه، ومَن أعان علىٰ نشره، وأن ينفعنا بهذا العمل يوم لقاه.

سطره تلميذُ الشارح

سعود عبده رديش دغريري

غفر الله له، ولوالديه، ولمشايخه، ولجميع المسلمين اللهم آمين

١٢/٥/١٤٣١ هـ

ترجمة الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو الفقيه الزَّاهد الإمام، شيخ الإسلام، وأحد الأعلام: مُوفَّق الدِّين، أبو مُحمَّد؛ عبد الله بن أحمد بن مُحمَّد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الأصل، الجمَّاعيلي، ثُمَّ الدِّمشقي، الصَّالحي، الحنبلي، صاحب «المُغني».

مولده ونشأته:

وُلِدَ ابنُ قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجمَّاعيل من عَمَل نَابُلس في فلسطين في شعبان سنة إحدىٰ وأربعين وخمس مئة من الهجرة النَّبويَّة، وقَدِم دمشق مع أهلِهِ.

وصفه:

قال الضِّياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان تامَّ الخِلْقة، أبيَض، مُشرقَ الوَجه، أدعَج، كأنَّ النُّورَ يخرج من وَجهِهِ لحُسنه، واسع الجبين، طويلَ اللِّحية، قائمَ الأنف، مقرون الحاجبين، صغير الرَّأس، لطيف اليدين والقدمين، نحيفَ الجِسم، مُمتَّعًا بحَوَاسِّه».

طلبه للعلم:

هاجَر ابنُ قدامة مع أهل بيته وأقاربه من فلسطين إلىٰ دمشق، وله عشر سنين وحفظ القرآن دون سنِّ البُلُوغ، ولزم الاشتغال من صغره، وكتب الخَطَّ المليح.

وقرأ علىٰ مشايخ دمشق، ثُمَّ سافر إلىٰ بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة إحدىٰ وسِتِّين وخمس مئة، وأقاما بها أربع سنوات

يدرس على شيوخها.

شيوخه:

كان لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ شُيُوخٌ كُثُر، نذكر منهم:

١- والده الشَّيخ أحمد بن مُحمَّد بن قدامة.

٢- الشَّيخ أبو المكارم بن هلال، بدمشق.

٣- الشَّيخ عبد القادر بن عبد الله الجيلي.

٤- الإمام أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن الجوزي، ببغداد.

٥- الشَّيخ أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر بن المَنِّي، ببغداد.

٦- الشَّيخ أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي، بالموصل.

٧- الشَّيخ المبارك بن الطَّبَّاخ، بمكة.

تلاميذه:

تَفقَّه على يديه الكثير من أهل العلم، منهم:

١- الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي.

٢- أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي.

٣- أحمد بن سلامة بن أحمد النَّجَّار.

٤- الحافظ أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الله بن قدامة، حفيده.

٥- خليل بن أبي بكر بن صديق المَرَاغي.

٦- الحافظ محمد بن عبد الواحد بن أحمد السَّعدي المقدسي، ضياء الدِّين.

٧- عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان.

٨- عبد الرَّحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة، شارح «المقنع».

٩- الحافظ مُحمَّد بن محمود بن الحسن بن النَّجَّار.

ثناءُ العلماء عليه:

قال ابن النَّجَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الشَّيخ مُوفَّق الدِّين إمام الحنابلة بالجامع، وكان ثِقَةً حُجَّةً نبيلًا، غزيرَ الفضلِ، كاملَ العقلِ، شديدَ التَّثبُّت، دائمَ السُّكون، حَسَنَ السَّمت، نَزِهًا وَرِعًا عابدًا علىٰ قانون السَّلَف، علىٰ وجهه النُّور، وعليه الوَقَارُ والهَيبَةُ، ينتفع الرَّجل برؤيته قبل أن يَسمع كلامَه، صنَّف التَّصانيف المَليحة في المذاهب والخلاف، وقَصَدَه التَّلامذةُ والأصحابُ، وسارَ اسمُه في البلاد، واشتَهَر ذِكرُه، وكان حَسَنَ المعرفة بالحديث، وله يدٌ في عِلم العربيَّة».

قال عمر بن الحاجب الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «معجمه»**: «هو إمامُ الأئمَّة، ومُفتي الأُمَّة، خصَّه اللهُ بالفضلِ الوافرِ، والخاطرِ الماطرِ، والعلمِ الكاملِ، طَنَّتْ في ذِكره الأمصارُ، وضنَّت بمثلِهِ الأعصارُ، قَد أَخَذ بمجَامِعِ الحقائق النَّقليَّة والعقليَّة، فأمَّا الحديث فهو سابق فُرسانه، وأمَّا الفقه فهو فارس مَيدانه، أعرف النَّاس بالفُتيا، وله المُؤلَّفات الغزيرة، وما أظنُّ الزَّمان يَسمح بمثلِهِ، مُتواضعٌ عند الخاصَّة والعامَّة، حَسَن الاعتقاد، ذُو أَنَاةٍ وحِلمٍ ووقارٍ.

وكان مجلسُهُ عامرًا بالفقهاء والمُحدِّثين وأهل الخير، وصار في آخر عُمُره يقصده كلُّ أحدٍ، وكان كثيرَ العبادة، دائمَ التَّهجُّد، لم يُر مثلُه، ولَم يَرَ مثلَ نفسه».

قال الحافظ الضِّياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيتُ أحمد بن حنبل في النَّوم، فألقىٰ عليَّ مسألةً، فقلت: هذه في الخرقي، فقال: ما قصر صاحبكم المُوفَّق في شرح الخرقي».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامًا في التَّفسير، وفي الحديث ومُشكلاته، إمامًا في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إمامًا في عِلم الخلافِ، أوحد في الفرائض، إمامًا في أصُول الفقه، إمامًا في النَّحو والحساب والأنجم السَّيَّارة، والمنازل.

وسمعت داود بن صالح المقرئ، سمعت ابن المنيّ يقول وعنده الإمام المُوفَّق: «إذا خرج هذا الفتىٰ من بغداد، احتاجت إليه».

وسمعتُ المفتيَ أبا عُبيد الله عثمان بن عبد الرَّحمن الشَّافعيَّ يقول عن المُوفَّق: «ما رأيتُ مثله، كان مُؤيَّدًا في فتاويه».

وسمعتُ المفتي أبا بكرٍ مُحمَّد بن معالي بن غنيمة يقول: «ما أعرفُ أحدًا في زماننا أدرك درجةَ الاجتهادِ إلَّا المُوفَّق»، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «كان المُوفَّق لا يُنَاظر أحدًا إلَّا وهو يَتَبسَّم».

وقيل: «إنَّ المُوفَّق ناظر ابن فضلان الشَّافعيَّ الَّذي كان يُضرب به المثل في المناظرة، فقَطَعَه».

وبقي المُوفَّق يجلس زمانًا بعد الجُمُعة للمُناظرة، ويجتمع إليه الفقهاءُ، وكان يشتغل إلىٰ ارتفاع النَّهَار، ومن بعد الظُّهر إلىٰ المغرب، ولا يَضْجر، ويُسمِّعون عليه، وكان يُقرئ في النَّحو، وكان لا يكاد يراه أحدٌ إلَّا أحبَّه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «كان حَسَنَ الأخلاق، لا يكاد يراه أحدٌ إلَّا مُتبسِّمًا، يحكي الحكايات ويَمزح.

وكان لا يُنافس أهلَ الدُّنيا، ولا يكاد يشكو، ورُبَّما كان أكثر حاجة من غيره، وكان يُؤثِر».

وقال سبط ابن الجوزي: «كان إمامًا في فُنُونٍ، ولم يكن في زمانه - بعد أخيه أبي عمر والعماد - أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عَزُوفًا عن الدُّنيا وأهلها، هيِّنًا لَيِّنًا مُتواضعًا، مُحِبًّا للمساكين، حسن الأخلاق، جوادًا سخيًّا، مَن رآه كأنَّه رأىٰ بعض الصَّحابة، وكأنَّما النُّور يَخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ

كلَّ يوم وليلةٍ سُبُعًا من القرآن، ولا يُصلِّي ركعتي السُّنَّة - في الغالب - إلَّا في بيته، اتِّباعًا للسُّنَّة».

وقال سلطانُ العلماء العزُّ بن عبد السَّلام عن كتابه «المغني»: «ما رأيتُ في كُتُب الإسلام في العلم مثله في جَودته وتحقيق ما فيه، ولم تَطُب نفسي بالفُتيا حتَّىٰ صارت نُسخةٌ من «المغني» عندي».

وقال الشَّيخ يحيىٰ بن يوسف الصَّرصري الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَفِي عَصْرنا كَانَ المُوفَّق حُجَّةً ... علىٰ فِقهِهِ ثبتُ الأصولِ محوّلي
كفىٰ الخلقَ بالكافي وأقنع طالبًا ... بمُقنع فقه عن كتابٍ مُطَّولِ
وأغنىٰ بمُغني الفقه مَن كان باحثًا ... وعُمدته مَن يَعْتَمِدْهَا يُحَصِّل
ورَوْضَته ذات الأُصُولِ كرَوْضَةٍ ... أَمَاسَتْ بِهَا الأزهارُ أنفاسَ شَمْأَلِ
تدلُّ علىٰ المنطوق أوفىٰ دِلالةٍ ... وتحمل في المفهوم أَحْسنَ مَحْمَلِ

مؤلَّفاته:

له مُؤلَّفاتٌ كثيرةٌ نذكر منها:

١ - «العمدة في الفقه». ٢ - «المقنع في الفقه». ٣ - «الكافي في الفقه»، ويقع في أربع مُجلَّداتٍ. ٤ - «المغني في شرح الخرقي علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل» في الفقه، وهو أكبر كُتُبه. ٥ - «الاستبصار في الأنساب». ٦ - «الاعتقاد». ٧ - «التَّوَّابين». ٨ - «ذمُّ التأويل». ٩ - «ذمُّ الوسواس». ١٠ - «روضة النَّاضر وجُنَّة المُناظر في أصول الفقه». ١١ - «فضائل الصَّحابة». ١٢ - «القَدَر». ١٣ - «مختصر العلل» للخلال. ١٤ - «لُمعة الاعتقاد»، وهو الكتاب الَّذي بين أيدينا، والَّذي قام بشرحه شَيخُنا النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نماذج من شعره:

أَبَعْدَ بَيَاضِ الشَّعْرِ أَعْمُرُ مَسكنًا ... سِوىٰ القبر إنِّي إنْ فعلْتُ لأَحْمَقُ
يُخَبِّرُنِي شَيْبِي بِأَنِّيَ مَيِّتٌ ... وَشِيكًا وَيَنْعَانِي إِلَيَّ فَيَصْدُقُ
تَخَرَّقَ عُمْرِي كُلَّ يومٍ وَلَيْلَةٍ ... فَهَلْ مُسْتَطِيعٌ رَقْعَ مَا يَتَخَرَّقُ
كَأَنِّي بِجِسْمِي فَوقَ نَعْشِي مُمَدَّدًا ... فمِن ساكنٍ أَوْ معولٍ يَتَحَرَّقُ
إذا سُئلوا عَنِّي أَجَابُوا وَأَعْوَلُوا ... وأَدْمُعُهم تَنْهَل: هَذَا المُوَفَّقُ
وغُيِّبْتُ في صَدْعٍ مِنَ الأَرْضِ ضَيِّقٍ ... وَأُودِعْتُ لَحْدًا فَوْقَهُ الصَّخْرُ مُطْبِقُ
وَيَحْثُو عَلَيَّ التُّرْبَ أَوْثَقُ صَاحِبٍ ... وَيُسْلِمُنِي لِلْقَبْرِ مَنْ هُوَ مُشْفِقُ
فَيَا رَبِّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَحْشَتِي ... فَإِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَهُ لَمُصَدِّقُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَىٰ اللهِ صَائِرٌ ... وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبَرُّ وَأَرْفَقُ

وفاتُه:

تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم السَّبت في يوم عيد الفطر عام ٦٢٠ هـ، ودُفِنَ من الغد في جبل قاسيون.

وممَّا قيل في رثائه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشَّيخ صلاح الدِّين أبو عيسىٰ موسىٰ بن محمَّد بن راجح المقدسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ الْمُوفَّقِ رَغْبَةٌ ... فِي العَيْشِ إِنَّ العَيْشَ سُمٌّ مُنقع
صدرُ الزَّمانِ وعينُه وطِرازُهُ ... رُكنُ الأنام الزَّاهد المُتورِّعُ
بحرُ العلوم أبو الفضائل كُلِّها ... شَملُ الشَّريعة بعدُ لا يتجمَّعُ
كان ابنُ أحمد في مقام محمَّدٍ ... إنْ هالَهم أمرٌ إليه يَفزعُوا

فيُبينُ مُشكلَه ويُوضحُ سِرَّه ... ويذُبُّ عن دينِ الإلهِ ويَدفعُ

ببصيرةٍ يجلو الظَّلامَ ضِياؤُها ... يُبْدي العجائبَ نورُها يَتَشَعْشَعُ

فاليَوْمَ قَدْ أَضْحىٰ الزَّمانُ وأَهْلُه ... غرضًا لكلِّ بَليَّةٍ تتنوَّعُ

والعلمُ قَدْ أمْسىٰ كأَنَّ بَواكيًا ... تبكي عَلَيه وحبلُه يتقطَّعُ

وتعطَّلَت تلك المجالسُ وانْقَضَت ... تلك المحافلُ ليتَها لو تَرْجِعُ

هيهاتَ بعدك يا مُوفَّق يُرتجىٰ ... للنَّاس خَيرٌ أو مقالٌ يُسمعُ

لله درُّك كم لِشخصك مِن يدٍ ... بيضاءَ فِي كلِّ الفضائل تَرتعُ

قَدْ كُنْتَ عَبْدًا طائعًا لا تَنثنِي ... عن بابِ ربِّك في العبادةِ تُوسعُ

كم ليلةٍ أَحْيَيْتَها وعَمرتَها ... واللهُ ينظرُ والخلائقُ هُجَّعُ

تتلُو كتابَ الله في جُنحِ الدُّجَىٰ ... كَزَبُور داودَ النَّبيِّ تُرجِّعُ

لو كان يُمكن من فِدَائك رخصةٌ ... لَفَدَتْكَ أفئدةٌ عليك تُقطَّعُ

مصادرُ ترجمته:

«مِرْآة الزمان»، لسبط ابن الجوزي.

«مُعجم البلدان»، لياقوت الحموي.

«سِير أعلام النُبلاء»، للذهبي.

«ذيل طبقات الحنابلة»، لابن رجب.

«النُّجوم الزَّاهرة»، لابن تغري بردي.

«شذرات الذَّهب في أخبار مَن ذهَب»، لابن العِماد.

«المقصد الأَرْشد في ذِكْر أصحاب الإمام أحمد»، لابن مُفلح.

منهجُ السَّلف في إثباتِ صفاتِ الله

الحَمْدُ للهِ المحمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ، المعبودِ في كُلِّ زمانٍ، الَّذي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ، ولا يشغَلُهُ شَأنٌ عَن شانٍ، جَلَّ عَنِ الأَشْباهِ والأَنْدادِ، وَتنزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالأَولَادِ، ونَفَذَ حُكمُهُ في جميعِ العبادِ، لا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ والصِّفَاتُ العُلا، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: ٥ - ٧].

أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وقَهَرَ كُلَّ مَخلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحمَةً وعِلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نفسَهُ في كتابِهِ العَظِيمِ، وَعلىٰ لِسانِ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ.

وَكُلُّ مَا جَاءَ في القُرآنِ أَو صَحَّ عَنِ المُصطَفَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صِفاتِ الرَّحمَنِ وَجَبَ الإيمَانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُولِ، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْوِيلِ، والتَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ، وما أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْباتُه لفظًا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه[1]، ونَرُدُّ

(١) هناك تعقيب للشَّيخ محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الكلمة؛ حيث قال في «مجموع فتاويه»: «وأمَّا كلامُ صاحب (اللُّمعة) فهذه الكلمة ممَّا لوحظ في هذه العقيدة، وقد لُوحظ فيها عدَّة كلمات أُخِذت على المُصنِّف؛ إذ لا يخفىٰ أنَّ مذهبَ أهل السُّنَّة والجماعة هو الإيمانُ بما ثبت في الكتاب والسُّنَّة =

عِلْمَهُ إِلَىٰ قَائِلِهِ، وَنَجعَلُ عُهْدَتَهُ علىٰ ناقِلِه، اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِين في العِلْمِ، الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِم في كِتَابِهِ المُبِينِ بِقَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَالَ في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ عَلامَةً عَلَىٰ الزَّيْغِ، وقَرَنَهُ بابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بِقَولِهِ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

=

مِن أسماء الله وصفاته لفظًا ومعنًىٰ، واعتقاد أنَّ هذه الأسماء والصِّفات علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، وأنَّ لها معانيَ حقيقيَّةً تليقُ بجلال الله وعظمته، وأدلَّة ذلك أكثرُ مِن أنْ تُحصرَ، ومعاني هذه الأسماء ظاهرةٌ معروفةٌ مِن القُرآن كغيرِها لا لَبْسَ فيها ولا إشكالَ ولا غُموضَ، فقد أخَذ أصحابُ رسول الله ﷺ عنه القُرآنَ، ونقلُوا عنه الأحاديثَ، ولم يستشكلوا شيئًا من معاني هذه الآيات والأحاديث؛ لأنَّها واضحةٌ صريحةٌ، وكذلك مَن بعدَهم مِن القُرون الفاضلة؛ كما يُروىٰ عن مالك لمَّا سُئل عن قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ وكذلك يروىٰ معنىٰ ذلك عن ربيعة شيخ مالك، ويروىٰ عن أمِّ سلمة مرفوعًا وموقوفًا، وأمَّا كُنْه الصِّفة وكيفيَّتها فلا يعلمُه إلَّا الله سبحانه؛ إذِ الكلام في الصِّفة فرعٌ عن الكلام في الموصوف، فكما لا يعلمُ كيف هو إلَّا هو فكذلك صفاتُه، وهو معنىٰ قول مالكٍ: والكيف مجهولٌ.

أمَّا ما ذكرَه في «اللُّمعة» فإنَّه ينطبق علىٰ مذهبِ المُفوِّضة، وهو مِن شرِّ المذاهب وأخبثِها، والمصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ إمامٌ في السُّنَّة، ومن أبعدِ النَّاس عن مذهبِ المُفوِّضة وغيرِهم مِن المُبتدعةِ، والله أعلمُ» اهـ. عن مكتب الإفتاء (٣٢٨) في (٢٨ - ٧ - ١٣٨٥هـ). «نقلًا عن فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم»، جمع وترتيب محمَّد بن عبد الرحمن القاسم.

قلتُ: فالوضوحُ والغُموض في النُّصوص إنَّما هو أمرٌ نِسبيٌّ يَختلفُ فيه النَّاسُ ويتفاوتون فيه؛ فقد يُشكلُ علىٰ هذا العالم ما وَضُحَ للآخر، لكن الواجب علىٰ هذا أن يُؤمِنَ بها علىٰ ما أراده اللهُ عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ ما أرادَه رسولُه ﷺ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبدِ اللهِ أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ ﵀ في قولِ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَنزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيا»(١)، و«إِنَّ اللهَ يُرَىٰ في القِيامَةِ»(٢)، وَمَا أَشبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ، «نُؤمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا لا كَيفَ، وَلَا مَعنَىٰ، وَلَا نَرُدُّ شَيئًا مِنهَا، وَنَعلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا نَصِفُ اللهَ بِأَكثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نفسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غايَةٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، ونَصِفُهُ بما وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، لا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلا يَبْلُغُهُ وَصفُ الواصِفِينَ، نُؤمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ، مُحكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ، ولا نُزِيلُ عَنهُ صِفَةً مِنْ صفاتِه لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، ولا نَتَعدَّىٰ القُرآنَ والحَدِيثَ، ولا نَعلَمُ كَيفَ كُنْهُ ذَلِك إلاَّ بِتَصدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وتَثْبِيتِ القُرآنِ»(٣).

قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إِدرِيسَ الشَّافِعِيُّ ﵀: «آمَنتُ باللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ على مُرَادِ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﵁ وقد وردت أحاديث النُّزول لله جلَّ وعلا؛ مِن ذلك: نزولُه حين يبقىٰ ثلُث اللَّيل الآخر، ونزولُه سبحانه يوم عرفة؛ قال شيخُ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٨٦): «رُوي عن محمَّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنَّه قال في الأحاديث الَّتي جاءتْ إنَّ الله يهبطُ إلىٰ السَّماء الدُّنيا ونحو هذا مِن الأحاديث: إنَّ هذه الأحاديث قد رواها الثِّقات، فنحنُ نرويها ونُؤمنُ بها ولا نفسِّرها» اهـ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث أبي هريرة ﵁، وهذا الحديث في إثبات رؤية المؤمنين لربِّهم عَزَّوَجَلَّ، وقد تواترتْ الأحاديثُ في ذلك.

يقول الشَّيخُ الهراس في شرحه علىٰ «الواسطيَّة» (١/ ١٥٧ دار الهجرة)/ ط ٣: «وأحاديث الرُّؤية متواترةٌ في هذا المعنىٰ عند أهل العلم بالحديثِ، لا يُنكرُها إلَّا ملحدٌ زنديقٌ» اهـ.

(٣) أخرجه المصنف في «ذم التَّأويل» (ص ٢٢ الدار السلفيَّة) رقم (٣٣) بأخصر ممَّا هنا، وروىٰ ابنُ بطَّة بعضَه في «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٣٢٦ الرَّاية) رقم (٢٥٢).

رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١].

وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ علىٰ الإقْرارِ والإمْرارِ والإثْباتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفاتِ في كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ[٢].

وَقَد أُمِرْنا بالاقْتِفَاءِ لآثارِهِمْ والاهتداءِ بمنَارِهِم، وَحُذِّرْنا المُحْدَثَاتِ، وأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنَ الضَّلَالاتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٣].

وَقَالَ عَبدُ الله بنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»[٤].

---

(١) أخرجه المصنّف في «ذم التأويل» (ص ١١) رقم (٦).

(٢) يقول الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تنازع الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كثيرٍ مِن مسائلِ الأحكام، وهُم ساداتُ المؤمنين، وأكملُ الأمّة إيمانًا، ولكن - بحمد الله - لم يتنازعوا في مسألةٍ واحدةٍ مِن مسائلِ الأسماء والصّفات والأفعال، بل كلّهم متّفقون علىٰ إثباتِ ما نطَق به الكتاب والسُّنّة كلمةً واحدةً مِن أوّلهم إلىٰ آخرهم، لم يسوموها تأويلًا، ولم يحرّفوها عن مواضعها تبديلًا، ولم يبدوا لشيءٍ منها إبطالًا، ولا ضربُوا لها أمثالًا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقُل أحدٌ منهم: يجبُ صرفُها عن حقائقِها وحملُها علىٰ مجازِها، بل تلقّوها بالقبول والتّسليم، وقابلوها بالإيمان والتّعظيم، وجعلُوا الأمرَ فيها كلّها أمرًا واحدًا، وأجرَوها علىٰ سَنَنٍ واحدٍ» اهـ. «إعلام الموقّعين» (١/ ١٠١، ١٠٢ الفوائد) ط ١.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه (٤٢، ٤٤) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

(٤) أخرجه الدّارميُّ (٢٠٥)، وابنُ وضّاح في «البدع» (١٣)، والمروزي في «السنة» (٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٧٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٧٤، ١٧٥، ١٩٧)، وابنُ أبي زمنين في «أصول السنة» (١١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٢٤)، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخريج «العلم» لابن أبي خيثمة (٥٤).

وَقَالَ عُمرُ بنُ عَبدِ العَزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ كلامًا معناهُ: «قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فإنَّهم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِهَا كانُوا أقوَىٰ، وبالفَضلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحرَىٰ، فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهم! فَمَا أَحدَثَهُ إلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يَشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بما يَكْفِي، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، ومَا دُونَهُم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مستقيمٍ»[1].

وَقَالَ الإمَامُ أبُو عَمْرٍو الأَوزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكَ بآثارِ مَنْ سَلَفَ وإنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجالِ وإنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقَوْلِ»[2].

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ الأَذْرَمِيُّ[3] لرَجُلٍ تكَلَّمَ ببِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إلَيهَا: «هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وأبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، أوْ لَم يعلَمُوها؟ قَالَ: لَم يَعلَمُوهَا. قَالَ: فَشَيْءٌ لَم يَعلَمْهُ هَؤلَاءِ أَعلِمْتَهُ أَنتَ؟!

قَالَ الرَّجُلُ: فإنِّي أَقُولُ: قَدْ عَلِمُوهَا. قَالَ: أَفَوَسِعَهُمْ أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيهِ أَمْ لَم يَسَعْهُمْ؟ قَالَ: بَلَىٰ وَسِعَهُمْ. قَالَ: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ، لَا يَسَعُكَ أَنتَ؟!

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٢)، وابن وضَّاح في «البدع» (٧٤)، والآجريّ في «الشَّريعة» (٥٢٩)، وابنُ بطَّة في «الإبانة» (١٦٤، ١٨٣٣، ١٨٥٣)، والبيهقيُّ في «القضاء والقدر» (٥٣٩) من طريق أبي داود، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سُنن أبي داود».

(٢) أخرجه الآجرِّيُّ في «الشَّريعة» (١٢٧)، والخطيبُ في «شرَف أصحاب الحديث» (٧)، والهرويُّ في «ذمّ الكلام» (١١٦)، والبيهقيُّ في «المدخل إلىٰ السنن» (٢٣٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «مُختصر العلوّ» (١٣٨).

(٣) اسمُه الصَّحيح: عبد الله بن محمَّد بن إسحاق الأذرمي، كما سيأتي في تخريج هذه المُناظرة، وترجمة هذا الشَّيخ الأذرميّ.

فانقطَعَ الرَّجُلُ، فَقالَ الخَلِيفَةُ - وكان حاضِرًا -: لَا وَسَّعَ اللهُ عَلَىٰ مَنْ لَم يَسَعْهُ ما وَسِعَهُمْ»[١].

---

(١) هذه المناظرة أخرجَها الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٧٥)، ومِن طريقِه ابنُ الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٣١ - ٤٣٦)، ومِن طريقه ابنُ قُدامةَ في «التَّوابين» (ص١٩٤)، وأخرجها الذَّهبيُّ في «سير أعلام النُّبلاء» (١١/ ٣١٣)، والآجريّ في «الشَّريعة» (ص٩١، ٩٥)، وأوردها ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣٣٥).

وقد رُوِيتْ القصَّة من طَرِيقَين أحدهما مطوَّل والآخر مُختصر، وقال الحافظُ الذَّهبيُّ بعد ذِكرِ الطَّريقة المختصرة للقصَّة: «هذه قصَّةٌ مليحةٌ، وإنْ كان في طريقها مَن يُجهَل، ولها شاهد» ثمَّ ذكَر لها الطَّريقَ المطوَّل.

وفي هذه القصَّة مُبهماتٌ أربعةٌ: الأدرميّ، والمُناظر له، والخليفة الَّذي حضر المُناظرة، والبدعة الَّتي جرَتْ المُناظرة بسببِها، ومن خلال التَّعرُّف علىٰ شَخصيَّة المُناظر تتبيَّن لنا بقيَّة المُبهماتِ:

الأوَّل: الأدرميّ: والَّذي نستطيعُ تأكيدَه أنَّه مُصَحَّف من (الأَذْرمي)، واسمُه أبو عبد الرَّحمن عبدُ الله بنُ محمَّد بن إسحاق الأذرمي؛ روىٰ عن وكيع وابن عُيينة وابن مهديٍّ وغيرهم، وروىٰ عنه أبو داود والنَّسائيّ، ووثَّقه أبو حاتم والنَّسائيّ. تَرجمتُه في «التَّهذيب» (٦/ ٤، ٥)، و«الأنساب» للسَّمعاني (١/ ٦٢). وهو صاحبُ القصَّة المذكورة كما جاء في المَصادر الَّتي وَرَدَتْ بها القصَّة، وكما رجَّح غيرُ واحدٍ مِنْ أهلِ العلم، فروىٰ الخطيبُ في «تاريخه» (١٠/ ٧٧، ٧٨) وابنُ الجوزيِّ في «المناقب» (ص٤٣٦) أنَّ الحافظَ أبا بكر أحمد بن عبد الرَّحمن الشِّيرازي حدَّث بهذه المُناظرة ثمَّ قال: «الشَّيخ هو أبو عبد الرَّحمن عبدُ الله بن محمَّد بن إسحاق الأذرميّ» اهـ.

وقال الخطيب في «تاريخه» (١٠/ ٧٥): «وكان هارون الواثق بالله أشخص شيخًا من أهل أذنة للمِحنة، وناظر ابن أبي دؤاد بحضرته، واستعلىٰ عليه الشَّيخ بحجَّته فأطلَقَه الواثقُ وردَّه إلىٰ وطنِه، ويقال: إنَّه كان أبا عبد الرَّحمن الأذرميّ» اهـ.

وقال الحافظُ في «التَّهذيب» (٦/ ٥) بعد أنْ ذكر كلام الخطيب: «قلتُ: القصَّة مشهورة حكاها المسعوديّ وغيره، ورواها السَّياري في الألقاب بإسنادٍ له قال فيه: إنَّ الشَّيخ المُناظر هو الأذرميّ هذا» اهـ.

وقال السَّمعانيُّ في «الأنساب» (١/ ٦٢) في مادَّة: الآذَرْمي: «بمدِّ الألفِ وفتح الذَّال المُعجمةِ وسُكونِ الرَّاء، وفي آخرها الميم، هذه النِّسبة إلىٰ (آذَرْم)، وظنِّي أنَّها مِن قُرىٰ أذنة بلدة من الثَّغر؛ منها أبو عبد الرَّحمن عبد =

وَهَكَذَا مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ وَالأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَالرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ مِنْ تِلاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَقِرَاءَةِ أَخْبَارِهَا وَإِمْرَارِهَا كَمَا جَاءَت، فَلَا وَسَّعَ اللهُ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

إنَّ الواجبَ على المسلمين أنْ يعلمُوا أنَّ ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ من ذِكر الصِّفات الَّتي وصف الله بها نفسَه، واتِّفاقُ صفة الله مع صفة المخلوق =

الله بن محمَّد بن إسحاق الآذرميّ... » ثمَّ ترجم له، وذكر مثل كلام الخطيب.

الثَّاني: المُناظر له: وهو أحمدُ بن أبي دؤاد، القاضي الكبير أبو عبد الله أحمدُ بنُ فرج بن حريز الإياديّ البصريّ البغداديّ الجهميّ عدوّ أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلْقِ القُرآنِ، كانتْ له مَنزلةٌ ومَشورةٌ عند الخليفةِ المأمونِ والمُعتصم والواثق، وكان إلبًا على الإمام أحمد يوم المحنة، يقولُ: يا أمير المؤمنين اقتُله، هو ضالٌّ مُضلٌّ. راجع ترجمته في: «وَفَيات الأعيان» (١/ ٨١)، و«سير أعلام النُّبلاء» (١١/ ١٦٩)، و«البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣١٩)، و«شذرات الذَّهب» (٢/ ٩٣).

الثَّالثُ: الخَليفةُ الَّذي حضَر المُناظرةَ: هو الواثق بالله هارونُ بنُ محمَّد (المُعتصم بالله) بن هارون الرَّشيد العباسيّ أبو جعفر مِن خُلفاءِ الدَّولة العباسيَّة بالعراق، ولد ببغداد، ووَلِيَ الخِلافةَ بعد وفاةِ أبيه سنة (٢٢٧هـ)، فامتحَن النَّاسَ في خلْق القُرآن وسجَن جماعةً، والظَّاهرُ أنَّه تاب عن ذلك في آخر عُمره؛ كما جاء في سياق روايات القصَّة الَّتي نحن بصدد الكلام عليها، ففي آخرها قال المُهتدي بالله ابن الخليفة الواثق بالله: «فرجعتُ عن هذه المقالةِ، وأظنُّ أنَّ الواثق رجع عنها منذُ ذلك الوقت» اهـ وقد عَنونَ الحافظُ ابنُ قُدامةَ في «التَّوَّابين» (ص١٩٤) لهذه القصَّة بقوله: «توبةُ الواثقِ بالله، وابنِه المُهتدي بالله».

وقال الحافظُ ابنُ الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٣١): «وقد رُوي أنَّ الواثقَ ترَكَ امتحان النَّاس بسببِ مُناظرةٍ جرَتْ بين يديهِ رأى بها أنَّ الأَوْلَى تركُ الامتحان»، ثُمَّ ساق القصَّة بطولِها.

الرَّابعُ: البدعة التي جرتْ المُناظرةُ بسببها: هي بدعةُ القَول بخَلق القُرآن، تلك الفتنة الكُبرى الَّتي امتُحِنَ بسببِها أئمَّةٌ أعلامٌ؛ على رأسهم الإمام الرَّبانيُّ، والصِّدِّيقُ الثَّاني أحمدُ بنُ حنبل رَحِمَهُ اللهُ، انظر المصادر السَّابقة.

في الاسم لا يدلُّ على مساواتها بها في الحقيقة؛ فإذا قلنا مثلًا: إنَّ الله أثبت لنفسه يدًا، وأثبت للمخلوقين أيدي، فاتَّفقت يد الله ويد المخلوق في لفظ الاسم، ولكنَّها تختلف في الحقيقة فحقيقةُ يد الله غيرُ حقيقة يد المخلوق، فإنَّ لله يدًا تليق بجلاله، وللمخلوق يدٌ تليق بحاله، فقال جلَّ من قائل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

فالأرضون السَّبع كلُّها في قبضة الله عَزَّ وَجَلَّ، والسَّموات السَّبعُ كلُّها مَطويَّاتٌ بيمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمِن هنا نعلمُ أنَّ حقيقة صفة الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا غير حقيقة صفة المخلوق، فصفاتُ اللهِ باقيةٌ، وصفاتُ المخلوقِ فانيةٌ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وعلى هذا فَقِس غير اليدَينِ من الصِّفات(١).

فإذا وجدتَ في كتاب الله أو في سُنَّة رسول الله ﷺ شيئًا من الصِّفات أو

(١) المخلوقات فيما بينها تشترك في الاسم لصفةٍ من الصفات؛ فمثلًا صفة الوجه، نجد أنَّ الكلبَ له وجهٌ، والبعير له وجهٌ، والغزال له وجهٌ، والآدميُّ له وجهٌ، لكن هل تتشابه هذه فيما بينها؟ **والجواب**: أنَّ بينها فرقًا شاسعًا؛ فإذا انتفى التَّشابهُ في المخلوقات فيما بينها فلأن يحصل التَّباين بين الخالق والمخلوق لمن باب أولى. قال ابن خزيمة في كتابه «التَّوحيد» (١/ ٢٩، ٣٠ دار المغني ط ٢): «فنحن وجميع علمائنا مِن أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشَّام ومصر مذهبُنا أنَّا نُثبتَ لله ما أثبته الله لنفسِه، نُقرُّ بذلك بألسنتنا، ونُصدِّق ذلك بقلوبِنا، مِن غيرِ أنْ نُشبِّه وجهَ خالِقنا بوجهِ أحدٍ مِن المخلوقين، عَزَّ ربُّنا عن أن يُشبهَ المخلوقين، وجلَّ ربُّنا عن مقالة المُعطِّلين، وعزَّ أنْ يكونَ عدمًا كما قاله المُبطلون؛ لأنَّ ما لا صفةَ له: عدمٌ، تعالى الله عما يقول الجهميُّون الذين يُنكرون صفات خالقنا الَّذي وصف بها نفسَه في مُحكم تنزيلِه وعلى لسانِ نبيِّه محمَّد ﷺ» اهـ.

الأسماء، فاعلم أنَّ صفات الله تليقُ بجلاله، وصفات المخلوقين تليقُ بحالهم، أمَّا الَّذين زعمُوا أنَّ إثباتَ هذه الصِّفة أو تلك يَتضمَّن المُشابهةَ بين الخالق والمخلوق، فهؤلاء الَّذين عَطَّلوا الصِّفات عن معانيها، وهم ما عَطَّلوها عن معانيها إلَّا حين شَبَّهوها بصفات المخلوقين، فشيخ الإسلام يقول: «ما عَطَّلوا إلَّا بعد أن شَبَّهُوا»(١).

وبالتأمُّل في بعض الأسماء أو بعض الصِّفات يَتبيَّنُ لنا ذلك، أي: يَتبيَّن لنا الفرق العظيم والبَوْن الشَّاسع بين صفات الله وصفات خَلقه، فإذا وصفنا الله

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرىٰ» لابن تيمية (ص ٢٦٧ دار الصميعي ط ٢).

فالمعطِّلة ما وصلوا إلىٰ مرحلة التَّعطيل إلَّا بعْدَ أنْ مرُّوا بقنطرة التَّشبيهِ؛ فهم شبَّهوا أوَّلًا، ثُمَّ عطَّلوا، فقد حكَّموا عقولهم الفاسدةَ في نُصوصِ الأسماء والصِّفات، وقالوا: إنْ أثبتْنا لله صفةَ الوجه أو اليد ونحو ذلك، وأثبتْنا للمخلوق هذه الصِّفات، فإنَّ هذا - بحدِّ زعمهم - يستلزمُ التَّشابُهَ في هذه الصِّفات بين الخالق والمخلوق، فقالوا: إنَّ المخرجَ مِن هذَا هو نفيُ صفات الله عَزَّوَجَلَّ حتَّىٰ لا نقول بالتَّشابُه بين الله وبين عبادِه مِنَ المخلوقات.

قال شيخُنا زيد المدخليُّ في كتابه «الشُّروق علىٰ الفروق» (ص ١٩٥، ١٩٦ الميراث ط ٢) عند ذكره لمنهج المعطِّلة: «فإنَّ طريقتهم كما أسلفتُ هي إنكار أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلا، ونفيها نفيًا مجرَّدًا عن الإثبات؛ إذْ لا يُثبتون إلَّا ذات الله مجرَّدة عن كلِّ اسمٍ كريمٍ وصفةٍ كمالٍ، ضاربين بنُصُوص الكتاب والسُّنَّة عرض الحائط، مُحكِّمين عقولهم الفاسدة وشياطينهم المضلَّة التي أَمْلَتْ عليهم أنَّ إثبات الأسماء الحسنىٰ والصِّفات العلا للربِّ الكريم ربِّ السَّموات السَّبع وربِّ العرش العظيم يستلزمُ تشبيهه بمخلوقاته، كما يستلزمُ تعدُّد الذَّات بتعدُّد الأسماء والصِّفات، وهذا زعمٌ باطلٌ، وجهلٌ بالله عظيمٌ، جعلَهم لا يفرِّقون بين صفاتِ الخالق العظيم وصفات المخلوق الضَّعيف؛ إذِ القومُ لا يعلمون مِن صفات الخالق إلَّا ما فَهِمُوه من صفات المخلوق، ولو أنَّهم علمُوا أنَّ التَّشابهَ بين صفات الخالق وصفات المخلوق إنَّما هو في اللَّفظِ فقط، أمَّا الكُنْهُ والحقيقةُ فإنَّ صفات الخالق تخُصُّه وتليق بجلاله، وصفات المخلوق تخصُّه وتليق بحاله، وبذلك يسقط باطلُ أولئك الغُلاة». اهـ.

بالقُدرة، ووصفنا المخلوق بالقُدرة يجب أن نعرف الفرق بين قُدرة الخالق وقُدرة المخلوق، وإذا وصفْنا الله بالحياة ووصفنا المخلوق بالحياة، كما وصف الله نفسه بذلك، ووصف المخلوق بذلك، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فسَمَّىٰ المخلوق حيًّا، وسَمَّىٰ نفسه حيًّا، فهل حياةُ الله وحياة المخلوق - الَّتي اتَّفقت في اللَّفظ - متساويةٌ في الحقيقة؟

الجواب: لا، حياة المخلوق يُحِيط بها العدم السَّابِق والفناء اللَّاحق، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]، فمنذ خَلَق الله آدم إلىٰ زمن ولادتك أيُّها المخلوق ما كنتَ معروفًا إلَّا أنَّك مذكورٌ في اللَّوح المحفوظ، وبعد ذلك أخرجك الله للوجود، وأشار إلىٰ ذلك بقوله: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾، كذلك بعد هذا الوجود سيكون الفناء اللَّاحق الَّذي قرَّره الله جلَّ وعلا علىٰ جميع المخلوقين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، لكن حياة الله عَزَّ وَجَلَّ ليس لها نهايةٌ، ولا يكتنفها شيءٌ من ذلك.

وفي الحديث قال ﷺ: «هُوَ الأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ»[1].

وبهذا يَتَّضح الفرق بين صفات الله وصفات المخلوقين، وأسمائه وأسماء المخلوقين، وأنَّ القول الحقَّ هو ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة من إثبات

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».

هذه الصِّفات لله علىٰ الوجه اللَّائق بجلاله، فإذا وصف نفسه بأنَّ له وجهًا، أو بأنَّ له عينًا، أو بأنَّ له سمعًا، أو بأنَّ له بصرًا، أو بأنَّ له قدمًا، أو بأنَّ له يدًا، أو بأنَّ له رِجْلًا، كلُّ ذلك يجب أن نعتقد أنَّ هذه الصِّفات صفاتٌ لائقةٌ بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تُشْبِه صفات المخلوقين، ولا يجوز أن نُكيِّفها؛ إذ إنَّ حقيقتها لا يعلمها إلَّا هو، فما علَّمنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ قُلْنا به، وما لم يُعلِّمنا ربُّنا، كَفَفْنا عنه[(١)]. وفي الحديث: «حِجَابُهُ النُّورُ - أو قال: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[(٢)].

فمَن يُعطِّلون الصِّفات بزعمهم أنَّ إثباتها تشبيهٌ، فهم ضالُّون، فلا يجوز لنا أن نُعطِّل شيئًا من هذه الصِّفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ولا أن نُكيِّف شيئًا منها، ولا أن نُحرِّفَ شيئًا منها، ولا أن نُمثِّل شيئًا منها؛ بل نقول بما قال الله عَزَّوَجَلَّ ونقف، فنقول: إنَّ لله يدًا تليق بجلاله، وإنَّ لله عينين تليق بجلاله، وإنَّ لله وجهًا يليق بجلاله، وهكذا، وبالله التَّوفيق[(٣)].

---

(١) وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين في نُصُوص الأسماء والصفات بإمرارها كما جاءت من غير تحريفٍ، ولا تكييفٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تعطيلٍ؛ وهم مجمعون علىٰ هذا كما سبق من كلام ابن القيِّم.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النَّوويُّ في شرحه علىٰ مسلم (٣/ ١٣ إحياء التراث ط ٢): «فالسُّبحاتُ - بضم السِّين والباء ورفع التَّاء في آخره - وهي جمع سبحة، قال صاحب «العين» والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللُّغويِّين والمُحدِّثين: معنىٰ «سُبُحاتُ وجهه»: نوره وجلاله وبهاؤه». اهـ.

(٣) ممَّا سبق يتلخَّص لنا أنَّ المُخالفين لأهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات، هم طائفتان:

١- المشبِّهة؛ وهؤلاء غلَوا في الإثباتِ حتَّىٰ شبَّهوا الله سبحانه بخلْقِه.

٢- المعطِّلة؛ وهؤلاء غلَوا في النَّفي بزعمهم تنزيهَ الله سُبحانه عن مُشابهة المخلوق حتَّىٰ نفَوا عن الله =

الكلام على بعض صفات الله تعالى

فَمِمَّا جاءَ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمن: ٢٧]، وقولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولُهُ تعالىٰ إخْبارًا عنْ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقولُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقولُه تَعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقولُهُ تَعالىٰ في الكُفَّارِ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمَّد: ٢٨]، وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التَّوبة: ٤٦].

وَمِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيا»[1]، وَقَوْلُهُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[2]، وَقَوْلُهُ: «يَضحَكُ اللهُ إِلَىٰ

=

سبحانه أسماءَه الحسنىٰ وصفاته العُلا.

وكلٌّ من المشبِّهة والمعطِّلة علىٰ طرفَي نقيضٍ؛ وكلّهم علىٰ خطرٍ عظيمٍ، يقولُ بعض السَّلف: المشبِّهُ يعبدُ صنمًا، والمعطِّل يعبدُ عدمًا، والله المستعان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: «فإنَّ الفرقةَ النَّاجيةَ (أهل السُّنَّة والجماعة) يُؤمنون بذلك، كما يُؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، بل هم الوسط في فرق الأمَّة، كمَّا أنَّها هي الوسط بين الأمم، فهم وسطٌ في باب صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين أهل التَّعطيل الجهميَّة وأهل التَّمثيل المُشبِّهة» اهـ.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١) (١٧٤٠٩)، وابنُ أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥٧١)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (٨٥٣)، من حديث عُقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» رقم (٢٨٤٣).

رَجُلَينِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ثُمَّ يَدخُلانِ الجَنَّةَ»[(١)].

فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، ولا نَرُدُّهُ، ولا نَجْحَدُهُ، ولا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَه، ولا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ المَخلُوقِينَ، ولا بِسِماتِ المُحْدَثِينَ، ونَعلَمُ أَنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالَى لا شَبِيهَ لَهُ، ولا نَظِيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وكُلُّ ما تُخُيِّلَ فِي الذِّهْنِ أَوْ خَطَرَ بالبَالِ، فإِنَّ اللهَ تَعالَى بِخِلافِه.

ومِنْ ذَلِكَ قَولُهُ تَعالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ»[(٢)]، وَقَالَ لِلجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّماءِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، رَوَاهُ مالِكُ بنُ أَنَسٍ، ومُسلِمٌ، وغيرُهُما مِنَ الأَئِمَّةِ[(٣)].

وقالَ النبيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إِلهًا تَعبُدُ؟»، قَالَ: سَبْعَةً: سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّماءِ، قَالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟»، قَالَ: الَّذِي فِي السَّماءِ، قَالَ: «فَاتْرُكِ السِّتَّةَ وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّماءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ»، فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ولفظه عند البُخاريّ: «يَضحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدخُلانِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (٢٠١٣): ضعيفٌ جدًّا.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٧٦ عبد الباقي)، ومسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وَفيمَا نُقِلَ مِنْ علاماتِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمةِ: «أنَّهم يَسْجُدون بالأرْضِ، ويَزْعُمُونَ أنَّ إِلَهَهُمْ في السَّمَاءِ»(١).

وَرَوَىٰ أَبُو دَاودَ في «سُنَنِهِ»: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةَ كذَا وكذَا - وذَكَرَ الخَبَرَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: - وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ»(٢).

---

(١) أخرجه المصنِّف في «إثبات صفةِ العُلوِّ» (ص٥١ - ٥٢)، ومِن طَريقه الذَّهبيُّ في «العُلوّ» (٣٤ رقم٦٠ - أشرف)، من طريق الأموي في «المغازي»، عن عدي بن عميرة الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصَّة، وفيها: قَالَ عَدِيٌّ: «فَوَاللهِ مَا مَكَثْنَا إلا يَسِيرًا حَتَّىٰ بَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَدْ تَنَبَّأَ، وَسَجَدَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَذَكَرْتُ حَدِيثَ ابْنِ شَهْلَا، فَخَرَجْتُ مُهَاجِرًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ يَسْجُدُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُمْ فِي السَّمَاءِ، فَأَسْلَمْتُ وَاتَّبَعْتُهُ». قال الذَّهبيُّ: «غريب».

(٢) يُشير ابنُ قُدامة رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ حديث الأوعال المشهور، وقد أخرجه أحمد (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، والحاكم (٣١٣٧)، وأبو يعلىٰ (٦٧١٣)، وابن أبي عاصم في «السنَّة» (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٤ - ٢٣٥ الشهوان)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٣ و٦٦٤ و٦٦٥)، وابن منده في «التوحيد» (١/ ٦٣ - ٦٤ رقم ٤٢ الفقيهي)، وابن بطة في «الإبانة» (٧/ ١٤٨ - ١٥٠ رقم١٠٧)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٨/ ٣٧٣ - ٣٧٧)، وغيرهم، عن العبَّاس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولفظه عند أحمد والحاكم وأبي يعلىٰ: عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟»، قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: «وَالْمُزْنُ» قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «وَالْعَنَانُ»، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالَ: قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ».

ولفظ أصحاب السُّنن والآخرين نحوه إلَّا أنَّه ذكر أنَّ بين السَّماء والَّتي تليها ثنتين أو ثلاثًا وسبعين سنةً، وليس فيه: «وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ». وهذا الحديث اختلف أهل العلم في ثبوته؛ فحسَّنه التِّرمذيُّ، وأورده ابنُ خزيمة في كتاب «التَّوحيد» الَّذي شرَط أنْ لا يُورد فيه إلَّا ما اتَّصل سندُه وعُدِّلت =

فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ - رَحِمَهم الله - علىٰ نَقْلِهِ وقَبُولِهِ، ولَم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ ولا تَأْوِيلِهِ، ولا تَشْبِيهِهِ، ولا تَمْثِيلِه، سُئِلَ الإمَامُ مالك بنُ أنسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقِيلَ: يا أَبَا عبدِ الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟!

فَقَالَ: الاسْتِواءُ غَيْرُ مَجهُولٍ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخْرِجَ»(١).

الشرح:

مِمَّا جاء في آيات الصِّفات قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]،

= نقلته، وحكم ابنُ منده باتِّصال إسناده، وأورده الضِّياء في «الأحاديث المختارة»، وحسَّنه شيخ الإسلام ابنُ تيمية في «العقيدة الواسطيَّة»، ودافع عنه في «المناظرة الواسطية» كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٩١ - ١٩٢)، ودافع عنه ابنُ القيِّم في «تهذيب السُّنن» (١٣/ ٥ - ٦ بحاشية العون)، وردَّ علىٰ من ضعَّفه.

وأشار البخاريُّ إلىٰ انقطاعٍ في سنده كما في «التَّاريخ الكبير» (٥/ ١٥٩)، وتابعه العقيليُّ في «الضُّعفاء» (٢/ ٢٨٤)، وذكر الذَّهبيُّ في «العلوّ للعليِّ الغفَّار» (ص٦٠) أنَّ في سندِه مجهولًا. وضعَّفه الألبانيُّ في «الضَّعيفة» (١٢٤٧).

وأمَّا اللَّفظُ الَّذي ذكره ابنُ قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فله شاهد من قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا؛ رواه الطبرانيُّ (٨٩٨٧)، والدَّارمي في «الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة» (٨١)، وابنُ خزيمة في كتاب «التَّوحيد» (١/ ٢٤٢ - ٢٤٤)، وابنُ بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ١٧١ - ١٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصِّفات» (٨٥١)، وأبو الشَّيخ في «العظَمة» (٢٧٩)، واللَّالكائيُّ في «شرح أصول أهل السُّنَّة» (٦٥٩). وقال الذَّهبيُّ في «العلوّ» (١٠٣ - مختصر الألباني): «إسنادُه صحيحٌ»، وعزاه الهيثميُّ في «المجمع» (١/ ٨٦ - القدسي) للطَّبراني، وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(١) أخرجه اللَّالكائيُّ في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٤١ طيبة) (رقم: ٦٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥ السعادة)، والدَّارمي في «الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة» (ص ٦٦ ابن الأثير)، وقال الذَّهبيُّ في «العلوّ» (ص ١٩٣ أضواء السلف): «هذا ثابتٌ عن مالكٍ»، وجوَّد إسنادَه الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة). وصحَّحه الألبانيُّ في «مختصر العلوّ»: ص (١٤١ - ١٤٢).

هذه الآية فيها إثبات صفة الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والوجهُ صفةٌ ذاتيَّةٌ يجب علينا أن نؤمنَ بها ونُمِرَّها كما جاءت، وهكذا سائر الصِّفات نُمِرُّها كما جاءت من غير تكييفٍ، ولا تأويلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ.

والصِّفات تنقسم إلىٰ قسمين: صفاتٌ ذاتيَّةٌ، وصفاتٌ فعليَّةٌ؛

فالصِّفات الذَّاتيَّة: كصفة الوجه، وصفة اليدين، وصفة النَّفْس، وما أشبه ذلك.

والصِّفات الفعليَّة: كصفة المجيء، وصفة الغضب، وصفة الضَّحِك، وما أشبه ذلك[١].

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ في صفة ربِّه، قال: «**يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»[٢]، وفي حديثٍ آخر: «**يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لا يَغِيضُهَا**[٣] **نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**[٤]، **وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ...**»[٥].

وصفةُ النَّفس أثبتها الله - جلَّ وعلا - لنفسه، وأخبر عن نَبيِّه عيسىٰ أنَّه أثبتها

---

(١) قال الشَّيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التَّعليق المختصر علىٰ لُمعة الاعتقاد» (ص ٢٥، ٢٦ أضواء السَّلف ط ٣): «الصِّفات الثُّبوتيَّة تنقسم إلىٰ قسمَين: ذاتيَّة وفعليَّة: فالذَّاتيَّة هي الَّتي لم يزل ولا يزال مُتصفًا بها؛ كالسَّمع والبصر.

والفعليَّة هي الَّتي تتعلَّق بمشيئته؛ إنْ شاء فعَلَها، وإنْ شاء لم يَفعلْها؛ كالاستواء علىٰ العرش والمجيء.

وربَّما تكونُ الصِّفة ذاتيَّة فعليَّة باعتبارَين؛ كالكلام فإنَّه باعتبار أصل الصِّفة: صفة ذاتيَّة؛ لأنَّ الله لم يزل ولا يزال مُتكلِّمًا، وباعتبارِ آحادِ الكلامِ صفة فعليَّة؛ لأنَّ الكلام متعلِّق بمشيئته؛ يتكلَّم بما شاءَ ومتىٰ شاءَ» اهـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أي: لا ينقصها، انظر: «كشف المشكل من حديث الصَّحيحين» لابن الجوزي (٣/ ٥١١ الوطن).

(٤) السَّحُّ: الصَّبُّ الدَّائمُ، انظر المصدر السَّابق.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

له بقوله في الآية الَّتي في آخر سورة (المائدة): ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وفي حديثِ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والَّذي فيه صفة النَّاس الَّذين تقوم عليهم السَّاعة، وأنَّهم - والعياذ بالله - تشيع فيهم الفواحش، وعدم الخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال في نفس الحديث: «تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ»[1]، ففي هذا الحديث إثبات صفة النَّفس لله عَزَّوَجَلَّ[2].

فهذه الصِّفة وغيرها؛ كإثبات الأصابع، وإثبات الكفِّ، وإثبات الرِّجل، وإثبات القَدَم، وإثبات السَّاق، هذه كلُّها صفاتٌ ذاتيَّةٌ.

أمَّا قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ففيها صفة إتيان الله، وهي صفة فعليَّةٌ، وكذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، فصفةُ المَجيء له عَزَّوَجَلَّ صفةٌ فعليَّةٌ، وكذلك قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الجامع» (٣٢٥٩)، والحديث بتمامه: عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ».

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٩): «فقد أخبر أنَّ خيرَ أهلِ الأرض ألزمُهم مهاجرَ إبراهيم بخلاف مَن يأتي إليه أو يذهب عنه، ومهاجرُ إبراهيم هي الشَّام. وفي هذا الحديث بشرىٰ لأصحابنا الَّذين هاجروا من حران وغيرها إلىٰ مهاجرَ إبراهيم، واتَّبعوا ملَّة إبراهيم ودين نبيِّهم محمَّد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم تسليمًا، وبيان أنَّ هذه الهجرة الَّتي لهم بعْدَ هجرةِ أصحاب رسول الله ﷺ إلىٰ المدينةِ؛ لأنَّ الهجرةَ إلىٰ حيثُ يكونُ الرَّسول وآثاره، وقد جُعِلَ مهاجرُ إبراهيم يعدلُ لنا مُهاجر نبيِّنا ﷺ، فإنَّ الهجرةَ إلىٰ مهاجَرِه انقطعَتْ بفتح مكَّة» اهـ.

(٢) قال الإمامُ البغويُّ في «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٢١٠): «وقوله: «تَقْذرهُم نفس الله» تأويله: أنَّ الله يكره خروجَهم إليها ومقامهم بها، فلا يوفِّقهم لذلك، فصاروا بالرَّدِّ كالشَّيء يقذره نفس الإنسان فلا يقبلُه، وهذا مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوبة: ٤٦]».

وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، هذه صفة المحبَّة، وهي صفةٌ ذاتيَّةٌ فعليَّةٌ.

وكذلك: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٦]، صفة الغضب، وكذلك قوله: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]، صفة السُّخط، وكذلك في قوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، صفة الكُره، فهذه كلُّها صفاتٌ فِعليَّةٌ.

ومن السُّنَّة قوله ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا»(١)، صفة النُّزول وهي صفةٌ فعليَّةٌ.

وقوله: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ (٢)»(٣): العَجَبُ صفةٌ فعليَّةٌ، ويمكن أن يُقَال: فعليَّةٌ ذاتيَّةٌ؛ كالضّحك والكلام، وما أشبه ذلك.

وقوله: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ»(٤): فيه صفةُ الضَّحِك.

قوله: «فهذا وما أشبهه ممَّا صحَّ سنده، وعُدِّلَت رُوَاتُهُ نؤمن به»: الإيمان صفةٌ قلبيَّةٌ، ولا يتمُّ للعبد إسلامه وإيمانه إلَّا بذلك.

قوله: «ولَا نَرُدُّهُ ولا نَجحدُهُ»: الرَّدُّ كما يفعل المُعطِّلة ويزعمون أنَّهم يُنزِّهون الله، وكذلك الجحد(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الصَّبوةُ: الميلُ إلىٰ الهوىٰ. والمعنىٰ: أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يعجبُ أنَّ هذا الشَّاب ليس له هوًىٰ؛ لحُسن اعتيادِهِ للخيرِ وقوَّة عزيمته في البُعد عن الشَّرّ، وذلك في حال الشَّباب الَّذي هو مظنَّة لضدِّ ذلك، انظر: «التَّيسير بشرح الجامع الصَّغير» للمناوي (١/ ٢٦٢ الشَّافعيّ).

(٣) تقدّم تخريجه.

(٤) تقدّم تخريجه.

(٥) أي أنَّهم رَدُّوا نصوص الأسماء والصِّفات، فلم يقبلوها، ولم يُؤمنوا بها، بل جحدوها.

قال: «ولا نَتأوَّله بتأويلٍ يخالف ظاهره، ولا نُشبِّهه بصفاتِ المخلوقين»، كلُّ هذا يجب ألَّا يكون في صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: «ولا بِسِمَاتِ المُحْدَثِينَ»؛ يعني: لا نُشبِّهه بصفات المخلوقين، ولا بِسِماتِ النَّاس المخلوقين، والأصل في هذا - كما سبق - أنَّ الواجب علينا أن نؤمن بأنَّ لله صفاتٍ لا تُشبِه صفاتِ المخلوقين، كما أنَّ له ذاتًا لا تُشبِهُ ذوات المخلوقين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

قال: «وكلُّ ما تُخُيِّلَ في الذِّهن أو خطر بالبال فإنَّ الله بخلافه»؛ يعني: كون هذا الذِّهن الضَّعيف يَتصوَّر صفة الله عَزَّوَجَلَّ هذا غير صحيحٍ، بل إنَّ صفة الله لا يستطيع العبد أن يَتصوَّرها؛ لأنَّه لا يعلم كُنْه ذاته إلَّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، فالاستواء معروفٌ في اللُّغة العربيَّة، ولهذا ردَّ مالكٌ علىٰ الَّذي قال: كيف استوىٰ؟ قال: «الاسْتِواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ، وأنت رجلُ سوءٍ، أخرجوه»(١).

---

(١) تقدَّم تخريجه.

وهذا الأثر المرويُّ عن الإمام مالكٍ هو ممَّا تابع الأئمَّة علىٰ قَبولِه وتلقِّيه؛ وهو قاعدةٌ جليلةٌ في باب الأسماء والصِّفات؛ قال الإمام أبو سعيدٍ الدَّارميُّ في «الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة» (ص ٦٦ ابن الأثير): «وصدَق مالكٌ، لا يُعْقَلُ منه كيف، ولا يُجهَلُ منه الاستواء، والقرآنُ ينطقُ ببعض ذلك في غير آيةٍ» انتهىٰ.

وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٢٠): «وقول مالكٍ مِن أنبلِ جوابٍ في هذه المسألةِ وأشدِّه استيعابًا؛ لأنَّ فيه نبذَ التَّكييفِ وإثباتَ الاستواءِ المعقولِ، وقد ائتمَّ أهلُ العلم بقوله، واستجادُوه واستحسنُوه».

وقال أيضًا في (١٣/ ٣٠٩): «وقد تلقَّىٰ النَّاسُ هذا الكلام بالقَبول، فليس في أهل السُّنَّة مَن يُنكرُه» انتهىٰ.

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب إيراده لهذا الأثر: «فبيَّن أن الاستواء معلوم، وأنَّ كيفية ذلك مجهول، وهكذا يقال في كل ما وصف الله به نفسه» انتهىٰ.

=

فالمهمُّ: أنَّ القاعدة في إثبات الصِّفات: هو أن نُثبِتَ لله عزوجل صفاتٍ تختلف عن صفات المخلوقين؛ أي: بأنَّها تليق بجلاله، كما أنَّ صفات المخلوقين تليق بحالهم الضَّعيف، وخِلْقَتِهم الضَّعيفة، وبالله التَّوفيق.



= وهناك رسالةٌ بعنوان: «الأثرُ المشهورُ عن الإمام مالكٍ في صفة الاستواءِ، دارسةٌ تحليليَّة» للدُّكتور عبد الرَّزَّاق البدر؛ فليرجع إليها مُريدُ البسط عن هذا الأثر.

كلام الله تعالى

وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ قَدِيمٍ، يَسْمَعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَى عليه السلام مِنْهُ مِنْ غَيرِ وَاسِطَةٍ، وسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلائكتِهِ، وَرُسُلِهِ.

وَأَنَّه سُبْحَانَه يُكَلِّمُ المُؤمِنِينَ فِي الآخِرَةِ، ويُكَلِّمُونَهُ، ويَأْذَنُ لهم فَيَزُورُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقَالَ سُبْحَانَه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقَالَ سُبْحَانَه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وقَالَ سُبْحَانَه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ - ١٢]، وقَالَ سُبحَانَه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، وغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ.

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعُودٍ رضي الله عنه: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّماءِ»، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم[1].

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرى» (٥/٢٣٩) (١٦)، والبخاريُّ معلقًا (٩/١٤١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا، حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، نَادَى أَهْلُ السَّمَاءِ أَهْلَ السَّمَاءِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ، قَالَ: كَذَا وَكَذَا»، وأخرجه أبو داود (٤٧٣٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ،

لا يقولُ أحدٌ: إنَّه شعرٌ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولا يجوزُ أنْ يَتحدَّاهُمْ بالإتيانِ بمِثْلِ ما لا يُدرَىٰ ما هُوَ ولا يُعْقَلُ.

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥]، فأثْبَتَ أنَّ القُرْآنَ هُوَ الآياتُ الَّتي تُتْلىٰ عليْهِمْ.

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، بَعْدَ أنْ أَقْسَمَ علىٰ ذٰلِكَ، وقال تعالىٰ: ﴿كهيعص ﴿١﴾﴾ [مريم: ١]، ﴿حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾﴾ [الشورىٰ: ١ - ٢]، وافْتتَحَ تِسْعًا وعِشْرينَ سُورةً بالحروفِ المقطَّعَةِ.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»، حديثٌ صحيحٌ[1]، وقال عليه

---

(١) أخرجه البيهقيُّ في «الشُّعَب» (٢/ ٤٢٨ العلميَّة) (٢٢٩٦) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والطبراني بنحوه في «الأوسط» (٧/ ٣٠٧) (٧٥٧٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضَّعيفة» (٢٣٤٨): «موضوع»، وقال أيضًا في «الضَّعيفة» (٦٥٨٤): «تنبيه: أورد ابن قدامة المقدسي هذا الحديث في رسالته «لمعة الاعتقاد» (ص ١٩) بلفظ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»! وقال فيه: «صحيح»! قلتُ: وهذا غريبٌ جدًّا؛ فإنَّه لا أصلَ له بهذا اللَّفظ مُطلقًا في شيءٍ مِن طرُقه الَّتي وقفْنا عليها، وقد تقدَّم تخريجها وبيان عللها، فكيف مع ذلك يصحِّحه؟! فأخشىٰ أنْ يكون مدسوسًا عليه» اهـ، وقد ورَد في فضل قراءة القُرآن عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديثٌ آخرُ قريبٌ من هذا بلفظ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَلا أَقُولُ =

الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اقرَؤوا القُرْآنَ قَبلَ أنْ يَأتِيَ قَومٌ يُقيمُون حُروفَهُ إقامَةَ السَّهمِ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، يَتَعجَّلُونَ أجْرَهُ ولا يَتَأجَّلُونَهُ»(١).

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِعْرابُ القُرْآنِ أَحبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بعْضِ حُرُوفِهِ»(٢)، وقالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ»(٣).

واتَّفَقَ المسلمون علىٰ عَدِّ سُوَرِ القرآنِ وآياتِهِ وكلِماتِهِ وحُروفِهِ(٤)، ولا

(الٓمٓ) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» أخرجه الترمذيُّ (٢٩١٠) مرفوعًا، وصحَّحه الألباني في «صحيح وضعيف سنن التِّرمذي».

(١) أخرجه إسحاق ابن راهويه (١٣/ ٥٩١ رقم ٣٢٦٦ - المطالب العالية) وأبو بكر ابن أبي شيبة وعبدُ بن حُمَيد (٢٧٣/ ٢ - إتحاف)، والآجريُّ في «أخلاق حملة القرآن» (٢٩)، عن سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال البوصيريّ: «هذا إسناد مدارُه علىٰ مُوسىٰ بنِ عُبيدةَ، وهو ضعيفٌ».

وللحديث طريقٌ آخر عند أبي داود (٨٣١)، ولفظه: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْتَرِئُ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كِتَابُ اللهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الْأَحْمَرُ وَفِيكُمُ الْأَبْيَضُ وَفِيكُمُ الْأَسْوَدُ، اقْرَءُوهُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَوَّمُ السَّهْمُ يَتَعَجَّلُ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُهُ». وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٧٨٤). وانظر: «الصَّحيحة» (٢٥٩).

(٢) ذكره المتَّقي الهندي في «كنز العمال» (٢/ ٣٣٦) (٤١٧٦) عن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن يزيد قال: «قال أبو بكر وعمر: لبعضُ إعرابِ القُرآنِ أَحبُّ إلينا مِن حِفْظِ بعضِ حُروفِه»، وقال: رواه ابن الأنباري في «الإيضاح».

(٣) لم نجد هذا الأثر عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو مرويٌّ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه بنحوه عبد الرَّزَّاق في «مُصنَّفه» (١٦٩٦٣)، وابن جرير في «تفسيره» (١/ ٥٥، رقم ٥٨ الرِّسالة)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٢/ ٤٣٦ - ٤٣٨ - آل حميد)، والبيهقيُّ في «السُّنن الكبرىٰ» (١٩٩٠١)، والهرويُّ في «ذم الكلام» (٢/ ٢١ رقم ١٨٠)، واللالكائيُّ في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٢٥٨ رقم ٣٧٩)، عن عبد الله قال: «مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ بِكُلِّ آيَةٍ يَمِينٌ، وَمَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ - وفي رواية: بآية منه -؛ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ أَجْمَعَ».

وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٢/ ٢٠ رقم ١٧٩)، من طريق أخرىٰ عن عبد الله بلفظ المصنِّف. وصحَّحه شيخُ الإسلام في «التِّسعينيَّة» (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ المعارف).

(٤) انظر: «المُناظرة في القرآن» لابن قدامة (ص ٤٠ الرُّشد)، و«البرهان» للزَّركشي (١/ ٢٤٩ أبو الفضل)

خِلافَ بيْن المُسلمين في أنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً أو آيَةً أو كلِمَةً أو حرْفًا مُتَّفقًا عليْه أنَّه كافِرٌ(١)، وفي هذا حُجَّةٌ قاطِعَةٌ علىٰ أنَّهُ حُروفٌ.

الشرح:

كلامُ الله صفةٌ من صفاته، وهو من الصِّفات الفعليَّة الذَّاتيَّة(٢)، وأهلُ السُّنَّة والجماعة يقولون: إنَّ الله يَتكلَّم بكلامٍ قديمِ النَّوع، حادثِ الآحاد، فيجب أن نؤمن بذلك، فنؤمن بأنَّ ربَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كاملٌ، يتكلَّم إذا شاء، فيأمر بما يأمر، ويَنهىٰ عمَّا أراد النَّهي عنه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ٩ - ١١]؛ والشَّاهدُ قولُه: ﴿فَقَالَ لَهَا﴾،

=

و«الإتقان» (١/ ٢٢٥ و٢٣٢ أبو الفضل).

(١) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» للقاضي عياض (٢/ ٣٠٤ الفكر)، و«روضة الطالبين» للنووي (١٠/ ٦٤ المكتب الإسلامي).

(٢) سُئل الشَّيخ حافظٌ الحكميّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن صفةِ الكلام هل هي ذاتيَّة أو فعليَّة، فأجاب: «أمَّا باعتبار تعلُّق صفةِ الكلام بذاتِ الله عَزَّوَجَلَّ واتِّصافه تعالىٰ بها، فمن صفاتِ ذاته؛ كعلمه تعالىٰ، بل هو مِن علمِه وأنزلَه بعلْمِه، وهو أعلمُ بما يُنزلُ، وأمَّا باعتبارِ تكلُّمه بمشيئتِه وإرادتِه فصفةُ فعل، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بالأَمْرِ تَكَلَّمَ بالوَحْيِ... » الحديث.

ولهذا قال السَّلف الصَّالح - رحمهم الله - في صفة الكلام: إنَّها صفةُ ذاتٍ وفعل معًا، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزَلْ ولا يَزالُ مُتَّصفًا بالكلام أزلًا وأبدًا، وتَكلُّمُه وتكليمُه بمشيئتِه وإرادتِه، فيتكلَّمُ إذا شاء، متىٰ شاء، وكيف شاء؛ بكلامٍ يسمعه مَن يشاء، وكلامه صفتُه: لا غاية له ولا انتهاءَ». انتهىٰ من كتاب «أعلام السُّنة المنشورة» (ص٤٦ - ٤٧ الوزارة).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

وإنَّ أهل الضَّلال يَنفُون عن الله صفة الكلام؛ لأنهم يزعمون أنَّ ذلك يكون فيه مشابهةٌ للمخلوقين؛ فمنهم مَن يقول: القرآنُ عبارة عن كلام الله(١)، ومنهم مَن يقول غير ذلك تَخرُّصًا منهم(٢)، ولو كان هؤلاء لهم عقولٌ، لَعَلِموا أنَّ النَّقص هو ما نسبوه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهو عدم القدرة علىٰ إيصال ما يطلبُه ويُريدُه مِن عبادِه، ولو أنَّ قومًا أرادوا أن يُملِّكوا ملكًا عليهم، فاختاروه أبكَمَ لا يتكلَّم، وأعمىٰ لا يُبصر، وأصمَّ لا يَسمَع، وضعيف الفهم لا يفهم. أيكونون قد أصابوا؟ الجواب: لا، أفمَن يكون خالقًا وربًّا ومُدبِّرًا لهذا الكون بكلِّ ما فيه من مخلوقاتٍ في السَّموات والأرض، يكون غيرَ قادرٍ علىٰ الكلام؟! الجواب: لا، واللهُ عَزَّوَجَلَّ قد أخبر عن نفسه بأنَّه يتكلَّم، وبأنَّه يقول فيُسمَعُ قوله، ويُطَاع ويَنفُذ.

فالحقُّ ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة بقولهم: إنَّ الله يتكلَّم بكلامٍ قديمِ النَّوع، حادثِ الآحاد - يعني: كُلَّما بدت الحاجة إلىٰ شيءٍ، تكلَّم به، وأمر به، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ [الشعراء: ٥]، فكلمة «مُحْدَث» هنا يعني بالنِّسبة للمخلوقين، أمَّا صفة الكلام الَّذي يتَّصف به ربُّنا تعالىٰ فهو قائمٌ بذاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد نسب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القرآن إلىٰ نفسِهِ، وأخبر أنَّه كلام الله، قال جلَّ من

(١) كالأشاعرة ومَن نَحا منحاهم.

(٢) أي: اختلاقًا وكذبًا.

قائل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، والمرادُ بسماع كلام الله؛ أي: حتَّىٰ يسمع القرآن، فالقرآنُ كلامُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أوحَاهُ الله إلىٰ جبريل، وجبريلُ بلَّغه إلىٰ نبيِّنا ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وبالله التَّوفيق.



رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخِرَةِ بأبْصارِهِم، ويَزُورُونَهُ، ويُكَلِّمُهُم ويُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]؛ فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ دَلَّ علىٰ أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حالِ الرِّضَا وإلَّا لم يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيه[1]، وهَذَا تَشبِيهٌ للرُّؤيةِ بالرُّؤيةِ لا لِلمَرئيِّ بِالمَرئيِّ، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ لا شَبِيهَ لهُ وَلَا نَظِيرَ.

الشرح:

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ امتنَّ علىٰ المؤمنين بمعرفته في الدُّنيا وعبادته، وامتنَّ عليهم بأَن يُمكِّنهم من رؤية وجهه في الجنَّة، وكذلك في عَرَصات القيامة، أمَّا الكافرون الَّذين حُجِبوا عن معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الدُّنيا، فإنَّهم يحجبون أيضًا عن رُؤيته في الآخرةِ.

وقد سأَلَ الصَّحابةُ الرَّسولَ ﷺ: هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة؟ قال: «نَعَمْ، إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٥٤)، ومسلمٌ (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحاديثُ الرُّؤية هي مِن قَبِيلِ المتواتر المقطوع به عند أهل السُّنَّة والجماعةِ؛ يقول شارح «الطَّحاوية» (١/ ٢١٥ الرسالة): «وأمَّا الأحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ وأصحابه الدَّالَّة علىٰ الرُّؤية فمتواترةٌ، رواها أصحاب الصِّحاح والمسانيد والسُّنن».

دُونَهَا سَحَابٌ»(١)، وهذا تشبيهٌ للرُّؤية بالرُّؤية لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، فكما أنَّنا نرىٰ القمر، أي: كُلُّ واحدٍ منَّا يراه من مكانه، لا يحتاج إلىٰ أن ينضمَّ بعضنا إلىٰ بعض في رؤيته، فكذلك أيضًا نرىٰ ربَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة.

قوله ﷺ: «**كَمَا نَرَىٰ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»؛ يعني: ليلة أربع عشرة، وخمس عشرة؛ لأنَّ الضَّوء فيها يكون كاملًا.

وكذلك أيضًا يُمكِّنهم من رؤيته، ويكشف لهم عن وجهه في الجنَّة، ويزورونه في يوم المزيد كما ورد في بعض الأحاديث(٢)، وإن كان قد قيل في ذلك الحديث شيءٌ من القول، ولكن لا يتنافىٰ مع ما هو معروفٌ من سائر النُّصوص الشَّرعيَّة، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاريُّ (٨٠٦) ومسلمٌ (١٨٢) بطُوله عن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ...» الحديث.

(٢) انظر هذه الأحاديث في كتاب «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح» لابن القيِّم (٢/ ٥٧٦ وما بعدها) - طبعة المجمع -، فقدْ عقَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الباب الحاديَ والسِّتِّين في ذِكر زيارةِ أهلِ الجنَّة ربَّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

القضاء والقدر

ومِنْ صِفاتِ اللهِ تعالى أنَّهُ الفعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لا يَكُونُ شَيءٌ إلَّا بإرادتِهِ، ولا يَخرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، ولَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ ولا يَصْدُرُ إلَّا عَنْ تَدبيرِهِ.

ولا مَحِيدَ عَنِ القَدَرِ المقدورِ، ولا يتجاوَزُ ما خُطَّ في اللَّوحِ المَسْطورِ، أراد ما العالَمُ فاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُم لمَا خالَفُوهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأطاعُوهُ.

خلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم، وقَدَّرَ أرْزاقَهُم وآجالَهُم، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ بِحِكْمَتِهِ، قال اللهُ تعالَى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقَالَ تَعالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، وقَالَ تَعالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقَالَ تَعالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ: أنَّ جِبرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ للنَّبيِّ ﷺ: مَا الإيمانُ؟ قَالَ: «أنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، فَقَالَ جِبريلُ: صَدَقْتَ، رواه مسلمٌ[(١)]. وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «آمنْتُ بالقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ

---

(١) أخرجه مسلم بطوله (٨) في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، وسيذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أثناء الشَّرح.

وَمُرِّهِ»[(١)]. وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذي علَّمَهُ الحسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»[(٢)].

ولَا نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ واجْتِنابِ نَوَاهِيه، بل يجبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ لله علينَا الحُجَّةَ بإنزَالِ الكتُبِ، وبَعْثَةِ الرُّسُلِ، قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ونَعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أَمَرَ ونَهىٰ إلَّا المُستطيعَ للفِعْلِ والتَّرْكِ، وأنَّه لمْ يُجْبِرْ أَحَدًا علىٰ معصيةٍ، ولا اضْطرَّهُ إلىٰ تَرْكِ طَاعَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَالَ تَعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، فَدَلَّ علىٰ أنَّ للعبْدِ فِعْلًا وكَسْبًا، يُجْزَىٰ علىٰ حَسَنِهِ بالثَّوابِ، وعلىٰ سَيِّئِهِ بالعِقابِ، وهو واقِعٌ بقَضَاءِ الله وقَدَرِه.

الشرح:

خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ العباد، وقضىٰ فيهم وعليهم ما قضاه، ولا بدَّ أن يَنْفُذَ قضاؤه،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٧٠) (٣٠٤٢٩) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وسؤاله النَّبيّ ﷺ عن الإسلام والإيمان، وفيه: «... فما الإيمانُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «تُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَبِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ»، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنَّة» (١٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) والنَّسائيّ (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، عن الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ في الوِتْرِ في القُنُوتِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»؛ وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصل صفة الصَّلاة» (٣/ ٩٧٥)، و«صحيح وضعيف سنن أبي داود».

فهو الَّذي قضىٰ بالكفر وبالفسوق، شاء ذلك كَونًا، ومَنَعَهُ شَرعًا.

وأهلُ السُّنَّة يقسمون المشيئة والإرادة إلىٰ قسمين:

١- إرادةٌ كونيَّةٌ. ٢ - إرادةٌ شَرعيَّةٌ.

فالإرادة الكونيَّة: هي الَّتي يدخلُ فيها الإيمان والكفر، والطَّاعة والمعصية، والبرُّ والفسوق، وهذه الإرادة هي الَّتي كَتَبَها الله في اللَّوح المحفوظ قبل أن يخلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ. قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1]، فكلُّ إنسانٍ قَد قضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما له وما عليه من الأعمال والنِّيَّات والأمور، والَّتي لا بدَّ أنْ تصدرَ منه.

ولو قُلْنا وأجزنا أنَّه يصدر في الكون شيءٌ غير إرادة الله عَزَّوَجَلَّ لكانَ في ذلك نقصٌ، لأنَّنا نجيز أن يحصل في ذلك الكون ما لا يريده، فيحصل أنَّه مغلوبٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف: ٢١]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، فهو الَّذي يُجرِي فيهم أَقدارَه.

والحُجَّة لله سبحانه علينا، ولا يجوز لأحدٍ من النَّاس أن يحتجَّ بالقدر؛ ذلك لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعطىٰ النَّاس اختيارًا، وجعل لهم قدرةً علىٰ اختيار ما يريدون، وابْتَلاهُم مع ذلك بالشَّيطان، وابْتَلاهُم بقرناء السُّوء، وابْتلاهُم بالشُّبُهات، وابتلاهُم بالشَّهوات، وابْتلاهُم بالأطماع، وابْتلاهُم بالأهواء، فمِن

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٧) (٢٢٧٥٧) واللَّفظ له، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩) من حديث عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح التِّرمذي» (٢٦٤٥).

أجل ذلك يحصل ما يحصل من الكفر والعصيان.

وقد هلك في القَدَر خَلْقٌ كثيرٌ؛ فالقدريَّةُ نوعان:

١- القدريَّة النُّفاة: الَّذين يقولون: إنَّ الإنسان يخلق الشَّرَّ، واللهُ يخلق الخير، بزعمهم أنَّ الله لا يمكن أن يُقدِّر الكفر ويعاقب عليه. وهذا ما ذهب إليه القَدَريَّة النُّفاة، وأوَّل مَن قال بهذا القول: واصل بن عطاءٍ، وعمرو بن عبيدٍ.

٢- القدريَّة الغُلاة: الَّذين يقولون: إنَّ الإنسان غير مُخيَّرٍ، وإنَّما هو مُسيَّرٌ، ويجعلونه بمنزلة الحَجَر الَّذي يُدَهْدَهُ، والغصن الَّذي يُحَرَّكُ، فالحَجَر إذا تَدَهْدَه من علوٍّ إلىٰ أسفل فإنَّه يتدهده بنفسه، وهؤلاء هم القَدَريَّة المُجَبِّرة.

والحقيقة أنَّ الإنسان يعلم من نفسه بطلانَ هذا القول، فأنت قد جعل الله لك اختيارًا، فتمشي إذا أردتَ، وتجلس إذا أردتَ، وتنام إذا أردتَ، وتذهب إذا أردتَ، وهكذا، فالله عَزَّوَجَلَّ جعل لك هذا الاختيار، وأَمرك ونَهاك علىٰ أَلسِنة رُسُلِه، وهي الإرادة الشَّرعيَّة، كما قال الله سبحانه في سورة (الأعراف): ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ [الأعراف: ٣٥-٣٦].

وبيَّن أنَّ النَّاس ينقسمون إلىٰ قسمين: مؤمنين مُتَّقين، وكُفَّار مُكذِّبين معاندين، والعياذ بالله.

فليس لأحدٍ علىٰ الله حُجَّةٌ، بل لله في عباده الحكمة البالغة، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]. مَسَح علىٰ ظَهر آدم فاستخرج منه ذُرِّيَّته كالذَّرِّ، وقبض قبضةً، وقال: هؤلاء إلىٰ الجنَّة برحمتي - اللَّهم اجْعلنا مِمَّن تَخصُّهم برحمتك -، وقبَض أخرىٰ، وقال: هؤلاء إلىٰ النَّار

ولا أُبالي[(١)].

ويوم القيامة يعترف أهل النَّار بأنَّهم كانوا هم المُخطئون، وهم الظَّالمون حينما اختاروا الكفر على الإيمان، واختاروا المعصية على الطَّاعة، واختاروا الفسوق على البرِّ، وما أشبه ذلك، كما في سورة (الملك): ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١٠ - ١١].

ولا يكون الإنسان مؤمنًا إلَّا إذا آمن بالقَدَر خيرِهِ وشرِّهِ، ولمَّا خرج أقوامٌ في العراق، وقالوا بالقَدَر، جاء رجلان إلى الحجاز، فلقيا عبد الله بن عمر كان خارجًا من المسجد وهما داخلان إليه، قال: فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر خارجًا من المسجد، فَظَنَنتُ أنَّ صَاحبي سَيَكِلُ الكلام إليَّ، فقلت: يا عبد الله بن عمر، إنَّه قَدْ ظهر قِبَلَنَا أقوامٌ يقولون: لا قَدَر، وأنَّ الأمر أُنُفٌ!

قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنِّي بريءٌ منهم، وأنَّهم بُرآءُ منِّي، والَّذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنَّ لأحدكم مثل أُحُدٍ ذهبًا، قال: وأشار إلى أُحُدٍ - لأنَّهم كانوا في المدينة - لو أنَّ لأحدكم مثل أُحُدٍ ذهبًا، ثمَّ أنفقه في سبيل الله ما قَبِلَه الله منه حتَّى يؤمن بالقَدَر خيرِهِ وشَرِّهِ، ثمَّ شرع يروي لهم قِصَّة مجيء جبريل عن أبيه عمر بن الخطاب ﵁، وأنَّ جبريل أتى إلى النَّبيِّ ﷺ، وأنَّه جلس إليه في هيئةِ سائلٍ، فقال له: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ». فقال: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...». إلى آخر أركان الإسلام. قال: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ».

---

(١) أخرج أحمد في «مسنده» (٦/٤٤١) (٢٧٥٢٨) عن أبي الدَّرداء ﵁ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَتِفِهِ الْيُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي». وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٤٩).

فقال: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

فأنت - يا عبد الله - لا بدَّ أن تؤمن بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ، حُلوِهِ ومُرِّهِ، تؤمن بأنَّه كلَّه من عند الله، وسَلِ الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديك إلىٰ الصِّراط المستقيم.

ولهذا، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرع لنا أن نقرأ (الفاتحة) الَّتي هي مشتملةٌ علىٰ هذا الدُّعاء: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

فهذا الدُّعاء ندعو به في كلِّ ركعةٍ من الرَّكعات، فمَن هداه الله وَوَفَّقه لهذا، وسأل ربَّه أن يهديه، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سيهديه ويُوفِّقه ليعمل بالأسباب الَّتي تُوصِله إلىٰ الجنَّة وتباعده عن النَّار، أمَّا مَن أعرض واستغنىٰ عن الله، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن عباده ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما ابتلىٰ العبد بالشَّيطان وابتلاه بالشَّهوات والأطماع وقرناء السُّوء وغير ذلك، فكذلك أيضًا أعانه بما جاءت به الرُّسُل من الكتب والسُّنن، وأعانه بالمَلَك الَّذي يُثبِّته ويُعينه، وبالنَّفس المطمئنة - تقابل النَّفسُ المطمئنة النَّفسَ الأمَّارة -، وكذلك أيضًا قرناء الخير الَّذين يَدلُّون علىٰ الخير، ويُرشِدونهم إلىٰ ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك أن تُوفِّقنا لما فيه صلاحنا، وما فيه خيرنا في ديننا ودنيانا، وأن تُسَلِّمَنا يوم لقاك، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وقد تقدَّم قريبًا.

الإيمان قولٌ وعملٌ

وَالإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وعمَلٌ بالأرْكانِ، وعَقْدٌ بالجَنَانِ، يَزِيدُ بالطَّاعةِ، ويَنْقُصُ بالعِصيانِ، قَالَ الله تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]؛ فَجَعَلَ عِبادَةَ اللهِ تَعالىٰ وإخلاصَ القلبِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ»(١)، فجَعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمَانِ.

الشرح:

الإيمانُ قولٌ باللِّسان، وتصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعاصي، فلا يكون العبد مؤمنًا حتَّىٰ يشترك في إيمانه هذه الثَّلاث جميعًا الَّتي هي القلب أوَّلًا، ثمَّ اللِّسان ثانيًا، ثمَّ الجوارح ثالثًا؛ القلبُ بالتَّصديق والاعتقادِ، واللِّسان بالإقرارِ بالشَّهادتين (أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله)، هذه مفتاح الإسلام، ومفتاح الإيمان، ومفتاح الجنَّة، ولكنَّها لا بدَّ أن يصدقها القلب، ولا بدَّ أن يُصدِّقها الجوارح.

فمَن قال: أشهد ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ولو صلَّىٰ وصام وفعل

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال القاضي عياض: «تكلَّف جماعةٌ حَصْرَ هذه الشُّعَب بطريقِ الاجتهاد، وفي الحُكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك علىٰ التَّفصيل في الإيمان» اهـ. «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٢).

ما يفعله المؤمنون ولكنَّ قلبه غير مصدقٍ بذلك؛ فإنَّه لا يُعتبَر مؤمنًا، بل يُعتبر منافقًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال للمنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢﴾ [المنافقون: ١ - ٢].

فمن قال: أشهد ألَّا إله إلَّا الله، ولم يُصدِّق بقلبه وحدانيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّما كان مؤمنًا ومُصدِّقًا بالأوثان وما يعتقده أصحاب الخرافات، وأنَّ لها تأثيرًا وما أشبه ذلك، فهذا لا يُعتبر مؤمنًا، بل هو منافقٌ.

ومثل ذلك مَن قال: أشهد ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ولكنَّه لا يؤمن بوحدانيَّة الله بالأُلُوهيَّة، وأنَّ الله بائنٌ من خَلقه، مستوٍ علىٰ عرشه، وأنَّه هو الخالق، وكلَّ مَن سواه مخلوقٌ، وأنَّه الرَّازق، وكلَّ مَن سواه مرزوقٌ.

فمَن لم يؤمن بهذا، فليس بمؤمنٍ، وإن قال بلسانه كما حصل عند أصحاب وحدة الوجود الَّذين يقولون: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ويُصلُّون ويصومون - فيما يزعمون -، ويَتعبَّدون، ولكنَّهم مع ذلك يعتقدون أنَّ الأشياء المشاهدة إنَّما هي تَعيُّنات إلهيَّة، وأنَّ كلَّ ما يرونه يزعمون أنَّه هو الله، والعياذ بالله.

فهؤلاء غير مؤمنين، بل هم كذَّابون في إيمانهم؛ فالصُّوفيَّة، أو أصحاب وحدة الوجود، أو أصحاب الحُلُول الَّذين يقولون: إنَّ الله حَلَّ في خَلْقه أو اتَّحدَ بهم، هذا كلُّه من الأكاذيب الَّتي اخترعها لهم الشَّياطين، وأقرَّها الصُّوفيَّة وكبار الصُّوفيَّة كابن عربيّ، وابن الفارض وأمثالهم.

فالمهمُّ: أنَّ مَن قال: أشهد ألَّا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ولم يؤمن بوحدانيَّة الله بالأُلُوهيَّة، وأنَّه هو الخالق، وكلَّ ما سواه مخلوقٌ، وأنَّه

المُستحقُّ للعبادة، فليس بمؤمنٍ.

وإذا اعترف القلب واستيقن، ولكنَّ اللِّسان والجوارح امتنعت عن الإقرار والعمل، بل أظهر ذلك الشَّخصُ التَّكذيبَ، فهذا لا يُعتبَر مؤمنًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبرنا عن فرعون وقومه أنَّهم استيقنوا بما جاء به موسىٰ بقلوبهم، وأنَّه الحقُّ، ولكنَّهم تكبَّروا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

إذًا؛ فلا بدَّ من تواطئ اللِّسان والقلب والجوارح، فالقلبُ بالاعتقاد، واللِّسانُ بالإقرارِ، والجوارحُ بالعملِ، هذا هو الإيمان.

أمَّا الَّذين قالوا: إنَّ الإقرار باللِّسان والاعتقاد بالقلب يكفي فهؤلاء هم المرجئة، وهم ضُلَّالٌ، ومَذهبُهُم مذهبُ ضلالٍ، والَّذين قالوا: إنَّ مَن شهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ولكنَّه عمل شيئًا من الكبائر؛ فإنَّه يُعتبَر كافرًا، وهؤلاء هم الخوارج، وكلٌّ من الخوارج والمرجئة علىٰ طَرَفي نقيضٍ.

والإيمان الَّذي أمر الله به هو ما اعتقده أهل السُّنَّة والجماعة، وهو وسط بين عقيدة الإرجاء وعقيدة الخوارج، فمَنِ اقْتَرَفَ الكبيرة عند أصحاب العقيدة السَّلفيَّة (أهل السُّنَّة والجماعة) فإنّه يُعتبر فاسقًا، ولكنَّه لا يخرج من الإسلام، وأَمرُهُ إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه بقدرِ جنايتِه، ثمَّ يكون مآلُهُ إلىٰ الجنَّة.

وقد جاء جبريل إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال له: "**بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُوقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟**» قال: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ...**» ثلاثًا"[١]، وفي روايةٍ: أنَّ أبا ذرٍّ هو الَّذي قال للنَّبيِّ ﷺ: «**وَإِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذرّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟» فقال له النَّبيُّ ﷺ في الثَّالثة: «وَعَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»[1].

إذًا؛ فمَنِ اقْتَرف شيئًا من الكبائر، أو تَرَك شيئًا من الواجبات غير الصَّلاة، فإنَّه يُعتبر فاسقًا، وأَمْرُهُ إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عَذَّبه بِقَدرِ جنايته، ثمَّ أدخله الجنَّة، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

الإيمان متفاضل

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا﴾ [الفتح: ٤].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ»(١) فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلًا.

الشرح:

الإيمانُ مُتفاضلٌ؛ فمِنَ المؤمنين مَن يكون في أعلىٰ درجات الإيمان، وهُمُ المُقرَّبون، قال عزَّوجلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٦].

ومِمَّا يدلُّنا علىٰ تفاوت درجات الإيمان: قول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَصْحَابَ الْغُرَفِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الْغَابِرَ(٢) الشَّرْقِيَّ أَوِ الْغَرْبِيَّ». قال الصَّحابةُ: تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَنَالُهَا غَيْرُهُمْ؟ قال النبيُّ ﷺ: «بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(٣).

وفي الأخبار الدَّالَّة علىٰ المرور علىٰ الصِّراط: أنَّ منهم مَن يمرُّ كلمح البصر، وكالبرق، وكالرِّيح، وكأجاويد(٤) الخيل، وكسعي الرِّجال، ومنهم مَن يهرول،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أي الذاهب الماشي الذي تدلَّىٰ للغروب وبَعُدَ عن العيون، انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٦٩).

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) الأجاويد: جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الجيِّد الجري من الرِّكاب، انظر: «النهاية» لابن الأثير

ومنهم مَن يمشي، وأخيرًا منهم مَن يزحف علىٰ بطنه[١].

وفي أحاديث الشَّفاعة: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ».

«أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ».

«أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نَوَاةٍ مِنْ إِيمَانٍ، أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»[٢].

وهذه الأحاديث قد وردت في مواضع مُتعدِّدةٍ من أحاديث الشَّفاعة، ولكنَّنا نَسُوقُها هنا علىٰ سبيل الاختصار.

فهذه الأدلَّة تدلُّ علىٰ تفاوت الإيمان، وأنَّه يزيد وينقص، وبالله التَّوفيق.



= (١/ ٣١٢)، و«الكوكب الوهَّاج» للهرري (٤/ ٣٠٩ المنهاج).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٧٥١٠، ٧٤٤٠، ٤٤، ٢٢)، وصحيح مسلم (١٤٣، ٩١).

الإيمانُ بكلِّ ما أخبر بهِ الرَّسولُ ﷺ

وَيجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبرَ به النبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقلُ عَنه فيما شَاهَدْناه أو غابَ عَنّا، ونَعْلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عقَلْناهُ وجَهِلناهُ، ولم نَطَّلِعْ علىٰ حقيقةِ معناهُ، مِثْل: حديثِ الإسْراءِ والمِعراجِ[١]، وَكَانَ يَقظَةً لا مَنامًا، فإنَّ قُرَيْشًا أنْكَرَتْهُ وأَكْبَرَتْهُ، وَلَم تكُن تُنْكِرُ المناماتِ.

ومِنْ ذَلِك: أنَّ ملَكَ الموْتِ لمَّا جاءَ إلىٰ مُوسَىٰ عليه السلام ليَقْبِضَ روحَهُ لَطَمَهُ فَفَقأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إلىٰ ربِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ[٢].

ومِنْ ذَلِك: أَشرَاطُ السَّاعةِ[٣]، مِثْلُ خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عِيسَىٰ ابنِ مريمَ عليه السلام فيَقْتُلُهُ، وخُرُوجِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ، وخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وطُلُوعِ الشَّمسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وأَشْباهِ ذلك مما صحَّ به النَّقْلُ.

وعَذَابُ القبْرِ ونعيمُه حقٌّ، وقد استعاذَ النبيُّ ﷺ مِنْهُ، وأَمَرَ بِهِ في كلِّ صلاةٍ[٤]، وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ، وسُؤالُ مُنْكَرٍ ونكيرٍ حقٌّ، والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ، وذلك حين يَنْفُخُ إسرافيلُ عليه السلام في الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: علامات الساعة؛ فالشرط في اللغة: هو العلامة.

(٤) أخرج مسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».

ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً[١] بُهْمًا[٢]، فيقِفونَ في موْقفِ القيامةِ، حتَّىٰ يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ ويُحاسِبُهُم اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -، وتُنْصَبُ الموازينُ، وتُنْشَرُ الدَّواوينُ، وتَتطايَرُ صَحائفُ الأعْمالِ إلىٰ الأيْمانِ والشَّمائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

والمِيزانُ له كِفَّتانِ ولِسانٌ، تُوزَنُ به الأعمالُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

ولنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ حوْضٌ في القِيامَةِ ماؤُهُ أشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وأبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعْدَها أبدًا[٣].

والصِّراطُ حقٌّ يَجُوزُهُ الأبْرارُ، ويَزِلُّ عنْهُ الفُجَّارُ.

ويَشْفَعُ نبيُّنا ﷺ فيمَنْ دخلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أهْلِ الكَبائِرِ فيَخْرُجونَ بِشفاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وصَارُوا فَحْمًا وحُمَمًا، فيدخُلُونَ الجنَّةَ بشفاعَتِهِ.

ولِسَائِرِ الأنبياءِ والمُؤمِنِينَ والملائكةِ شفاعَاتٌ، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ

---

(١) جمع أغرل، وهو الذي لم يختن، والمعنىٰ: أنَّهم يُحشرُون كما خُلقوا لم يُفقد منهم شيءٌ، انظر: «النِّهاية» لابن الأثير (٣/ ٣٦٢)، «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٧/ ١٩٣).

(٢) أي: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ» كما جاء في «المسند» لأحمد (١٦٠٨٥ قرطبة)، و«السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٥٢٦) و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٣١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرج مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ».

﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ولا تَنْفَعُ الكافِرَ شَفَاعةُ الشَّافِعِين.

وَالجَنَّةُ والنَّارُ مخلُوقَتانِ لا تَفْنيانِ، فالجنَّةُ مأوىٰ أولِيَائِهِ، والنَّارُ عِقابٌ لأعدائِهِ، وأهلُ الجنَّةِ فيها مُخلَّدون: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥].

ويُؤْتَىٰ بالموْتِ في صورَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ، فيُذبَحُ بين الجنَّةِ والنَّارِ، ثم يُقال: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ ولا مَوْتَ، ويَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ ولا مَوْتَ»[1].

الشرح:

يجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ، فنعلم أنه حقٌّ وصدقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عقلناه، أي: عقلنا معناه، أو جهلناه، فكلُّ ذلك يجب أن نؤمن به ونُصدِّقه، لأنَّه من عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: ١ - ٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

فكلُّ ما جاء به الرَّسول ﷺ فهو حقٌّ كما أخبر بذلك؛ سواءٌ كان ذلك في كتاب الله، أو في سُنَّةِ رسول الله ﷺ.

قوله: «مثلُ حديث الإسراء والمعراج»: الإسراء الَّذي أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أنَّه أُسريَ بالنَّبيِّ ﷺ إلىٰ بيت المقدس، ثمَّ عُرِجَ به إلىٰ السَّماء، فارتفع فوق السَّماء السَّابعة، ووجد الأنبياء علىٰ منازلهم في السَّموات، وأوحىٰ الله إليه فرضيَّة الصَّلاة، ثمَّ رجع فأصبح بين أظهرهم، فقالت قريشٌ: يقول مُحمَّدٌ إنَّه أُسرِيَ به إلىٰ بيت المقدس، وأصبح بين أظهرنا، ونحن نضرب آباط الإبل شهرًا ذهابًا، وشهرًا إيابًا! ثمَّ ذهبوا إلىٰ أبي بكرٍ، فأخبروه، يَستفزُّونه للتَّكذيب، فقال أبو بكرٍ: إنْ كان قاله فهو صدقٌ وحقٌّ، وأنا أؤمن به، وأؤمن بأنَّه يأتيه الخبر من السَّماء بُكْرةً وعشيًّا، فسُمِّي من ذلك اليوم: الصِّدِّيق[(١)].

قوله: «فإنَّ قريشًا أَنكرته وأَكبرته، ولم تُنكِرِ المَنامات»: وهذا صحيحٌ، وهو دالٌّ علىٰ أنَّ الإسراء والمعراج كان بِرُوحِ النَّبيِّ ﷺ وبَدنِهِ، وكان يقظةً، لا منامًا.

ومن ذلك أنَّ مَلَكَ الموت لمَّا جاء إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليقبض رُوحَه، لَطَمه ففقأ عينه، فرجع إلىٰ ربِّه، فردَّ عينه.

ثمَّ ضرب أمثلةً كثيرةً عليه.

وكلُّ ذلك يجب أن نُؤمنَ به ونُصدِّقه إذا علمنا قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ كلَّ شيءٍ عند قدرته تعالىٰ سهلٌ ويسيرٌ.

فنحن نؤمن بما جاءنا من الأخبار الَّتي رُبَّما يستبعدها العقل؛ كخروج الدَّجَّال الَّذي يخرج ومعه - فيما يزعم - جنَّة ونارٌ، وأنَّه يأمر السَّماء فتمطر، والأرض فتنبت، وأنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج[(٢)]، وخروج الدَّابَّة علىٰ النَّاس ضحىٰ، وهي الَّتي أشار الله إليها في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا

(١) أخرجه عبد الرَّزَّاق في «مصنَّفه» (٥/ ٣٢١) (٩٧١٩) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]. إلىٰ غير ذلك من الأخبار(١).

وأقول: هذه الأخبار كلُّها يجب علىٰ المسلم أنْ يؤمن بها جميعًا، وأن يُصَدِّق بها علىٰ الكيفيَّة الَّتي أراد الله عَزَّوَجَلَّ، فما أخبر به النَّبيُّ ﷺ من أخبارٍ؛ سواءٌ ما كان منها في الدُّنيا في آخر الزمان، أو ما كان بعد الموت.

ولقد ظهر في زماننا هذا أشياء، لو أُظْهِرَت في ذلك الزَّمان لَمَا صَدَّقها العقل، مثل ما أخبر النَّبيُّ ﷺ من تقارب الزَّمان حتَّىٰ يكون الشَّهر كالجمعة، واليوم كالسَّاعة، والسَّاعة كاحتراق السَّعفة(٢).

ولمَّا ذكر الله المراكب حين قال في سورة (النَّحل): ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨]، وكذلك يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، فلو

---

(١) أخرج أحمد (٤/ ٧) (١٦١٨٩) عن حُذَيفة بن أسيد الغفاري قال: أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَرَوْنَ عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَالدَّجَّالِ، وَثَلاثُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ - أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا».

(٢) أخرج أحمد (٢/ ٥٣٧) (١٠٩٥٦)، وابنُ حبّان (٦٨٠٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ الْخُوصَةُ» وصحَّحه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٨٠٣).

والسَّعَفَةُ - بفتح العين -: غُصنُ النَّخل، أي: كسرعة التهاب النَّار بورق النَّخل، انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٧٤ العلم للملايين)، «مرقاة المفاتيح» للقاري (٨/ ٣٤٨٠ الفكر).

قال قائلٌ في ذلك الزَّمان: إنَّ النَّاس يركبون في آلةٍ فتحملهم من بلدٍ إلىٰ بلدٍ، وتسير في الجوِّ، فتقطع مسافة ألف ميل في ساعةٍ واحدةٍ مثلًا لَمَا صدَّق بذلك أحدٌ، ولكنَّها إشاراتٌ تَضمَّنت ذلك، حتَّىٰ وقع هذا الشَّيء في هذا الزَّمان من الطَّائرات وأنواعها، وسرعة سَيرها.

وكذلك أيضًا تقارب الزَّمان من ناحية الأخبار، فيُسمَعُ كلام مَن يَتكلَّم من أمريكا أو اليابان، أو أيِّ مكانٍ بعيدٍ، فإنَّه يسمع بواسطة هذه الآلات ممَّا دلَّت الإشارات الشَّرعيَّة إليه[1]؛ كقوله ﷺ: «وَيُخْبِرُ الرَّجلَ فَخِذُهُ بِمَا فَعَلَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ». وفيه أيضًا: «وَتُحَدِّثُ الرَّجُلَ عَذَبةُ سَوْطِهِ[2]»[3]. وكلُّ ذلك قد وقع.

والمهمُّ أنَّ هذه الأخبار من المُغيَّبات أخبر بها النَّبيُّ ﷺ، فيجب علينا الإيمان بها كما وردت، وكلَّما كان الإنسان أعظم إيمانًا، كان أكثر تصديقًا لذلك، وبالله التَّوفيق.



(١) والأعجبُ مِن ذلك أنْ يحصلَ الاتِّصالُ والرُّؤيةُ في آنٍ واحدٍ بالشَّخص البعيد عن التّقنيَّات الحديثة؛ مِن جهازِ الحاسبِ الآلي، أو الجوَّالات المُتطوِّرة، أو غيرِها، فسبحانَ اللهِ وبحمدِه علىٰ نعمه وآلائه العظيمةِ.

(٢) أي: طرفه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٨١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّىٰ تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٢).

محمد خاتم النَّبيِّين ﷺ

وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وسَيِّدُ المُرسَلينَ، لا يَصِحُّ إيمَانُ عَبْدٍ حَتّىٰ يُؤمِنَ بِرِسَالَتِه، ويَشهَدَ بنُبوَّتِه، ولا يُقْضَىٰ بينَ النَّاسِ في القِيامَةِ إلَّا بشَفَاعَتِهِ، ولَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أُمَّةٌ إلَّا بعْدَ دُخولِ أُمَّتِه.

صَاحِبُ لِواءِ الحَمْدِ، والمَقَامِ المَحمُودِ، والحَوْضِ المَوْرودِ، وهوَ إمامُ النَّبِيِّينَ، وخَطِيبُهم، وصاحِبُ شَفاعتِهم، أُمَّتُه خَيْرُ الأُممِ، وأَصحَابُهُ خَيْرُ أصحَابِ الأنبياءِ عليهم السلام.

وأَفضَلُ أُمَّتِه أَبُو بَكرٍ الصِّدّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثمانُ ذُو النُّورَينِ، ثُمَّ عَليٌّ المُرْتَضَىٰ - رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجْمَعِينَ - لِمَا رَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا نَقُولُ - والنَّبيُّ ﷺ حيٌّ -: «أَفضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبيِّهَا: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمانُ، ثُمَّ عَليٌّ، فَيبلُغُ ذَلِكَ النَّبيَّ ﷺ فَلا يُنكِرُه»[(1)].

وَصَحَّتِ الرِّوايَةُ عَنْ عَليٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبيِّها أَبُو بَكرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَو شِئْتُ سَمَّيْتُ الثَّالِثَ**»[(2)].

---

(١) أخرج أبو داود (٤٦٢٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: «أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ» وصحَّحه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٢٩٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١١٥) (٩٣٤)، وروى البخاري (٣٦٧١)، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ».

ورَوَىٰ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»(١)؛ وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بالخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لفَضْلِهِ وسَابِقَتِه، وتَقْدِيمِ النبيِّ ﷺ لَهُ في الصَّلاةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ تقْدِيمِه ومُبَايَعَتِه، وَلَم يَكُنِ اللهُ لِيَجْمَعَهُم علىٰ ضَلالةٍ.

ثُمَّ مِنْ بَعدِهِ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لفضْلِهِ، وعَهْدِ أَبي بَكرٍ إِلَيهِ، ثُمَّ عُثمَانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لتَقْدِيمِ أَهلِ الشُّورَىٰ لَهُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لفَضلِهِ وإِجمَاعِ أَهلِ عَصْرِه عَلَيهِ.

وَهَؤُلاءِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُون المَهدِيُّون الَّذِين قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِم: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٢)، وَقَالَ ﷺ: «الخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»(٣)؛ فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الشرح:

أَوَّلًا: إنَّه لا يصحُّ إسلامُ عَبدٍ إلَّا بأن يشهد ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، ومقتضىٰ هاتين الشَّهادتين: الشَّهادة لله بالوحدانيَّة، وأنَّ كلَّ مألوهٍ سوىٰ الله باطلٌ، وأنَّ الله هو الإله الحقُّ المستحقُّ للعبادة، والشَّهادة الثَّانية وهي الشَّهادة للرَّسول ﷺ أنَّه مرسلٌ من عند الله لهداية البشر ودلالتهم علىٰ ما يُرضي ربَّهم.

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٩/ ٨٠٠) (٢٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٣٣)، وابنُ أبي عاصم في «السنّة» (١٢٢٤)، وأشار الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ صحته في «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٥٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦) من حديث سفينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٣٢٥٧)، وفي «السّلسلة الصحيحة» (٤٥٩).

فلا يصحُّ إسلامُ عبدٍ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ثمَّ العمل بما جاء في القرآن وفي السُّنَّة ممَّا كلَّف الله به العباد ليقوموا بهاتين الشَّهادتين.

ثانيًا: نشهد أنَّ مُحمَّدًا خاتم المرسلين، وسَيِّدهم، وأكرمهم علىٰ الله، وأقربهم إليه وسيلةً، وأعلاهم عنده جاهًا، وأنَّ الرسالة خُتِمَت به، فلا رسول بعده، ولا نبيَّ بعده، وقد انقَطَع الوحي بموته صلوات الله وسلامه عليه.

وحينئذٍ فبِنَاءً علىٰ هذه الشَّهادة نقول: إنَّ مَنِ ادَّعىٰ النُّبوَّة فإنَّه كذَّابٌ، وقد قال ﷺ: «سَيَخْرُجُ بَعْدِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ»[(١)]؛ وآخرهم المسيح الدَّجَّال الَّذي يدَّعي الأُلوهيَّة.

فالله قد ختم الرِّسالة به، وهذه شهادةٌ لا بدَّ أن نعتقدها.

ثالثًا: يجب أن نعتقد أنَّ الله أنزل عليه القرآن الَّذي تحدَّىٰ به أرباب الفصاحة، فقد تحدَّىٰ الَّذين كَذَّبوه وادَّعَوا أنَّ القرآن أساطير الأوَّلين، وأنَّه قول بَشَرٍ، وأنَّه كهانةٌ وشعرٌ، أو ما أشبه ذلك، تحدَّاهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله، ثمَّ تحدَّاهم بأن يأتوا بسورةٍ واحدةٍ، فلم يستطيعوا.

رابعًا: نشهد أيضًا بأنَّ السُّنَّة الَّتي جاءت علىٰ لسان الرَّسول ﷺ هي التَّشريع، المُكمِّلة والمُبيِّنة للكتاب؛ فلذلك لا بدَّ أن نعتقد صِدقها؛ فإنَّا مُكلَّفون باعتقادها وتَعلُّمها، والعمل علىٰ ضوئها، والدَّعوة إليها، والتَّحذير مِمَّن خالفها.

خامسًا: نؤمن بأنَّ أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ خير الأمم علىٰ الإطلاق، وقد جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قوله: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ

---

(١) أخرج البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ».

اللهِ»[١].

سادسًا: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ساق لنبيِّه من الأصحاب خير الأصحاب، فأصحاب الأنبياء إذا نظرنا فيهم نجد أنَّ أصحاب النَّبيِّ ﷺ هم خيرهم وأوفاهم وأكرمهم علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّهم بذلوا جهودهم في نُصرتِه، فحينما استشار في القتال في موقعة بدرٍ، قالوا: «لسنا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾ [المائدة: ٢٤] لكن نقول: اذهب أنت وربُّك فقاتلا، إنَّا معكم مقاتلون، واللهِ، لَوْ خُضتَ بنا هذا البحر لخضناه، ولو ذهبت بنا إلىٰ بَرْكِ الغِمَادِ[٢] لجالدنا حتَّىٰ نصل إليه»[٣].

سابعًا: أكرم الصَّحابة علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ هم العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وأفضل العشرة الأربعة الخلفاء، وأفضل الأربعة الخلفاء: أبو بكرٍ الَّذي قال فيه النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»[٤].

ثمَّ عمر الفاروق الَّذي قال فيه النَّبيُّ ﷺ: «مَا سَلَكَ عُمَرُ فَجًّا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا آخَرَ»[٥].

ثمَّ عثمان ذو النُّورَين الَّذي زوَّجه النَّبيُّ ﷺ بابنتيه رقية وأم كلثوم، ثمَّ علي بن أبي طالبٍ الَّذي قال فيه النَّبيُّ ﷺ: «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ

---

(١) أخرج التِّرمذي (٣٠٠١) عن معاوية بن حيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٦٢٨٥).

(٢) هو اسم موضع باليمن، وقيل: هو موضع وراء مكة بِخمس ليال.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٣٩٥٢ و٤٦٩٢) و«صحيح مسلم» (١٧٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[١].

ثمَّ بقيَّة العشرة، وهم السِّتَّة: طلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوام، وعبد الرَّحمن بن عوفٍ، وسعد بن أبي وقَّاصٍ، وسعيد بن زيدٍ، وأبو عبيدة بن الجرَّاح.

ثمَّ بعد هؤلاء: أصحاب بيعة العقبة من الأنصار والمهاجرين الَّذين هاجروا الهجرتين؛ الهجرة إلى الحبشة، ثمَّ الهجرة إلى المدينة، ثمَّ من بعدهم أهل بدرٍ الَّذين حضروا بدرًا، ثمَّ من بعدهم أصحاب الحديبية الَّذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت، ثمَّ من بعدهم مَن أنفق وقاتل قبل الفتح، ثمَّ من بعدهم من أنفق وقاتل بعد الفتح، ثمَّ صغار الصَّحابة، هذا ترتيبهم في الأفضليَّة.

وهناك فئتان ضالَّتان من أُمَّة مُحمَّد ﷺ أنكرت هذا الحقَّ الَّذي هو لأصحاب رسول الله ﷺ وتنكَّروا له، وهم: الخوارج والرَّافضة، عليهم من الله ما يَستحقُّون؛ فالخوارج كفَّروا كلَّ أصحاب رسول الله ﷺ ما عدا أبا بكرٍ وعمر، والرَّافضة كفَّروا كلَّ أصحاب رسول الله ﷺ ما عدا عليَّ بن أبي طالب وبنيه الاثني عشر، وهم الاثنا عشريَّة[٢]، وهؤلاء ضُلَّالٌ، نسأل الله العفو والعافية.

فالمهمُّ أنَّ الواجب علينا أن نعرف لأصحاب رسول الله ﷺ حقَّهم، فأهل السُّنَّة والجماعة عرفوا لأصحاب رسول الله ﷺ حقَّهم، وعرفوا لأهل بيته أيضًا حقَّهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) قال شيخنا النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقصود بالاثني عشرية: هم الَّذين يُقال لهم: الجعفريَّة؛ وهم اثنا عشر خليفةً؛ ويستدلُّون بقول النَّبيِّ ﷺ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا مَا بَقِيَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْ قُرَيْشٍ»، فهم يستدلُّون بهذا الحديث وغيره، وليس المراد أنَّهم مِن صُلب عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه مباشرةً؛ لكن مِن أولاده: الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ومحمَّد بن علي الباقر، وجعفر الصَّادق، وآخرهم العسكريّ الَّذي قالوا إنَّه دخل السِّرداب ولم يخرج منه» اهـ.

فَتولَّوا أصحابه علىٰ منازلهم في الفضل، وتَولَّوا أهل بيته علىٰ منازلهم في الفضل.

مسألةٌ: هل جماعة الإخوان المسلمين يُعدُّون من الخوارج؟ **والجواب**: الَّذين يقولون بالخروج علىٰ السُّلطان يُعدُّون منهم؛ سواء من الإخوان المسلمين أو من غيرهم، فمَنِ استباح الخروج علىٰ الأئمَّة فهو منهم، وإن لم يُكفِّرهم، وبالله التَّوفيق.



تولي أصحاب النبي ﷺ ومحبتهم

ونَشْهَدُ للعشَرةِ بالجنَّةِ، كما شَهِدَ لَهُم النَّبيُّ ﷺ فقَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وعُثْمَانُ في الجَنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجنَّةِ، وطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وسَعِيدٌ في الجَنَّةِ، وعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ في الجَنَّةِ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ»(١).

وكُلُّ مَنْ شَهِدَ له النبيُّ ﷺ بالجنَّةِ شَهِدْنَا له بها، كَقَولِهِ: «الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٢)، وقَولِهِ لثَابِتِ بنِ قَيْسٍ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٣).

ولا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ ولا نَارٍ، إلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ الرَّسُول ﷺ، لَكِنَّا نَرجو للمُحْسِنِ ونَخَافُ علىٰ المُسيءِ، ولَا نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ، ولَا نُخْرِجُهُ عَنِ الإسلامِ بِعَمَلٍ.

ونَرَىٰ الحَجَّ والجِهَادَ مَاضِيَين مَعَ طَاعَةِ كلِّ إمامٍ بَرًّا كان أو فَاجِرًا، وصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلفَهُم جائِزةٌ، قَالَ أَنسٌ: قال النَّبيُّ ﷺ: «ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ: الكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلا نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ حتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ

(١) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٤٧) من حديث عبد الرَّحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٥٠).

(٢) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٣١٨٠).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٦١٣)، ومسلمٌ (١١٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جَائِرٍ وَلا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بالأَقْدَارِ». رواه أبو داود(١).

ومِنَ السُّنَّةِ: تَوَلِّي أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَحبَّتُهُم، وذِكْرُ مَحَاسِنِهِم، والتَّرَحُّمُ عَليهِم، والاستِغفَارُ لهُم، والكَفُّ عن ذِكرِ مسَاوِئِهِم، ومَا شَجَرَ بَيْنَهُم، واعتِقَادُ فَضْلِهِم، ومعرِفَةُ سابِقَتِهِم، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُم لَوْ أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولَا نَصِيفَهُ»(٢).

الشرح:

هذا قد سبق الكلام عليه، فيجب أن نتولَّىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، ونعرف لهم حَقَّهم وسابِقَتهُم، ولا نخوض فيما شَجَر بينهم، بل نعذرهم في ذلك، ونعلم أنَّهم اجتهدوا، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ منهم له أجرٌ، ونعلم أنَّ سابقة الصَّحابة - رضوان الله عليهم - لا تُنال بعمل مهما يكن ذلك العمل، فالنَّبيُّ ﷺ يقول: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الجامع» (٢٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضل أمهات المؤمنين

وَمِنَ السُّنَّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْواجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُمَّهاتِ المؤمنين، المُطَهَّراتِ، المُبَرَّآتِ مِنْ كلِّ سوءٍ، أَفضَلُهنَّ: خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ باللهِ العَظِيمِ.

وَمُعَاوِيَةُ خَالُ المُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اللهِ، وَأَحَدُ خُلَفَاءِ المُسلِمِينَ رضي الله عنهم.

الشرح:

هذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، يعتقدون أنَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ مُطَهَّراتٌ ومُبرَّآت من كلِّ سوءٍ.

وقد بَرَّأ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إحداهنَّ وهي عائشة، فقد برَّأها في كتابه في آياتٍ تُتلَىٰ من سورة النُّور إلىٰ يوم القيامة، وذلك لمَّا تكلم فيها أصحاب الإفك، وكان الَّذي تولَّىٰ كِبْرَه منهم هو عبد الله بن أُبَي رأس المنافقين، فبرَّأها الله ممَّا قالوا تبرئةً لجانبِ رسولِ الله ﷺ عن السُّوءِ.

وهكذا أزواج النَّبيِّ ﷺ هنَّ أُمَّهات المؤمنين، فقد قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦][1]، فوصفهنَّ بأنَّهنَّ أُمَّهات للمؤمنين، ومَن يتكلَّم

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٣٨٠، ٣٨١): «﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلىٰ بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمَّىٰ بعض العلماء بناتهنّ: أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي في «المختصر»، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحُكم» انتهىٰ.

فيهنَّ فكأنَّه يتكلَّم في أُمِّه.

ثمَّ إنَّ جانبَ رسول الله ﷺ أعظم وأفضل في الطهرة من السُّوء الَّذي رُبَّما حصل وقد يحصل في بعض المسلمين، ولكن جانب رسول الله ﷺ وعِرضه مُبَرَّأ، وهو أفضل الرُّسل صلوات الله وسلامه عليه.

فلا يجوز لأحدٍ بعد هذا أن يتكلَّم في أزواجه، وغضبُ الله ولعنتُهُ علىٰ مَن يفعل ذلك، وقد سمعت في شريطٍ من بعض الرَّافضة مَن يتكلَّم في عائشة ويَسبُّها ويلعنها لعنًا شديدًا - والعياذ بالله -، ولا شكَّ أنَّ هؤلاء كُفَّارٌ، والَّذي يقول هذا، ويقول: عليها لعنة الله عددَ أنفاسِ العالمين - هكذا يقول عالمٌ من علمائهم فيما يزعمون - فهو كافرٌ.

فالَّذي يرميها بعدما برَّأها الله، فإنَّه يُعتبَر كافرًا.

وأزواج النَّبيِّ ﷺ اللَّاتي اجتمعن عنده تسعٌ، واللَّاتي تَزوَّجهنَّ إحدىٰ عشرة من الحرائر؛ أولاهنَّ: خديجة بنت خويلد، وهي أمُّ أولاده (القاسم، وفاطمة، وزينب، وأم كلثوم، ورقية)، ويقَال: له ابنٌ ذكرٌ آخر اسمه الطَّاهر، وبعد ذلك تَزوَّج - صلوات الله وسلامه عليه - بعد وفاتها بسودة، وعائشة، وكانت عائشة بنت سِتِّ سنين، ودخل بها في السَّنة الثَّانية بعد بدرٍ في شهر شَوَّالٍ، وتَزوَّج بعدها أيضًا بأُمِّ سلمة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وزينب بنت خزيمة، وميمونة، وصفيَّة بنت حُيَي، وجويرية بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان.

وتَسرَّىٰ النَّبيُّ ﷺ باثنتين من الإماء، فلا يجوز لأحدٍ أن يتكلَّم في أزواجه، أو يَتَّهمهنَّ بسوءٍ.

قوله: «ومعاوية خال المؤمنين»:

خصَّ المُؤلِّف معاوية هنا لكونه قَاتَل عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولهذا فإنَّ الرَّافضة

يُرَكِّزون على معاوية، ويَتكلَّمون فيه كثيرًا.

في عام الأربعين قُتِلَ عليٌّ غِيلةً من الخوارج، وآلت الخلافة إلى الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، ومكث سِتَّة أشهرٍ في الخلافة، ثمَّ زحف بجيشه، ثمَّ رأى بعد ذلك أن يتنازل لمعاوية، فتنازل في عام الواحد والأربعين، وتَحقَّق فيه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١)، فَسمَّاهم مسلمين مع القتال الَّذي حصل بينهم، وكلُّهم من أصحاب الرَّسول ﷺ.

فيجب على المسلمين أن يعرفوا لمعاوية حقَّ الصُّحبة، ولا يَتكلَّموا فيه بسُوءٍ، ولكن الرَّافضة استولى عليهم الشَّيطان، وأدخلهم في مآزق - والعياذ بالله - وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣٥/٥٦): «فقد مدح الحسن وأثنى عليه بإصلاح الله به بين الطائفتين؛ أصحاب عليٍّ وأصحاب معاوية؛ وهذا يبين أن ترك القتال كان أحسن؛ وأنه لم يكن القتال واجبًا ولا مستحبًّا» انتهى.

حقوق ولاة الأمر

ومِنَ السُّنَّةِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ لأئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَأُمَرَاءِ المُؤمِنِينَ بَرِّهِمْ وفَاجِرِهِمْ، مَا لَم يَأمُرُوا بِمَعصِيَةِ اللهِ، فإنَّه لَا طَاعَةَ لأَحَدٍ في مَعصِيَةِ اللهِ.

وَمَنْ وَلِيَ الخلافةَ، واجتَمَعَ عَلَيهِ النَّاسُ ورَضُوا بِهِ، أوْ غلبَهُم بسَيفِهِ حتَّى صَارَ خَلِيفةً، وسُمِّيَ أمِيرَ المُؤمِنِينَ، وجَبَتْ طاعتُهُ، وحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ والخُرُوجُ عَلَيهِ وشَقُّ عصَا المُسلِمِينَ.

الشرح:

أقول: إنَّ لوُلَاة الأمر السَّمع والطَّاعة إلَّا إذا أمروا بمعصية الله؛ فإنَّهم لا يُطَاعون في ذلك؛ لأنَّه لا طاعة في معصية الله، وقد قال ﷺ: «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»(١).

والأدلَّة على السَّمع والطَّاعة لوُلاة الأمر كثيرةٌ، والأحاديث مُتعدِّدة في «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرٍو(٢)، ومن حديث عوف بن مالكٍ(٣)، ومن

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٣١) (١٠٩٥) من حديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٧٥٢٠).

(٢) أخرج مسلم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**».

(٣) أخرج مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ**

حديث عبادة بن الصَّامت[١]، ومن حديث أبي هريرة[٢]، ومن حديث عبد الله بن عبَّاسٍ[٣]، ومن حديث أُمِّ سلمة[٤]، ومن حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ[٥]، ومن حديث عرفجة[٦]، أحد عشر حديثًا رواها مسلمٌ في «صحيحه»، وروى بعضها البخاريُّ.

فالمهمُّ أنَّ الأحاديث في هذا كثيرةٌ، وقد تقرُبُ من حدِّ التَّواتر في النَّهي عن الخروج على وُلَاة الأمر؛ لأنَّ الخروج على وُلاة أمر المسلمين إفسادٌ، وسببٌ

=

وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

(١) أخرج البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: «دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»».

(٢) أخرج مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

(٣) أخرج البخاري (٧٠٥٤و ٧١٤٣) ومسلم (١٨٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(٤) أخرج مسلم (١٨٤٨) عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا».

(٥) أخرج مسلم (١٨٥٣) عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخِرَ مِنْهُمَا».

(٦) أخرج مسلم (١٨٥٢) عن عرفجة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ».

في إراقة الدِّماء، وسببٌ في اختلاف الكلمة، ولذا نهىٰ النَّبيُّ ﷺ عن الخروج علىٰ وُلاة الأمر حتَّىٰ ولو كانوا عصاةً، أو كان وليُّ الأمر جائرًا ما دام لم يخرج من دائرة الإسلام، ولهذا رَكَّزت الأحاديث علىٰ طاعة وُلاة الأمر ما داموا مسلمين، قال ﷺ: «إِلَّا أَنْ تَرَوا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[١].

فحينئذٍ يجوز الخروج، ولكنَّه لا يجب؛ لأنَّه قد تكون شوكةُ المسلمين ضعيفةً، وقُوَّتُهُم غير صالحةٍ لأن يقوموا بثورةٍ، فيحصل سفكٌ لدماء المسلمين، واختلافٌ للكلمة، ويحصل شرٌّ من وراء ذلك، فلذلك نهىٰ النَّبيُّ ﷺ أُمَّته عن الخروج علىٰ وُلاة الأمر حتَّىٰ ولو كانوا عصاةً: «أَطِيعُوهُمْ مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ»[٢].

وابنُ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٣].

فائدة:

إذا كانت الإمامة قد حصلت بالغلبة، فإنَّه يجب طاعة ذلك الإمام الَّذي غالب علىٰ المسلمين وغلبهم بسيفه، كما ورد في عقيدة الإمام أحمد بن حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسَّمع والطَّاعة للأئمَّة وأمير المؤمنين؛ البرّ والفاجر، ومَن وَلِيَ الخلافة واجتمع النَّاس عليه، وَرَضُوا به، ومَن غلبهم بالسَّيف حتَّىٰ صار خليفةً وسُمِّي أمير المؤمنين»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) «أصول السُّنَّة» للإمام أحمد بن حنبل (ص ٤٢ المنار).

فالخلافةُ سواءٌ كانت بالاختيار أو بالغَلَبة، فمَن غلب على النَّاس بسيفه حتَّىٰ خضع النَّاس له وسَمَّوه أمير المؤمنين، فإنَّه لا يجوز الخروج عليه؛ ولهذا قال المُؤلِّف: «ومَن ولي الخلافة، واجتمع عليه النَّاس وَرضُوا به، أو غَلَبهم بسيفه حتَّىٰ صار الخليفة وسُمِّي أمير المؤمنين»، وجبت طاعته، وحَرُمَت مُخَالفتُهُ والخروج عليه، وشقُّ عصا المسلمين. وبالله التَّوفيق.



هجران أهل البدع

وَمِنَ السُّنَّةِ: هُجْرَانُ أَهْلِ البِدعِ، ومُبَايَنَتُهُم، وتَرْكُ الجِدَالِ والخُصُومَاتِ في الدِّينِ، وتَرْكُ النَّظَرِ في كُتُبِ المُبتَدعَةِ والإصْغاءُ إلىٰ كَلَامِهِم، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ في الدِّينِ بِدْعَةٌ.

الشرح:

هنا أمورٌ:

أوَّلًا: هجر المبتدع لا يكون واجبًا حتميًّا، وإنَّما يُتَّبع فيه المصلحة، فإن كانت المصلحة في الهجر، فُعِلَ، وإن لم تكن في الهجر مصلحةٌ، فلا يُفعل، ويعرض عن المبتدع، بمعنىٰ أنَّ أهل السُّنَّة لا ينبسطون إليه، ولا يجالسونه، ولا يضاحكونه، ولا يؤاكلونه، ولا يشاربونه، فعلىٰ الإنسان أن يكون مباينًا ومحايدًا عن أهل البدع[1].

ثانيًا: ترك الجدال والخصومات مع أهل البدع؛ لأنَّك إن جادلتهم سيأتون لك بشُبَهٍ، ورُبَّما تُؤثِّر في قلبك هذه الشُّبَه - والعياذ بالله -؛ فينبغي تَركُ مجادلتهم، وعدم السَّماع منهم.

ثالثًا: كتب المبتدعة الَّذين تَظَاهروا بالبِدعة يجب أن نهجرها ولا نقرأ فيها؛

---

(١) يقول ابن أبي داود في مطلع «حائيَّته»:

تَمسَّكْ بَحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَىٰ ... وَلا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ. اهـ

لأنَّه لا بدَّ أن يكون فيها شيءٌ من تحبيب البدع وتحسينها، فرُبَّما انطَلَىٰ عليك أيُها السُّنِّي هذا التَّحبيب وهذا التَّحسين، فدخل شيءٌ في قلبك.

رابعًا: عدم الإصغاء إلىٰ كلام المبتدعة، وهذا قد أُثِرَ عن السَّلف، فعن مُحمَّد بن سيرين أنَّه أبىٰ أن يسمع منهم ولو آية[(١)]، وكذلك عبد الله بن طاوس عندما جاء إليه جماعةٌ من المبتدعة وأرادوا أن يناظروه، فوضع أصبعه في أذنيه، وقال لابنه: «يا بني، ضع أصبعيك في أذنيك، وَاشْدُدْ حتَّىٰ لا تسمع شيئًا من كلامهم»[(٢)].

خامسًا: البدعة: هي كلُّ أمرٍ مُحدَثٍ في الدِّين ممَّا ليس له دليلٌ ولا أساسٌ من الشَّرع. وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرج اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٥٠) أنَّه: «دخلَ رجُلان علىٰ محمَّد بن سيرين مِن أهل الأهواء فقالَا: يا أبا بكر نُحدِّثك بحديثٍ! قال: لَا، قالا: فنقرأُ عليكَ آيةً مِن كتابِ الله! قال: لَا، قال: تقومانِ عنِّي، وإلَّا قمتُ، فقام الرَّجلان فخرَجا، فقالَ بعضُ القوم: ما كان عليكَ أنْ يقرآ آيةً! قال: إنِّي كرِهتُ أنْ يقرآ آيةً فيحرِّفانِها، فيقرّ ذلك في قلبِي».

(٢) أخرج اللَّالكائيُّ في «شرح أصولِ الاعتقاد» (١/ ١٥٢) عن معمر قال: «كَانَ ابْنُ طَاوُسٍ جَالِسًا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، قَالَ: «فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ»، قَالَ: فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. قَالَ: وَقَالَ لِابْنِهِ: «أَيْ بُنَيَّ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا». قَالَ مَعْمَرٌ: «يَعْنِي أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ».

التسمي بغير الإسلام والسنة بدعة

وكُلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ الإِسلَامِ وَالسُّنَّةِ؛ مبتدعٌ: كَالرَّافِضَةِ، وَالجَهمِيَّةِ، وَالخَوارِجِ، وَالقَدَرِيَّة، وَالمُرجِئَةِ، وَالمُعتزِلَةِ، وَالكَرَّامِيَّةِ، وَالكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرِهِم، فَهَذِهِ فِرَقُ الضَّلالِ وطَوَائفُ البِدَعِ، أَعاذَنَا اللهُ مِنْهَا.

الشرح:

الرَّافضة: وهم الَّذين رفضوا صحابة رسول الله ﷺ وسَبُّوهم وعابوهم ولعنوهم، والعياذ بالله.

الجهميَّة: أتباع الجهم بن صفوان الَّذين عطَّلوا اللهَ عن أسمائهِ وصفاتِهِ، والعياذ بالله.

الخوارج: وهم الَّذين يعتقدون كُفرَ المسلمين، فيَرون أنَّهُم كُفَّارٌ، ويقاتلونهم.

المرجئة: وهم الَّذين يقولون: الإيمان هو التَّصديق؛ سواءٌ صحبه عملٌ أو لم يصحبه عملٌ.

المعتزلة: وهم أصحاب الأصول الخمسة الَّتي يُسمُّونها التَّوحيد، وَأَوَّل مَن قال بالاعتزال هو عمرو بن عبيدٍ، وواصل بن عطاءٍ، واعتزلوا مجلس الحسن البصري، فَسَمَّاهُم معتزلة.

ومن أقوالهم: القول بالقَدَر، فيقولون: إنَّ الإنسان هو الَّذي يخلق أفعاله الشَّرِّيرة، ولذا يُسمَّون: «القَدَريَّة النُّفاة»، فيزعمون أنَّ الله سبحانه لا يُقدِّر الشَّرَّ ويعاقب عليه، وقد سبق الكلام علىٰ ذلك؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدَّر المقادير

وكتبها في اللَّوح المحفوظ، منها الكفر، ومنها الإيمان، ومنها الفسوق، ومنها البِرّ إلىٰ غير ذلك، وهذه المقادير الَّتي كتبها الله عَزَّوَجَلَّ لا بدَّ أن تقع.

ثمَّ إنَّ الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وهذا التَّشريع الَّذي ينهىٰ الله فيه عباده عن الكفر، وينهاهم عن المعاصي والفسوق، ويأمرهم بالخير، ويأمرهم بالتَّراحم والعدل، فبيَّن لهم فيه الأحكام الشَّرعيَّة.

الكراميَّة: الَّذين ينتسبون إلىٰ مُحمَّد بن كرامٍ، وهم يغلون في إثبات الصِّفات حتَّىٰ وصلوا إلىٰ حدِّ التَّشبيه.

الكلابيَّة: الَّذين ينتسبون إلىٰ عبد الله بن كلاب، وهو أحد أئمَّة الأشعريَّة الَّذين يُثبتون سَبْعًا من الصِّفات، ويَنفُون ما عداها.

ونظائرهم: كالفرق في هذا الزَّمان الَّذين يخلطون الحقَّ بالباطل، وهم موجودون علىٰ السَّاحة؛ كالإخوان والسُّروريَّة والقطبيَّة والتَّبليغ وحزب التَّحرير وشباب مُحمَّد، وما أشبه ذلك.

ولكن كلُّ مَن يأخذ خلاف الطَّريق الشَّرعيِّ الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مبيَّنًا في كتابه وعلىٰ سُنَّة رسوله ﷺ فإنَّه يُعدُّ مبتدعًا حينئذٍ، وأهل الحقِّ هُمُ السَّائرون علىٰ منهج السَّلف الذين يُحكِّمون كتاب الله، ويُحكِّمون سُنَّة رسول الله ﷺ ومَن بَعدَهم من أهل الحديث وأئمَّة الهدىٰ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. وبالله التَّوفيق.



النِّسبةُ إلى إمامٍ في فروعِ الدِّين

وَأَمَّا النِّسْبَةُ إِلَىٰ إِمَامٍ في فُرُوعِ الدِّينِ؛ كَالطَّوَائِفِ الأَرْبَعِ، فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ الاخْتِلاف في الفُروعِ رَحْمةٌ، وَالمُخْتَلِفونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتِلَافِهِم، مُثَابُونَ في اجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

نَسْأَلُ الله أَنْ يَعْصِمَنا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِينَا عَلَىٰ الإِسْلَامِ وَالسُّنَةِ، وَيَجْعَلنَا مِمَّنْ يَتَّبع رَسُولَ الله ﷺ في الحَياةِ، وَيَحْشُرَنَا في زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ آمِينَ.

وَهَذَا آخِرُ المُعْتَقَدِ. وَالحَمْدُ لله وَحدهُ، وَصلَّىٰ الله عَلَىٰ سَيِّدنَا مُحمدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

الشرح:

قوله: «وأَمَّا النِّسبةُ إلىٰ إمامٍ في فروع الدِّين؛ كالطَّوائف الأربع»: يقصد بها المالكيَّة والشَّافعيَّة والحنابلة والأحناف.

قوله: «فإنَّ الاختلاف في الفروع رحمةٌ»: الحقيقة أنَّ الاختلاف ليس برحمةٍ، والحديث الَّذي جاء في ذلك غير صحيح(١)، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذمَّ الاختلاف،

(١) يُشيرُ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا إلىٰ حديث يُروىٰ عن النَّبيِّ ﷺ وهو قوله: «اختِلافُ أُمَّتي رحمةٌ»، ولكن الحديث كما ذكر الشَّيخُ غيرُ صحيح، يقول الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٥٧): «لا أصل له، ولقد جَهِدَ المحدِّثون في أن يقفوا له علىٰ سندٍ فلم يُوَفَّقُوا، حتىٰ قال السيوطي في «الجامع الصغير»: ولعله خُرِّجَ في بعض كتب الحفَّاظ الَّتي لم تصل إلينا!».

ولكنَّ الاختلاف في الاجتهاد في فروع الأحكام الشَّرعيَّة، هذا جائزٌ، ولا يُلزِمُ أحدٌ أحدًا من المختلفين، والانتسابُ إلىٰ أحدٍ من هؤلاء الأئمَّة الأربعة لا نقول إنَّه مُحرَّمٌ، ولكن يجب عليك إذا تبيَّنَ لك الحقُّ في خلاف قول إمامك أن تعود إلىٰ الدَّليل وتأخذ به.

قوله: «واتِّفاقُهُم حُجَّة قَاطعةٌ»: أي: أنَّ اتِّفاقهم علىٰ شيءٍ من الأحكام الشَّرعيَّة يُعتبَر كالإجماع، والغالب أنَّ الأحكام الفقهيَّة التي يصير الاتِّفاق عليها من المذاهب الأربعة يُقَال إنَّ هذا الاتِّفاق إجماعٌ، لكن قد يخالفهم غيرهم؛ مثل الظَّاهريَّة، وما أشبه ذلك.

والواجبُ علىٰ طالب العلم أن يُقدِّم الدَّليل، ويأخذ بالدَّليل؛ سواءٌ كان مع هذا، أو مع هذا، وبالله التَّوفيق.

نسأل الله تعالىٰ أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا علىٰ الإسلام والسُّنَّة، ويجعلنا مِمَّن يَتَّبع رسول الله في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله، آمين.

وصَلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.



فهرس الموضوعات





